



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



مَجَلَّةُ نَبَأَاتِ عَمَّة

لِلدِّرَاسَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

مجلة علمية دورية محكمة



٣٠
٣١
٣٢
٣٣
٣٤
٣٥
٣٦
٣٧
٣٨

مَجَلَّةُ نَبَأَاتِ الدِّرَاسَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

٣٩

٣٩

موضوعات العدد التاسع والثلاثون

د. صفية بنت عبد الله بن مقبل القرني	رسالة في بيان أصول قراءة نافع من روايتي فالون وورش من طريق الشاطبية، لعفاد الدين غلبي بن عفاد الدين غلبي الأشتراطي (أحد علماء القرن العاشر الهجري) - دراسة وتحقيقا
د. محمد حسام عبد الكريم عبد العزيز	فروق التفسير بين ابن جرير وابن كثير في سورة التكاوير
د. عبدالله بن خالد بن سعد الحسن	صفات من يحبهم الله في ضوء القرآن الكريم - دراسة موضوعية
د. ممدوح بن تركي بن محمد الفحطاني	محمد بن أبي القاسم بن بابجوك البهالي (ت 562هـ)، ومعاليم منهجه في الموجود من تفسيره "مفتاح التلزل"
د. محمد بن فرحان بن شليوبج الهواملة الحوسري	مفهوم الألوان في القرآن الكريم عند المفسرين
د. يزيد بن عبد اللطيف الصالح الخليف	استدراكات ابن الهائم على السجستاني في كتابه: "البيان في تفسير غريب القرآن"
د. عبدالله بن محمد الراشد	تعليم المرأة في القرآن الكريم
د. محسن حامد المطايري	تأكيد الشيء بما يشبه ضده وأثره في تفسير القرآن الكريم (دراسة تحليلية تطبيقية).

العدد التاسع والثلاثون - جمادى الثاني ١٤٤٢ هـ، يناير ٢٠٢١ م

TBEIAN FOR QUR'ANIC STUDIES



حقوق الطبع محفوظة
للجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه
العام ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠ م



التعريف بالمجلة

مجلة "تبيان" للدراسات القرآنية

مجلة (دورية - محكمة)، تعنى بنشر البحوث في مجال الدراسات القرآنية، تصدر أربع مرات سنوياً عن الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه "تبيان"، صدر العدد الأول منها عام ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.

الرؤية:

الريادة في نشر البحوث المحكمة في الدراسات القرآنية.

الرسالة:

نشر البحوث المحكمة في حقول الدراسات القرآنية من خلال معايير مهنية عالمية متميزة.

الأهداف:

- ١- إيجاد مرجعية علمية للباحثين في مجال الدراسات القرآنية.
- ٢- المحافظة على هوية الأمة والاعتزاز بقيمتها من خلال نشر الأبحاث المحكمة التي تسهم بتطوير المجتمع وتقدمه.
- ٣- تلبية حاجة الباحثين محلياً وإقليمياً وعالمياً للنشر في مجال الدراسات القرآنية.

* * *

مجلة "تبيان" للدراسات القرآنية

المشرف العام

د. عبد الله بن حمود العماج

رئيس مجلس إدارة الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه

رئيس هيئة التحرير

أ.د. عبد الله بن عبد الرحمن الشثري

أستاذ القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أعضاء هيئة التحرير

١- أ.د. سالم بن غرم الله الزهراني

أستاذ القراءات بجامعة أم القرى

٢- أ.د. خالد بن سعد المطرفي

أساذ القرآن وعلومه بجامعة القصيم

٣- أ.د. عبد السلام بن صالح الجار الله

أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود بالرياض

٤- أ.د. مشرف بن أحمد الزهراني

أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الأمير سطام بن

عبد العزيز

٥- أ.د. ناصر بن محمد المنيع

أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود

٦- أ.د. عبد الله بن حماد القرشي

أستاذ القراءات بجامعة الطائف

٧- أ.د. فلوقة بنت ناصر الراشد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأميرة نورة بنت

عبد الرحمن

٨- د. ناصر بن محمد آل عشوان

أستاذ القرآن وعلومه المشارك بجامعة الإمام محمد ابن

سعود الإسلامية

مدير التحرير

د. فهد بن سعد القويفل

أمين التحرير

أ. إبراهيم بن عباس بن ناصر الشغدري

الهيئة الاستشارية

١- أ.د. محمد بن عبد الرحمن الشايع

أستاذ القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

٢- أ.د. علي بن سليمان العبيد

وكيل الرئيس العام لشؤون المسجد النبوي

٣- أ.د. فهد بن عبد الرحمن الرومي

أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود بالرياض

٤- أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري

رئيس قسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام وأستاذ

كرسي الملك عبد الله ابن عبد العزيز للقرآن الكريم

بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية

٥- أ.د. أحمد سعد محمد الخطيب

عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية -

جامعة الأزهر - مصر

٦- أ.د. ذوالكفل ابن الحاج محمد

يوسف ابن الحاج إسماعيل

عميد أكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة

مالايا بماليزيا

٧- أ.د. طيار ألتى قولاج

رئيس مجلس الأمناء بجامعة إستنبول بتركيا

٨- أ.د. عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس

استاذ التعليم العالي - كلية الآداب - جامعة ابن

زهر - مملكة المغرب

٩- أ.د. غانم قدوري الحمد

الأستاذ بكلية التربية - جامعة تكريت - العراق

١٠- أ.د. زيد بن عمر العيص

لمشرف على مركز بيبات للدراسات القرآنية بالملكة الأردنية

شروط وإجراءات النشر

في مجلة (تبيان) للدراسات القرآنية

المواصفات العلمية والمنهجية:

- الأمانة العلمية.
 - الأصالة والابتكار.
 - سلامة الاتجاه.
 - سلامة منهج البحث.
 - مراعاة أصول البحث العلمي في الاقتباس والتوثيق، وسلامة اللغة، والإملاء، والطباعة.
 - كتابة مقدمة تحتوي على: (موضوع البحث، ومشكلته، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته، وخطة البحث، والدراسات السابقة - إن وجدت - وإضافته العلمية عليها).
 - تقسيم متن البحث إلى فصول ومباحث ومطالب، حسب ما يناسب طبيعة البحث موضوعه ومحتواه.
 - كتابة خاتمة بخلاصة شاملة للبحث تتضمن أهم (النتائج) و(التوصيات).
 - كتابة قائمة بمراجع البحث، وفق المواصفات الفنية المشار إليها لاحقاً.
- #### شروط تسليم البحث:
- ألا يكون البحث قد سبق نشره.
 - ألا يكون مستلماً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية، وفي حال كان كذلك يجب على الباحث أن يشير إلى ذلك، وأن لا يكون سبق نشره، لتتظـر هيئة التحرير مدى الفائدة العلمية من نشره.
 - أن لا يزيد عدد الصفحات عن ٥٠ صفحة - كاملاً مع الملحقـات - بعد التقيد بالمواصفات الفنية لطباعة البحث من حيث نوع الخط، وحجمه، والمسافات، والهوامش.
 - رفع البحث عبر البوابة الإلكترونية للمجلة نسخة إلكترونية من البحث بصيغة (Word)، ونسخة أخرى بصيغة (BDF) بدون بيانات الباحث.
- #### مرفقات البحث عند تسليمه:
- رفع ملف يشتمل على عنوان البحث والسيرة الذاتية.
 - رفع ملف ملخص البحث باللغة العربية، لا يزيد عن (٢٠٠) كلمة، ويتضمن

العناصر التالية: (عنوان البحث، اسم الباحث ورتبته العلمية، موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه، وأهم النتائج، وأهم التوصيات). مع كلمات دالة (المفتاحية) معبرة بدقة عن موضوع البحث، والقضايا التي تناولها، بحيث لا يتجاوز عددها (٦) كلمات.

- رفع ملف ترجمة الملخص وعنوان الموضوع واسم الباحث ورتبته، والكلمات الدالة إلى اللغة الإنجليزية، ويجب أن يعتمد الملخص المترجم من قبل مركز ترجمة متخصص.

إجراءات التحكيم:

- تنظر هيئة التحرير في مدى تحقيق البحث لشروط النشر، فإن كان مطابقاً للشروط حول للتحكيم.

مقياس التقييم	الدرجة التامة	الدرجة الفعلية	جوانب الضعف
قيمة الموضوع العلمية	٢٥		
جدة الموضوع والإضافة العلمية	٢٥		
سلامة منهجية البحث	٢٥		
شخصية الباحث وحسن معالجته للموضوع	٢٥		
المجموع	١٠٠		

- تؤخذ النتيجة بمتوسط درجات أعضاء هيئة التحرير.
- يجتاز البحث القبول الأولي للعرض على المحكمين إذا تجاوز ٦٠٪.
- تُحكّم البحوث من قبل محكمين اثنين على الأقل، برتبة علمية تساوي أو تزيد عن الباحث.
- تُحكّم البحوث وفق المعايير التالية:

مقياس التقييم	الدرجة التامة	الدرجة الفعلية	جوانب الضعف
العنوان: جودة الصياغة، مطابقة العنوان للمضمون	٥		
ملحقات البحث: ملخص، مقدمة، خاتمة، توصيات، قائمة مراجع. مع توفر العناصر الأساسية لكل منها.	٥		
الدراسات السابقة: وافية، وضوح العلاقة بالبحث، الإضافة العلمية محدد	٥		

معيّار التقييم	الدرجة التامة	الدرجة الفعلية	جوانب الضعف
اللغة: النحو، الإملاء، الطباعة	٥		
المنهجية: الوضوح، السلامة، الالتزام، دقة الخطة، سلامة التوزيع	١٠		
الأسلوب: الجزالة، الإيجاز، الوضوح، الترابط	٢٠		
المضمون العلمي: المطابقة للعنوان والأهداف، السلامة العلمية، القوة، الإضافة العلمية ظاهرة وقيمة.	٢٠		
الإضافة العلمية: الأصالة، التجديد، الأهمية.	١٥		
المصادر: الأصالة، الحداثة، التنوع، الشمول	٥		
النتائج: مبنية على الموضوع، الشمول، الدقة	٥		
التوصيات: منبثقة عن الموضوع، الواقعية، الشمول	٥		
النتيجة	١٠٠		

- قرار التحكيم يعتمد على متوسط درجات المحكمين ويتضمن الاحتمالات التالية:
 - في حال اجتياز البحث درجة ٩٠٪ يعتبر البحث مقبولا للنشر على حاله.
 - يحتاج لتعديل في حال حصول البحث على درجة ما بين ٦٠٪ - ٨٩٪.
 - مرفوض في حال حصول البحث على درجة أقل من ٦٠٪.
 - في حال الحاجة للتعديل يعاد البحث مع التعديلات المطلوبة للباحث، ويقوم هو بدوره بالتعديل وإن بقي على رأيه يرد على ملاحظة المحكم بما يوضحه ويقويه.
 - بعد أن يجري الباحث التعديل يعاد البحث للمحكم للحكم النهائي، ويتضمن الحكم أحد احتمالين:
 - مقبول للنشر في حال حصوله على ٩٠٪ فما فوق.
 - مرفوض في حال حصوله على ٨٩٪ فما دون.
- شروط النشر:
- في حال قبول البحث للنشر تؤول كافة حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز نشره في أي منفذ نشر آخر ورقيا أو إلكترونيا، دون إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة، وللمجلة الحق في نشر البحث على موقع الجمعية وغيره من أوعية النشر الإلكتروني.

- ينشر البحث إلكترونياً في موقع المجلة وفي المجلة نفسها حسب أولوية النشر، وهذه تعتمد على تاريخ قبول البحث، واعتبارات تحددتها هيئة التحرير مثل تنوع الأبحاث في العدد الواحد.
- في حال قبول البحث للنشر يرسل للباحث قبول النشر، وعند رفض البحث للنشر يرسل له اعتذار عن النشر.
- يلزم الباحث بدفع تكاليف التقييم في الحالات التالية:
 - إذا ثبت عدم صدق الإقرار.
 - إذا أخل الباحث بالتعهد.
 - إذا سحب الباحث بحثه بعد التقييم.
 - إذا لم يلتزم بتسليم البحث بصيغته النهائية وفق شروط النشر المعتمدة في المجلة.
- يلتزم الباحث عند الموافقة على نشره بتقديم الصيغة النهائية المشار إليها في المواصفات الفنية المعتمدة.
- المواصفات الفنية للبحث:**
- يستخدم خط (Traditional Arabic) للغة العربية بحجم (١٨) أبيض للمتن وأسود للعناوين، وبحجم (١٤) أبيض للهامش والمخلص.
- يستخدم خط (Times New Roman) للغة الإنجليزية بحجم (١١) أبيض للمتن وأسود للعناوين، وبحجم (١٠) أبيض للهامش والمخلص.
- عدد صفحات البحث (٥٠) صفحة (A4).
- تترك مسافة بداية كل فقرة لا تزيد على ١ سم.
- المسافة بين السطور مفرد.
- الهوامش الصفحة من الأعلى والأسفل واليسار ٥, ٢ سم ومن اليمين ٥, ٣ سم.
- الآيات القرآنية تكتب وفق المصحف الإلكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بحجم ١٤ بلون عادي (غير مسود).

طريقة التوثيق

توثيق الآيات:

- توثق الآيات في المتن عقب النص القرآني مباشرة بذكر السورة متبوعة بنقطتين ثم رقم الآية داخل حاصرتين، هكذا: [البقرة: ٢٥٥].

توثيق النصوص:

- يلحق النص المراد توثيقه داخل المتن برقم صغير علوي بعد علامة الترقيم.
- يربط بحاشية سفلية أسفل الصفحة بترقيم مستقل لكل صفحة، وتضبط الحواشي آليا لا يدويا.

أولا: عند ورود المصدر أول مرة وكذلك في قائمة المراجع في نهاية البحث.

- عنوان الكتاب بخط غامق متبوعا بفاصلة، اسم العائلة متبوعا بفاصلة، ثم الاسم الأول والثاني وتاريخ وفاة المؤلف بين قوسين متبوعا بفاصلة، ثم الناشر متبوعا بفاصلة، ثم مكان النشر متبوعا بفاصلة، ثم رقم الطبعة متبوعا بفاصلة، ثم تاريخ النشر متبوعا بفاصلة، ثم الجزء والصفحة متبوعة بنقطة.

مثال:

- الصباح، الجوهري، إسماعيل بن حماد (١٢٠٥هـ)، تحقيق أحمد عبدالغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ٤٦/٢.

ثانيا: إذا ورد المراجع مرة ثانية

- عنوان الكتاب بخط غامق متبوعا بفاصلة، اسم العائلة متبوعا بفاصلة، ثم الجزء والصفحة متبوعة بنقطة.

مثال:

- الصباح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ٤٦/٢.

- توثيق الحديث النبوية: تتبع ذات الخطوات السابقة، ويضاف رقم الحديث، والحكم عليه.
- توثيق بحث في مجلة: يضاف لما سبق عنوان البحث بعد اسم المجلة بخط غامق، ثم رقم العدد.



جميع المراسلات وطلبات الاشتراك باسم: رئيس هيئة التحرير
على النحو التالي: المملكة العربية السعودية - الرياض
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية أصول الدين - الجمعية العلمية
السعودية للقرآن الكريم وعلومه - مجلة "تبيان" للدراسات القرآنية

البريد الإلكتروني:

quranmag@gmail.com

الفايس بوك: www.facebook.com/Quranmag

تويتر: <https://twitter.com/quranmag1>

هاتف المجلة: ٠٥٤٦٦٦٧١٤١ (+٩٦٦)

هاتف وفاكس الجمعية: ٠٥٤٦٦٦٧١٤١ (+٩٦٦) - ٠٥٤٦٦٦٧١٤١

موقع الجمعية

www.alquran.org.sa

المحتويات

العنوان	الصفحة
افتتاحية العدد	١٧
رئيس هيئة تحرير المجلة : أ.د. عبد الله بن عبد الرحمن الشثري	
البحوث	
١. رسالة في بيان أصول قراءة نافع من روايتي قالون وورش من طريق الشاطبية، لعماد الدين علي بن عماد الدين علي الأسترآبادي (أحد علماء القرن العاشر الهجري) - دراسة وتحقيقاً	٢١
د. صفية بنت عبد الله بن مقبل القرني	
٢. فروق التفسير بين ابن جرير وابن كثير في سورة التكوين	٧٣
د. محمد حسام عبد الكريم عبد العزيز	
٣. صفات من يحبهم الله ﷻ في ضوء القرآن الكريم - دراسة موضوعية	١٣٣
د. عبد الله بن خالد بن سعد الحسن	
٤. محمد بن أبي القاسم بن بابجوك البقالي (ت ٥٦٢ هـ)، ومعالم منهجه في الوجود من تفسيره "مفتاح التنزيل"	١٨٩
د. ممدوح بن تركي بن محمد القحطاني	
٥. مفهوم الألوان في القرآن الكريم عند المفسرين	٢٨٧
د. محمد بن فرحان بن شليويح الهواملة الدوسري	
٦. استدراكات ابن الهائم على السجستاني في كتابه: "التبيان في تفسير غريب القرآن"	٣٢٩
د. يزيد بن عبد اللطيف الصالح الخليف	
٧. تعليم المرأة في القرآن الكريم	٣٩٧
د. عبد الله بن محمد الرشود	
٨. تأكيد الشيء بما يشبه ضده وأثره في تفسير القرآن الكريم - دراسة تحليلية تطبيقية	٤٦٥
د. محسن بن حامد المطيري	
ملخصات البحوث باللغة الإنجليزية.	٥٤٧

مقدمة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولي الحمد أهل الثناء والمجد والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فهذا العدد (٣٩) من مجلة الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه وهي تُعنى بإبراز خصائص الدراسات القرآنية على اختلاف تنوعها وتسعى إلى تنمية روح البحث العلمي في الوسط الأكاديمي ومن هذا المنطلق فإن هيئة التحرير ترحب بنشر البحوث العلمية ذات العمق المعرفي والإبداع العلمي الذي يبين فقه القرآن الكريم ويستثير أسرارته وحكمه لأن المقصد الأعظم لدينا من البحوث في المجلة تفهيم معاني القرآن الكريم وقراءته وأحكامه وحكمه وآدابه ومواعظه وهداياته لأن التفهيم تابع للفهم فمن أحسن فهم القرآن أحسن تفهميه. وفهم القرآن الكريم يؤخذ من القرآن نفسه ومن السنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من كبار المفسرين، والقرآن كتاب هداية عامة لجميع الناس، وفهمه يعين على العمل به واتباعه، ومن فضل الله علينا أننا نعيش في هذه البلاد المباركة: المملكة العربية السعودية في أمن وأمان ورغد عيش واستقرار واجتماع وائتلاف وهذا يعين على الإنتاج العلمي لاسيما في الدراسات القرآنية التي تهتم المجلة بنشر الأبحاث فيها.

ولا ريب أن الأمن دعامة عظيمة من دعائم الحياة وضرورة للإنسان ليقوم بدوره في الحياة وجعل الله ذلك من أعظم النعم الدنيوية على العباد الموجبة للشكر وأصبحت بلادنا-بحمد الله- مضرب المثل ومحط النظر بهذا الأمن الشامل وهذا بفضل الله ثم بتمسكها بدينها وعقيدتها وتطبيقها لأحكام الشريعة مما جعل دور العلم ومؤسساته تقوم بدورها الفاعل في التعليم فازدهرت الحياة العلمية وحصل التطور العلمي فتمهدت بذلك السبل وتيسرت أسباب العلم والتعلم.

ولا يقوم سلطان الأمن بين الناس إلا إذا حافظ كل فرد عليه فهو شعار المسلم الذي يعرف به والوصف الغالب عليه. والله ولي التوفيق.

رئيس هيئة تحرير مجلة تبيان للدراسات القرآنية

أ.د. عبد الله بن عبد الرحمن الشثري

البحوث

رسالة في بيان أصول قراءة نافع من روايتي قالون وورش

من طريق الشاطبية

لعماد الدين علي بن عماد الدين علي الأسترآبادي

(أحد علماء القرن العاشر الهجري)

دراسة وتحقيقاً

د. صفية بنت عبد الله بن مقبل القرني

الأستاذ المساعد بقسم القراءات

جامعة أم القرى

ملخص البحث

عنوان البحث: (رسالة في بيان أصول قراءة نافع من روايتي قالون وورش من طريق الشاطبية).

لِعِمَادِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ عِمَادِ الدِّينِ عَلِيِّ الْأُسْتَرَّابَادِيِّ (أحد علماء القرن العاشر الهجري) دراسة وتحقيقًا.

محتويات البحث: يشتمل على مقدمة وقسمين، وخاتمة، وفهرس المصادر.

وقد قمت في دراسة البحث وتحقيق الكتاب بما يلي:

أولاً: قدّمت البحث بذكر مقدمة موجزة عن أسباب اختيار البحث، والخطة والمنهج المتبعين فيه.

ثانياً: ذكرتُ عرضاً موجزاً لحياة المؤلف، وأهم شيوخه وتلاميذه، ومكانته العلمية، ومؤلفاته، ووفاته.

ثالثاً: قمتُ بدراسة الكتاب، فذكرتُ اسمه وتوثيق نسبته إلى مؤلفه، ثم ذكرتُ منهج المؤلف في تأليفه، ثمّ سردتُ مصادر المؤلف في كتابه، وأهميته وقيّمته العلمية، ووصفتُ نسخ الكتاب الخطيّة.

رابعاً: حقّقتُ الكتاب كاملاً، وفق قواعد التحقيق المُتبَّعة.

خامساً: قمتُ بخدمة النصّ المحقق، فترجمتُ للأعلام، ووثّقتُ النصوص والشواهد من مصادرها، وعزوت الآيات إلى سورها، وأشرتُ إلى ما وقع من سقط أو خطأ.

سادساً: ختمت البحث بخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات، تليها فهرس المصادر.

أسأل الله بمنّته وكرمه أن ينفع به، ويرزقنا الإخلاص والتوفيق، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المقدمة

الحمد لله المُتفضل بالجُود والإحسان، أنعم علينا بإنزال القرآن، ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هُداه، واقتفى أثره، واستنَّ بسُنَّته إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن الله أكرم هذه الأمة بإنزال القرآن، فشرح به الصدور، وأخرج به العباد من الظلمات إلى النور، فمن استنار به وتعبد بتلاوته فقد أفلح، وهو خير ما فُتيت فيه الأعمار، وأفضل ما صُرفت إليه القلوب والأبصار.

ثم إن كل علم يشرف بشرف مُتعلِّقه، وعلوم القرآن أشرف العلوم على الإطلاق، وذروة سنامها علم القراءات؛ لاتصاله بالسند عن رسول الله ﷺ، فموضوعه القرآن الكريم، ومباحثه حول طرق أدائه، ووجوه قراءاته.

ونظراً ما لعلوم القراءات من مكانة سامية، كان لسلف هذه الأمة حيازة قصب السبق، فاعتنوا به أيما عناية، ودوّنوا فيه المصنفات، وأكثبوا على التأليف فيه بين منظوم ومثور، وكان منهم الإمام: عِمَادُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ عِمَادِ الدِّينِ عَلِيِّ الأُسْتَرَأْبَادِي، الذي ألّف رسائل مختصرة في قراءات الأئمة السبع ورواياتهم، ومنها هذا المؤلف الذي عنوانه: (رسالة في بيان أصول قراءة نافع من روايتي قالون وورش من طريق الشاطبية)، وقد تبين لي ما للكتاب من أهمية كبيرة؛ نظراً لكونه مختصراً جامعاً؛ وما يُرجى منه من نفع للمتعلمين الطالبين للمختصرات المفيدة؛ ولا سيما من اختار أن يتعلّم ويقرأ القرآن ولو برواية أو روايتين، مع معرفة أصلها، توجيهها من حيث اللغة.

وبعد التثبت والتحري من كون الكتاب لم يُتناول بالدراسة والبحث والتحقيق، استعنتُ الله في دراسته وتحقيقه، سائلةً الله العون والسداد، راجيةً ومؤملةً القبول والرشاد.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

- تتجلى وتبرز أهمية الموضوع والباحث على اختياري لهذا الكتاب فيما يلي:
- ١- اتصال موضوعه بكتاب الله ﷻ، وتعلقه به غاية التعلق، فكل علم يشرف بما يتعلق به، وشرف علوم القراءات أنها وثيقة الصلة بالقرآن الكريم.
 - ٢- من الأمور التي أكسبت هذا الشرح أهمية: مكانة مؤلفه العلمية، وما تبوأه من شرف ومنزلة، فهو إمام فقيه مقرئ، وله مصنفات عديدة في الرسم والتجويد والقراءات.
 - ٣- أهمية الكتب المفردة، وما يرجى منها من نفع لطلاب علوم القراءات، فهي تسهل الوصول للمسائل، وتبسط الحصول على قراءة الإمام أو الراوي، كما أنها تلخص ما جاء في الكتب الأمهات.
 - ٤- اشتمال الكتاب على توجيه القراءات في الأصول والفرش من روايتي قالون وورش عن نافع، وبيان أصولها من حيث اللغة والمعنى.
 - ٥- أن هذا الكتاب لم يسبق تحقيقه وطبعه ونشره، ولم يسبق لأحد أن تناوله بالدراسة والبحث.
 - ٦- أن نسخة الكتاب كاملة ليس فيها سقط، وكتبت بخط واضح مقروء.
 - ٧- الرغبة في تحقيق بعض كتب التراث الإسلامي، لاسيما أن قدرًا من مراجع هذا العلم مفقودة، والإسهام في نشر هذا العلم، وفق منهج علمي أصيل، يُتبع فيه أسس التحقيق المنهجية.

خطة البحث:

- قسمت البحث إلى مقدمة، وقسمين، وخاتمة، وفهارس المصادر.
- المقدمة فيها أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وخطة ومنهج البحث.
- والقسم الأول: هو قسم الدراسة، ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: ترجمة المؤلف، وفيه ستة مباحث.

المبحث الأول: اسمه ونسبه.

المبحث الثاني: مولده ووفاته.

المبحث الثالث: شيوخه.

المبحث الرابع: تلاميذه.

المبحث الخامس: مؤلفاته.

المبحث السادس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

الفصل الثاني: دراسة الكتاب، وفيه أربعة مباحث.

المبحث الأول: اسم الكتاب، وتوثيق نسبه لمؤلفه.

المبحث الثاني: مصادر المؤلف.

المبحث الثالث: منهج المؤلف في كتابه.

المبحث الثالث: القيمة العلمية للكتاب المحقق.

المبحث الرابع: وصف النسخ الخطية ونماذج من نسخة المخطوط.

القسم الثاني: قسم التحقيق: تحقيق نص الكتاب.

ويحتوي على كامل النص المحقق للكتاب، وفق المنهج المذكور في المقدمة،

تليه الخاتمة ثم فهرس المصادر والمراجع.

منهج البحث:

اتُّبِعَتْ في تحقيق الكتاب المنهج الآتي:

١- نسختُ مادة النص المحقق، وأتَّبعْتُ في نسخها قواعد الإملاء والرسم

المتعارف عليها، معتمدة على النسخة الفريدة.

٢- كتبتُ الآيات القرآنية على الرسم العثماني، وفق المصاحف المضبوطة

على رواية قالون وورش عن نافع، واعتمدت العدد "المدني الأخير" في عدِّ الآيات.

٣- عزوتُ الآيات القرآنية إلى سورها وأرقام آياتها في المتن، واكتفيتُ بالعزو الأول غالباً، وإن ذكر المؤلف عدد المواضع المختلف فيها، بيّنتها في الحاشية إن كانت في أكثر من موضعين.

٤- ما وقع من خطأ أو سقط في كتابة الآيات أثبتته صحيحاً، دون الإشارة إلى السقط أو الخطأ.

٥- كتبتُ الآيات والشواهد الشعرية، وضبطتها عروضيّاً.

٦- ميّزتُ بين الأقواس المستخدمة في النصّ المحقق، وفيما يلي عرض لأهمها:

- ﴿﴾ القوسان المزهَّران للآيات القرآنية.
- [] القوسان المربعان للكلمات التي فيها وهم، ولكل ما لا يستقيم به الكلام، ونُبّهتُ عليه في الحاشية.

- « » علامتا التنصيص لنصوص العلماء وأقوالهم المنقولة عنهم.

٧- وثقتُ النصوص والنقول والشواهد الشعرية بعزوها إلى مواضعها.

٨- رتبتُ الكتب في الحاشية حسب تأريخ وفاة مصنفها، فقدّمت الأقدم وفاة على المتأخر.

٩- ترجمتُ للأعلام الوارد ذكرهم في النصّ المحقق ترجمة موجزة مشتملة في الغالب على (الاسم، والكنية، واللقب، وأبرز الشيوخ والتلاميذ، وأهم الكتب، وتاريخ الوفاة -إن وجد-)، ووثقتُ ذلك بذكر مصادر الترجمة، ولم أترجم للمشهورين من الصحابة رضي الله عنهم.

١٠- عرّفتُ بالبلدان والأماكن -غير المشهورة- الواردة في النصّ، وموقعها قديماً وحديثاً، مشيرة إلى المصادر القديمة والحديثة في هذا الشأن.
والله أسأله التوفيق والرشاد.

الفصل الأول: ترجمة المؤلف

المبحث الأول: اسمه ونسبه:

هو الإمام عماد الدين علي بن عماد الدين علي بن نجم الدين محمود بن حسن بن مجد الدين الحموي الجرجاني ثم القزويني، الأستربادي^(١).

أما الحموي: نسبة إلى مدينة (حماة) من بلاد الشام^(٢)، وتقع حالياً شمال سوريا على نهر أورنتس^(٣).

والجرجاني: نسبة إلى مدينة جرجان^(٤)، كانت بين مدينة طبرستان وخُراسان آنذاك، وتسمى بالفارسية "كركان"، وهي إحدى المدن الشهيرة في إيران، وتقع حالياً في شمال إيران^(٥).

والقزويني: نسبة إلى قزوین^(٦)، وهي مدينة حسنة، وتغر لبلاد الجبل، وبينها وبين الري تسعون ميلاً آنذاك، وهي اليوم إحدى محافظات إيران، وتقع في الجزء الشمالي^(٧).

(١) ينظر مصادر ترجمته في: رسم كلمات القرآن على ترتيب السور، لنفس المؤلف، تحقيق الباحث: داخل بن علي الجدعاني، وهي رسالة دكتوراه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٣٩ هـ، والمُعِين في شرح حرز الأمان للإمام الأياثلوغي، رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه، تحقيق: د/ سعد بن محمد الزهراني، الجامعة الإسلامية، ٢٦، ولطف السمر وقطف الثمر، للإمام نجم الدين محمد الدمشقي: ٢٢٤/١، وخلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: ٣٥/١، ورياض العلماء وحياض الفضلاء، للميرزا عبد الله الأفندي: ٤/١٥٣-١٥٤، وأعيان الشيعة، السيد محسن أمين: ١/٥٤٥، ٢٩٩، ٢٤٦/٨.

(٢) ينظر: الأنساب، للسمعاني: ٢٥٨/٤.

(٣) ينظر: موسوعة ألف مدينة إسلامية، لعبد الحكيم العفيفي: ص(٢١٢).

(٤) يُنظر: الأنساب، للسمعاني: ٢٣٧/٣.

(٥) يُنظر: البلدان، لليقوي، ص(٩٢)، موسوعة المدن الإسلامية، لآمنة أبو حجر: ص(١٤٣-١٤٤).

(٦) ينظر: الأنساب، للسمعاني: ٤١١/١٠.

(٧) يُنظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد عبد الله الأندلسي: ٣/١٠٧٢، وموسوعة ألف مدينة إسلامية: ص(٣٧٣-٣٧٤).

والأستربادي: نسبة إلى أسترأباد وقيل: إسترأباد^(١)، من بلاد مازندران بين سارية وجرجان^(٢)، وتقع الآن في شمال شرق إيران، وتبعد عن العاصمة "طهران" (٣٠٠ كلم)، وتسمى "جُرجان"^(٣).

والمَازندَراني: نسبة إلى مَازندَران، كانت تسمى آنذاك "طبرستان"، وهي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم، وهي اليوم إحدى المحافظات في إيران، تقع شمال سلسلة جبال البرز، ويحدها من الشمال "بحر قزوين"، وتبعد عن العاصمة "طهران"، (٢٠٠) كلم^(٤).

المبحث الثاني: مولده ووفاته:

لم تذكر كتب التراجم-فيما وقفت عليه- تاريخاً محدداً لمولده ووفاته ولكن يُمكن القول بأن وفاته كانت في آخر القرن العاشر، أو في بداية القرن الحادي عشر، والدليل على ذلك ثلاثة أمور:

الأول: ما ذكره صاحب كتاب (الذريعة) عن المؤلف فقال: «فيظهر من طبقة مشايخه حسب جريان العادة، أنه كان من علماء آخر المائة العاشرة، وأول الحادية عشرة، وكان أوائل عصره أوآخر عصر السلطان شاه طهماسب^(٥)، وألف باسمه

(١) وقد أثبت نسبته إلى (أسترأباد) بهذا اللفظ؛ موافقةً لما ذكره مؤلف الكتاب عن نفسه، وبعض من ترجم له، يُنظر مصادر ترجمته.

(٢) يُنظر: لب الباب في تحرير الأنساب، لجلال الدين السيوطي: ص (١٢).

(٣) يُنظر: معجم البلدان، لأبي عبد الله ياقوت الحموي: ١/ ١٧٤، وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، لأبي عبد الله محمد المقدسي البشاري: ص (٢٥)، وموسوعة المدن العربية والإسلامية، ليحيى شامي: ص (٢٦٢-٢٦٤).

(٤) يُنظر: معجم البلدان: ٤/ ١٣، ٥/ ٤١، ومراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لعبد المؤمن البغدادي: ٣/ ١٢١٩.

(٥) هو: طهماسب بن إسماعيل بن حيدر الصفوي، السلطان الثاني، جلس على السرير بعد وفاة أبيه سنة (٩٣٠ هـ)، توفي في سابع صفر سنة (٩٨٤ هـ) مسموماً، سمّمته زوجته أم حيدر، وكانت مدة ملكه (٥٤ سنة)، يُنظر في: سلم الوصول إلى طبقات الفحول، لحاجي خليفة: ٢/ ١٨٧.

(التحفة الشاهية) «^(١)».

الثاني: ما ذكر عن السلطان شاه طهماسب، من أنَّ ولايته كانت من عام (٩٣٠هـ)، إلى عام (٩٨٤هـ)^(٢).

الثالث: ما ذكره صاحب معجم المؤلفين عن المؤلف أنه كان حيًّا سنة (٩٩٥هـ)^(٣).

ومن خلال ما سبق، إذا نظرنا إلى ما قاله صاحب (الذريعة)، وإلى مدة ولاية السلطان شاه؛ فإنَّا نستطيع القول -على وجه التقريب- بأنَّ مولده كان في آخر النصف الأول من القرن العاشر الهجري، ووفاته كانت في آخر القرن العاشر، أو في بداية القرن الحادي عشر، والله أعلم^(٤).

المبحث الثالث: شيوخه.

جمع المؤلف القراءات العشر من شيوخه الذين صرَّح بهم في إجازته لتلميذه الإمام الأياثلوغي صاحب كتاب (المعين في شرح حرز الأمان) عند ذكره لسنده بالقراءات العشر^(٥)، وهم:

- ١- السيد الحسيب الحسيني المشتهر بالمغربي، قرأ عليه بالعشر جمعًا.
- ٢- محمد بن طاهر الأصبھاني، قرأ عليه بالعشر جمعًا.
- ٣- أحمد بن هشام اليمني، قرأ عليه بالعشر جمعًا.
- ٤- مبارك بن عبد الله الهندي، قرأ عليه بالعشر جمعًا.
- ٥- شمس الدين محمد بن أحمد المالكي القاضي بالبصرة، قرأ عليه بالعشر جمعًا.

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، للشيخ آغا بزرك الطهراني: ٣/ ٣٧١-٣٧٢.

(٢) يُنظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول: ٢/ ١٨٧.

(٣) يُنظر: معجم المؤلفين، لعمر كحالة: ٧/ ١٥٢.

(٤) نقلاً عن كتاب: رسم كلمات القرآن على ترتيب السور، للمؤلف.

(٥) المعين في شرح حرز الأمان: ص: (٣٤-٣٦).

٦- والده عماد الدين علي بن نجم الدين محمود الحموي، قرأ عليه بالقراءات الأربع عشر إفراداً وجمعاً، وبالعشرة مرة، وبالأربع عشر مرة أخرى^(١).

المبحث الرابع: تلاميذه.

ذكرت كتب التراجم - فيما وقفت عليه - أسماء اثنين من تلامذته، وهم:

١- الشيخ: إمام محمد الأياثلوغي:

هو الشيخ إمام محمد بن حسام دذه الأياثلوغي الإمام المحقق، مؤلف (المعين في شرح حرز الأمان)، و(مغني الأصول في جامع الأصول) في القراءات العشر، قرأ القراءات العشر على شهاب الدين أحمد الطيبي، وعلى عماد الدين علي القارئ الحموي، توفي بعد عام (١٠٠٣ هـ)^(٢).

٢- الشيخ: برهان الدين إبراهيم العمادي (ابن كسبائي):

هو الشيخ إبراهيم بن محمد العمادي، الملقب ببرهان الدين بن كسبائي، المقرئ المجيد، المحدث، قرأ على العلامة السيد الشريف عماد الدين علي بن عماد الدين القارئ الجرجاني، قرأ عليه القرآن من أوله إلى سورة المائدة لأبي عمرو وابن عامر، ثم قرأ عليه بدمشق إلى قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٤] للعشرة، توفي في شهر ذي القعدة عام (١٠٠٨ هـ)^(٣).

المبحث الخامس: مؤلفاته.

ترك المؤلف عماد الدين الأسترأبادي مؤلفات نافعة، في التجويد، والرسم، والقراءات، وغيرها، وفيما يلي ذكر ما وقفت عليه:

١. التحفة الشاهية: وهي في تجويد القرآن، وبيان مخارج الحروف، واختلاف

(١) لم أقف لهم على ترجمة.

(٢) ينظر: المعين في شرح حرز الأمان: ص: (١٤)، ص: (٤٨).

(٣) ينظر: خلاصة الأثر: ١/ ٣٥-٣٦، ولطف السمر: ١/ ٢٢٤، وإمتاع الفضلاء بتراجم القراء: ٨٥/ ٢.

- القراء العشر في سورة الفاتحة والإخلاص، صَنَّفَه للشاه طهماسب^(١).
٢. الجزرية في التجويد: وهي حاشية على المقدمة الجزرية^(٢).
٣. الضرورية: وهي رسالة في التجويد، ضمن مجموعة من رسائله العربية في التجويد^(٣).
٤. رسالة في قراءة عاصم: وهي مشتملة على مقدمة في ترجمة عاصم، وذكر سند قراءته، وسند قراءة المؤلف، وأبواب ثلاثة، وخاتمة، أَلَفَهَا بالتماس زوجة الشاه طهماسب بن شاه إسماعيل، أو ابنته^(٤).
٥. رسالة في بيان أصول قراءة نافع بروايتي قالون وورش. وهي عنوان هذا البحث المحقق.
٦. رسالة في أصول قراءة ابن كثير من روايتي البزّي وقنبل^(٥).
٧. رسالة في أصول قراءة أبي عمرو من روايتي الدوري والسوسي^(٦).
٨. رسالة في أصول قراءة ابن عامر من روايتي هشام وابن ذكوان^(٧).
٩. رسالة في أصول قراءة حمزة من روايتي خلف وخلاد^(٨).
١٠. رسالة في أصول قراءة الكسائي من روايتي الليث والدوري^(٩).
١١. رسم كلمات القرآن على ترتيب السور^(١٠).

(١) ينظر: رياض العلماء: ٤/١٥٣، الذريعة: ٣/٤٤٤.

(٢) ينظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، لأغا بزرك الطهراني: ٦/٥٧.

(٣) ينظر: الذريعة: ١٥/١١٧.

(٤) تاريخ كتابة النسخة (١١٥٤هـ)، ينظر: رياض العلماء: ٤/١٥٤، الذريعة: ٢١/٣٦٧.

(٥) يُنظر: رياض العلماء: ٤/١٥٣، وينظر: الذريعة: ١٧/٥٤، ومعجم المؤلفين: ٧/١٥٢.

(٦) يُنظر: رياض العلماء: ٤/١٥٣، وينظر: الذريعة: ١٧/٥٤، ومعجم المؤلفين: ٧/١٥٢.

(٧) توجد منه من نسخة خطية محفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (في طهران)، تحت رقم: ٤/١٢٤٨، ضمن مجموع، جاء على ظهر ورقة العنوان: (المجموعة المشتملة على رسائل نفيسة كلها في علم التجويد والقراءة)، من صفحة ٦٢٥ - ٦٤٧.

(٨) ينظر: الذريعة: ٣/٣٧٢.

(٩) ينظر: الذريعة: ٣/٣٧٢.

(١٠) ينظر: الذريعة: ٣/٣٧٢.

المبحث السادس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

ترعرع الشيخ في بيت علم وفضل، فوالده العالم المُسْنِد في القراءات العشر، والأربعة الزائدة عليها، وقد تلقى العلوم عن أجلاء مشايخ عصره، وكبار علماء بلده، ومنهم تلامذة ابن الجزري: كالشيخ أحمد بن هشام اليمني، والشيخ مبارك بن عبدالله الهندي^(١)، مما دلَّ على سعة علمه، وأكسبته شهرة علمية.

ولقد أثنى عليه الميرزا عبد الله أفندي الأصبهاني (من أعلام القرن الثاني عشر)، فقال عنه: «المولى عماد الدين علي بن عماد الدين علي الشريف القارئ الأسترأبادي، فاضل عالم فقيه محدث قارئ متكلم ورع تقي.... وله مؤلفات سيما في علم القراءة... وله مهارة تامة في علم القراءة والتجويد، وصنف رسائل مبسطة ومختصرة في هذا العلم،... وكان معززا بين الأعاظم والأعالي ومحترما، وكان طبقة القراء يستفيضون من خدمته»^(٢).

ويقول آغا بزرگ الطهراني عنه: «القارئ المعروف»^(٣)، وقال في موضع آخر: «من أعلام العلماء والقراء المجودين على عهد الشاه طهماسب والمقرب عنده»^(٤). يقول عمر بن رضا بن محمد كحالة عنه: «فقيه، محدث، مقارئ، متكلم»^(٥).



(١) ينظر: المُعِين، إسناده المؤلف عن الإمام عماد الدين الحموي: ٣٤-٣٦.

(٢) رياض العلماء: ١٥٣/٤، ١٥٤.

(٣) الذريعة: ١١/١٧٤.

(٤) ينظر: المرجع السابق: ٣/٣٧١.

(٥) معجم المؤلفين: ١٥٢/٧.

الفصل الثاني: دراسة الكتاب

المبحث الأول: اسم الكتاب، وتوثيق نسبته لمؤلفه.

نص المؤلف في مقدمة كتابه على اسم الكتاب وتوثيق نسبته لمؤلف بقوله: «يقول العبد عماد الدين علي بن عماد الدين علي الأسترأبادي: إن هذه رسالة في بيان أصول قراءة نافع من روايتي قالون وورش من طريق الشاطبية»^(١). ونسبه إليه صاحب كتاب الذريعة فقال: «هو تأليف المولى عماد علي بن عماد القارئ»^(٢).

وقال كحالة في المعجم: «علي بن علي الأسترأبادي.... له: رسائل في أصول قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمر»^(٣).

المبحث الثاني: مصادر المؤلف.

من خلال دراسة الكتاب تبين أن المؤلف اعتمد على مصادر صرح بها، وهي كما يلي:

١ - كتاب الإمالة، للأمام أبي عمرو الداني نص عليه بقوله: فإن إمالة ورش أعم من ذلك وألفات التأنيث والمرسوم بالياء، مما أماله حمزة والكسائي، [وانفرد] به الكسائي من الروايتين [وإحداهما] نص عليه الداني في كتاب الإمالة»^(٤).

٢ - متن الشاطبية ((حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع)) لأبي محمد القاسم بن فيرة الشاطبي، نقل منه فقال: «قول الشاطبي رحمه الله:

«وَإِنْ هَمْزٌ وَصَلٍ بَيْنَ لَامٍ مُسَكَّنٍ... وَهَمْزَةُ الْإِسْتِفْهَامِ فَأَمْدُهُ مُبْدِلًا

(١) يُنظر النص المحقق: ص (٢٠).

(٢) الذريعة: ١٧/٥٣.

(٣) معجم المؤلفين: -بتصرف يسير-: ٧/ ١٥٢.

(٤) يُنظر النص المحقق: ص (٣٣).

فَلِلْكَلِّ ذَا أَوْلَىٰ وَيَقْصُرُهُ الَّذِي... يُسَهِّلُ عَنْ كُلِّ كَالَانَ مَثَلًا^(١).

كما أنَّ المصنف أثناء نقل عن كتاب الشر في القراءات العشر ولم يصرح به، حيث نقل عن ابن الجزري قوله:

«لِلْأَزْرِقِ فِي الْآنَ سِتَّةُ أَوْجُهٍ... عَلَى وَجْهِ إِبْدَالٍ لَدَى وَصْلِهِ^(٢)

فَمُدَّ وَثَلْتُ ثَانِيًا ثُمَّ وَسَّطَنُ... بِهِ وَبَقَصَرِ ثُمَّ بِالْقَصْرِ مَعَ قَصْرِ^(٣).

وكذلك نقل المؤلف نقولات عن بعض العلماء، ووجدتها في بعض الكتب؛ ولعله رجع إليها من غير تصريح بالكتاب، كقوله: «وأيضًا قوله قال خلف سمعت الفراء يقول: «أفرط عاصم في الفتح، وحمزة في الإمالة، وأحب إليَّ أن يكون القراءة بين ذلك»^(٤)، وبعد التتبع وجدته في كتاب إبراز المعاني لأبي شامة المقدسي (ت: ٥٦٦٥هـ).^(٥)

كذلك كتاب شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لأبي القاسم النويري (ت: ٨٥٧هـ)، الذي نقل منه في مواضع عديدة في هذه الرسالة سيأتي التنبيه عليها.

المبحث الثالث: منهج المؤلف في كتابه.

بدأ المؤلف رسالته بالتعريف عن نفسه، وذكر عنوان الكتاب ومنهجه فيه، ثم ترجم للإمام نافع المدني وراوييه، ثم عرض مسائل الأصول مرتبة على ترتيب الأبواب عند الشاطبي.

(١) يُنظر النص المحقق: ص (٣٠).

(٢) [تجري] ساقطة من المتن المحقق، وبها يتم البيت: للأزرق في الآن ستة أوجه... على وجه إبدال لدى وصله تجري

النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، بتحقيق الشيخ: علي الضباع: ٨٧٢ / ٣.

(٣) يُنظر النص المحقق: ص (٢٦).

(٤) يُنظر النص المحقق: ص (٣٣).

(٥) ذكره الأصبهاني في المبسوط في القراءات العشر، وقال: «روي لنا» يُنظر: ص (٢٩٣)، وينظر أيضًا: إبراز المعاني لأبي شامة: ص (٢٢٢).

ومن أبرز سمات منهجه في التأليف:

- التزم المؤلف الاختصار مع الضبط كما عبّر عنه بقوله: «مختصراً ضابطاً»^(١).
- ابتعد المؤلف عن التكرار، كما نصّ عليه بقوله: «من غير تطويل ولا تكرار»^(٢).
- احتجّ المؤلف لكثير من الخلافات الأصولية والفرشية من قراءة نافع بروايته، فبعد أن يذكر القراءة وما فيها من أوجه؛ يذكر التوجيه لها، كقوله: «وجه المد: اعتبار اتصاله لفظاً في الوصل، والخبر عام»^(٣).
- كذلك احتجّ لبعض الأوجه في قراءات الأئمة السبعة ورواتهم من طريق الشاطبية، كقوله: «وجه الفتح مع اللام للتعريف: صيانة الياء من الحذف، ووجه الإسكان: الاستمرار على أصله» فوجه الإسكان ليس من قراءة نافع^(٤).
- يعرض المؤلف اختيارات أئمة اللغة في بعض المسائل، كقوله: «وجه القصر: إلغاء أثر الهمز؛ لعدم لزومه باعتبار الوقف، وهو اختيار المبرد؛ فرقاً بين اللازم والعارض»^(٥).
- ينصّ أحياناً على المواضع المتفق على قراءتها بين القراء السبعة والمختلف فيها، كقوله: «وأجمع القراء على فتح كل ياء وقعت ساكنة سواء ذلك الساكن ألفاً [وغير] نحو: «عَصَايَ»، و«إِيَّيَ»، و«رُعْيِيَّ»، و«مَثْوَايَ»، و«بَيْدِيَّ»، و«عَلِيَّ»، و«إِلَيَّ»، من أجل الجمع بين الساكنين، ولم يختلفوا في سوى «مَحْيَايَ»^(٦).

(١) يُنظر النص المحقق: ص (٢٠).

(٢) يُنظر النص المحقق: ص (٢٠).

(٣) يُنظر النص المحقق: ص (٢٤).

(٤) يُنظر النص المحقق: ص (٤٢).

(٥) يُنظر النص المحقق: ص (٢٤).

(٦) يُنظر النص المحقق: ص (٤١).

المبحث الرابع: القيمة العلمية للكتاب المحقق.

اكتسب هذا الكتاب قيمته العلمية من ثلاثة أوجه:

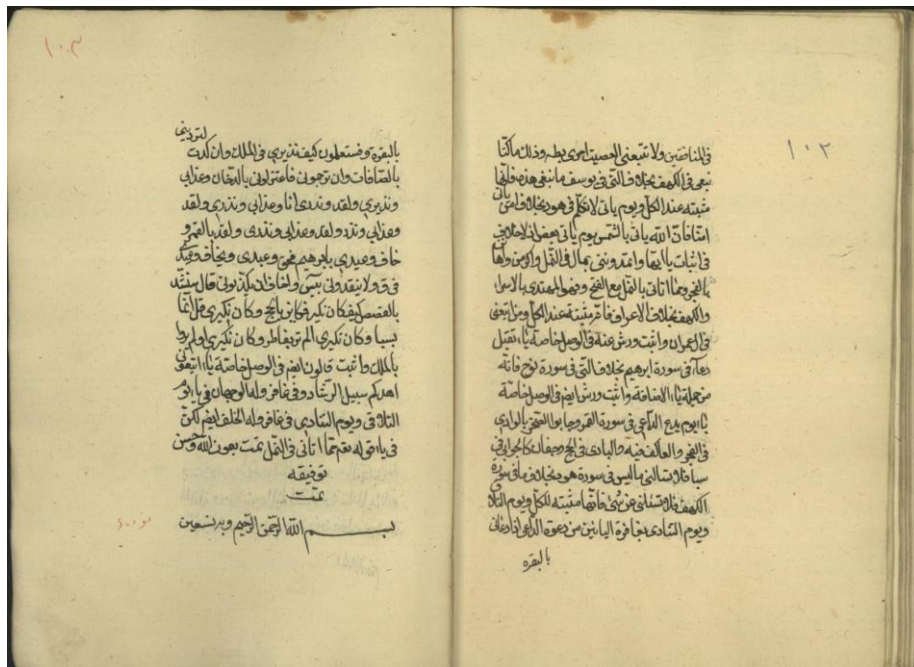
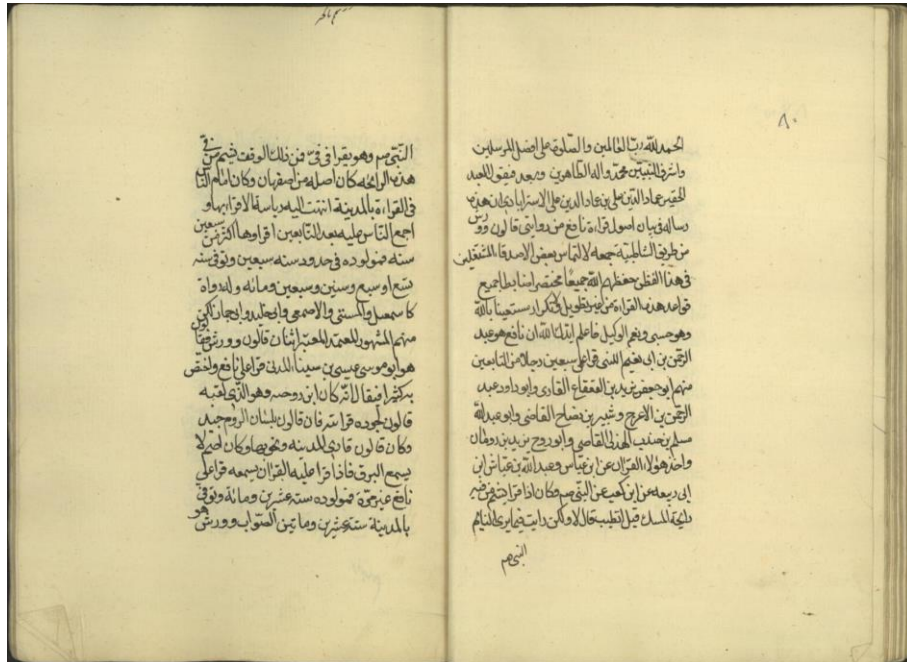
- مكانة هذا العلم العظيم علم القراءات، وأهمية المفردات التي يحتاجها طالب العلم؛ لما فيها من سهولة وتيسير، ولا سيما إذا جمعت القراءات، مع بيان أصولها، وتوجيهها من حيث اللغة.
- مكانة مؤلفه حيث أنه صنّف العديد من المؤلفات المفيدة في علم التجويد والقراءات والرسم، مما دلّ على سعة علمه، وغزارة اطلاعه، وأكسبته شهرة علمية، فقد اشتهر في عصره بعلو إسناده، وهو مع ذلك فاضل عالم فقيه محدث قارئ. منهجه الذي سلكه في هذا الكتاب حيث اعتمد الاختصار، وترك التكرار، وعرض القراءات ووجهها من العربية من غير ما تطويل ولا تقصير.

المبحث الخامس: وصف النسخ الخطية.

لهذه الرسالة نسخة خطية فريدة -فيما أعلم- محفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي في (طهران)، تحت رقم: (١٢٤٨ / ٤)، ضمن مجموع، جاء على ظهر ورقة العنوان (المجموعة المشتملة على رسائل نفيسة كلها في علم التجويد والقراءة)، من صفحة (٨٠ - ١٠٣)، في (١٢) ورقة، وهي من طريق الشاطبية. وقد كان الفراغ من كتابتها عصر يوم الاثنين التاسع من شهر رمضان سنة (١٠٦٣ هـ)^(١)، ومسطرتها: ١٥ سطراً، في كل سطر ثمان كلمات، كتبت بخط نسخ واضح.

(١) يُنظر: رياض العلماء: ٤/ ١٥٣، الذريعة: ١٧/ ٥٣، معجم المؤلفين: ٧/ ١٥٢.

نماذج من نسخة المخطوط.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على أفضل المرسلين، وأشرف النبيين محمد وآله الطاهرين وبعد فيقول العبد الفقير عماد الدين علي بن عماد الدين علي الأسترأبادي: إن هذه رسالة في بيان أصول قراءة نافع من روايتي قالون وورش من طريق الشاطبية^(١)، [جمعه]^(٢) لالتماس بعض الأصدقاء المشتغلين في هذا الفن حفظهم الله جميعاً، مختصراً ضابطاً جميع قواعد هذه القراءة، من غير تطويل ولا تكرار، مستعيناً بالله؛ وهو حسبي ونعم الوكيل.

فاعلم أيّدك الله أن نافع هو عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، قرأ على سبعين رجلاً من التابعين منهم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارئ^(٣)، وأبو داود عبد الرحمن بن الأعرج^(٤)، وشيبة ابن نصّاح القاضي^(٥)، وأبو عبد الله مسلم بن جندب الهذلي

(١) هو: حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع المعروف بـ(متن الشاطبية)؛ نسبة إلى ناظمها: القاسم بن فيّره بن خلف بن أحمد الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ)، بلغ عدد أبياتها: (١١٧٣) بيتاً، نظم فيها الشاطبي القراءات السبع المتواترة عن الأئمة السبعة: نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وحمة والكسائي. يُنظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: ٦٤٦/١.

(٢) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب: (جمعه).

(٣) هو: أبو جعفر يزيد بن القعقاع، أحد القراء العشرة، وتابعي مشهور، وكان ثقةً، عرض القرآن على: عبد الله بن عياش، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة وروى عنهم، روى القراءة عنه: الإمام نافع، وسليمان ابن جمار، وغيرهما، توفي (١٣٠ هـ). ينظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار، للذهبي: ١٧٢-١٧٨، وغاية النهاية، لابن الجزري: ٣٨٢-٣٨٣.

(٤) هو: أبو داود عبد الرحمن بن هرمز الأعرج المدني، أخذ القراءة عن أبي هريرة وابن عباس -رضي الله عنهما، وأكثر من السنن عن أبي هريرة، قرأ عليه القرآن نافع بن أبي نعيم وغيره، كان وافر العلم مع الثقة والأمانة، توفي (١١٧ هـ). ينظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار: ١٨٠-١٨٢، وغاية النهاية: ٣٨١/١.

(٥) هو: شيبة بن نصّاح بن سرجس بن يعقوب، إمام مقرئ، وأحد شيوخ نافع في القراءة، وقاضي المدينة ومقرئها مع أبي جعفر، أدرك أم المؤمنين عائشة وأم سلمة -رضي الله عنهما، وقرأ القرآن على عبد الله ابن عياش، توفي (١٣٠ هـ). ينظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار: ١٨٢/١، وغاية النهاية: ٣٢٩-٣٣٠.

القاضي^(١)، وأبو روح يزيد ابن رومان^(٢)، وأخذ هؤلاء القرآن: عن ابن عباس، وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة^(٣)، عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ. وكان إذا قرأ يُشَمُّ من فيه رائحة المسك، قيل: [أتطيب؟]^(٤) قال: لا؛ ولكن رأيت فيما يرى النائم [١/أ] النبي ﷺ وهو يقرأ في في، فمن ذلك الوقت يُشَمُّ من في هذه الرائحة.

كان أصله من أصفهان^(٥)، وكان إمام الناس في القراءة بالمدينة، انتهت إليه رئاسة الإقراء بها، وأجمع الناس عليه بعد التابعين، أقرأها أكثر من سبعين سنة، وتوفي سنة تسع أو سبع وستين [وسبعين]^(٦) ومائة^(٧). وله رواية كإسماعيل^(٨)،

(١) هو: مسلم بن جندب أبو عبد الله المدني القارئ، قرأ القرآن على عبد الله بن عياش المخزومي مقرئ المدينة، وحديث عن: أبي هريرة وحكيم بن حزام وابن عمر، وقرأ عليه الإمام نافع، كان من فصحاء أهل زمانه، توفي (١١٠ هـ). ينظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار: ١/٤٨، وغاية النهاية: ٢/٢٧٩.

(٢) هو: أبو روح يزيد بن رومان المدني القارئ، قرأ القرآن على عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، وسمع من عروة بن الزبير، كان فقيهاً قارئاً محدثاً، توفي (١٢٠ هـ)، ينظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار: ١/١٧٨، وغاية النهاية: ٢/٣٨١.

(٣) هو: أبو الحارث عبد الله بن عياش بن ربيعة المخزومي. سمع من عمر وابن عباس وغيرهما -ﷺ، قرأ عليه مولاه أبو جعفر القارئ ويزيد بن رومان، وغيرهما، وكان أقرأ أهل المدينة في زمانه، (توفي بعد: ٧٠ هـ). ينظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار: ١/١٥٢، وغاية النهاية: ١/٤٣٩.

(٤) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب: (أتطيب).

(٥) أو (أصفهان) وهي: مدينة عظيمة من أشهر المدن الإسلامية يومئذ، خرج منها الكثير من العلماء والأدباء، وهي اليوم إحدى مدن إيران، تقع جنوب طهران، وتبعد عنها ٤٠٠ كيلو متر، يُنظر: البلدان لليعقوبي: ص (٨٥-٨٩)، وآثار البلاد وأخبار العباد، للقرطبي: ص (٢٩٦-٢٩٨)، وموسوعة ألف مدينة إسلامية: ص (٥٤-٥٥).

(٦) كذا في النسخة، ولعل الصواب: (أو سبعين).

(٧) ينظر ترجمته في: معرفة القراء: ١/٢٤١-٢٤٧، وغاية النهاية: ١/١٩٠.

(٨) هو: أبو إسحاق إسماعيل بن جعفر الأنصاري أخذ القراءة عرضاً: عن شيبه بن نصح، ثم عرض على نافع وسليمان بن مسلم بن جمار، وغيرهم، وأخذ عنه القراءة: علي بن حمزة الكسائي، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وغيرهما، برع في القراءة، وكان ثقة مأموناً قليل الخطأ، توفي (١٨٠ هـ). ينظر ترجمته في: معرفة القراء: ١/٢٩٤، وغاية النهاية: ١/١٦٣.

والمُسَيَّبِي^(١) والأصمعي^(٢) وأبي خليل^(٣) وابن جماز^(٤)، لكن منهم المشهور المعتمد المعتبر اثنان: قالون، وورش.

فقالون هو: أبو موسى عيسى بن مينا المدني، قرأ على نافع، واختص به كثيراً، فيقال إنه كان ابن روحه، وهو الذي لقبه قالون؛ لجودة قراءته، فإن قالون بلسان الروم جيد.

وكان قالون قارئ المدينة ونحوها، وكان أصم لا يسمع البوق، فإذا قُرئ عليه القرآن يسمعه، قرأ على نافع غير مرة.

[فمولوده]^(٥) سنة عشرين ومائة، وتوفي سنة عشرين ومائتين [الصواب]^(٦).

وورش هو: [١/ب] عثمان بن سعيد البصري، وكنيته: أبو سعيد، وقيل أبو عمرو، وقيل أبو القاسم، وورش لقبه.

رحل من مصر إلى المدينة فقرأ على نافع، فقرأ عليه عدة ختمات في سنة خمس وخمسين ومائة، ورجع إلى مصر، فانتهد إليه رئاسة الإقراء بها، فلم يُنازعه فيها منازع.

(١) هو: أبو محمد إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن المسيبي، قرأ على نافع بن أبي نعيم، وهو من أصحابه، وأخذ القراءة عنه: ولده محمد، وأبو حمدون الطيب، وغيرهما، توفي (٢٠٦هـ). ينظر: معرفة القراء: ٣١٢/١، وغاية النهاية: ١٥٧/١.

(٢) هو: أبو سعيد عبد الملك بن قريب، الأصمعي، إمام في اللغة، وأحد الأعلام فيها وفي العربية والشعر والأدب، روى القراءة عن نافع وأبي عمرو، وروى حروفاً عن الكسائي، روى عنه القراءة: محمد بن يحيى القطعي، وغيره، توفي (٢١٥هـ). ينظر ترجمته في: معرفة القراء: ٣٣٤/١، وغاية النهاية: ٤٧٠/١.

(٣) هو: أبو خليل عتبة بن حماد الحكمي الدمشقي البلاطي، روى القراءة عن نافع، وروى عنه القراءة: هشام بن عمار وأحمد بن عبد العزيز السوري، وغيرهما، ولم أقف على تاريخ وفاته. ينظر ترجمته في: غاية النهاية ٤٩٥/١.

(٤) هو: أبو الربيع سليمان بن مسلم بن جماز الزهري، كان مقرئاً جليلاً، عرض على: أبي جعفر وشيبة، ثم نافع، وعرض عليه: إسماعيل بن جعفر، وقتيبة بن مهران، (توفي بعد: ١٧٠هـ). ينظر في: معرفة القراء: ٢٩٣/١، وغاية النهاية: ٦١٥/١.

(٥) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل المراد: (فمولده) وبه يتم المعنى.

(٦) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل ما قبله (وهو) ساقط، وبه يتم المعنى. وينظر ترجمته في: معرفة القراء: ٣٢٦-٣٢٨، وغاية النهاية: ٣١٥/١.

وكان كاملاً في العربية، فمولوده سنة عشر ومائة، وتوفي بمصر سنة سبعة وتسعين ومائة^(١).

ورمز نافع من الحروف الألف، ورمز قالون الباء، ورمز ورش الجيم.

ثم أعلم وفقك الله تعالى: أن لقالون عنه البسملة بين السورتين مع [وجوه]^(٢) الثلاثة التي لأصحاب البسملة بين السورتين، أعني: قطعها، ووصلها، وقطع الأولى ووصله الثانية.

ولورش عنه: البسملة مع الوجوه الثلاثة، والوصل والسكت من غير بسملة^(٣).

ويصل قالون بخلاف عنه ضم ميم الجمع^(٤) إذا كان ما بعده متحرراً مثل: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦]، ﴿رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢]، و﴿عَلَيْهِمْ ءَاثَرَتْهُمْ أَمْ﴾ [الفاتحة: ٥].

ويصل ورش إذا كان بعد الميم همزة قطع مثل: ﴿لَهُمْ ءَامِنُوا﴾ [البقرة: ١٢] [أ/٢]، ﴿وَأَبْصِرْهُمْ إِنَّ اللَّهَ﴾ [البقرة: ١٩] فقط، للزومه نقل حركة الهمزة إليها^(٥) إذا لم تصل، فيتحرك الميم بالحركات المختلفة، والاستعانة بالمد^(٦) على النطق بالهمزة^(٧).

(١) يُنظر ترجمته في: معرفة القراء: ٣٢٣-٣٢٦، وغاية النهاية: ١/ ٥٠٢.

(٢) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب: (الوجوه) بآل التعريف.

(٣) السكت هو: قطع الصوت زمناً هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس. يُنظر: النشر: ١/ ٢٤٠.

(٤) المراد بصلة الميم: النطق بميم الجمع موصولة بحرف مد لفظي يناسب حركتها، وهو ضمها بواو، ويعبر عنها - عند بعضهم - بـ (بضم الميم) وبـ (رفع الميم). يُنظر: الإضاءة في بيان أصول القراءة، للضباع: ص (١٥)، ومختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، للدكتور إبراهيم الدوسري: ص (٧٨).

(٥) النقل: تحويل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها مع حذف الهمزة، يُنظر: إبراز المعاني من حرز الأماني، لأبي شامة المقدسي: ص (٤٢)، ومختصر العبارات: ص (١٢٥).

(٦) المدُّ هو: إطالة الصوت بحرف من حروف المد واللين، أو من حروف اللين فقط. ينظر: القواعد والإشارات في أصول القراءات، للحموي: ص (٤٢-٤٣)، والتمهيد في علم التجويد، لابن الجزري: ص (٥٤)، والإضاءة: ص (١٠).

(٧) يُنظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب: ١/ ٣٩، والموضح في وجوه القراءات، لابن أبي مريم: ١/ ٢٣٣.

ويقصر^(١) قالون حركة هاء لفظ: ﴿يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ﴾ و ﴿لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ﴾ بحرفين في سورة آل عمران [آية: ٧٤]، و ﴿تَوَلَّاهُ مَا تَوَلَّى وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾ في النساء [آية: ١١٤]، و ﴿تَوَلَّاهُ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، ﴿فَأَلْقَاهُ﴾ [النمل: ٢٨]، ﴿وَيَتَّقِهِ﴾ في سورة النور [آية: ٥٠]، وله القصر والصلة^(٢) في ﴿يَأْتِيهِ﴾ في سورة طه [آية: ٧٤].

ويقصر نافع ضم هاء ﴿يَرْضَاهُ لَكُمْ﴾ في سورة الزمر [آية: ٨].
ويقرأ قالون لفظ ﴿أَرْجِهْ﴾ في موضعي الأعراف [آية: ١١٠]، والشعراء [آية: ٣٥] بكسر الهاء وقصرها من غير همز، وورش كذلك؛ إلا أنه يصل كسر الهاء.
ويقصر قالون بخلاف عنه المنفصل مثل: ﴿مَا أُنْزِلَ﴾ و ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٤] وغيرهما، وجه القصر: إلغاء أثر الهمز؛ لعدم لزومه باعتبار الوقف، وهو اختيار المبرد^(٣)؛ فرقا بين اللازم والعارض، ووجه المد: اعتبار اتصاله لفظا في الوصل^(٤)، والخبر عام^(٥).

ومدّه في هذه الصورة قَدْر ألفين ونصف، ولورش قَدْر خمس ألفات على الأصح.

(١) القصر هو: إثبات حروف المد واللين، أو اللين فقط، من غير زيادة عليها. ينظر: القواعد والإشارات: ص (٤٢-٤٣)، والتمهيد: ص (٥٤)، والإضاءة: ص (١٠).

(٢) الصلة المراد بها: النطق بهاء الضمير المكنى بها عن المفرد الغائب موصولة بحرف مدّ لفظي يناسب حركتها، فيوصل ضمها بواو ويوصل كسرهما بياء. يُنظر: الإضاءة: ص (١٥)، ومختصر العبارات: ص (٧٨).

(٣) هو: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، وكان فصيحاً بليغاً موهوباً، غزير الأدب، كثير الحفظ، وله الكثير من التصانيف؛ منها: معاني القرآن، المقصور والممدود، الاشتقاق، القوافي، وغيرها، توفي (٢٨٥هـ)، ينظر ترجمته في: إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي: ٣/ ٢٤١-٢٥٣، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي: ١/ ٢٦٩.

(٤) يُنظر: إبراز المعاني: ص ١١٤-١١٥، وذكر ذلك أيضاً الامام النووي في شرحه على طيبة النشر: ٣٨٧/١.

(٥) يريد الخبر الذي رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب مدّ القراءة (٥٠٤٥-٥٠٤٦): حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ بْنُ أَبِرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ بْنُ حَازِمٍ الْأَزْدِيُّ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، عَنْ قِرَاءَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «كَانَ يَمُدُّ مَدًّا»، فقد احتج به بعض الأئمة كالنويري في شرح الطيبة بأن هذا يعمّ الضربين، يُنظر: شرحه على الطيبة: ٣٨٧/١.

ولورش في حرف المد الذي وقع بعد [ب/٢] همزة متصلة محققة^(١) مثل: ﴿عَامَسَ﴾ [البقرة: ١٢]، أو [محققة]^(٢) بالبدل^(٣) نحو: ﴿هَؤُلَاءِ إِلَهَةٌ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وبالنقل مثل: ﴿لِلَّيْمَى﴾ [آل عمران: ١٦٧] ثلاثة أوجه: المد، والتوسط، والقصر. وجه المد: الأخذ بالعلة الأولى: وهو تقوية حروف المد؛ خوف ضعفه عن القوي، ووجه التوسط: الاكتفاء بأدنى مد، ووجه القصر: الاعتماد على العلة الثانية؛ وهو إنه إنما مد في العكس؛ ليتمكن من لفظ الهمزة، وهنا قد لفظ بها قبل المد فاستغنى عنه؛ [دليلاً]^(٤) يلتبس الخبر بالاستفهام^(٥).

واستثنى ياء ﴿إِسْرَاعِيلَ﴾ [البقرة: ٣٩]؛ لكثرة دوره في القرآن. واستثنى أيضاً المد الذي وقع بعد [همزة]^(٦) التي وقع بعد ساكن صحيح: كـ ﴿فُرْعَانَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، و﴿مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، و﴿ظَمَّانَ﴾ [النور: ٣٨]. أما إذا وقع [الهمزة]^(٧) بعد الساكن غير الصحيح نحو: ﴿الْمَوْءَدَّةُ﴾ [التكوير: ٨] قد يُمدُّ أيضاً.

واستثنى أيضاً المد الذي وقع بعد همزة الوصل نحو: ﴿آيَاتِ﴾ [يونس: ١٥]، و﴿يَذَن لِي﴾ [التوبة: ٤٩]، و﴿إِوْثَمْنَ﴾ [البقرة: ٢٨٢] [بعروض]^(٨) حرف المد،

(١) التحقيق: ضد التسهيل، وهو النطق بالهمزة على صورتها كاملة الصفات من مخرجها الذي هو أقصى الحلق. يُنظر: مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ، لابن الطحان: ص (٢٨٠)، القواعد والاشارات: ص (٤٩)، ومختصر العبارات: ص (٤٣).

(٢) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب: (مخففة).

(٣) البدل: إقامة الألف والياء والواو مقام الهمزة عوضاً عنها. يُنظر: مرشد القارئ: ص (٢٧٩)، ومختصر العبارات ص (٣٧).

(٤) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب: (لثلاً).

(٥) يُنظر: شرح طيبة النشر للنويري: ١/ ٣٨٩-٣٩٠.

(٦) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب: (الهمزة) بآل التعريف.

(٧) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب: (الهمز).

(٨) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب: (لِعروض).

ولعروض الهمزة^(١).

واستثنى بعض النقلة لفظ: «يُؤَاخِذُ»^(٢)، حيث وقع نحو: «لَا تُؤَاخِذْنَا» [البقرة: ٢٨٥]، و«لَا يُؤَاخِذُكُمُ» [البقرة: ٩١]، «وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ» [النحل: ٦١]؛ لاحتمال أصالة الواو^(٣).

ولفظ «ءَالَى» في موضعي يونس «ءَالَى وَقَدْ كُنْتُمْ» [آية: ٥١]، «ءَالَى وَقَدْ عَصَيْتَ» [آية: ٩١] [٣/أ]؛ والمراد مد الألف الأخير؛ لأن الأولى ليست من هذا الأصل؛ لأن مدها للسكان [المقدار]^(٤) والهمز؛ فباعتبار الهمزة يجري لورش الأوجه الثلاثة، وعلى اعتبار السكون لا يجري إلا المد. ووجه استثناء «ءَالَى»؛ لثلاث [يجتمع]^(٥) بين مدين، والأولى أولى بالثبوت؛ لسبقها، والثقل حصل بالثانية^(٦)، وطريق أكثر الكتب^(٧) أنه يمد لفظ «ءَالَى»، وله فيه تسعة أوجه؛ ستة مع الابدال حيث قال:

«لِلْأَزْرِقِ فِي الْآنِ سِتَّةٌ أَوْجُهٌ... عَلَى وَجْهِ إِنْدَالٍ لَدَى وَضْلِهِ»^(٨)
فَمُدَّ وَثَلَّثَ ثَانِيًا ثُمَّ وَسَّطَنَ... بِهِ وَبَقَصَرَ ثُمَّ بِالْقَصْرِ مَعَ قَصْرِ

(١) يُنظر: شرح طيبة النشر: ٣٩١ / ١.

(٢) قال المحقق ابن الجزري: «نص على استثنائها المهدوي، وابن سفيان، ومكي وابن شريح، وكل من صرح بمد المغير بالبدل»، ثم قال: «أي: وبعض رواة المد قصر "يؤاخذ" وليس كذلك، فإن رواة المد مجمعون على استثناء "يؤاخذ" فلا خلاف في قصره» النشر: ٣٤٠ / ١.

(٣) أراد أن أصلها (واخذ)، لكن ابن الباذش رده في الاقناع في القراءات السبع: ص (٢٣٢)، فقال: «وذكر في «يؤاخذكم» أنه على قراءة من خفف الفاء من "واخذ"، ولا يعرف أهل اللغة "واخذ"».

(٤) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب: (المقدر) ينظر: سراج القارئ المبتدي، لابن القاصح: ص (٥٧).

(٥) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب: (يُجمع).

(٦) يُنظر: شرح طيبة النشر: ٣٩٣ / ١.

(٧) وهي: التبصرة لمكي بن أبي طالب (ت: ٤٧٦)، والتيسير للداني (ت: ٤٤٤)، والهداية للمهدوي (ت: بعد: ٤٣٠)، والكافي لابن شريح (ت: ٤٧٦)، وكذلك من طريق الشاطبية، يُنظر النشر: ٣٥٨ / ١.

(٨) [تجري] ساقطة من المتن، وبها يتم البيت: لِلْأَزْرِقِ فِي الْآنِ سِتَّةٌ أَوْجُهٌ... عَلَى وَجْهِ إِنْدَالٍ لَدَى وَضْلِهِ تَجْرِي وهو من نظم الإمام شمس الدين محمد ابن الجزري، النشر: ٣٥٩ / ١.

ثم له غنة وجه مع التسهيل^(١).

واستثنى بعضهم أيضًا لفظ «عَادَا أَلْأُولَى» في النجم [آية: ٤٩]؛ لأنه يدغم^(٢) التنوين في اللام، فصار سقوط الهمزة لازمًا، فلم يمد؛ لأن الهمزة غير منويٍّ؛ للزوم [والادغام]^(٣).

ولورش أيضًا في الوقف^(٤) والوصل على الياء والواو إذا كان ما قبلها مفتوح وكان بعدهما همزة مثل: «هَيْئَةً» [آل عمران: ٤٨]، «سَوَاءٌ» [المائدة: ٣٣]، و«شَيْءٌ» [البقرة: ١٩] المد والتوسط.

وجه المد: حمل «شَيْءٌ» على «شَيْءٍ»، و«سَوَاءٌ» [الأنبياء: ٧٣] على «سَوَاءٍ»^(٥).

ووجه التوسط: حصول المقصود، والتنبيه على الفرعية^(٦).

له الخلاف في واو [ب/٣] السَّوَاء وهو: «مَا وَرِي عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءٍ» و«بَدَتْ

(١) الغنة: هي صوت زائد مركب في جسم الميم والنون منبعث من الخيشوم، يُنظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، لمكي بن أبي طالب: ص (١٣١)، والتحديد في الإتيان والتجويد، للداني: ص (١٠٩)، ومرشد القارئ: ص (٥١)، وفتح الوصيد: ٢ / ٤٠١.

التسهيل: عبارة عن تغيير يدخل الهمزة، وهو على أربعة ضروب: بين، وبدل، وحذف، وتخفيف، يُنظر: مرشد القارئ: ص (٦٨-٦٩)، والقواعد والإشارات: ص (٤٦-٤٧)، والتمهيد: ص (٥٦).
(٢) الإدغام هو: اللفظ بالحرفين حرفًا كالثاني مشددًا. يُنظر: النشر: ١ / ٢٧٤، والتمهيد: ص (٥٥)، والاضاءة: ص (٧).

(٣) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب: (الادغام) من غير واو، يُنظر شرح طيبة النشر للنويري: ١ / ٤١١.

(٤) الوقف عَرَفَه الإمام ابن الجزري بقوله: «الوقف: عبارة عن قطع الصوت على آخر الكلمة زمانًا يتنفس فيه عادة، بنية استئناف القراءة إمَّا بما يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله... لا بنية الإعراض». النشر: ١ / ٢٤٠.

(٥) لعل المراد هنا: حمل المد في: «شَيْءٌ □»، على المد المتصل في «شَاءٌ»، وكذلك حمل «سَوَاءٌ □» على المد المتصل في «سَاءٌ»، لأن وجه كونه مشبعًا إلحاقه بحرف المد؛ لأن فيهما شيء من المد واللين، يُنظر: شرح الهداية للمهدوي: ص (٢٢٩).

(٦) هكذا في المتن: ولعل المقصود التنبيه على (المد الفرعي)، والله أعلم.

لَهُمَا سَوْءٌ لَهُمَا ﴿١﴾ وَلِئْرِيهُمَا ﴿٢﴾ بِالْأَعْرَافِ ﴿٣﴾.

أما التوسط والمد فظاهر، وأما القصر فلأنَّ سكون الواو عارض، والأصل الفتح؛ لأنه جمع سَوْءَ وزن فَعْلَة، اسمًا صحيحًا لجمعٍ على فَعَلَات بفتح العين، نحو: خَفِيَّةٌ وَخَفِيَّاتٌ ﴿٣﴾.

وقَصَّر ورش من جميع الطرق ﴿الْمَوْءُذَةُ﴾ بالتكوير، و﴿مَوَيْلًا﴾ بالكهف [آية: ٥٧].

ويُسَهِّل نافع الهمزة الثانية من الهمزتين المجتمعتين في كلمة نحو: ﴿ءَانْدَرْتَهُمْ﴾، و﴿أَنَّا﴾ [النمل: ٦٩]، و﴿أَنزَلَ﴾ [ص: ٧].

ولورش في ثاني المفتوحتين وجه آخر وهو إبدال الثانية؛ للمبالغة في التخفيف؛ لأن في التسهيل قِسْطٌ [سر] ﴿٤﴾.

وفي ﴿ءَأْمَنْتُمْ﴾ في سورة الأعراف [آية: ١٢٢]، وطه [آية: ٧٠]، والشعراء [آية: ٤٨]، يجتمع ألفان فيسقط إحداهما فيصير كلفظ حفص ﴿٥﴾.

ويثبت قالون ألفًا بين الهمزتين المفتوحتين وبين المفتوحة والمضمومة. ويسهل نافع الهمزة الثانية من ﴿أَيِّمَّة﴾ في المواضع الخمسة ﴿٦﴾، وقد نُقِل عنه الإبدال بياء مكسورة ﴿٧﴾.

(١) اكتفى بذكر مطلع الآية، وتام الآية: ﴿لِئْرِيهُمَا سَوْءٌ لَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٦].

(٢) [الآيات: ١٩-٢١-٢٥-٢٦].

(٣) يُنْظَر: شرح طيبة النشر ١/ ٣٩٥.

(٤) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب: (همز)، يُنْظَر: شرح طيبة النشر للنويري: ٤٢٠/١.

(٥) هو: حفص بن سليمان أبو عمر الدوري، المقرئ الإمام صاحب الإمام عاصم، وضبط الحروف التي قرأ عليه، وأقرأ الناس دهرًا، قرأ عليه: عمرو بن الصباح، وأخوه عبيد بن الصباح وغيرهما، (ت ٥١٨٠). يُنْظَر ترجمته في: معرفة القراء: ١/ ٢٨٧-٢٩٠، وغاية النهاية: ١/ ٢٥٤-٢٥٥.

(٦) [التوبة: ١٢، الأنبياء: ٧٢، القصص: ٤، ٤١، السجدة: ٢٤].

(٧) إبدالها بياء محضة فهو وإن كان صحيحًا متواترًا فلا يُقرأ به من طريق الشاطبية؛ لأن الشاطبي نسبته للنحويين يعني معظمهم، وهو قول الإمام الشاطبي في باب الهمزتين من كلمتين، بيت (١٩٩): وَآتَمَّةٌ بِالْخُلْفِ قَدْ مَدَّ وَحْدَهُ... وَسَهَّلَ سَمًا وَصَفًا وَفِي النَّحْوِ أَبْدَلًا، وينظر أيضًا سراج الفارئ: ص (٦٨).

[ويُحقق]^(١) قالون الهمزة الأولى من الهمزتين المجتمعتين في كلمتين [أ/٤] مقتضى الحركة، مثل: ﴿جَا أَجْلُهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٢]، و﴿هُؤُلَاءِ﴾ [البقرة: ٣٠]، و﴿أُولَئِكَ﴾ [الأحقاف: ٣١].

وتخفيفه في المفتوحتين بالإسقاط مع المد والقصر، وفي المكسورتين والمضمومتين بالتسهيل في المكسورتين كالياء، والمضمومتين كالواو مع المد والقصر، وله وجه آخر في ﴿بِالسُّؤَالِ مَا رَجِمَ رَبِّي﴾ في سورة يوسف [آية: ٥٣]، وهو [الإبدال]^(٢) الهمزة الأولى واوًا وإدغام الواو في الواو.

[وورش]^(٣) تخفيف الهمزة الثانية [الاتفاق]^(٤)، وتخفيفه بالتسهيل والإبدال معًا؛ ففي المفتوحتين يُسهّل كالألف، ويبدل ألفًا، وفي المكسورتين: يُسهّل كالياء، ويُبدل ياء ساكنة، وفي المضمومتين: يُسهّل كالواو، ويبدل واوًا ساكنة. وله في ﴿هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ﴾ في البقرة [آية: ٣٠]، و﴿عَلَى الْبَيْعَاءِ إِنْ أَرَدْنَ﴾ بالنور [آية: ٣٣] وجه ثالث وهو: إبدال الهمزة مكسورة.

ويخفف نافع الهمزة الثانية من الهمزتين المحققتين في كلمتين مختلفتي الحركة، مثل: ﴿تَفْعَءَ إِلَيَّ﴾ [الحجرات: ٩]، و﴿جَاءَ أُمَّةٌ﴾ [المؤمنون: ٤٤]، و﴿السَّمَاءُ أَوْ إِبْنِنَا﴾ [الأنفال: ٣٢]، و﴿نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٩٩]، و﴿يَنْشَأُ إِلَيَّ﴾ [البقرة: ١٤١]، فتخفيفه في الأولى بالتسهيل في الأولى كالواو، والثانية كالياء. وفي الثالث والرابع [أ/٤] ب [ب] بالإبدال في الأولى ياءً، وفي الثانية واوًا، وفي ﴿يَنْشَأُ إِلَيَّ﴾ وجهان: التسهيل كالياء، والابدال بواو محضة.

وأبدل ورش الهمزة الساكنة الكائنة أول أصول الأسماء والأفعال حرف مد

(١) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، والصواب: (ويخفف)؛ لأن هذا مذهب قالون في الهمزتين من كلمة، وبديل ما سيذكره بعد ذلك.

(٢) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب: (إبدال).

(٣) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب: (لورش).

(٤) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب: (بالاتفاق).

يجانس حركة ما قبلها فيكون ألفاً بعد الفتح، نحو: ﴿يَاتِي﴾ [البقرة: ١٠٨]، وياء مدية بعد الكسر نحو: ﴿يَتُونِي﴾ [يونس: ٧٩]، وواو مدية بعد الضم، نحو: ﴿يَوْمَنُونَ﴾ [البقرة: ٢].

واستثنى من ذلك كل كلمة مشتقة من الإيواء، مثل: ﴿ثُوِي﴾ [الأحزاب: ٥١]، و﴿ثُوِيهِ﴾ [المعارج: ١٣]، و﴿قَاوُوا﴾ [الكهف: ١٦]، أو ﴿الْمَأْوِي﴾ [السجدة: ١٩]؛ لكرامية اجتماع ثلاثة أحرف علة، [أولا لأن]^(١) الهمزة أخف في ﴿ثُوِي﴾ وأمثاله من الإبدال^(٢).

ويبدل ورش الهمزة المفتوحة واوا إذا كان ما قبلها مضموماً، نحو: ﴿مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، ويبدل ورش من العين لفظ: ﴿وَيَبِرُّ مَعْظَلَةً وَفَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ بالحج [آية: ٤٣].

و﴿يُبْسَ﴾ كيف حصل، نحو: ﴿يَبْسَمَا إِشْتَرَوْا﴾ [البقرة: ٨٩] ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا﴾ [المائدة: ٦٤] ﴿وَبَيْسَ الْمَصِيرِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، ولفظ ﴿الذِّبِّ﴾ وهو ﴿الذِّبِّ وَأَنْتُمْ﴾، و﴿الذِّبِّ وَمَا﴾، ﴿الذِّبِّ وَنَحْنُ﴾ في سورة يوسف^(٣).

وأبدل ورش ﴿لَيْلًا﴾ - حيث وقع - ياءً مفتوحة نحو: ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ﴾ [الحديد: ٢٨]، ﴿لَيْلًا يَكُونُ﴾ [البقرة: ١٤٩]، وأبدل أيضاً همزة ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ [٥/أ] في التوبة [آية: ٣٧] ياء ثم أدغم الياء في الياء.

ونقل ورش حركة همزة القطع المبتدأة في الحرفان الذي يليهما من آخر الكلمة السابقة.

وجه النقل: أنه أراد تخفيفها، وامتنع تسهيلها؛ لسكون ما قبلها غير مد[وحذفها ما شا]^(٤).

(١) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب: (أو لأن).

(٢) يُنظر: شرح طيبة النشر ١/ ٤٥١.

(٣) [الآيات: ١٣، ١٤، ١٧].

(٤) كذا في النسخة، ولا يستقيم اللفظ به، ولعل الصواب: (ولم يحذف رأساً) ينظر: شرح طيبة النشر للنويري: ١/ ٤٧١.

لعدم الدلالة فنقل حركتها إلى ما قبلها فسكنت وتحرك ما قبلها، فقلبها ثم حذفها محققة؛ لدلالة حركتها عليها، نحو: ﴿مَنْ مَنَّ﴾ [البقرة: ٦١]، و﴿الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٠]، و﴿الْأَخِرَةِ﴾ [البقرة: ٣].

وينقل نافع حركة همزة ﴿ءَالَى﴾ في موضع يونس [الآيتين: ٥١، ٩١]. وأصل الآن: (وَأَن) تحرك [حرف الفاء]^(١)، فقليل: (أَن) [لم]^(٢) دخلت عليه اللام التعريف [وبلي]^(٣) ساكنة، والعرب لا^(٤) بالساكن، فأتي قبلها بهمزة الوصل، فقليل: (أَلْآن)، ثم دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل، وإذا دخل عليها حرف متحرك أن يحذف، ويتوصل بحركة ذلك الحرف إلى مكان يتوصل بحركة همزة الوصل إليه، أما في هذه الكلمة فلا يفعل ذلك، إذ لو فعل لأدّى إلى التباس الاستفهام بالخبر، فلمن عدا نافع من القراء السبعة ﴿ءَالَى وَقَدْ﴾، ﴿ءَالَى وَقَدْ﴾^(٥). من قول الشاطبي^(٦) رحمه الله:

«وَأِنْ هَمْزٌ وَصُلِّ بَيْنَ لَامٍ مُسَكَّنٍ... وَهَمْزَةُ الاسْتِفْهَامِ فَاْمُدُّهُ مُبْدِلًا
فَلِكُلِّ ذَا أُولَى [٥/ب] أَوْ يَقْصُرُهُ الَّذِي... يُسَهِّلُ عَنْ كُلِّ كَأَلَانٍ مُثْلًا»^(٧).

وقالون مثل الجماعة إلا أنه ينقل حركة الهمزة إلى الساكن [قولها]^(٨) من قول

(١) كذا في النسخة، ولا يستقيم اللفظ به، ولعل الصواب [حرف الواو] أو [الفاء] أي فاء الكلمة وهو حرف الواو.

(٢) كذا في النسخة، ولا يستقيم اللفظ به، ولعل الصواب [ثم].

(٣) كذا في النسخة، ولا يستقيم اللفظ به، ولعل الصواب [وهي].

(٤) [تبدأ] ساقطة من المتن، وبها يتم المعنى.

(٥) تكرار في النسخة.

(٦) القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الشاطبي، كان إماماً كبيراً في القراءات، حافظاً للحديث، بصيراً بالعربية إماماً في اللغة، قرأ على: أبي عبد الله محمد النفري، وعرض القراءات على: أبي الحسن بن هذيل، ومن أبي الحسن بن النعمان، وغيرهما، وقرأ عليه بالروايات عدد كثير: منهم أبو موسى المقدسي، وأبو القاسم الشافعي، وغيرهما. توفي سنة (٥٩٠هـ). ينظر ترجمته في: معرفة القراء: ١١١٠-١١١٥، وغاية النهاية: ٢/ ٢٠-٢٣.

(٧) متن الشاطبية، باب الهمزتين من كلمة، بيت رقم: (١٩٢-١٩٣).

(٨) كذا في النسخة، ولا يستقيم اللفظ به، ولعل الصواب [قبلها]

الشاطبي - رحمه الله - لنافع:

«لَدَى يُنْسِي آلَانَ بِالنَّقْلِ نُقْلًا»^(١).

فورش على أصله مع وجوه المقدمة، وقالون خالف أصله، وإنما قصد التسهيل بعد حرف المد.

ووجه البدل: أن حذفها يؤدي إلى التباس الاستفهام بالخبر، والتحقيق يؤدي إلى إثبات همزة الوصل في الوصل، وهو لحن^(٢)، والتسهيل فيه قسّط من لفظ المحققة؛ فتعين البدل، ووجه تسهيلها: أنه قياس المتحركة^(٣).

ونقل نافع حركة همزة: «عَادَاً أَلَوِي» في سورة النجم [آية: ٤٩]، وأدغم التنوين في اللام، ومع ذلك قالون بهمزة ساكنة في مكان الواو وصلًا، وابتدئ قالون بـ «أُولِي» و «لُولِي» و «أَلَوِي»، وابتدئ ورش بـ «أُولِي» و «لُولِي» -

وينقل نافع حركة الهمزة إلى الواو في «رَدَا يُصَدِّقْنَ» في القصص [آية: ٣٤]، فيكون من الردء المهموز بمعنى: المعين^(٤).

وَيُسَكِّن ورش «كُتَيْبَةُ ١٨ إِيَّيْ» في الحاقة [آية: ١٨-١٩]، بلا نقل حركة همزة «إِيَّيْ» إلى الهاء؛ لأن هاء [أسكنت]^(٥) لا تتحرك بحال لا يلزم من تحريكها خروجها عن وضعها ساكنة، وجاء النقل فيه لورش أيضًا؛ لكن [٦/أ] الأول أصح تَقْبَلًا من حيث الدليل^(٦).

(١) متن الشاطبية، باب نقل الهمزة إلى الساكن قبلها، بيت رقم (٢٢٩).

(٢) اللحن على ضربين: لحن جلي، ولحن خفي، فأما اللحن الجلي - هو المقصود هنا - وهو خلل يطرأ على الألفاظ، فيخل إخلالًا ظاهرًا، يُنظر: التمهيد: ص (٦٢)، والنشر: ١/ ٢١١.

(٣) أي أن الحكم يُحمل على حكم الهمزة المتحركة، يُنظر: شرح طيبة النشر للنويري: ١/ ٤٣٤.

(٤) يُنظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢/ ١٧٢، والموضح في وجوه القراءات وعللها: ٢/ ٩٨٣.

(٥) كذا في النسخة، ولا يستقيم اللفظ به، ولعل الصواب [السكت] - ينظر: شرح طيبة النشر: ١/ ٢٦٠.

(٦) وهو قول الإمام الشاطبي، في باب نقل الهمزة إلى الساكن قبلها، البيت رقم (٢٣٤):

وَنَقْلُ رَدَا عَنْ نَافِعٍ وَكِتَابِيَّةٌ... بِالسَّكَنِ عَنْ وَرْشٍ أَصَحُّ تَقْبَلًا، في باب نقل الهمزة إلى الساكن قبلها، البيت رقم (٢٣٤).

وأدغم ورش دال قد في الضاد والظاء نحو: ﴿قَدْ صَلَّوْا﴾ [النساء: ١٦٦]، ﴿قَدْ ظَلَمَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وأدغم أيضاً تاء التأنيث في الظاء نحو: ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ [الأنبياء: ١١].

وله الخلف في إدغام نون ﴿نَّ﴾ واو ﴿وَالْقَلَمِ﴾ [القلم: ١]، وأدغم نافع ذال ﴿أَخَذْتُمْ﴾ [آل عمران: ٨٠]، و﴿إِخَذْتُمْ﴾ [البقرة: ٥٠] في التاء.

ولقالون الخلاف في إدغام الباء في الميم في قوله تعالى: ﴿إِرْكَبْ مَعَنَا﴾ في سورة [الهود: ٤٢]^(١)، وله الخلف أيضاً في إدغام ثاء ﴿يَلْهَثُ﴾ في ذال ﴿ذَلِكَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

ويميل ورش جميع ذوات الياء والراء مثل: ﴿بُشْرَى﴾ [البقرة: ٩٦]، و﴿ذِكْرَى﴾ [الأنعام: ٦٩] بين بين^(٢) بخلاف، إلا كلمة ﴿أَرِيكَهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرِيكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ﴾ في سورة الأنفال [آية: ٤٤]، فإنه قرئ بوجهين: الفتح^(٣)، والإمالة القليلة.

وكذا قرأ جميع ذوات الياء غير الراء مثل: ﴿هُدْيُهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]، و﴿هُدْيِ﴾ [البقرة: ١]، و﴿أَلْهَوَى﴾ [النساء: ١٣٤]، إلا ما كان رؤوس الآي الأحد [وعشر]^(٤) وهذه هي: طه، والنجم، والشمس، والأعلى، والليل، والضحى، وقرأ، والنازعات، وعبس، والقيامة، والمعارج.

واستثنى من الفواتح ما اتصل به هاء مؤنث؛ فإنه لا يخلو إما من أن يكون فيها راء، أو لا، فإن كان فيها راء [٦/ب] فيميلها بلا خلاف، وهو: ﴿ذِكْرِيهَا﴾

(١) كذا في النسخة، ولا يستقيم اللفظ به، ولعل الصواب [هود].

(٢) بين بين ويراد به التقليل: وهو: النطق بالألف بحالة بين الفتح والإمالة الكبرى، وتسمى بـ (الإمالة الصغرى)، و (بَيْنَ بَيْنَ) و (بين اللفظين)، وأما الإمالة الكبرى فهي: تقريب الفتحة من الكسرة والألف من الياء من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه، يُنظر: الموضح في وجوه القراءات وعللها: ٢٠٩/١، ومرشد القارئ: ص (٢٨٢)، ومختصر العبارات: ص (٣١)، ص (٤٨).

(٣) الفتح: هو النطق بالألف مركبة على فتحة خالصة غير ممالة، يُنظر: مرشد القارئ: ص (٢٨١)، ومختصر العبارات ص: (٨٥-٨٦).

(٤) كذا في النسخة، ولا يستقيم اللفظ به، ولعل الصواب [عشرة] من غير واو.

[النازعات: ٤٢]، وإن لم يكن فيها راء فلا يخلو من [انباتي]^(١) واوي أو يائي، فإن كان واو أو ياء وهو ﴿نَحِيهَا﴾ [النازعات: ٣٠]، و﴿طَحِيهَا﴾ [الشمس: ٦]، و﴿ثَلِيهَا﴾ [الشمس: ٢]، و﴿ضَحِيهَا﴾ [النازعات: ٢٩]، لا يميل الأصل، وإن كان ياء يجري فيها الوجهان نحو: ﴿بَنِيهَا﴾ [النازعات: ٢٧]، و﴿سَوِيهَا﴾ [الشمس: ٧]، كما تقدّم.

وجه التقليل: حصول الغرض لمطلق الإمالة، ومراعاة الأصل^(٢).

قال خلف^(٣) سمعت الفراء^(٤) يقول: «أفرط عاصم في الفتح، وحمزة في الإمالة، وأحبّ إلي أن يكون القراءة بين ذلك»^(٥)، وهذا يدل على سماعها من العرب.

ووجه تحتم ذي الراء: ما تقدّم من استحسانها معها، ووجه فتح ﴿أَرِيكُمْ﴾: بُعدُه عن الطرف بالضميرين [بلا خلاف]^(٦) ﴿أَرِيكُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

ووجه خلاف اليائيات: عدم المرجّح والجمع، ووجه الفواصل والتعميم: [الثبات]^(٧)، ووجه إخراج المؤنث: تراخيها عن الطرف^(٨).

(١) كذا في النسخة، ولا يستقيم اللفظ به، ولعل الصواب [أن يكون].

(٢) يُنظر: شرح طيبة النشر للنويري: ١/ ٥٩٣.

(٣) هو: أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار، وكان إمامًا كبيرًا، عالمًا ثقة، زاهدًا، قرأ على سليم صاحب حمزة، وعلى يعقوب الأعشى، وغيرهما، توفي (٢٢٩هـ). يُنظر ترجمته في: معرفة القراء: ١/ ٤١٩-٤٢٢، غاية النهاية (١/ ٢٧٤).

(٤) هو: أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي، حدّث عن قيس بن الربيع، ومنديل بن عليّ، وغيرهما، وروى عنه: سلمة بن عاصم، ومحمد بن الجهم، وغيرهما، وله من التصانيف: كتاب معاني القرآن، وكتاب الوقف والابتداء، وكان ثقة إمامًا. توفي (٢٧٠هـ). يُنظر ترجمته: إنباه الرواة: ٤/ ١٥-١٨، وبغية الوعاة: ٢/ ٣٣٣.

(٥) ذكره الأصبهاني في المبسوط في القراءات العشر، وقال: «روي لنا» يُنظر: ص (٢٩٣)، وينظر أيضًا: إبراز المعاني لأبي شامة: ص (٢٢٢).

(٦) كذا في النسخة، ولا يستقيم اللفظ به، ولعل الصواب [بخلاف]، يُنظر: شرح طيبة النشر للنويري: ١/ ٥٩٣.

(٧) كذا في النسخة، ولا يستقيم اللفظ به، ولعل الصواب [التناسب]، يُنظر: شرح طيبة النشر للنويري: ١/ ٥٩٣.

(٨) يُنظر: شرح طيبة النشر للنويري: ١/ ٥٩٣.

وليس المراد بذوات الياء تخصيص الحكم بالألفات المنقلبات عن الياء، فإن إمالة ورش أعم من ذلك، وألفات التأنيث، والمرسوم بالياء، مما أماله حمزة والكسائي، [وانفرد]^(١) به الكسائي من الروايتين [وإحدهما]^(٢) [٧/أ] نص عليه الداني^(٣) في كتاب الإمالة^(٤)، سوى «مَرْضَات» [البقرة: ٢٠٥]، و«مَشْكُوءَة» [النور: ٣٥]، و«أَوْكِلَاهُمَا» [الإسراء: ٢٣]، و«الرَّبَّوْا» [البقرة: ٢٧٤].

وجه إمالة التأنيث: الدلالة أنها توالي إلى الياء^(٥) في التثنية والجمع السالم، نحو: سَعْدَيَان، وَحَلَيَان، وقلبت ياء متحركة؛ لتسلم من الحذف.

ويُميل -بين بين- ورش أيضًا كل ألف وقعت قبل راء متطرفة مكسورة نحو: «أَبْصُرْهُمْ» [البقرة: ٦]، و«الْبَارِ» [الأنعام: ١٣٦]، و«الْجِبَارِ» [الجمعة: ٦]، و«جِبَارِكَ» [البقرة: ٢٥٨]، و«الْكِبَارِ» [التوبة: ١٢٤]، و«هَارِ» [التوبة: ١٠٩]، و«الْبَوَارِ» [إبراهيم: ٣٠]، و«الْقَهَارِ» [إبراهيم: ٥٠]، و«الْأَبْرَارِ» [آل عمران: ١٩٣].
وجه الإمالة: مناسبة الكسر^(٦).

(١) كذا في النسخة، ولا يستقيم اللفظ به، ولعل الصواب [أو انفرد].

(٢) كذا في النسخة، ولا يستقيم اللفظ به، ولعل الصواب [أو إحدهما].

(٣) هو: عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي، قرأ بالروايات على أبي الفتح فارس بن أحمد، وأبي الحسن طاهر بن غلبون، وغيرهما، له الكثير من المصنفات في القراءات منها: التيسير، والمقنع في رسم المصحف، وجامع البيان في القراءات السبع، توفي (٥٤٤هـ). يُنظر: معرفة القراء: ص ٢٢٦-٢٢٨، وغاية النهاية: ١/ ٥٠٣-٥٠٥.

(٤) ذكره د. عبد الهادي حميتو في كتابه معجم مؤلفات الداني: ص (٢١)، فقال: «لم يرد ذكره في الفهرست فهو مما يُستدرك عليه، هذا مع ورود ذكره وخاصة في الكتب المشرقية بوفرة، فذكره أبو شامة في إبراز المعاني، والنوري في غيث النفع، وابن الجزري في النشر، ونقل عنه بهذا الاسم في مواضع منه» وينظر أيضًا: إبراز المعاني: ص (٢٢١)، وغيث النفع في القراءات السبع، للصفاسي: ص (٦١)، ص (٤١٧)، والنشر: ٢/ ٤٨، ٢/ ٥٠، ٢/ ٨٠.

وذكر ذلك الداني في كتابه المسمى بالموضح أو المسمى كتاب الفتح والإمالة: ص (٩٣-٩٤).

(٥) أي منقلبة عن ياء، قال النوري في شرحه على الطيبة: ١/ ٥٧٥: «وقيل: منقلبة عن ياء؛ لقول سيويه: لو سميت بها، لقلبت ألفها في التثنية ياء بالإمالة؛ للدلالة عليها».

(٦) يُنظر: شرح طيبة النشر للنوري: ١/ ٦٠٤.

ويميل ورش أيضًا بين بين لفظ: ﴿الْجُهْرَيْنِ﴾ [البقرة: ٣٣]، و﴿جُهْرَيْنِ﴾ [آل عمران: ٩٩]، [العرب] ^(١) بالياء. وجه إمالة ﴿الْجُهْرَيْنِ﴾ و﴿جُهْرَيْنِ﴾: التناسب، وتنبهًا على ^(٢) الكسرة تؤثر على غير الراء ^(٣).

واختلف عنه في إمالة ﴿جَبَّارَيْنِ﴾ [المائدة: ٢٤]، و﴿وَالْجَارِ﴾ [النساء: ٣٦]. وأمال قالون لفظ: ﴿هَارِ﴾ إمالة تامة، وقلل بخلاف عنه لفظ: ﴿الْتَوْرِيَّةِ﴾ [آل عمران: ٢].

وقل ورش من الفواتح ما كان فيه راء؛ وهو أول يونس وهود ويوسف والرعء وإبراهيم والحجر.

وقل قالون وورش الهاء والياء من فاتحة مريم على قول الأصح ^(٤)، وأمال [ب/٧] ورش الهاء من فاتحة طه، وقلل أيضًا ورش الحاء من الحواميم السبع ^(٥).

ويرقق ^(٦) ورش كل راء وقبلها ساكنة نحو: ﴿غَيْرَ﴾ [البقرة: ٥٨]، و﴿حَيْرَانَ﴾ [الأنعام: ٧١]، و﴿لَا ضَيْرَ﴾ [الشعراء: ٥٠]، و﴿قَالْمُغِيرَاتِ﴾ [العاديات: ٣].

(١) كذا في النسخة، ولا يستقيم اللفظ به، ولعل الصواب [المعرب].

(٢) [أَنْ] ساقطة من المتن، وبها يتم المعنى، وينظر: شرح طيبة النشر: ١/ ٦١١.

(٣) يُنظر: المرجع السابق: ١/ ٦١١.

(٤) يقصد: أن نافعًا من روايتي قالون وورش عنه يقلل الألف من (ها ويا) أول مريم على القول الأصح كما ذكر، وهذا صريح كلام الشاطبي، ولكن المحققين على أن تقليل قالون في (ها ويا) أول سورة مريم ليس من طرق الناظم؛ فلا يقرأ له من طريقه إلا بالفتح، فيكون التقليل مقصورًا فيهما على ورش. غيث النفع: ص (٣٨١)

(٥) وهي: السور المبدوءة ب (حم) وهي: [غافر: ١، فصلت: ١، الشورى: ١، الزخرف: ١، الدخان: ١، الجاثية: ١، الأحقاف: ١].

(٦) الترقيق ضد التغليظ وهو: نحول يدخل على جسم الحرف فلا يملأ صده الفم ولا يغلقه، يُنظر: مرشد القارئ: ص (٧٥-٧٦)، والقواعد والإشارات: ص (٥٠-٥١)، والإضاءة: ص (٣٠).

أو قبلها كسر موصول نحو: ﴿الْآخِرَةَ﴾، و﴿قَافِرَةً﴾ [القيامة: ٢٤]، و﴿قَصِرَتْ﴾ [الصفات: ٤٨] بشرط ألا يكون بعد الراء حرف استعلاء^(١)؛ لأنه إذا كان بعدها حرف استعلاء يُفخَّم^(٢) بلا خلاف.

ووقع ذلك في كلمتين وهما ﴿صِرَاطٌ﴾ [الفاتحة: ٦] كيف جاء، و﴿فِرَاقٌ﴾ في الكهف [آية: ٧٧]؛ لأجل حرف الاستعلاء، ويُفخَّم بلا خلاف أيضًا المكسورة نحو: ﴿ضِرَارًا﴾ [البقرة: ٢٢٩] و﴿فِرَارًا﴾ [الكهف: ١٨]، و﴿أَلْمِرَارُ﴾ [الأحزاب: ١٦].

وتفخَّم الراء الخالصة في اسم العجم وهي ثلاثة ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ [البقرة: ١٢٣]، و﴿إِسْرَافِيلَ﴾، و﴿عِمْرَانَ﴾ [آل عمران: ٣٥] حيث وقعن، وفخَّمها أيضًا^(٣) راء ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ [الفجر: ٧].

ويرقق الراء المفتوحة في ﴿يَشْرَرِ كَالْفَصْرِ﴾ في سورة المرسلات [آية: ٣٢] بلا خلاف فيه؛ لأجل الثانية.

وإذا حال بين الكسرة نحو: ﴿الذِّكْرُ﴾ [الحجر: ٦]، و﴿كِبْرَةٌ﴾ [النور: ١١]، و﴿إِكْرَاهٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، و﴿إِجْرَامِي﴾ [هود: ٣٥]، واستثنى من السواكن ما كان حرف استعلاء إلا الخاء، نحو: ﴿إِخْرَاجُ﴾ [البقرة: ٢١٥] فإنه لم يُعَدَّ حاجزًا، ولم يقع من هذا الفصل في القرآن إلا صَادًا أو طَاءً أو [فَاقًا]^(٤) [٨/أ] نحو: ﴿إِصْرَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، و﴿مِصْرًا﴾ [البقرة: ٦٠]، و﴿فِطْرَتِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٢٩]، و﴿فِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٢]، و﴿وَفِرًا﴾ [الأنعام: ٢٦].

وله الوجهان في مثل: ﴿ذِكْرًا﴾ [البقرة: ١٩٩]، و﴿سِثْرًا﴾ [الكهف: ٨٧]، و﴿إِمْرًا﴾

(١) الاستعلاء: هو ارتفاع جزء كبير من اللسان عند النطق بأغلب حروفه إلى الحنك الأعلى. يُنظر: التمهيد: ص (٩٠)، وغاية المريد: ص (١٤١).

(٢) التفخيم مرادف للتغليظ، وهو: عبارة عن يَمَنٍ يدخل على جسم الحرف فيمتلئ الفم بصداه، يُنظر: مرشد القارئ: ص (٧٥-٧٦)، والقواعد والإشارات: ص (٥٠-٥١)، والإضاءة: ص (٣٠).

(٣) [في] ساقطة من المتن، وبها يتم المعنى.

(٤) كذا في النسخة، ولا يستقيم اللفظ به، ولعل الصواب [فَاقًا].

[الكهف: ٧٠]، مما يكون الرء منونًا، والتفخيم أرجح، وله الوجهان أيضًا في ﴿حَيْرَانَ﴾، والترقيق أرجح.

وجه الترقيق: التناسب، ومجيئه في اللغة^(١)، ووجه تفخيم المكرر: مناسبة أختها^(٢).

وجه تفخيم الأعجمي: المحافظة على الصيغة المنقولة [لم يقر به]^(٣)، ووجه منع الاستعلاء: قوة حروف الاستعلاء، وتخلّف الخاء لضغطها بالهمس^(٤)، ووجه تفخيم ﴿ذُكِرَا﴾: قوة الرء بالتونين، ووجه الترقيق: القياس^(٥)، ووجه ترقيق ﴿حَيْرَانَ﴾: [وجود]^(٦) السبب، ووجه تفخيمه: أن ألفها قابلت ألف التأنيث، ثم مَنَعَ من تعدية حكم الإمالة [ترخها]^(٧) عن الطرف، ولو أميلت [لرقت]^(٨) الرء، ففُخِّمَت الرء؛ لثلا يوهّم ترقيقها آثار الحَمَلِ، وقيل: حُمِلَ على الأعجمي بجامع منع الصرف^(٩).

ويفخّم ورش اللام المفتوحة التي وقعت قبلها صاءً أو طاءً أو ظاءً بشرط أن [يكون]^(١٠) الحروف المذكورة مفتوحة أو ساكنة، نحو: ﴿صَلَوْتَهُمْ﴾ [المؤمنون: ٩] [ب/٨]، و﴿ظَلَّفْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، و﴿ظَلَّ﴾ [النحل: ٥٨]،

(١) ينظر: شرح طيبة النشر للنويري: ١٤/٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ١٦/٢.

(٣) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب: (حيث لم يعربه) ينظر: شرح طيبة النشر، للنويري: ١٦/٢.

(٤) ينظر: شرح طيبة النشر للنويري: ١٨/٢.

(٥) ينظر: المرجع السابق: ١٧/٢.

(٦) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب: (وجود) من دون واو.

(٧) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب: (تراخيها). ينظر: شرح طيبة النشر للنويري: ١٩/٢.

(٨) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب: (لرقت). ينظر: المرجع السابق: ١٩/٢.

(٩) ينظر: المرجع السابق: ١٩/٢.

(١٠) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب: (تكون).

﴿فَيُضْلَبُ﴾ [يوسف: ٤١]، و﴿مَطْلَعٌ﴾ [الكهف: ٨٧]، و﴿أُظْلِمَ﴾ [البقرة: ١٩]؛ لمجانسة الحروف الثلاثة^(١)، ولم يتعدَّ الحكم إلى الخاء والقاف؛ لبعد المخرج، ولا^(٢) الضاد؛ لامتدادها^(٣).

وله الوجهان في ﴿طال﴾ [الأنبياء: ٤٤]، و﴿إِصْالًا﴾ [البقرة: ٢٣١]، والتفخيم أرجح، فالتفخيم: لقوة حروف الاستعلاء، والترقيق: للألف الفاصل^(٤). وفي ما يُسَكَّنُ وقفًا نحو: ﴿أَنْ يُوصَلَ﴾ [البقرة: ٢٦] أيضًا وجهان: التفخيم؛ لأجل قوة حروف الاستعلاء، والترقيق؛ لأجل سكون اللام بالوقف^(٥).

وإذا وقع بعد اللام ألف منقلب عن ياء، ولم تقع إلا صادًا؛ فلا يخلو من أن يقع رؤوس الآي الإحدى عشرة أو لا؛ فإن وقعت رؤوس الآي السور المذكورة ولم يقع إلا في ثلاث مواضع؛ في القيمة: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّيْ﴾ [آية: ٣٠]، وفي الأعلى: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ بِصَلَّيْ﴾ [آية: ١٥]، وفي العلق ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّيْ﴾ [آية: ١٠]، ففيه التفخيم والترقيق، والترقيق أرجح؛ لأنه مُمال.

وإن وقعت في غير رؤوس الآي في السور المذكورة، ولم يقع إلا في ستة مواضع: ﴿مُصَلِّي﴾ في البقرة [آية: ١٢٤] في حال الوقف، و﴿يَصَلِّيَهَا مَذْمُومًا﴾ [٩/أ] في الإسراء [آية: ١٨]، و﴿يُصَلِّي﴾ في الإنشاق [آية: ١٢]، ﴿تُصَلِّي﴾ في الغاشية [آية: ٤]، و﴿لَا يَصَلِّيَهَا﴾ في الليل [آية: ١٥]، ﴿سَيَصَلِّي﴾ في تبت [آية: ٣]، فلا يخلو القارئ من أن يقرأ لورش ذوات الياء بالفتح أو بالتقليل، فإن كان يقرأ له بالفتح: فلا خلاف في تفخيم اللام، أو لا وجه للعدول عنه، وإن كان يقرأ له بالتقليل: فلا يتأتى

(١) يُنظر: المرجع السابق: ٣٥/٢.

(٢) [إلى] ساقطة من المتن، وبها يتم المعنى.

(٣) وكذلك الحكم في الغين، قال النويري في شرحه على الطيبة: ٣٩/٢ «لم يتعدَّ الحكم إلى الغين والحاء والقاف؛ لبعد المخرج، ولا الضاد؛ لامتدادها إليهن».

(٤) يُنظر: شرح الطيبة للنويري: ٣٩/٢.

(٥) يُنظر المرجع السابق: ٣٩/٢.

له الجمع بينه وبين التفخيم؛ لتنافرهما، فإن فَتَحَ فَخَّم، وإن قَلَّ رَقَّ^(١).
اعلم أن ياءات الإضافة في القرآن مائتا واثنا عشرة ياء، فمن ذلك تسع وتسعون ياءً وقعت بعدها همزة قطع مفتوحة المختلف فيها، [ومن]^(٢) جملة مائة وثلاثة [آيات]^(٣).

ففتح نافع كلها في الوصل إلا مواضع خرجت عن هذا الأصل، وهي: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ في الأعراف [آية: ١٤٣]، و﴿تَقْنِيْ طَالَا﴾ في التوبة [آية: ٤٩]، و﴿يُبْعَثُ أَهْدِكُمْ﴾ في المؤمن [آية: ٣٨]، و﴿تَرْحَمْنِي أَكُنْ﴾ هود [آية: ٤٧]، فأسكن هذه الأربعة كل القراء.

وأسكن نافع ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥١]، و﴿ذُرُونِي أَقْتُلْ﴾ في غافر [آية: ٢٦]، و﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أيضًا في غافر [آية: ٦٠].
وأسكن قالون عند ياء ﴿أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ﴾ في موضع النمل [آية: ١٩]، والأحقاف [آية: ١٤].

ومن ذلك اثنان وخمسون ياء بعدها همزة مكسورة مختلف فيها [٩/ب] من أصل إحدى وستين ياء؛ فَتَحَهَا نافع إلا ياء ﴿إِخْوَتِي إِنْ رَأَيْتِي﴾ [يوسف: ١٠٠]، فإن قالون أسكنها، وورش فتحها، وإلا ياء ﴿يُصَدِّقُنِي طَالِي﴾ في القصص [آية: ٣٤]، و﴿أَنْظُرْنِي إِلَيَّ يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ في الأعراف [آية: ١٣] والحجر [آية: ٣٦] وص [آية: ٧٨]، ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَيَّ﴾ في المنافقين [آية: ١٠]، و﴿فِي ذُرِّيَّتِي طَالِي ثُبْتُ إِلَيْكَ﴾ بالأحقاف [آية: ١٤]، و﴿أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ في يوسف [آية: ٣٣]، و﴿تَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ ﴿تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ في المؤمن [آية: ٤١، ٤٣] فإن هذه الياءات أسكنها كل القراء.

(١) ينظر: النشر: ١١٦/٢.

(٢) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب (من).

(٣) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب (ياءات).

من ذلك عشر ياءات بعدها همزة مضمومة مختلف فيها من أصل اثنا عشرة ياء، فيفتح نافع الكل وهي: ﴿إِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ﴾ في آل عمران [آية: ٣٦]، ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ﴾، ﴿فَأِنِّي أَتَدَّبَّرُ﴾ في المائدة [آية: ٣١، ١١٧]، و﴿إِنِّي أَمُرْتُ أَنْ أَكُونَ﴾ في الأنعام [آية: ١٥]، و﴿عَذَابِي أَصِيبُ﴾ في الأعراف [آية: ١٥٦]، و﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ﴾ في هود [آية: ٥٤]، و﴿أَنِّي أَوْفَى الْكَفْلِ﴾ في يوسف [آية: ٥٩]، و﴿إِنِّي أَلْقِي إِلَيْ﴾ في النمل [آية: ٢٩]، ﴿إِنِّي أُرِيدُ﴾ في القصص [آية: ٢٧]، و﴿إِنِّي أَمُرْتُ أَنْ أُعْبُدَ اللَّهَ﴾ في الزمر [آية: ١٢].

وأسكن الكل ياء: ﴿بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ في البقرة [آية: ٣٩]، و﴿أَتُونِي أَفْرَغْ عَلَيْهِ﴾ في الكهف [آية: ٩٢].

ومن ذلك أربع عشرة ياء وبعدها لام التعريف [١٠/أ] المختلف عنه [القرآن]^(١) من أصل اثنين وثلاثين ياء ففتحها الكل نافع: وهي بالبقرة: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [آية: ١٢٤]، و﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي﴾ [آية: ٢٥٧].

في الأعراف: ﴿حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾ [آية: ٣٣]، و﴿سَأَصْرَفُ عَنْ عَائِلَتِي الَّذِينَ﴾ [آية: ١٤٦]، وإبراهيم: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ﴾ [آية: ٣١]، ومريم: ﴿عَائِلَتِي الْكَتَّابَ﴾ [آية: ٢٩]، والأنبياء: ﴿أَتَى مَسْنَى الضُّرِّ﴾ [آية: ٨٢]، و﴿بَرِّئْهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [آية: ١٠٤]، والعنكبوت: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ﴾ [آية: ٥٦]، وسبأ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [آية: ١٣]، و ص: ﴿مَسْنَى الشَّيْطَانِ﴾ [آية: ٤٠]، والزمر: ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ [آية: ٣٦]، و﴿يَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [آية: ١١]، والملك: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ﴾ [آية: ٢٨].

وفتح الكل ثمانية عشر ياء: ﴿نَعْمَتِي النَّسِ﴾ ثلاثة مواضع البقرة^(٢)، و﴿حَسْبِيَ

(١) كذا في النسخة، ولا يستقيم اللفظ به، ولعل الصواب [في القرآن].

(٢) [الآيات: ٣٩، ٤٦، ١٢١]

الله في موضعين^(١)، ﴿شُرَكَاءِ الَّذِينَ﴾ في أربعة مواضع^(٢)، ﴿بَلْغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ في آل عمران [آية: ٤٠]، ﴿بِئْسَ الْأَعْدَاءُ﴾ في الأعراف [آية: ١٥٠]، ﴿مَسْنِيَ السُّوءِ إِنَّ﴾ أيضًا في الأعراف [آية: ١٨٨]، ﴿إِنْ وَلِّيَ اللَّهُ﴾ في الأعراف أيضًا [آية: ١٩٦]، ﴿مَسْنِيَ الْكِبَرُ﴾ في [الحجرات] ^(٣)، ﴿فَلْ أَرُونِي الَّذِينَ﴾ سبأ [آية: ٢٧]، ﴿أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ في [المؤمنين] ^(٤) ﴿لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ﴾ أيضًا في [المؤمنين] ^(٥)، ﴿ءَاتَيْنِي الْكِتَابَ﴾ [مريم: ٢٩] [آتاني البينات] ^(٦).

ومن ذلك سبع ياءات بعدها [١٠/ب] همزة وصل مفردة وهي: ﴿أَخِي ٢٩﴾ [إِشْدُدْ] في طه [الآيتان: ٢٩-٣٠]، و﴿إِنِّي إِصْطَفَيْتُكَ﴾ في الأعراف [آية: ١٤٤]، ﴿بَلَيِّنْتَنِي إِخْذْتُ﴾ في الفرقان [آية: ٢٧]، و﴿لِنَفْسِي إِذْهَبْ﴾ و﴿ذِكْرِي ٤١ إِذْهَبَا﴾ في طه ^(٧)، و﴿قَوْمِي إِخْذُوا﴾ في الفرقان [آية: ٣٠]، و﴿بَعْدِي أَسْمُهُ﴾ في الصف [آية: ٦]، فأسكن نافع من ذلك ثلاثاً: ﴿إِنِّي إِصْطَفَيْتُكَ﴾ و﴿أَخِي ٢٩﴾ [إِشْدُدْ] و﴿بَلَيِّنْتَنِي إِخْذْتُ﴾، وفتح الباقي.

ومن ذلك ثلاثين ياء بعدها غير همزة من باقي الحروف المختلف فيها. ففتح من ذلك نافع: ﴿بَيِّنَتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ في البقرة [آية: ١٢٤]، والحجج [آية: ٢٤]، ﴿وَلِيَّ دِينٍ﴾ بالكافرين [آية: ٦]، و﴿مَمَاتِي﴾ بالأنعام [آية: ١٦٤]، و﴿وَجْهِي لِلَّهِ﴾ [بالأنعام] ^(٨)، و﴿وَجْهِي لِلذِّئْبِ﴾ في الأنعام [آية: ٨٠].

(١) [التوبة: ١٣٠، الزمر: ٣٦]

(٢) [النحل: ٢٧، الكهف: ٥١، القصص: ٦٢، ٧٤]

(٣) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، والصواب (الحجر) [الآية: ٥٤].

(٤) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، والصواب (المؤمن) [آية: ٢٨]

(٥) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، والصواب (المؤمن) [آية: ٦٦]

(٦) هكذا في النسخة، ولا توجد آية بهذا اللفظ، ولعله أراد: ﴿نَبَأَنِي الْعَلِيمُ﴾ في سورة التحريم، [آية: ٣]،

حيث أنه من تنمة المواضع ولم يذكر.

(٧) [الآيات: ٤٠، ٤١، ٤٢]

(٨) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، والصواب: (آل عمران) [الآية: ٢٠]

فتح ورش ياء ﴿مَحْبِائے﴾ في الأنعام [آية: ١٦٤] بخلاف عنه، وفتح ورش أيضًا ياء ﴿وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ثاني موضع الشعراء [آية: ١١٨]، وياء ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ في البقرة [آية: ١٨٥]، ﴿وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي﴾ في الدخان [آية: ٢٠]، ﴿وَلِي فِيهَا مَثَابٌ خَيْرٌ﴾ في طه [آية: ١٧].

وأجمع القراء على فتح كل ياء وقعت^(١) ساكن سواء ذلك الساكن ألف، [وغير] ^(٢) نحو: ﴿عَصَايَ﴾ [طه: ١٧]، و﴿إِيَّيَ﴾ [البقرة: ٣٩]، و﴿رُءُوبِي﴾ [يوسف: ٤٣]، و﴿مُتَوَايَ﴾ [يوسف: ٢٣]، و﴿يُؤَدِّيَ﴾ [العنكبوت: ١٨]، و﴿عَلِيَّ﴾ [البقرة: ٤]، و﴿إِلَيَّ﴾ [البقرة: ١٣]، من أجل الجمع بين الساكنين، ولم يختلفوا في سوى ﴿مَحْبِائے﴾.

اعلم أن خلاف [أ/١١] هذا الباب^(٣) مختص بالوصل، فإذا سكنت الياء مع همزة الوصل، حذفها في الوصل؛ وإن أسكنتها مع همزة القطع: أجريت فيها كَلِم الممد المنفصل لصاحبه^(٤).

وجه الفتح مع الهمز: لتقوية الخفي عن القوي؛ وأحد الأصلين، [ولتتمكن]^(٥) من كمال لفظ الهمز^(٦).

ووجه الفتح مع اللام للتعريف: صيانة الياء من الحذف، ووجه الإسكان: الاستمرار على أصله^(٧).

(١) [بعد] ساقطة من المتن، وبها يتم المعنى.

(٢) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعله أراد: (أو غيره).

(٣) أي: باب ياءات الإضافة.

(٤) ينظر: سراج القارئ المبتدئ: ص (١٤١).

(٥) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب: (وليتمكن) ينظر: شرح طيبة النشر للنويري: ٨٧/٢.

(٦) ينظر: شرح طيبة النشر للنويري: ٨٧/٢.

(٧) ينظر: المرجع السابق: ٩٩/٢.

ووجه الحذف: لالتقاء الساكنين، وجه الإسكان: أحد الأصلين^(١)، وأثبت نافع في الوصل خاصة؛ للموافقة بين الرسم والأصل^(٢).

من جملة ياءات المحذوفة من اثنان وستين ياء:

و ﴿يَرْضَى﴾ في الليل [آية: ٢١]، و﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ بالقمر [آية: ٨]، ﴿وَمِنْ عَائِلِهِ الْجَوَارِ﴾ في الشورى [آية: ٣٠]، دون التي في الرحمن [آية: ٢٢]، وكوّرت [آية: ١٦]؛ لأن ما بعدها ساكن، فلا يمكن إثبات الياء فيها في الوصل^(٣).

و ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [متى]^(٤)، و﴿عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي﴾، ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنَّ خَيْرًا﴾، ﴿عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنَّ مِمَّا﴾ ثلاثهن في الكهف^(٥)، و﴿لَنْ أُخَرَّنَ إِلَى يَوْمِ الْفَيْمَةِ﴾ الإسراء [آية: ٦٢]، بخلاف التي [١١/ب] في المنافقين [آية: ١٠].

و﴿أَلَا تَتَّبِعُنَّ أَفْعَصَيْتَ أَمْرًا﴾ بطله [آية: ٩١]، و﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ﴾ في الكهف [آية: ٦٤]، بخلاف التي في يوسف، ﴿مَا نَبْغِي هَذِهِ﴾ [آية: ٦٥]، فإنها مثبتة عند الكل. و ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ﴾ في هود [آية: ١٠٥]، بخلاف ﴿أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا﴾ [فصلت: ٣٩]، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ الْأَنْعَامِ﴾ [١٥٩]، إذ لا خلاف في إثبات ياءاتها.

و﴿أَتَمِدُّونَ بِمَالٍ﴾ في النمل [آية: ٣٧]، و﴿أَكْرَمَنَ﴾ و﴿أَهْنَنَ﴾ بالفجر [الآيتان: ١٦-١٨]، و﴿فَمَا أَتَيْنَ﴾ بالنمل [آية: ٣٧] مع الفتح^(٦)، و﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ بالإسراء [آية: ٩٧]، والكهف [آية: ١٧]، بخلاف الأعراف [آية: ١٧٨]، فإنه مثبت عند الكل. و﴿وَمَنْ إِيْبَعْنَ﴾ في آل عمران [آية: ٢٠]، وأثبت ورش عنه في الوصل خاصة ياء

(١) ينظر: شرح طيبة النشر للنويري: ٩٩/٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ٩٩/٢.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ١١٣/٢.

(٤) [ق: ٤١]، هكذا ولعله يقصد سورة: (ق)؛ لأن لفظ (متى) ليس من جملة مواضع الياء المحذوفة.

(٥) [الآيات: ٢٤، ٣٩، ٦٥]

(٦) أي: فتح الياء.

﴿وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ في سورة إبراهيم [آية: ٤٢]، بخلاف التي في سورة نوح^(١)، فإنه من جملة ياء الإضافة.

وأثبت ورش أيضًا في الوصل خاصة ياء ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ في سورة القمر [آية: ٦]، و﴿جَابُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ﴾ في الفجر [آية: ٩]، و﴿الْعَلِكِفَ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ في الحج [آية: ٢٣]، و﴿وَجَعَلِ كَالْجَوَابِ﴾ في سبأ [آية: ١٣]، ﴿لَا تَسْأَلِي مَا لَيْسَ﴾ في سورة هود [آية: ٤٦]، بخلاف ما في سورة الكهف ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ﴾ [آية: ٦٩]، فإنها مثبتة للكل.

و﴿يَوْمَ التَّلَويِّ﴾ و﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ بغافر [الآيتان: ١٤، ٣٢]، واليائين من ﴿دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا﴾ [١٢/أ] بالبقرة [آية: ١٨٥]، ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ في الملك [آية: ١٨]، و﴿إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِيَ﴾ بالصفات [آية: ٥٦]، و﴿أَنْ تَرْجُمُوهُ﴾ ﴿فَاعْتَرِلَوْهُ﴾ بالدخان [الآيتان: ٢٠-٢١]، و﴿عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ﴿وَلَقَدْ﴾ ﴿وَنُذْرِي﴾ ﴿إِنَّا﴾ ﴿وَعَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ﴿وَلَقَدْ﴾ و﴿عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ﴿وَلَقَدْ﴾ ﴿عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ﴿وَلَقَدْ﴾ بالقمر^(٢).

و﴿خَافَ وَعَبِدَ﴾ بإبراهيم [آية: ١٧]، ﴿بَحَقَّ وَعَبِدَ﴾ و﴿يَخَافَ وَعَبِدَ﴾ في ق [الآيتان: ١٤، ٤٥]، ﴿وَلَا يُنْفِذُونَ﴾ في يس [آية: ٢٢]، و﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون﴾ ﴿فَالْ سَنَشُدُّ﴾ بالقصص [الآيتان: ٣٤-٣٥]، ﴿بَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ﴾ ﴿فَكَأَيِّن﴾ بالحج [الآيتان: ٤٢-٤٣]، و﴿كَانَ نَكِيرٍ﴾ ﴿فَلِ إِنَّمَا﴾ بسبأ [الآيتان: ٤٥-٤٦]، و﴿كَانَ نَكِيرٍ﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بفاطر [الآيتان: ٢٦-٢٧]، و﴿كَانَ نَكِيرٍ﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ بالملك [الآيتان: ١٨-١٩].

(١) ﴿دُعَايَ﴾ [آية: ٦].

(٢) وبقي موضع واحد وهو: ﴿عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ﴿إِنَّا﴾ فهو من تنمة المواضع ولم يذكر. [الآيات: ١٦-١٧، ١٨-١٩، ٢١-٢٢، ٣٧-٣٨، ٣٩-٤٠]

وأثبت قالون أيضًا في الوصل خاصة ياء: ﴿اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [وفي]^(١)
غافر [آية: ٣٨]، وله الوجهان: في ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ و﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ في غافر [الآيتان: ١٤،
٣٢]، وله الخلف أيضًا لكن ياء قوله تعالى: ﴿عَائِلِينَ﴾ في النمل [آية: ٣٧].



(١) كذا في النسخة، ولا يستقيم المعنى به، ولعل الصواب (في) من غير واو.

الخاتمة

الحمد لله واهب النعم، عظيم المنن، مُجزل العطية، والصلاة والسلام على النبي المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحابه الكرام المهديين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وبعد:

فقد يسر الله لي إتمام البحث، والوقوف على ما فيه من فوائد، وبعد تطوافٍ مُثمر في هذا الكتاب، يَجْمَلُ التنبيه على أهم ما توصلت إليه:

• أهمية الكتب المفردة برواية أو قراءة، ولا سيما لمن اختار أن يقرأ برواية أو روايتين.

• أهمية معرفة القراءة وتوجيهها من حيث اللغة، والعناية بها.

وختامًا: أُهِيبُ بالباحثين المشتغلين بعلوم القراءات، على تتبع كتب التراث الأصيل، والسعي إلى تحقيق ما تبقى منها، ولا سيما رسائل المؤلف: عماد الدين علي الأسترآبادي في باقي القراءات السبعة، والتي أَلْفَهَا على نسق هذه الرسالة، والعناية بالتوجيه النحوي، والصرفي، والصوتي، والبلاغي للقراءات الأصولية والفرشية.

وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، وقربة إلى مرضاته، وأن يعفو عن التقصير ويصفح.

* وصلى الله على نبينا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم *

المصادر والمراجع

١. إبراز المعاني من حرز الأمان في القراءات السبع، لعبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف: ب(أبي شامة المقدسي)، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، دار الكتب العلمية.
٢. آثار البلاد وأخبار العباد، لزكريا بن محمد بن محمود القزويني، دار صادر - بيروت.
٣. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، لأبي عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، مكتبة مدبولي - القاهرة، ط: ٣، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
٤. أعيان الشيعة، للإمام السيد محسن أمين، تحقيق: حسن الأمين، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
٥. الإقناع في القراءات السبع، لأحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، أبو جعفر، المعروف بابن الباذش، دار الصحابة للتراث.
٦. الإضاءة في بيان أصول القراءة، لعلي محمد الضباع، مراجعة: جمال الدين محمد شرف، وعبد الله علوان، دار الصحابة - طنطا، ط: ٢، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
٧. إمتاع الفضلاء بتراجم القراء فيما بعد القرن الثامن الهجري، لإلياس بن أحمد حسين، المعروف بالساعاتي، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط: ١، ١٤٢١ هـ.
٨. إنباه الرواة على أنباه النحاة، لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط: ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢ م.
٩. الأنساب، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني المروزي، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط: ١، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م.

١٠. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.
١١. البلدان، لأحمد بن إسحاق اليعقوبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤٢٢ هـ.
١٢. التحديد في الإتقان والتجويد، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، أبي عمرو الداني تحقيق: الدكتور غانم قدوري الحمد، مكتبة دار الأنبار - بغداد، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، ط: ١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٨ م.
١٣. التمهيد في علم التجويد، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، تحقيق: الدكتور غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط: ١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.
١٤. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، (صحيح البخاري) لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ط: ٣، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م.
١٥. حرز الأمان ووجه التهاني في القراءات السبع (متن الشاطبية)، القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الشاطبي، ضبطه وصححه وراجعته: محمد تميم الزعبي، ط: ٥، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م.
١٦. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد أمين الحموي الدمشقي، الناشر: دار صادر - بيروت.
١٧. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، لأغا بزرك الطهراني، ط ٢، دار الأضواء - بيروت.
١٨. رسم كلمات القرآن على ترتيب السور، تحقيق ودراسة للباحث: داخل بن علي الجدعاني، رسالة دكتوراه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٣٩ هـ.
١٩. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، بعلم مراتب الحروف ومخارجها

- وصفاتها وألقابها وتفسير معانيها وتعليقها، وبيان الحركات التي تلزمها، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: الدكتور أحمد حسن فرحات، دار عمار - عمان، ط: ٣، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
٢٠. رياض العلماء وحياض الفضلاء، المؤلف: الميرزا عبد الله الأفندي الأصبهاني، من أعلام القرن الثاني عشر، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، الناشر: مطبعة الخيام، قم، ١٤٠١ هـ.
٢١. سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي (وهو شرح منظومة حرز الأمانى ووجه التهاني للشاطبي)، لأبي القاسم علي بن عثمان المعروف بابن القاصح المقرئ، راجعه شيخ المقرئ المصرية: علي الضباع، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط: ٣، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م.
٢٢. سلم الوصول إلى طبقات الفحول، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني (حاجي خليفة)، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسىكا، إستانبول - تركيا، عام النشر: ٢٠١٠ م.
٢٣. شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين التُّويزي، دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم، ط: ٢، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٢٤. شرح الهداية، للإمام أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي، تحقيق: حازم سعيد حيدر، دار عمار - الأردن، ط: ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
٢٥. غاية المريد في علم التجويد، لعطية قابل نصر، ط: ٧ - القاهرة.
٢٦. غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١ هـ ج. برجستراسر.
٢٧. غيث النفع في القراءات السبع، لأبي الحسن علي النوري الصفاقسي، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٢٨. فتح الوصيد في شرح القصيد، لعلم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي، تحقيق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث-طنطا، ط: ١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٢٩. الفتح والإمالة لأبي عمرو الداني، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، لبنان، ط: ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٣٠. القواعد والإشارات في أصول القراءات، لأحمد بن عمر بن محمد الحموي الحلبي، تحقيق: الدكتور عبد الكريم بن محمد الحسن بكار، دار القلم، دمشق، ط: ١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٣١. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني (حاجي خليفة)، مكتبة المثنى-بغداد، عام: ١٩٤١م.
٣٢. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لأبي محمد مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط: ٥، ١٤١٨هـ-١٩٩٧هـ.
٣٣. لب اللباب في تحرير الأنساب، لجلال الدين السيوطي، دار صادر-بيروت.
٣٤. لطف السمر وقطف الثمر، من أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر، المؤلف: الإمام نجم الدين محمد الدمشقي، تحقيق: محمود الشيخ، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.
٣٥. المبسوط في القراءات العشر، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، طبعة مجمع اللغة العربية - دمشق: ١٩٨١م.
٣٦. مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لعبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي، دار الجيل، بيروت، ط: ١، ١٤١٢هـ.
٣٧. مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ، لابن الطّحان السُّمّاتي، تحقيق:

- الأستاذ الدكتور: حاتم بن صالح الضامن، مكتبة التابعين-القاهرة، مكتبة الصحابة-الشارقة، ٢٠٠٧ م.
٣٨. مختصر العبارات لمعجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات، لإبراهيم ابن سعد الدوسري، من ضمن سلسلة معاجم المصطلحات (١)، في عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٤ م.
٣٩. معجم البلدان، لأبي عبد الله ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط: ٢، ١٩٩٥.
٤٠. معجم المؤلفين، لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة، مكتبة المثنى- بيروت، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٤١. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، عالم الكتب، بيروت، ط: ٣، ١٤٠٣ هـ.
٤٢. معجم مؤلفات الحافظ أبي عمرو الداني، إمام القراء بالأندلس والمغرب وبيان الموجود منها والمفقود، لعبد الهادي بن عبد الله حميتو، من منشورات الجمعية المغربية لأساتذة التربية الإسلامية-آسفي-المغرب، ط: ١، صفر ١٤٢١ هـ/ماي ٢٠٠٠ م.
٤٣. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لشمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: د. طيار آلي قولاج، دار عالم الكتب، ط: ١، ١٤١٧ هـ-١٩٩٧ م.
٤٤. المُمعين في شرح حرز الأمان للإمام الأياثلوغي، رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراة، تحقيق: د/ سعد بن محمد الزهراني، الجامعة الإسلامية، ١٤٣٧ هـ.
٤٥. موسوعة ألف مدينة إسلامية، لعبد الحكيم العفيفي، مكتبة الإسكندرية، ط: ١، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م.
٤٦. موسوعة المدن الإسلامية، إعداد: آمنة أبو حجر، دار أسامة، عمّان-الأردن، ط: ٢، ٢٠١٠ م.

٤٧. موسوعة المدن العربية والإسلامية، إعداد: الدكتور: يحيى شامي، دار الفكر - بيروت، ط: ١، ١٩٩٣ م.
٤٨. الموضح في وجوه القراءات وعللها، لنصر بن علي بن محمد الشيرازي الفارسي، المعروف بـ (ابن أبي مريم)، تحقيق ودراسة: الدكتور / عمر حمدان الكبيسي، مكتبة التوعية الإسلامية - مصر، ط: ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
٤٩. النشر في القراءات العشر، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.



**فروق التفسير
بين ابن جرير وابن كثير
في سورة التكويد**

إعداد

د. محمد حسام عبد الكريم عبد العزيز

الأستاذ المشارك بقسم القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

بكلية العلوم والآداب بالعلابجامعة طيبة

ملخص البحث

يهدف البحث إلى عقد مقارنة بين تفسيرين مشهورين من كتب التفسير، ألا وهما: جامع البيان في تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي.

وقد تناول البحث الجوانب الفنية والعلمية في المقارنة بينهما، أما الفنية فتركز في أمور، منها: في تسمية السورة، وفضلها، وتجزئتها، وعرض أسانيدنا ونقدها، وكيفية بدئها وانتهائها. وأما العلمية، فتناقش أمورًا، منها: في قواعد التفسير والترجيح، وسبب النزول والاستشهاد بالقرآن والسنة والصحابة والتابعين وتابعيهم، ولغة العرب والقراءات، وغيرها.

وقد توصل الباحث إلى عدة نتائج، منها: التزام ابن جرير تسمية السورة بما ورد مرفوعًا، (إذا الشمس كورت)، بينما أخذ ابن كثير باجتهاد من قبله بتسمية السورة بـ(التكوير)، وتمييز ابن كثير بنقد الحديث، وبيان صحته من ضعفه، بناء على علمه بالرجال ونقد المتن، بينما اكتفى ابن جرير بنقل كل الأسانيد التي يعرفها في أي باب، حتى لو كان المتن له أكثر من إسناد، فإنه يذكرها كلها، وتأسيس ابن جرير لقواعد التفسير والترجيح، واعتماده عليها كثيرًا في اختيار القول الراجح، بينما كان ابن كثير ناقلًا لقواعد ابن جرير، إما مؤيدًا أو مصححًا أو مخالفًا.

ولذا كان من توصيات البحث: الاهتمام بالدراسات المقارنة في مناهج المفسرين، واستخراج الفوائد الدقيقة في ذلك.

الكلمات المفتاحية: فروق، التفسير، جرير، كثير، التكوير.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للخلق أجمعين، سيدنا محمد وآله وصحبه الغر الميامين، ومن اهتدى بهداه وسار على دربه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الأمة الحية تفخر بتاريخها وأسلافها الذين أسسوا للعلومها، ومن هؤلاء الأعلام: ابن جرير الطبري^(١)، وابن كثير الدمشقي^(٢) الذين كان لهما أعظم الأثر في إذكاء الفكر وشحذ الهمة، والحفاظ على العلم في شتى علوم الشريعة، وشاركوا في صنع التراث وإعمارها.

ومن هذه العلوم التي ورثناها عنهم علم التفسير، فقد كان لكل واحد منهم حظ وافر في هذا العلم، فهو من أعظم العلوم الشرعية؛ لاتصاله بالقرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى هداية للناس، ونورا للبشرية.

وقد ألف هذان الإمامان كتابين في التفسير، الأول: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري، والثاني: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، وقد وقع الاختيار على دراسة هذين الكتابين فنياً وعلمياً؛ لأنهما من أعظم الكتب التي كتبت في التفسير. أما تفسير الطبري، فقد قيل فيه: "وهو من أصح التفاسير وأعظمها قدراً"^(٣)،

(١) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الأملي أبو جعفر، شيخ المحدثين والمؤرخين والمفسرين، توفي سنة ٣١٠هـ، انظر: طبقات المفسرين العشرين، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (٩١١هـ)، تحقيق: محمد علي عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٣٩٦هـ، (١/٩٥).

(٢) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ذراع أبو الفداء عماد الدين، محدث ومؤرخ وفقه ومفسر، توفي سنة ٧٧٤هـ، انظر: طبقات المفسرين، الإذنه وي، أحمد بن محمد، (ق ١١هـ)، تحقيق: سليمان بن صالح، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط ١، ١٤١٧هـ، (١/٢٦٠)؛ ذيل تذكرة الحفاظ، الحسيني، محمد بن علي، (٧٦٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ، (١/٣٨).

(٣) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، (٧٢٨هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط ١، ١٩٨٠م، (٣٧/١)، (٥١/١).

بل قيل فيه: "وكتابه في التفسير لم يصنف أحد مثله"^(١)، وأما تفسير ابن كثير فيعدّ المرجع الثاني بعد ابن جرير في الجمع بين الرواية والدراية^(٢). ولما كان منهما فروق جليّة ودقيقة، جاء هذا البحث ليكشف شيئاً من هذه الفروق؛ ليبين لقارئ التفسير منهج كل واحد منهم، وأن مكتبة التفسير لا يمكن أن تستغني بأحدهما عن الآخر. والله أسأل أن يوفّقني لدراسة هذين التفسيرين، وإعطاء صورة صحيحة فيما يتعلق بتفسيريهما.

الدراسات السابقة:

كثرت الدراسات المعنوية بتفسير ابن جرير الطبري وتفسير ابن كثير، وبالمقارنة بينهما، فمن ذلك:

١/ منهج الطبري وابن كثير في التفسير - دراسة تأصيلية تطبيقية مقارنة - للأستاذة سامية دردوري، مجلة الإحياء، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، تناولت ترجمة المفسرين، وترجمة كتابيهما، ومنهج كل مفسر بشكل مختصر، ثم عملت مقارنة بينهما بدراسة الآية الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين من آل عمران فقط. قلتُ: والذي دفعني إلى دراسة هذا الموضوع أني وجدت فروقاً دقيقة بيني وبينها جعلني أكتب هذا البحث.

٢/ المنهج الأثري في التفسير (مقارنة بين تفسير الطبري وابن كثير)، للدكتور نشوان عبده، مجلة الرسالة، وقد تمت فيه دراسة الآية الثامنة والعشرين من آل عمران - وهي نتائج مشابهة لنتائج الدراسة السابقة، إضافة لدراسة الآية ٢٣٨ من

(١) تهذيب الأسماء واللغات، النووي، يحيى بن شرف، (٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، (٧٨/١).

(٢) التفسير والمفسرون، الذهبي، محمد حسين، (١٣٩٩هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ط، د.ت، (١٧٤/١).

سورة البقرة.

٣/ التفسير الأثري بين الإمامين الطبري وابن كثير- سورة البروج أنموذجاً-
للأستاذة مطيرة زين، رسالة ماجستير. قلتُ: ومنها استوحيت دراسة سورة التكويد؛
لقربها من سورة البروج، ووجدت نفسي أني سأكتب ما لم تكتبه من حيث المنهج
الفني والعلمي.

وقد اتفقت معهم على أمور، منها:

- ١/ ذكر الأسانيد عند ابن كثير، ٢/ نقد الأسانيد عند ابن كثير
- ٣/ خلافات السورة عند الطبري، ٥/ الاختصار والإحالة عند ابن كثير،
- ٦/ قواعد التفسير والترجيح، ٧/ الاستشهاد بالقرآن عند ابن كثير،
- ٨/ الاستشهاد بأقوال الصحابة والتابعين، ٩/ الاستشهاد بالشعر القديم والإعراب،
- ١٠/ في عرض القراءات القرآنية.

وافترقت عنهم في أمور:

- ١/ ضابط تسمية السورة، ٢/ فضل السورة، ٣/ البدء بتفسير السورة عند ابن كثير،
- ٤/ ضابط تجزئة السورة، ٥/ خلافات السورة عند ابن كثير، ٦/ في صيغة الابتداء
- بإسناد الطبري، ٧/ في الإحالة إلى ما سبق ذكره، ٨/ الاستشهاد بأقوال تابع التابعي،
- ٩/ منهجهم في إنهاء السورة، ١٠/ في سبب النزول المروي عن تابع التابعي
- وحكمه، ١١/ الاستشهاد بالقرآن والسنة عند الطبري، ١٢/ كمية الروايات المروية
- عن الصحابة والتابعين وتابعيهم ودلالاتها، ١٣/ التعليل اللغوي، ١٤/ نوع
- القراءات المذكورة، وضابط نسبتها واعتمادها.

مشكلة البحث:

إن المشكلة التي تعالجها الدراسة، تظهر في الإجابة عن التساؤلات الآتية:
ما سبب اختيار هذين المفسرين للمقارنة بينهما؟ وما قيمة هذين التفسيرين؟

وهل هناك أمور متحدة بينهما؟ وهل الفوارق فنية أم علمية؟ وما هي الجوانب التي تميز أحدهما فيها عن الآخر؟

مسوغات البحث:

والذي دعاني للكتابة في هذا الموضوع، أمور عدة، منها:
١/ عدم تناول الباحثين-رغم كثرتهم-بعض الأمور الدقيقة المتعلقة بالتفسيرين.

٢/ رغبة الباحث في الوقوف على كلا التفسيرين من جوانب شتى.
٣/ اشتراك التفسيرين في المنهج العام، وافتراقهما في الطريقة التفصيلية لتفسير الآيات.
٤/ إبداء رأي جديد في المسائل التي تعرض لها المفسران-إن وجد-.

حدود البحث:

دراسة تفصيلية لسورة التكويد، ولكن قد أُلجأ إلى سور أخرى؛ للتحقق من صحة ما توصلت إليه من خلال كتابين: أولهما: كتاب (جامع البيان في تأويل آي القرآن)، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠ هـ. مؤسسة الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر. وثانيهما: كتاب (تفسير القرآن العظيم)، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠ هـ، دار طيبة، تحقيق: سامي محمد سلامة.

منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي والتحليلي والوصفي والنقدي في دراسة هذه السورة.

وقد قمتُ في سبيل ذلك بالخطوات الآتية:

- ١/ تخريج الآيات بذكر اسم السورة ورقم الآية بعد ورودها مباشرة.
- ٢/ ذكر أقوال المفسرين، وعرضها للنقد والوصف.

٣/ تخريج الأحاديث النبوية من مظانها، والحكم عليها إذا كانت في غير الصحيحين، وفي حال لم يتم التوصل إلى حكم الحديث، فإن الباحث يقوم بدراسة إسناده والحكم عليه.

٤/ الاكتفاء بتخريج الآثار عن الصحابة والتابعين وتابعيهم من الإمام الطبري باعتبار أنه من مصادر التخرج الأصلية، وأما ابن كثير فإنه ناقل عن الطبري في كثير من هذه الآثار.

٥/ توثيق المنقولات من مصادرها الأصلية.

٦/ شرح الغريب إذا لزم الأمر من كتب المعاجم.

٧/ عدم ترجمة الأعلام المذكورة في أسانيد المفسرين تخفيفاً.

خطة البحث:

يحتوي البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة

المبحث الأول: من حيث المنهج الفني في تفسير سورة التكويد، وفيه:

المطلب الأول: في ضابط تسمية السورة وزمانها

المطلب الثاني: في فضل السورة

المطلب الثالث: في تجزئة السورة وكيفية ختمها

المطلب الرابع: في البدء والإنهاء للآيات المتفق على تفسيرها

المطلب الخامس: في البدء والإنهاء لخلافات السورة

المطلب السادس: في عرض الأسانيد والنقل من الكتب

المطلب السابع: في نقد الأسانيد

المبحث الثاني: من حيث المنهج العلمي في تفسير سورة التكويد، وفيه:

المطلب الأول: في أسباب النزول

المطلب الثاني: في الاستشهاد بالقرآن

المطلب الثالث: في الاستشهاد بالسنة النبوية
المطلب الرابع: في الاستشهاد بأقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم
المطلب الخامس: في الاستشهاد بكلام العرب
المطلب السادس: في قواعد التفسير والترجيح
المطلب السابع: في نوع القراءات ونسبتها وضوابط اعتمادها
المطلب الثامن: في عدم التوسع في المذاهب العقدية
الخاتمة: وتتضمن نتائج البحث والتوصيات.



المبحث الأول

من حيث المنهج الفني^(١) في تفسير سورة التكوير

المطلب الأول: في ضابط تسمية السورة وزمانها:

يبتدئ ابن جرير تفسيره بذكر اسم السورة بقوله: (تفسير سورة إذا الشمس كورت)^(٢)، ولا يذكر زمانها مكية كانت أم مدنية، وعلى هذا جميع سور القرآن. وهذا معناه أن الإمام ابن جرير يأخذ اسم السورة من أحد أمرين: إما من أول جملة في السورة، وإما من ورود أثر في ذكر اسمها، ولعل الثاني هو الأظهر، بدليل أن هناك سوراً سماها من غير أوائلها مكتفياً بذلك كسورة البقرة، فلم يذكر أن اسمها (الم ذلك الكتاب) مثلاً، وبناء على هذا لم يذكر الاسم الآخر الوارد في المصاحف-التكوير-، باعتبار أنها غير واردة في الأثر، وإنما جاء هذا الاسم من كتب التفسير، بل الذي ورد في السنة قوله-صلى الله عليه وسلم-: "من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين، فليقرأ: إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت"^(٣). وأما ابن كثير فيسميها بقوله: (سورة التكوير)، ويذكر زمانها بأنها مكية^(٤)، وقد

(١) وأقصد بالفني: الشكلي الذي ليس في صلب التفسير.

(٢) جامع البيان في تأويل أي القرآن، الطبري، محمد بن جرير، (٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ، (٢٤/٢٣٥)، وهناك طبعة أخرى قد يكون فيها بعض الإضافات لم يعتمد عليها الباحث في بحثه، وهي من تحقيق: د. عبد الله عبد المحسن التركي، ود. عبد السند حسن يمامة، دار هجر، السعودية، ط ١، ١٤٢٢هـ، (٢٤/١٢٨).

(٣) سنن الترمذي، الترمذي، أحمد بن عيسى (٢٧٩هـ)، تحقيق: إبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط ٢، ١٣٩٥هـ، أبواب تفسير القرآن، باب (ومن سورة إذا الشمس كورت)، رقم الحديث: ٣٣٣٣، (٥/٤٣٣)؛ مسند أحمد، ابن حنبل، أحمد بن محمد، (٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر، رقم الحديث: ٤٨٠٦، (٨/٤٢٣-٤٢٤)، قال عنه المحقق: إسناده حسن. وصححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، محمد ناصر، (١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤١٥هـ، رقم الحديث: ١٠٨١، (٣/٦٩).

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة،

التزم ابن كثير هذا في جميع سور القرآن بذكر مكيتها أو مدنيته. والذي يظهر للباحث تمسك ابن جرير بالأثر أكثر من ابن كثير في تسمية السورة؛ لأن اسم التكوير لم يرد به رفع عن النبي -صلى الله عليه وسلم، وأما قول السيوطي: "وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، ولولا خشية الإطالة لبنت ذلك، والمراد بالتوقيف المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي ﷺ"^(١)، فقول يحتاج لدليل خاص لكل سورة، فإن هناك من السور ما ثبت اسمها بالتوقيف عن النبي -صلى الله عليه وسلم- كالبقرة وآل عمران^(٢)، وهناك سور لم يثبت اسمها مرفوعاً كسورتي الممتحنة والنبأ، وأما وجود الاسم في المصحف، فليس دليلاً على أنه من القرآن، بل الإجماع على أن أسماء سور القرآن ليست منه، وقد أقر وجودها في المصحف لعدم وجود شبهة في ذلك، وأمن اللبس^(٣).

ولا أستطيع القول -بعد هذا- بأن تسمية السورة بالتكوير غير جائز، بل هو المشتهر والمعروف به عند أغلب المفسرين والمحدثين^(٤)، وهذا يقودنا إلى أن من التسميات ما جاء عن طريق الاشتهار وغلبة اسمه عليه، وليس عن طريق الأثر؛ ولأن المقصود من التسمية تمييزها عن غيرها، وقد حصل بهذا الاسم -التكوير- المقصود.

السعودية، ط ٢، ١٤٢٠ هـ، (٨/ ٣٢٨).

(١) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (٩١١ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط ١، ١٣٩٤ هـ، (١/ ١٨٦)؛ تاريخ القرآن الكريم، الخطاط، محمد طاهر، (١٤٠٠ هـ)، (ط ١، جدة: مطبعة الفتح، ١٣٦٥ هـ)، (١/ ٦٨).

(٢) صحيح مسلم، النيسابوري، مسلم بن الحجاج، (٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، د. ت، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم الحديث: ٨٠٤، (١/ ٥٥٣).

(٣) الانتصار للقرآن، الباقلاني، محمد بن الطيب، (٤٠٣ هـ)، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ، (١/ ٢١٠).

(٤) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، العسقلاني، أحمد بن علي، (٢٥٦ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٣٩٧ هـ، (٨/ ٦٩٣). وذكر اسم (التكوير) بدون سند بصيغة التمرىض.

المطلب الثاني: في فضل السورة

لم يستدل ابن جرير بحديث عن فضل سورة التكويد، وإن كان قد استقى اسم السورة من الحديث المرفوع الذي مر ذكره، في حين استدل ابن كثير بالحديث نفسه، مخرّجاً عن الإمام أحمد والترمذي كل بإسناده يبين فضل السورة، وأنها مما تذكر بالآخرة، لكن ابن كثير لم يكن مقصده من الحديث المرفوع بيان فضل سورة التكويد، وإنما كان مقصده الاستشهاد بالسنة على وجود هذه السورة، حتى لو كان الحديث في أدنى درجات الضعف، ويظهر هذا من خلال النظر في سور أخرى، مثل: سورة عبس، فقد ذكر فيها حديثاً عن سبب نزول هذه السورة في ابن أم مكتوم، وبدون إسناد^(١)، وأحياناً يستدل بحديث ضعيف جداً في فضل السورة؛ ويبين هذا الضعف، كما في سورة يوسف^(٢) وطه^(٣)، فإذا لم يجد، فحينئذ يشرع في تفسير السورة، كما في سورة الأعراف ويونس^(٤)، ولا يلجأ إلى الحديث الموضوع عنده.

المطلب الثالث: في تجزئة السورة وكيفية ختمها

أولاً: في تجزئة السورة.

جزأ ابن جرير السورة إلى ستة مقاطع، كل مقطع يمثل جملة من الآيات يبدأها بقوله: (القول في تأويل قوله تعالى)، وذلك في المقاطع الآتية: المقطع الأول من الآية الأولى إلى الرابعة، والمقطع الثاني من الآية الخامسة إلى العاشرة، والمقطع الثالث: من الآية الحادية عشرة إلى الآية السادسة عشرة، والمقطع الرابع من الآية

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/ ٣١٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤/ ٣٦٥). ومتن الحديث: (علموا أرقام سورة يوسف...)، وقد حكم ابن

كثير على بعض رواه فقال: سليم المدائني متروك، وهارون بن كثير نص على جهالة أبو حاتم.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥/ ٢٧١). ومتن الحديث: (إن الله قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بمئة

عام...)، قال عنه ابن كثير: هذا حديث غريب، وفيه نكارة، وإبراهيم بن مهاجر وشيخه تكلم فيهما.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣/ ٣٨٧)، (٤/ ٢٤٥).

السابعة عشرة إلى الآية العشرين، والمقطع الخامس من الآية الحادية والعشرين إلى الآية السادسة والعشرين، والمقطع السادس من الآية السابعة والعشرين إلى الآية التاسعة والعشرين.

وأما ابن كثير فقد جزأ السورة إلى مقطعين، المقطع الأول من الآية الأولى إلى الآية الرابعة عشرة، والمقطع الثاني من الآية الخامسة عشرة إلى الآية التاسعة والعشرين.

ومن هنا يلاحظ أن تقسيم ابن جرير أكثر من تقسيم ابن كثير، ولعل السبب في ذلك التخفيف على القارئ والتسهيل عليه؛ لكثرة المرويات والاستدلالات، أما إذا قلّت الأقوال والأسانيد، فإنه لا يجزئ فيها الآيات، مثل سورة الشرح والزلزلة والناس، بينما تقسيم ابن كثير كان بناء على الموضوع المتحد بين الآيات؛ فالمقطع الأول يتحدث عن أهوال القيامة، والمقطع الثاني يتحدث عن صدق الوحي والنبوة^(١)، فكل مقطع له موضوعه الخاص.

ثانيًا: في ختم السورة

غلب على الإمامين وضع جملة تدل على نهاية لتفسير السورة، فأنها ابن جرير بقوله: (آخر تفسير سورة "إذا الشمس كورت")، وهذا نهج مطرد عنده، في بقية سور القرآن، وأما ابن كثير فأنها بقوله: (آخر تفسير سورة (التكوير)، والله الحمد والمنة)، وليس هذا مطردًا عنده، فهناك سور ينهيها مثل نهاية ابن جرير، كسورة فصلت^(٢)، وهناك سور يغير من صيغتها، مثل قوله: آخر تفسير سورة "الأنفال"، والله الحمد والمنة، وعليه الثقة والتكلان، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وأحيانًا لا يذكر شيئًا في الختم، مثل سورة الحجر.

(١) التفسير الوسيط، الزحيلي، وهبة مصطفى، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤٢٢ هـ، (٣ / ٢٨٣١).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٧ / ١٨٨)، (٤ / ١٠٠).

المطلب الرابع: في البدء والإنهاء للآيات المتفق على تفسيرها

يبتدئ ابن جرير تفسيره الذي-ليس فيه أكثر من قول-بالمعنى الإجمالي للآية، ثم يؤكد هذا المعنى بقوله: "وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل"، وأما إنهاؤه لها فهو بذكر المرويات الدالة على هذا المعنى معنونا لها بقوله: "ذكر من قال ذلك".

ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ (آية: ٣)، والمعنى: "وإذا الجبال سيرها الله، فكانت سرايا، وهباء منبثا، وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك، حدثني محمد بن عمار، قال: ثنا عبيد الله، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ قال: ذهب^(١)".

ومثال آخر: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (آية: ٤)، والعشار: جمع عشاء، وهي التي قد أتى عليها عشرة أشهر من حملها. يقول تعالى ذكره: وإذا هذه الحوامل التي يتنافس أهلها فيها أهملت فتركت، من شدة الهول النازل بهم، فكيف غيرها؟^(٢)، وختم تفسير الآية بقوله: "حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾، يقول: لا راعي لها.

ومثال آخر: قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (آية: ١٨)، أي: وضوء النهار إذا أقبل وتبين، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾: إذا أضاء وأقبل^(٣).

(١) جامع البيان، الطبري، (٢٤/٢٤٠).

(٢) جامع البيان، الطبري، (٢٤/٢٤٠).

(٣) جامع البيان، الطبري، (٢٤/٢٥٨).

وأحياناً يبدأ بذكر الأصل اللغوي للكلمة، ثم يفسر الآية بالإجمال، ومثاله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (آية: ٤)، أن العشار: جمع عشراء، وهي التي قد أتى عليها عشرة أشهر من حملها. والمعنى: وإذا الحوامل التي يتنافس أهلها فيها أهملت فتركت، من شدة الهول النازل بهم، فكيف بغيرها؟^(١).

في حين يتبدى وينهي ابن كثير تفسيره غير المختلف عليه على ثلاث حالات، منها:
١ / تفسير الكلمة الغريبة في الآية معلقة على الراوي، ومثال ابتدائه وانتهائه بذلك: قوله تعالى: (وإذا الجحيم سعرت)، قال السدي: أحميت، وقال قتادة: أوقدت^(٢). قلت: وكلاهما بمعنى واحد.

ومثال آخر: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنْفِلَتْ﴾ (آية: ١٣) قال الضحاك، وأبو مالك، وقتادة، والربيع بن خثيم، أي: قربت إلى أهلها^(٣).
وقوله: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (آية: ١٨)، قال الضحاك: إذا طلع. وقال قتادة: إذا أضاء وأقبل^(٤)، قلت: وكلاهما بمعنى واحد.

ومثال انتهائه بذكر الراوي أو الرواة في تفسير هذه الآية، ومثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (آية: ١٩)، قوله: "قاله ابن عباس، والشعبي، وميمون بن مهران، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، وغيرهم"^(٥).

٢ / التفسير الإجمالي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ (آية: ٣)، أي: زالت عن أماكنها ونسفت، فتركت الأرض قاعاً صفصفاً^(٦).

(١) جامع البيان، الطبري، (٢٤٠/٢٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣٣٥/٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣٣٥/٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣٣٨/٨).

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣٣٨/٨).

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣٣٠/٨).

ومثال ابتدائه: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (آية: ١٩)، يعني: أن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم، أي: ملك شريف حسن الخلق، بهي المنظر، وهو جبريل - عليه الصلاة والسلام -^(١).

ومثال انتهائه: قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (آية: ٢٧)، أي: هذا القرآن ذكر لجميع الناس، يتذكرون به ويتعظون^(٢).

٣/ ذكره لآية مشابهة، وقليلًا ما يبدأ بالقرآن قبل بيان المعنى الإجمالي، ومثاله عند قوله تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (آية: ٢٠): "كقوله ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ (النجم: ٥، ٦)، أي: شديد الخلق، شديد البطش والفعل"^(٣).

ومثال انتهائه عند قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٍ رَجِيزٍ﴾ (آية: ٢٥)، "كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾" (الشعراء: ٢١٠ - ٢١٢).

وخلاصة الكلام في هذا أن ابن جرير يبدأ بذكر المعنى الإجمالي وينهي بذكر الأسانيد، وهو ملتزم لهذا النهج، وأما ابن كثير فيبدأ وينهي بالمعنى الإجمالي أو بتفسير الكلمة الغريبة مسندة إلى الراوي، أو بذكر آية أخرى تدل على معنى الآية المراد تفسيرها.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/ ٣٣٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/ ٣٤٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/ ٣٣٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/ ٣٣٩).

المطلب الخامس: في البدء والإنهاء لخلافات السورة

إذا كان في الآية خلاف، فإن ابن جرير يبدأ الكلام بقوله: (اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى)^(١)، ثم يذكر كل قول مشفوعاً بأسانيد، ثم بعد ذلك ينهي هذا الخلاف بالجمع بين الأقوال أو الترجيح، وهذا منهج مطرد عنده.

ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (آية: ١)، اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: إذا الشمس ذهب ضوءها.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسين بن الحرith، قال: ثنا الفضل بن موسى، عن الحسين بن واقد، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، قال: ثني أبي بن كعب، قال: ست آيات قبل يوم القيامة: بينا الناس في أسواقهم، إذ ذهب ضوء الشمس.

وقال آخرون: معنى ذلك: رمي بها.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثام بن علي، قال: ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: نُكِّسَتْ.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أن معناه: جمع بعضها إلى بعض، ثم لفت فرمى بها، وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها، فعلى التأويل الذي تأولناه وبيناه لكلا القولين اللذين ذكرت عن أهل التأويل وجه صحيح، وذلك أنها إذا كُوِّرَتْ ورمي بها، ذهب ضوءها^(٢).

(١) قلت: وقد يتجاوز هذه العبارة ويدخل في الخلاف مباشرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (آية: ٢).

(٢) جامع البيان، الطبري، (٢٤/٢٣٨/٢٣٩).

وأحياناً - وهو خلاف المعهود عنه - يذكر الخلاف الذي في الآية، ثم يأتي بالإسناد لكل الأقوال، ومثال ذلك عند تفسيره ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ﴾ (آية: ٨)، فقد ذكر فيها قولين، الأول: سئلت بمعنى سألت، والثاني: أنها سئلت على الحقيقة، ثم بعد ذلك جمع الروايات الدالة على المعنيين معاً^(١).

أما ابن كثير فيبدأ خلافاً للتفسير بذكر روايتها قبل تفسيرها، وأحياناً يذكر تفسيرها قبل أن يذكر روايتها، دون أن يصدر بكلام يدل على هذا الخلاف في هذه السورة.

ومثال الأول: عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قوله: قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ يعني: أظلمت. وقال العوفي، عنه: ذهب، وقال مجاهد: اضمحلت وذهبت. وكذا قال الضحاك^(٢).

ومثال الثاني: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (آية: ٢) أي: انتشرت، قاله الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب^(٣).

وأما إنهاؤه للآيات المختلف في تفسيرها، فله في ذلك عدة حالات:

١/ إبداء رأيه في الخلاف، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (آية: ٤)، فبعدما ذكر أقوالاً عدة في العشار، ذكر ترجيح القرطبي أنها الإبل، ثم قال: "بل لا يعرف عن السلف والأئمة سواه"^(٤)، وأيضاً عند تفسيره ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾ الجوارح^(٥) (آية: ١٥-١٦)، بقوله: "ويحتمل أن يكون الجميع مراداً"^(٦)، وأيضاً: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (آية: ٢٤)، بقوله: وكلاهما متواتر، ومعناه صحيح"^(٦).

(١) جامع البيان، الطبري، (٢٤/٢٤٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/٣٢٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/٣٢٩).

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/٣٣١).

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/٣٣٧).

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/٣٣٩).

٢/ ذكر الأحاديث مع تخريجها، وأحياناً نقد روايتها، ومثال ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (آية: ١)، وذكر منها "إن الشمس والقمر ثوران في النار يوم القيامة" ثم قال البزار: لا يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه، ولم يرو عبد الله الداناج عن أبي سلمة سوى هذا الحديث^(١).

٣/ شرح بيت من الشعر، ومثاله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ (آية: ١٧) قال: وكانوا يرون أن هذا البيت مصنوع^(٢)، وهو قول القائل: عسعس حتى لو يشاء ادنا ... كان له من ضوئه مقبس ...

وخلاصة الكلام في هذا أن ابن جرير يبدأ الخلاف بقوله: (اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى)، مشفوعاً بأسانيده لكل قول، ثم إبداء رأيه فيه. وأما ابن كثير فيبدأ خلافاً للتفسير بذكر روايتها قبل تفسيرها، أو العكس، وأما إنهاؤه السورة فكان بإبداء رأيه في الخلاف، أو بذكر الأحاديث ذات العلاقة، أو بشرح بيت من الشعر يدل على معنى الآية. وهذا يشعر بحسن ابتداء ابن جرير وانتهائه، في حين ابتداء وانتهاء ابن كثير يدل على اهتمامه بالرواية.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/ ٣٢٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/ ٣٣٨).

المطلب السادس: في عرض الأسانيد والنقل من الكتب

حين يذكر ابن جرير القول أو الأقوال في تفسير الآيات، فإنه يلحقها بأسانيد منتهية إليه، سواء أكان قولاً واحداً في الآية، أو أقوالاً متعددة، فيبدأ ذكر الإسناد بقوله (حدثنا) أو (حدثني)، أو (حدثت)^(١)، وهذا منهج مطرد عنده تتجلى فيه الأمانة العلمية، في سورة التكوير وغيرها من السور، ولا أعلم أنه عبّر بعبارة أخرى، مثل: أخبرنا أو أنبأنا عن نفسه، ولا يرجع في ذلك إلى كتاب.

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (آية: ١)، ذكر ثلاثة عشر إسناداً لها علاقة بمعنى الآية، وفي الآية التي بعدها: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ ذكر سبعة أسانيد، وفي الآية الثالثة: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ذكر إسناداً واحداً، وفي الآية الرابعة: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ ذكر ثمانية أسانيد، وفي الآية الخامسة: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ذكر خمسة أسانيد، وهكذا.

ولو تتبعنا الأسانيد إلى آخر السورة لوجدنا أنه لا تخلو آية من إسناد في الغالب الأعم^(٢)، ولا يخلو معنى من معاني الآية، إلا وله إسناد، أما ضابط عددها من حيث كثرتها وقلتها، فأمر يحتاج إلى تتبع، ويظهر لي بعد التتبع أسباب ودلالات، منها:

١ / كثرة الخلاف في الآية من أسباب كثرة الأسانيد، فكلما كان الخلاف أكثر كان الإسناد أكثر، والعكس صحيح، مثل: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ في الكثرة.

٢ / وأحياناً تكثر الأسانيد في الآية ذات المعنى الواحد، ولعله أراد بهذا صحة هذا المعنى وبطلان غيره، لأن غير هذا القول ليس له إسناد، مثل: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾، فابن جرير ذكر فيها قولاً واحداً وهو الإبل، وأورد فيه ثمانية أسانيد، في

(١) جامع البيان، الطبري، (٢٤/٢٣٧)، (٢٤/٢٤٠-٢٤١)

(٢) لم يذكر إسناداً في تفسير قوله تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾، انظر: جامع البيان، الطبري، (٢٤/٢٥٨)، ولعلها هفوة منه.

حين ذكر ابن كثير أقوالاً أخرى للآية نفسها، ولم يأت فيها بإسناد لتلك الأقوال، مثل: الأرض والسحاب، وعند الترجيح لم يعتدّ بها، واعتدّ بالرواية التي لها إسناد. ٣/ رغبة المفسر في اختصار الأسانيد؛ لوضوح الآية، وعدم وجود قول آخر محتمل، مثل: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ، وهذا ليس بغريب على المفسر، فهو يعدّ تفسيره مختصراً.

٤/ أحياناً قلة الأسانيد تكون إشارة إلى ضعف هذا المعنى، إذا كان في المقابل معنى آخر للآية ذا أسانيد متعددة، مثل: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ ، فقد ذكر ابن جرير فيها معنيين، المعنى الأول له اثنا عشر إسناداً، والمعنى الثاني له خمسة أسانيد، ثم بعد ذلك رجح المعنى الأول؛ بناء على آيات مشابهة لهذا المعنى.

٥/ وأحياناً تتكافأ الأسانيد في الآية ذات المعاني المتعددة، وهذا ينبئ على أن كل المعاني معتبرة، ويجوز الأخذ بها، مثل: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ ، فقد ذكر فيها ابن جرير ثلاثة أقوال، القول الأول له ستة أسانيد، والثاني له خمسة أسانيد، والثالث له خمسة أسانيد، وكلها صحيحة معتبرة^(١).

٦/ وأحياناً وجود الأسانيد المرفوعة أو الموقوفة يكون سبباً في ترجيحها على الأسانيد المقطوعة، مثل: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ ، فالمعنى الأول له أسانيد متصلة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وإلى الصحابة، والمعنى الثاني أسانيد مقطوعة على التابعي.

وبعد كل هذا، فإن ابن جرير من المصادر التي يرجع إليها عند تخريج الحديث، بسبب ذكره للإسناد كاملاً، وعدم تخلفه عن هذا الأمر.

وأما ابن كثير فإنه ينقل الإسناد من الكتب المسندة، سواء أكان مرفوعاً أو موقوفاً أو مقطوعاً، وأحياناً يكتفي بذكر الصحابي معلقاً، أو التابعي معلقاً، أو تابع

(١) صحة هذه الأسانيد بناء على دراسة الباحث لهذه الأسانيد، والنظر في رجالها.

التابعي معلقاً، وكل ذلك بناء على أن سندهم موجود في كتب التفسير المسندة، وبالأخص تفسير ابن جرير، ولأجل هذا استحق أن يوصف تفسيره وتفسير ابن جرير بالمأثور، لأنهما لم يذكرنا تفسيراً لآية إلا وأتبعاه بقول من أثر.

ومثال نقله عن الكتب المسندة ما يأتي^(١):

أولاً: قال ابن أبي حاتم^(٢): حدثنا أبي، حدثنا محمد بن الصباح البزار، حدثنا الوليد بن أبي ثور، عن سماك، عن النعمان بن بشير أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ قال: الضرباء^(٣)، كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله.

ثانياً: قال البخاري^(٤): حدثنا مسدد، حدثنا عبد العزيز بن المختار، حدثنا عبد الله الداناج، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "الشمس والقمر مكوران يوم القيامة".

ثالثاً: ما رواه البزار^(٥) بقوله: حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادي، حدثنا يونس بن

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/٣٢٨)، (٨/٣٢٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد، (٣٢٧هـ)، تحقيق: محمد أسعد الطيب، مكتبة نزار الباز، السعودية، ط ٣، ١٤١٩هـ، رقم الحديث: ١٨٧٧٤، (١٠/٣٣٣٠). والحديث ضعيف مرفوعاً؛ لأن فيه الوليد بن أبي ثور، وهو ضعيف، انظر: تقريب التهذيب، العسقلاني، (١/٥٢٨)، إلا أنه صح موقوفاً عن النعمان وعن عمر بن الخطاب بأسانيد أخرى، مع اختلاف في المتن واتحاد في المعنى، انظر مثلاً: المستدرک علی الصحیحین، الحاكم، محمد بن عبد الله، (٤٠٥هـ)، تفسير سورة إذا الشمس كورت، رقم الحديث: ٣٩٠٢، (٢/٥٦٠).

(٣) الضرباء: جمع ضريب، وهو المثل والشبيه، فلان ضريب فلان، أي: مثله ونظيره. انظر: لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ، (١/٥٤٨).

(٤) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر بحسبان، رقم الحديث: ٣٢٠٠، (٤/١٠٨).

(٥) البحر الزخار، البزار، أحمد بن عمرو، (٢٩٢هـ)، تحقيق: عادل بن سعد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، ٢٠٠٩م، رقم الحديث: ٨٦٩٦، (١٥/٢٣٤). قال عنه البزار: لم يرو عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه، ولم يرو عبد الله الداناج عن أبي سلمة سوى هذا الحديث.

محمد، حدثنا عبد العزيز بن المختار، عن عبد الله الداناج قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن زمن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد-مسجد الكوفة، وجاء الحسن فجلس إليه فحدث قال: حدثنا أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الشمس والقمر ثوران في النار يوم القيامة".

رابعاً: وقال ابن جرير^(١): حدثني علي بن مسلم الطوسي، حدثنا عباد بن العوام، أخبرنا حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، قال: حشر البهائم: موتها، وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس، فإنهما يوقفان يوم القيامة.

خامساً: وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده^(٢): حدثنا موسى بن محمد بن حيان، حدثنا درست ابن زياد، حدثنا يزيد الرقاشي، حدثنا أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الشمس والقمر ثوران عقيران في النار".

ومن الكتب التي ينقل عنها أيضاً في هذه السورة: كتاب التذكرة للقرطبي-وهو غير ملتزم بذكر الإسناد-، ومسند الحافظ أبي يعلى، وصحيح البخاري، وسنن أبي داود، وصحيح مسلم، وتفسير النسائي، وكلها من ذوات الإسناد ما عدا الأول.

ومعنى هذا أن ابن جرير قليل النقل من الكتب، فاعتماده الأساس على الرواية الشفهية من الشيوخ، وأما ابن كثير فاعتماده الغالب على النقل من الكتب، سواء في نقل الرواية، أو اختصار مسألة من المسائل، أو حتى في الترجيح.

وأيضاً فإن ابن جرير لا ينقل كلاماً إلا بسند، أما ابن كثير فقد ورد عنه الرواية بغير سند، اعتماداً بالرجوع إلى كتب التفسير المسندة كابن جرير وابن أبي حاتم، وغيرها ككتاب السيرة لابن إسحاق.

(١) جامع البيان، الطبري، (٢٤/ ٢٤١). قلت: إسناده صحيح باجتهاد الباحث من خلال النظر في رجاله.
(٢) مسند أبي يعلى، الموصلي، أحمد بن محمد، (٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون، دمشق، ط ١، ١٤٠٤ هـ، (٧/ ١٤٨). قال عنه المحقق: وإسناده ضعيف جداً.

المطلب السابع: في نقد الأسانيد

لم يعلق ابن جرير على إسناد واحد في سورة التكويد، ولعل هذا منهجه الغالب عليه في كتابه؛ لأن همّه في كتابه حشد أكبر قدر ممكن من الأسانيد؛ لأنه يريد بذلك المحافظة على التراث الإسلامي وعدم تضييعه ما أمكن، ولذلك كان نقد ابن جرير نادراً أو معدوماً في كثير من المواطن، سواء في الأحاديث المرفوعة أو في غيرها^(١)، ولأنه يعلم أن الوقت لا يكفيه لنقد الأسانيد، بل بالكاد يكفيه لجمع الروايات، ولذلك أنكر عليه تلاميذه التوسع في كتابة التفسير بقولهم: "هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه"^(٢)، فاضطر لاختصار التفسير، ومن الاختصار نقد الأسانيد، وفي ذلك كبير جهد لمن بعده.

ويظهر علم ابن جرير بنقد الأسانيد في تفسيره بطريق خفي من خلال إirاده وترتيبه للمتابعات والشواهد في الموضوع الواحد، أو ليبرهن أن مدار الرواية على فلان الراوي، ومع ذلك -وبعد التتبع- وجد له نقد جلي على بعض الأسانيد، فمن ذلك:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الصافات: ١٠٩) قوله: "لأن في إسناده من لم نستجز ذكره"^(٣)، وغيرها، مثل: (خبر في إسناده بعض من يجب الثبوت في نقله)، وقوله: (هذا خبر في إسناده نظر، فإن "سعيداً" غير معلوم له سماع من "سلمان"، والثقات من أهل الآثار يقفون هذا الكلام على سلمان، ويروونه عنه من قبله غير مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم. والحفاظ الثقات إذا تابَعوا على

(١) انظر: جامع البيان، الطبري، (١/ ١٧١-١٧٧) في تفسيره ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ (الفاتحة: ٦)، حيث أورد أربعة أحاديث مرفوعة، ولم ينقد منها رواية واحدة، ومنها الصحيح ومنها الضعيف على رأي المحقق أحمد شاكر.

(٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، (٤٦٣ هـ)، تحقيق: د. بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ، (٢/ ٥٤٨).

(٣) جامع البيان، الطبري، (٢١/ ٩١).

نقل شيء بصفة، فخالفهم واحد منفردٌ ليس له حفظهم، كانت الجماعة الأثبات أحقَّ بصحة ما نقلوا من الفرد الذي ليس له حفظهم^(١).

أما ابن كثير فقد أجاد الصنعة في هذا وأظهرها بشكل جلي، وذكر نقدًا على كثير من الأسانيد، فمنها: المثل الأول: قال الحافظ أبو يعلى في مسنده: حدثنا موسى بن محمد بن حيان، حدثنا درست بن زياد، حدثنا يزيد الرقاشي، حدثنا أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الشمس والقمر ثوران عقيران في النار".

قال ابن كثير: هذا حديث ضعيف؛ لأن يزيد الرقاشي ضعيف، والذي رواه البخاري في الصحيح بدون هذه الزيادة^(٢). قلت: وفي هذا النقد دليل على علمه بالرجال ومتون الأحاديث.

المثل الثاني: قال البزار: حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادي، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا عبد العزيز بن المختار، عن عبد الله الداناج قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد -مسجد الكوفة، وجاء الحسن فجلس إليه فحدث قال: حدثنا أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الشمس والقمر ثوران في النار يوم القيامة". فقال الحسن: وما ذنبهما؟ فقال: أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول: أحسبه قال: وما ذنبهما". ثم قال: لا يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه، ولم يرو عبد الله الداناج عن أبي سلمة سوى هذا الحديث^(٣).

وهنا اكتفى ابن كثير بتعليق البزار على الحديث، ولم يعلق عليه.

المثل الثالث: قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد، حدثنا أبو طاهر، حدثني عبد الجبار بن سليمان أبو سليمان النفاط -شيخ صالح يشبه مالك بن

(١) جامع البيان، الطبري، (٤٧٨/٢٠)، (٥٥٨/١٨)، (٥٦٦/٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣٢٩/٨)، وقد مرّ تخريجه.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣٢٩/٨)، وقد مرّ تخريجه.

أنس-عن معاوية بن سعيد قال: إن هذا البحر بركة-يعني بحر الروم-وسط الأرض، والأنهار كلها تصب فيه، والبحر الكبير يصب فيه، وأسفله آبار مطبقة بالنحاس، فإذا كان يوم القيامة أسجر. قال ابن كثير: وهذا أثر غريب عجيب^(١). وفي هذا النقد حكمه على الأثر بأنه من النكارة بمكان؛ لدرجة أنه تعجب منه واستغرب، والذي يظهر أن هذا الأثر من الإسرائيليات.



(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/ ٣٣١).

المبحث الثاني

من حيث المنهج العلمي في تفسير سورة التكوين

المطلب الأول: في أسباب النزول:

ذكر المفسران سبب نزول في آخر سورة التكوين، وكان منهج ابن جرير فيها أنه بعد أن فسر الآية تفسيرًا مجملًا، أتبعها بقوله: (وذلك أن السبب الذي من أجله نزلت الآية)، ثم ذكر ثلاث طرق تنتهي إلى الراوي نفسه، ولم ينقد منها شيئًا. وهذا المنهج - وهو عدم النقد - هو الغالب الأعم في كتابه، حتى في الروايات المختلفة في سبب النزول، فإنه يعرضها، ويجوز كل أقوالها، وأنها تصلح أن تكون كلها سبب نزول^(١)، بل يرى أن عدم معرفة سبب النزول وفيمن نزلت لا يضر في كثير من الأحيان، وإنما المهم أن تؤخذ الآية على عمومها، ويعمل بأحكامها^(٢). ومن ذلك: ما جاء في آية الخمر والميسر، فذكر فيها ابن جرير ثلاثة أقوال، ثم جَوَّزها جميعًا؛ لعدم ورود الخبر القاطع، وأنه يلزمنا معرفة حكم الآية - وهو تحريم

(١) انظر تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَا بِعَضْبُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ (البقرة: ٧٦)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ (البقرة: ٨٠)، وقوله تعالى: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ (التحریم: ١)، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَصْصَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٥٨)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (آل عمران: ١٩٠)، وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ (الأعراف: ١٨٧)، وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ (الأنفال: ١)، وقوله تعالى: ﴿لَا تَخْشَوْا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ (الأنفال: ٢٧)، وقوله تعالى: ﴿مَا وَلَهُمْ عَن قِبَلِهِمْ إِلَهٍ كَأُولَىٰ عَلَيْهَا﴾ (البقرة: ١٤٢)، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ (آل عمران: ١٢٨).

(٢) انظر تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٠٧)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ﴾ (المائدة: ٩٠).

الخمير والميسر، ولا يضرنا الجهل بعد ذلك بسبب النزول^(١).

وأحياناً يرجح بين روايات النزول، ويختار منها ما يوافق السياق^(٢)، وهذا أقل من الأول.

أما روايات سبب النزول عند ابن جرير في سورة التكويد، فأختار منها رواية واحدة، وهي:

"حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن سعيد بن عبد العزيز، عن سليمان بن موسى، قال: لما نزلت هذه الآية ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيرَ﴾ قال أبو جهل: الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (آية: ٢٩)"^(٣)، قلت: وإسناده صحيح إلى الراوي سليمان.

يلاحظ من هذه الرواية أحد أمرين: أولاهما: التعبير الصريح عن سبب النزول بقول الراوي: (فأنزل الله)، وثانيهما: أن الرواية مقطوعة^(٤) على تابعي التابعي وهو سليمان بن موسى^(٥)، وحكم الموقوف على تابعي التابعي أنه ضعيف لا يحتج به،

(١) جامع البيان، الطبري، (١٠/٥٧٤).

(٢) انظر تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ (البقرة: ٢٦)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيحَتَهُمْ﴾ (النساء: ٣٣)، وقوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ (المائدة: ١٠١).

(٣) جامع البيان، الطبري، (٢٤/٢٦٤).

(٤) وهذا رأي ابن حجر، انظر: نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، العسقلاني، أحمد بن علي، (٨٥٢هـ)، تحقيق: عصام الصبابي، دار الحديث، القاهرة، ط ٥، ١٤١٨هـ، (٤/٧٢٤)؛ الفصول في مصطلح حديث الرسول، الزاهدي، حافظ ثناء الله، (معاصر)، الجامعة الإسلامية، باكستان، د. ط، د. ت، (٦/١). وأما غيره فيرى أن يقال: موقوف على تابعي التابعي، انظر: الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، أبو شعبة، محمد محمد، (١٤٠٣هـ)، دار الفكر العربي، بيروت، د. ط، د. ت، (١/٢٠٥)؛ ندوة علوم الحديث (علوم وآفاق)، مجموعة من المؤلفين، د. ط، د. ن، د. ت، (٩/١١).

(٥) تهذيب التهذيب، العسقلاني، دائرة المعارف، الهند، ط ١، ١٣٢٦هـ، (٤/٢٢٦).

إلا إذا احتفت به قرائن تدل على رفعه، فحيث يأخذ حكم المرفوع^(١)، وقد وُجد لهذا الحديث رواية مرفوعة من طريق أخرى تؤيده وترفعه، وهي:

حدثنا محمد بن مصفى، حدثنا بقية، حدثني عمر بن محمد، عن زيد بن أسلم، عن أبي هريرة، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: وذكر الحديث^(٢). قلتُ: وإسناده صحيح.

وأما ابن كثير فاكتفى بطريق واحدة منها، مروية أيضاً عن سليمان بن موسى، وهذه الرواية مأخوذة من تفسير ابن جرير، ولم يعلق عليها شيئاً.

قلتُ: في هذه الروايات عدة فوائد، منها:

١- تعدد الطرق المنتهية بالراوي سليمان بن موسى عند ابن جرير يشعر بأن هذه الطرق - ولو نزل بعضها إلى درجة الحسن^(٣) - فإنها ترتقي بمجموعها إلى درجة الصحة، وأن هذا المتن صحيح إلى قائله.

٢- اهتمام ابن جرير بتعدد الأسانيد بخلاف ابن كثير الذي اكتفى بإسناد واحد.

٣- عدم اهتمامهما بتخريج هذه الرواية، وعدم التعليق عليها، وخاصة من ابن كثير، يشعر بأحد أمرين: إما أنهما لم يبحثا في تخريج هذه الرواية، باعتبار أنها مقطوعة، ولا يتعلق بها حكم شرعي، أو جاءا بهذه الرواية من قبيل أنها صحيحة سنداً، ويستأنس به، لكنها ليست بحجة حتى يثبت وصلها، فلذلك سكتا عنها.

ولو تتبعنا منهج ابن كثير في أسباب النزول في غير هذه السورة، لوجدنا له في

(١) المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، ابن جماعة، محمد بن إبراهيم، (٧٣٣هـ)، تحقيق: د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار الفكر العربي، دمشق، ط ٢، ١٤٠٦هـ، (١/ ٤٦)؛ التقريرات السننية شرح المنظومة البيقونية، المالكي، حسن محمد، (١٣٩٩هـ)، تحقيق: د. فواز زمزلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤، ١٤١٧هـ، (١/ ٢١).

(٢) القدر، الفريابي، جعفر بن محمد، (٣٠١هـ)، تحقيق: د. عبد الله المنصور، أضواء السلف، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ، (١/ ٢٣٥).

(٣) وذلك لأن هناك رواية فيها ابن حميد، وهو مختلف فيه، انظر: تهذيب التهذيب، العسقلاني، (١٢٩/٩).

ذلك عدة أوجه، منها:

أولاً: موافقته لابن جرير، وتصريحه بذلك في اختيار الرواية المناسبة لسبب النزول، ومثال ذلك قوله: "وقد اختار ابن جرير ما حكاه السدي؛ لأنه أمسُ بالسورة، وهو مناسب، ومعنى الآية: أنه تعالى أخبر أنه لا يستحي، أي: لا يستنكف" (١).

ثانياً: نقده لروايات سبب النزول سنداً ومتناً في الغالب الأعم (٢).

ومثال ما جاء في نقده للروايات سنداً، وبيان تخريج الأحاديث، دون محاولة للترجيح بين هذه الأقوال في أسباب النزول في تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٩٨)، فإنه ذكر سببين للنزول ولم يرجح بينهما (٣).

ومثال نقده على المتن قوله: "وهذا يقوي -وهي آية- ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ (المائدة: ٤٥) -أن سبب النزول قضية القصاص". وقوله: "فإن هذه القصة مكية، ونزول هذه الآية مدنية، فلعله أراد أنها (أنزلت) تعم حكمه مع غيره" (٤).

ثالثاً: التأكيد على موضوع عموم اللفظ في سبب النزول، ومثال ذلك قوله في هذه الآية: ﴿وَمَنْ يُؤْلَهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ﴾ (الأنفال: ١٦)، إنما أنزلت في أهل بدر، وهذا كله لا ينفي أن يكون الفرار من الزحف حراماً على غير أهل بدر، وإن كان سبب النزول فيهم" (٥)، وقوله في موطن آخر: "وليس فيه أن الحكم خاص بها، وإنما

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (١/ ٢٠٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢/ ٣٩٢)، (٨/ ٣٦)، (٢/ ١٨٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (١/ ٣٤١)، وانظر أيضاً: (٣/ ١٨٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣/ ١١٩).

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤/ ٣٠).

فيه أنها سبب النزول دون غيرها، وإن كان الحكم يعمها غيرها^(١).
رابعاً: احتمالية خصوص السبب دون العموم في بعض روايات سبب النزول،
وبيان مرجوحية هذا القول، ومثال ذلك قوله في هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣): "وهذا نص في
دخول أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- في أهل البيت هاهنا؛ لأنهم سبب نزول
هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً، إما وحده على قول أو مع غيره على
الصحيح^(٢). قلت: والظاهر أنها خاصة في أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن
الآيات التي سبقتها تحدثت عن الأجر المضاعف لمن أطاع منهم، والعقوبة
المضاعفة لمن خالف الأمر منهم، وهذا لا خلاف فيه أنه واقع عليهن، ولا ينطبق
على غيرهن، فالأمر خاص وليس عاماً، والله أعلم.
خامساً: عدم نقده لرواية سبب النزول، وهذا في القليل النادر، كما مر معنا في
سورة التكويد.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٦/٣٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٦/٣٣).

المطلب الثاني: في الاستشهاد بالقرآن

ورد الاستشهاد عند ابن جرير بالقرآن، ومن ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا
الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، أن معنى الحشر هو الجمع، واستشهد بقوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ
مَحْشُورَةً﴾ (ص: ١٩)، وقوله تعالى: ﴿لَخَشْرَفَنَادَى﴾ (النازعات: ٢٣)^(١).

مثال آخر: ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أي: اشتعلت
ناراً، واستشهد بقوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ (الطور: ٦)، بأثر عن علي
-رضي الله عنه-، وبمعنى فاضت، واستشهد بالآية نفسها برواية عن الكلبي، وعلى
معنى انفجرت وسالت بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ (الانفطار: ٣)^(٢).

مثال آخر: ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ بأنهما الرجلان
يعملان العمل فيدخلان به الجنة، واستشهد بقوله تعالى: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا
وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ (الصافات: ٢٢)، وبقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾
(الواقعة: ٧)^(٣).

ومثال آخر: ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ (آية: ٢٢) أن
محمدًا ليس بمجنون فيتكلم عن جنة، ويهذي هذيان المجانين ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ
وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الصافات: ٣٧)^(٤).

ومن هنا يلاحظ أن كمية الاستشهاد بالقرآن معتدلة، وهي إلى القلة أقرب.
وأما ابن كثير فقد توسع في هذا الباب أكثر من ابن جرير، باستدلاله بنفس
استشهادات ابن جرير -ما عدا الأخير-، والزيادة عليها، ومثال هذه الزيادة: عند

(١) جامع البيان، الطبري، (٢٤/٢٤٢).

(٢) جامع البيان، الطبري، (٢٤/٢٤٣).

(٣) جامع البيان، الطبري، (٢٤/٢٤٦).

(٤) جامع البيان، الطبري، (٢٤/٢٥٩).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أي: جمعت، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أُمَّتَالِكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام: ٣٨)^(١).

ومثال آخر: عند تفسير قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْضِرَتْ﴾ (آية: ١٤)، واستشهد بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ (آل عمران: ٣٠)، وقوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (القيامة: ١٣)^(٢).
ومثال آخر: عند ترجيحه لمعنى (عسّس) بأنه أقبل، استدل بقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۖ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ (الليل: ١-٢)، وغشيان الليل وظلمته تكون عند إقباله، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۖ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ (الضحى: ١-٢)، وقوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْأَصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ (الأنعام: ٩٦) وغير ذلك من الآيات.

ومثال آخر: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ (آية: ٢٣) استشهد بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ (النجم: ٧-٨)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (النجم: ١٣)^(٣).

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/ ٣٣١).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/ ٣٣٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/ ٣٣٩).

المطلب الثالث: في الاستشهاد بالسنة النبوية

لم يرو ابن جرير إلا روايتين عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في سورة التكويد، ولعل هذا -وهو قلة استشهاده بالسنة- منهج مطرد عنده في أسانيده، والذي يلاحظ في أكثر الروايات توقفها على الصحابي أو التابعي في الغالب الأعم، ولعل السبب في ذلك أن من أقوال الصحابة ما يأخذ حكم المرفوع إذا كان لا مجال للاجتهاد فيه^(١)، وخاصة في الأمور الغيبية، أو لعله كان تحرراً من رواية الأحاديث مرفوعة؛ لأنه جاء فيها الوعيد الشديد^(٢)، ولأن ابن جرير لا يتحقق من الأسانيد غالباً، على اعتبار أن من أسندك فقد أحالك، وهذا المنهج لا يصح في الحديث المرفوع.

أما الرواية الأولى: "حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: جاء قيس بن عاصم التميمي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني وأدت ثمانى بنات في الجاهلية، قال: "فَأَعْتَقْ عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ بَدَنَةً"^(٣). قلت: وإسناده صحيح؛ لأن رجاله ثقات.

وأما الرواية الثانية: "حدثني محمد بن خلف، قال: ثنا محمد بن الصباح الدولابي، عن الوليد، عن سماك، عن النعمان بن بشير، عن النبي صلى الله عليه وسلم، والنعمان عن عمر قال: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: الضرباء كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله"^(٤). قلت: وإسناده ضعيف؛ لأن فيه الوليد بن مسلم،

(١) النكت على مقدمة ابن الصلاح محمد بن عبد الله الزركشي، (٧٩٤هـ)، تحقيق: د. زين العابدين بلا فريج، أضواء السلف، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ، (١/٤٢١).

(٢) وهو حديث: (من كذب على النبي -صلى الله عليه وسلم-، رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي -صلى الله عليه وسلم-، رقم الحديث: ١٠٧، (١/٣٣). ورواه مسلم في صحيحه، في مقدمته، باب التحذير من الكذب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، رقم الحديث: ٣، (١/١٠).

(٣) جامع البيان، الطبري، (٢٤/٢٤٨).

(٤) جامع البيان، الطبري، (٢٤/٢٤٥).

وهو ثقة، لكنه كثير التدليس والتسوية، وقد جاءت هذه الرواية عنه معنعة^(١). وعلى هذا فابن جرير متحرز من رواية الحديث المرفوع، حتى لا يقع في المحذور ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وذلك بالإكثار من روايات الصحابة والتابعين على حساب المرفوع، فإنه أقل منهما، ومع ذلك فإن تفسيره لم يظهر لنا مدى علمه التطبيقي بأحوال الرجال والحكم على الأحاديث المرفوعة أو الموقوفة والمقطوعة إلا نادراً.

أما عند ابن كثير فوجدت عنده ما يقارب أربعة عشر حديثاً مرفوعاً للنبي - صلى الله عليه وسلم -، وهذا عدد كبير بالنسبة لابن جرير، ولعل السبب في ذلك كثرة الكتب المسندة في زمانه، مما أراحه من عناء جمع الأسانيد، وتفرغه للنظر في علم الرجال، ثم الحكم على تلك الأحاديث^(٢).

ومن ذلك^(٣): المثال الأول: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن علقمة وأبي الأحوص، عن ابن مسعود قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الوائدة والموءودة في النار"^(٤). قلت: وإسناده حسن.

وقال أحمد أيضاً: حدثنا إسحاق الأزرق، أخبرنا عوف، حدثني حسناء ابنة معاوية الصريمية، عن عمها قال: قلت: يا رسول الله، من في الجنة؟ قال: "النبي في

(١) انظر: تقريب التهذيب، العسقلاني، أحمد بن علي، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط ١، ١٤٠٦ هـ، (١/٥٨٤).

(٢) وقد مر ذكر شيء من هذه الأحاديث في موضوع (نقله من الكتب المسندة) في هذا البحث، فليراجع هناك.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/٣٢٩).

(٤) وقد روي الحديث من طرق أخرى، انظر: سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، كتاب السنة، باب في ذراري المشركين، رقم الحديث: ٤٧١٧، (٤/٢٣٠)؛ وصحيح ابن حبان، محمد بن حبان، (٣٥٤ هـ)، باب صفة النار وأهلها، ذكر خبر قد يوهم غير المتبحر في صناعة العلم أن الموءودة لا محالة في النار، رقم الحديث: ٧٤٨٠، (١٦/٥٢٢).

الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة والموءودة في الجنة" (١).

وهذان الحديثان لم يعلق عليهما ابن كثير باعتبار أنها مخرجة في الكتب المسندة؛ ولأنه سبق تخريجهما من طريق أخرى في موضع سابق في سورة الإسراء، عند قوله تعالى: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ﴾ (الآية: ١٥) (٢).

المطلب الرابع: في الاستشهاد بأقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم

روايات الصحابة والتابعين وتابعيهم كانت هي العمدة في هذين التفسيرين، ولا غرو في ذلك، فالصحابه والتابعون أعلم الناس بالقرآن والسنة ولغة العرب، والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى، فأما ابن جرير فكان موقفه من أقوال الصحابة والتابعين ما يأتي:

أولاً: كان يعظم قولهم، ويقدمه على غيره ممن جاء بعدهم، ومثال ذلك قوله: "ولا يعارض بالقول الشاذ ما استفاض به القول من الصحابة والتابعين" (٣)، وقوله: "وأما أهل التأويل من الصحابة والتابعين فإنهم يقولون-عن الطلح-: إنه هو الموز" (٤).

ثانياً: كان يقدّر الإجماع الصادر من الصحابة والتابعين، ومن ذلك قوله: "وذلك تأويلٌ يكفي من الشهادة على خطئه خلافة قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين" (٥)، وقوله: "وذلك قولٌ خلافاً لقول جميع أهل التأويل من الصحابة والتابعين، وحسب قولٍ خطأ أن يكون خلافاً لقول من ذكرنا" (٦)، وقوله: "بل إن

(١) قال عنه الأرناؤوط: إسناده ضعيف لجهالة حسناء، انظر: مسند أحمد، ابن حنبل، مسند البصريين، حديث رجال من الأنصار، رقم الحديث: ٢٠٥٨٠، (٣٤/١٩٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥/٦٠).

(٣) جامع البيان، الطبري، (٥/٢٧٦).

(٤) جامع البيان، الطبري، (٢٣/١١٢).

(٥) جامع البيان، الطبري، (١٦/١٣٢).

(٦) جامع البيان، الطبري، (١٣/١١٤).

القول الذي يخرج عنهم- عن الصحابة والتابعين- خطأ فاسد^(١).

ثالثاً: وإذا حصل تعارض بين قول الصحابة والتابعين وبين قول الخالفين، وكان قول الخالفين له وجه قوي، فإنه يقدّم قول الصحابة والتابعين في كل حال، فمن ذلك قوله: "ولهذا الذي قاله- الخالفون- مذهب قوي، لولا أن أهل التأويل من الصحابة والتابعين على خلافه، وغير جائز لأحد خلافهم فيما كانوا عليه مجمعين"^(٢)، بل إن ابن جرير صرح بأنه لا يستجيز الخلاف الخارج عن قول الصحابة والتابعين- فيما أجمعوا عليه-، ولو كان له وجه في لغة العرب^(٣).

رابعاً: ولا يعني هذا أنه لا يقدّر كلام أهل العلم ممن جاء بعدهم، وشاهد ذلك أن الإجماع عنده غير منحصر في زمن الصحابة والتابعين، بل يتعداهم، فمن ذلك قوله: "الإجماع المعتقد به هو ما كان من الصحابة والتابعين ومن بعدهم"^(٤)، وقوله: "وكفى بخروجه عن قول أهل العلم من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الخالفين على خطئه شاهداً"^(٥).

خامساً: وإذا حصل تعارض بين قول جماعة من الصحابة والتابعين، وبين قول صحابي أو تابعي، فإنه يقدّم قول الجماعة على قول الواحد، ولو كان من أفقه الناس، فمن ذلك قوله: "وأما القول الذي رواه مجاهد عن ابن عباس، فقول غير بعيد عن الصواب، ولكن الأخبار المتظاهرة عن الصحابة والتابعين بخلافه، وكرهنا القول به من أجل ذلك"^(٦).

وأما ابن كثير فإنه عدّ تفسير الصحابة والتابعين أحسن طرق التفسير بعد تفسير

(١) جامع البيان، الطبري، (١/٢٢١)، (٢/٤٣٦).

(٢) جامع البيان، الطبري، (٢٤/٣٨٦).

(٣) جامع البيان، الطبري، (١٨/٢٨٨).

(٤) جامع البيان، الطبري، (١٤/٥٨١)، (١/١٦٩).

(٥) جامع البيان، الطبري، (٨/٤٤٤).

(٦) جامع البيان، الطبري، (١١/١١٢).

القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة^(١)، فهو يعتدّ بالإجماع الوارد عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة^(٢)، ويعتدّ بقول الجماعة من الصحابة والتابعين وأئمة الخلف^(٣)، ويرجحه على غيره مستنداً على الدليل^(٤)، ويعتدّ بالخلاف الوارد بين الصحابة والتابعين^(٥)، ولعل أبرز ما يميز ابن كثير عن ابن جرير في هذا الموضوع مناقشة الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين، وبيان مدى صحتها أو ضعفها، وأن منها ما هو صحيح ومقبول، ومنها ما هو منكر وموضوع^(٦)، ويتراضى عن الصحابة والتابعين، ويظهر أن الحق هو ما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين^(٧). والملاحظ عند المفسرين أن روايات التابعين كانت أكثر من روايات الصحابة وأتباع التابعين، ولعل السبب في ذلك، أن الصحابة كان يغلب عليهم التقليل من الرواية، إما ورعاً وتخوفاً، وإما انشغالاً بأحكام الشريعة ومسائل الدين، وأما أتباع التابعين فلانتشار التأليف والاعتماد على الكتب المسندة بعد ذلك^(٨)، ومن الأمثلة على ذلك في سورة التكويد:

رواية الصحابي معلقة قوله: "وكما قال الصديق، رضي الله عنه، لوفد بني حنيفة حين قدموا مسلمين، وأمرهم فتلوا عليه شيئاً من قرآن مسيلمة الذي هو في غاية الهذيان والركاكة، فقال: ويحكم، أين يذهب بعقولكم؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إل، أي: من إله، وهذا التعليق مسند عن ابن قتيبة^(٩).

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/١).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢/٢٥٣)، (٨/٢٨٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (١/١٠١)، (١/١١٧)، (١/١٣٤)، (١/٣٦٧)، (٢/٤٨٧)، (٧/٢٤٩).

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (١/٥٠٤).

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (١/٥٠٣).

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (١/٣٥٥).

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥/٤٥٧)، (٦/٣١٧).

(٨) التفسير والمفسرون الذهبي، (١/٩٧).

(٩) أعلام النبوة، الماوردي، علي بن محمد، (٤٥٠هـ)، مكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ، (١/٨٨).

ومثال رواية التابعي معلقة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنْفِلَتْ﴾ ، قال الربيع ابن خثيم، أي: قربت إلى أهلها. وهذه الرواية موجودة سندها عند ابن جرير.

ومثال رواية تابع التابعي مسندة ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُكِّتْ﴾ أي: سألت. وهذا الإسناد موجود عند ابن أبي حاتم^(١).

ومثال آخر لرواية تابع التابعي بسنده: قال سفيان الثوري، عن سعيد بن عبد العزيز، عن سليمان بن موسى: لما نزلت هذه الآية: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيرَ﴾ قال أبو جهل: الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم. فأنزل الله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. وهذه الرواية مروية عند ابن جرير.

ومثال رواية تابع التابعي معلقة: قال سفيان بن عيينة: ظنين وضنين سواء، أي: ما هو بكاذب، وما هو بفاجر. ولم أقف له على إسناد، فلعلها منقطعة.

وبعد الرجوع إلى سورة التكوين يتبين لنا هذا الأمر على النحو الآتي:

من الصحابة الذين روى لهم ابن جرير: ابن عباس، وعلي بن أبي طالب، وأبي ابن كعب، وعمر بن الخطاب، والنعمان بن بشير، وعبد الله بن مسعود.

ومن التابعين الذين روى لهم ابن جرير: مجاهد، وقتادة، وسعيد بن المسيب، وأبو صالح السمان، والربيع بن خثيم، وأبو العالية، والحسن البصري، وعكرمة، والكلبي، والشعبي، وأسلم مولى عمر بن الخطاب، وأبو الضحى مسلم بن صبيح، وأبو الشعثاء جابر بن زيد، وسعيد بن جبير، وشمر بن عطية، وزر بن حبيش، وعامر ابن سعد بن أبي وقاص.

ومن أتباع التابعين الذين روى لهم ابن جرير: الضحاك بن مزاحم، وعلي بن أبي طلحة، وإسماعيل بن أبي خالد، وأسامة ابن زيد، وميمون ابن مهران، وأبو

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (١٠/٣٤٠٢).

الأحوص، وسفيان الثوري، وسليمان بن موسى.

ومن الصحابة الذين روى لهم ابن كثير: عبد الله بن عمر، وابن عباس، وأنس ابن مالك، وأبو هريرة، وعلي بن أبي طالب، والنعمان بن بشير، وجدامة بن وهب، وسلمة بن يزيد الجعفي، وعبد الله بن مسعود، وعم الحسناء بنت معاوية الصريمية، وعمر بن الخطاب، وعمرو بن حريث، وعائشة، وأبو بكر الصديق-رضي الله عنهم-أجمعين.

ومن التابعين الذين روى لهم ابن كثير: العوفي، ومجاهد، وقتادة، وسعيد بن جبير، وزيد بن أسلم، وأبو صالح السمان، وعامر الشعبي، والربيع بن خثيم، والسدي، وعكرمة، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري، وأسلم مولى عمر بن الخطاب، والربيع بن أنس.

ومن أتباع التابعين الذين روى لهم ابن كثير: سفيان بن عيينة، وسليمان بن موسى، والضحاك، وعلي بن أبي طلحة.

المطلب الخامس: في الاستشهاد بكلام العرب

كان للغة العربية نصيب في الاستدلال على معنى الآية للتفسيرين كليهما، ويتمثل ذلك في الصور الآتية:

أولاً: في الترجيح وبالمشهور من اللغة.

فجُلُّ ترجيحات ابن جرير كانت مبنية على اللغة، فمن ذلك: ما جاء في تفسير (سجرت) بأنها امتلأت وفاضت، قوله: (والعرب تقول للنهر أو للركي^(١) المملوء: ماء مسجور، ومنه قول لبيد - في معلقته -^(٢): فتوسطا عرض السري وصدعا ... مسجورة متجاوزا قلامها (وليس معناه أشعلت وأوقدت ناراً، وإن زعموا ذلك التسجير في كلام العرب)^(٣).

ومثال ذلك أيضاً ما جاء في تفسير (حشرت) بأنها جمعت ابتداء وليس أميتت؛ لأن المعروف في كلام العرب من معنى الحشر: الجمع، ومنه قول الله: ﴿وَالظَّيَرِ مَحْشُورَةً﴾ يعني: مجموعة^(٤).

وبلاحظ في هذا المثال أخذه بالمشهور من كلام العرب، وتركه للمهجور. وأما ابن كثير فقد كان ناقلاً لترجيح ابن جرير في تفسير (حشرت) بأنها جُمِعت^(٥)، بتصريحه لذلك النقل.

(١) الركي: يراد بها هنا البئر المحفورة. انظر: العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (١٧٠ هـ)، تحقيق: د.

مهدي المخزومي وآخر، دار الهلال، بيروت، د. ط، د. ت، (٤٠٢/٥)

(٢) انظر: جمهرة أشعار العرب، القرشي، محمد بن أبي الخطاب، (١٧٠ هـ)، تحقيق: علي البجادي، نهضة مصر، القاهرة، د. ط، د. ت، (٢٥٠/١).

(٣) جامع البيان، الطبري، (٢٤٢/٢٤)، (٢٤٣/٢٤).

(٤) جامع البيان، الطبري، (٢٤٢/٢٤).

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣٣١/٨).

ومثال آخر عند تفسير (عسّس)، رجّح بأن معناها أدبر، واستدل بقوله: " وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن (عسّس): دنا من أوله وأظلم، قال الفراء: كان أبو البلاد النحوي ينشد بيتا:

عسّس حتى لو يشاء إدنا ... كان له من ضوئه مقبس ...^(١)

ومن هنا يلاحظ على ابن كثير إقلاقه من الاستدلال بكلام العرب مقارنة مع ابن جرير، الذي بنى جُلّ ترجيحاته على كلام العرب.

ثانياً: في الاستشهاد بأبيات الشعر.

ظهر تضلع ابن جرير بالشعر القديم، وعلمه الغزير بالشعر الجاهلي والإسلامي وخاصة في العصر الأموي والعباسي^(٢)، وتميزه في استحضر الأبيات الدالة على تفسيره، فمن ذلك:

- جواز أن يراد بقراءة (سألت بأي ذنب قتلت) الوجهان على الحكاية، أي: المؤودة سألت، وسئلت، واستدل بقول عنتره -وهو شاعر جاهلي-:

الشاتميّ عرضي ولم أشتمهما ... والناذرّين إذا لقيتهما دمي

وكذلك قول الآخر: رجلان من ضبة أخبرانا ... أنا رأينا رجلاً عريانا

فحكى عنتره قولهما في شعره، ويجوز فيه الوجهان: إخبار عنتره عن نفسه (عرضي)، والثاني: إخباره عن نفسه بالغائب (عرضه)، كما يقال: قال عبد الله: بأي ذنب ضرب^(٣).

ومثال آخر: استدلاله على أن المراد بـ(الكنس) هي المواضع التي تأوي إليها

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/ ٣٣٨). وبعضهم يرى أن هذا البيت مصنوع، انظر: لسان العرب، ابن منظور، (٦/ ١٣٩).

(٢) استشهد أيضاً الطبري بأبيات لحسان بن ثابت، انظر: جامع البيان، الطبري، (١/ ٣٦٨)، (١/ ٤٠٤)، (٢/ ٤١١)، (٢/ ٤٩٦).

(٣) جامع البيان، الطبري، (٢٤/ ٢٤٧). وانظر البيتين عند القرشي، جمهرة أشعار العرب، (١/ ٣٧٣).

بقر الوحش والظباء، كما قال الأعشى - وهو شاعر جاهلي - :
 فلما لحقنا الحي أتلع أنس ... كما أتلت تحت المكناس ربرب^(١)
 وقول طرفة بن العبد - شاعر جاهلي - :
 كأن كناسي ضالة يكتفانها ... وأطر قسي تحت صلب مؤيد^(٢)
 وأما استدلاله على أن الكناس للظباء، فقول أوس بن حجر - شاعر جاهلي - :
 ألم تر أن الله أنزل مزنة ... وعفر الظباء في الكناس تقمّع^(٣)
 ومثال آخر: استدلاله بأن معنى (عسعس) بمعنى (سعسع) واردة في كلام
 العرب، بقول رؤبة بن العجاج - شاعر أموي وعباسي - (مخضرم)^(٤) :
 يا هند ما أسرع ما تسعسعا ... ولو رجا تبع الصبا تتبعا
 واستدلاله على (عسعس) بقول علقمة بن قرط - راجز إسلامي -^(٥) :

- (١) أتلع أنس: رفع الطيب النفس رأسه، والمكناس: جمع مكنس، موضع بيات الوحش، والربرب: قطع
 بقر الوحش. والمعنى: لما وصلت الحي تطلع الفتيات ينظرن إلي وقد تطاولت أعناقهن، كأنهن قطع
 من البقر الوحشي وقد مد الرقاب. انظر: ديوان الأعشى، أعشى بن قيس، تحقيق: عمر الطباع، دار
 القلم، بيروت، د. ط، د. ت، (١/ ٢٢).
- (٢) والكناسي مشي كناس، ذلك أن الثور يتخذ كناسين، لظل الغداة، وفيء العشي. والضال: السدر البري.
 ويكتفانها: يظلائها. والأطر: العطف، ومعنى البيت: أنه شبه إبطيها بيتين من بيوت الوحش لسعته،
 وشبه أضلاعها بقسي معطوفة تحت صلب قوي. انظر: مختار الشعر الجاهلي، السقا، مصطفى،
 (معاصر)، (مطبعة الحلبي، القاهرة، ط ١، ١٩٢٩ م، ص ٣١٢. وانظر: جمهرة أشعار العرب،
 القرشي، (١/ ٣١٢).
- (٣) وعفر الظباء: إذا خالط بياضها حمرة، وتقمع: تطرد الذباب عن وجهها وأنفها، انظر: إصلاح المنطق،
 ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق، (٢٤٤ هـ)، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث، بيروت، ط ١،
 ٢٠٠٢ م، (١/ ٣٨). وانظر: ديوان أوس بن حجر. تحقيق: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت،
 د. ط، د. ت، ص ٥٧.
- (٤) انظر: مجموعة أشعار العرب، وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج. تحقيق: وليم بن الورد
 البروسي، دار ابن قتيبة، الكويت، د. ط، د. ت، ص ٨٨.
- (٥) وبعضهم عد اسم (علقمة) وليس (علقمة)، انظر: الأزمدة وتلبية الجاهلية، قطرب، محمد بن المستنير،
 (٢٠٦ هـ)، تحقيق: د. حاتم الضامن، دار الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٥ م، (١/ ٥٢).

حتى إذا الصبح لها تنفسا ... وانجاب عنها ليلها وعسعا
واستدلّاه على أن المراد بـ(عسعس) دنا من أوله وأظلم، بقول أبي البلاد
النحوي- شاعر أموي^(١):

عسعس حتى لو يشاء إدنا ... كان له من ضوئه مقبس^(٢)
وفي المقابل، فإن ابن كثير لم يذكر من هذه الآيات إلا آخر بيتين نقلًا عن ابن
جرير، وهذا يدل على إقلال ابن كثير باستشهاده للشعر، وعدم إتيانه بالجديد فيه.

ثالثًا: في التعليل اللغوي.

وجد عند ابن جرير حسّه المرهف في فهم المفردة القرآنية، وتمييزها عن
غيرها، فمن ذلك عند قوله تعالى: ﴿أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ ولم يقل منشورة،
وأجاب عن هذا بأن التشديد في (منشّرة) و(نشرت) يفيد الخبر عن جماعة، وأما
التخفيف فيكون الخبر عن الواحد، كما يقال: هذه كباش مذبّحة، ولو أخبر عن
الواحد لقل مذبوحة، فكذلك قوله منشورة، ونشرت^(٣).

ومثال آخر: قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ تَذْهَبُونَ﴾ ولم يقل: فإلى أين تذهبون، على
معنى إلغاء الصفة، والمعنى: تعدلون، وأنشد بعض بني عقيل:
تصبح بنا حنيفة إذ رأتنا وأيّ الأرض تذهب للصياح^(٤)
وأما ابن كثير فلم أعثر له على تعليل لغوي في سبب اختيار هذه الكلمة دون
غيرها، ولعل السبب في ذلك اهتمامه الشديد بعلوم الحديث وتضلعه فيها.

(١) المعارف، ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، (٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية
للكتاب، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٢م، (١/ ٥٤١).

(٢) جامع البيان، الطبري، (٢٤/ ٢٥٧)، وقد مرّ عزوه.

(٣) جامع البيان، الطبري، (٢٤/ ٢٩٤).

(٤) جامع البيان، الطبري، (٢٤/ ٢٦٣). والبيت غير معروف قائله، انظر: إصلاح المنطق، ابن السكيت،
(١/ ٧٠).

رابعاً: في التوجيه الإعرابي.

لم يكن ابن جرير من المهتمين بإعراب الآية كأبي حيان والسمين الحلبي، إلا إذا كان الإعراب يخدم الآية ويعين على فهمها، على اعتبار أن الإعراب فرع المعنى، ومن ذلك: المثال الأول: وقوله تعالى: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتَ﴾ جواب لقوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾^(١)، ومقصوده أن (إذا) الشرطية تأخذ فعل شرط وجوابه، أما فعلها فهو كورت، وأما جوابه فهو (علمت).

المثال الثاني: قوله في لام ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيرَ﴾ أنها للبدل من لام ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، فيصبح المعنى: إن هو إلا ذكر لمن شاء منكم أن يستقيم^(٢).

في حين لم أجد لابن كثير ذكراً لإعراب أي آية من سورة التكويد، وهذا يدل على إقلاله من التوجيه الإعرابي - إن وجد -.

وقد وجد لابن جرير اهتمام في إعراب الآية إذا كان لها أكثر من مذهب، وخاصة فيما يتعلق بمدرسة الكوفيين والبصريين، فإنه يذكر هذا الخلاف، ويبين ترجيحه فيها، ومثال ذلك من غير سورة التكويد في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ (البقرة: ٥٨)، قوله: "فقال بعض نحويي البصرة: رفعت "الحطة" بمعنى "قولوا" ليكن منك حطة لذنوبنا، كما تقول للرجل: سَمْعُكَ.

وقال بعض نحويي الكوفيين: رفعت "الحطة" بضمير "هذه"، كأنه قال: وقولوا: "هذه" حطة، ثم رجح أن يكون رفع "حطة" بنية خبر محذوف قد دل عليه ظاهر التلاوة، وهو دخولنا الباب سجدا حطة^(٣).

(١) جامع البيان، الطبري، (٢٤/٢٥١).

(٢) جامع البيان، الطبري، (٢٤/٢٦٣).

(٣) جامع البيان، الطبري، (٢/١٠٧)، وانظر للاستزادة، (٢/٣٤٠)، (٢/٤٠٠)، (٢/٤٩٢).

وأما ابن كثير فإنه غير مهتم بالمذاهب النحوية، وإن نقل عنهم فعن طريق ابن جرير، ومثال ذلك قوله: "وحكى ابن جرير عن نحاة البصرة أن الربيبين هم الذين يعبدون الرب، عز وجل"^(١).

المطلب السادس: في قواعد التفسير والترجيح

إذا كان ابن جرير اشتهر بالأسانيد، فأستطيع القول إنه المؤسس لقواعد التفسير وأركانه، ومثال ذلك قوله: "وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب الظاهر من تأويله، لا على الأنكر المجهول" بناء على أن تفسير الحشر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْحُوشُ حُشِرَتْ﴾ يراد به الجمع ويراد به الموت، والقولان كلاهما محمولان على الغالب الظاهر، ولا مانع من أن نأخذ بالمعنيين في تفسير الآية، فيصبح المعنى: وإذا الوحوش جمعت فأميتت.

ومثال آخر: في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ۖ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ أنه إذا كان المعنى موجوداً عند العرب، وغير منكر حمل الآية على أحد الأقوال، ولم يكن في الآية دلالة واضحة على أن المراد بذلك النجوم دون البقر، ولا البقر دون الأطباء، فالصواب أن يعم بذلك كل ما كانت صفته الخنوس أحياناً والجري أخرى"^(٢).

ومقصود كلامه أن الأقوال المحتملة لتفسير الآية والموافقة لكلام العرب، وغير متعارضة مع بعضها، فالأصل الأخذ بالعموم، أي: بجميع الأقوال.

ومثال آخر بناء على نفس القاعدة: عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قوله: والتكويد في كلام العرب: جمع بعض الشيء إلى بعض، وذلك

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢/ ١٣١)، وانظر أيضاً للاستزادة، (٣/ ٣٦٤)، (٧/ ٢٣١).

(٢) جامع البيان، الطبري، (٢٤/ ٢٥٥).

كتكوير العمامة، وكذلك لفها والرمي بها، وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها، وكلا الأقوال له وجه صحيح في التأويل^(١).

ومثال آخر: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾، وأن (عسعس) في كلام العرب تحتل معنيين: الإقبال والإدبار، إلا أن سياق الآيات يرجح معنى الإدبار دون الإقبال، لقوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾، أي: إذا أقبل، ويقابل إقبال الصباح إدبار الليل، فيكون معنى الإدبار لـ (عسعس) هو المتعين^(٢).

ومثال آخر: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، فرجح أن معناه القرناء والأمثال في الخير والشر، لقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (الواقعة: ٧)، و﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجُهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (الصفات: ٢٢)، واختاره عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه^(٣).

وهذا معناه أن ابن جرير يرجح معنى على معنى بناء على وجود آيات تدعم القول الراجح، ولو كان المرجوح محتملاً، وله سند من أقوال التابعين - كعكرمة وتابعيهم - كالشعبي -.

أما ابن كثير فقد كان ناقلاً لترجيحات ابن جرير أحياناً دون تعليق، ومن ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، قال ابن جرير: والصواب من القول عندنا في ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه إلى بعض، ومنه تكوير العمامة وهو لفها على الرأس، وكتكوير الكارة^(٤)، وهي جمع الثياب بعضها إلى بعض، فمعنى قوله: (كورت) جمع بعضها إلى بعض، ثم لفت فرمى بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها^(٥).

(١) امع البيان، الطبري، (٢٤/٢٣٨-٢٣٩).

(٢) جامع البيان، الطبري، (٢٤/٢٥٧).

(٣) جامع البيان، الطبري، (٢٤/٢٤٦).

(٤) الكارة: التي يشدها الرجل على ظهره، وفيها ثيابه. انظر: جمهرة اللغة، ابن دريد، محمد بن الحسن، (٣١٢ هـ)، تحقيق: رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٧ م، (٢/١١٥٧).

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/٣٢٨).

وأحياناً يذكر ترجيح ابن جرير ويصححه، ومن ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ أن المراد بها الأمثال من الناس، ثم قال: "واختاره ابن جرير، وهو الصحيح"^(١)، ومعناه أن غيره ليس بصحيح.

وأحياناً ينقل الأقوال الكثيرة، ويؤكد ترجيحه لقول القائل، ومثل ذلك في نقله من القرطبي في معنى (العشار)، فقد قيل: إنها السحاب يعطل عن المسير، وقيل: الأرض التي تعثر، وقيل: الديار تعطل لذهاب أهلها، ورجح القرطبي الإبل، وأكد ابن كثير الرأي الأخير بقوله: "بل لا يعرف عن السلف والأئمة سواه"^(٢).

ومن هنا يظهر تميز ابن كثير في ترجيحه بناء على جمعه للآيات التي تحدثت عن الليل والنهار، واستخراج المعنى الراجح في المسألة بكل دقة.

وأحياناً يخالف ابن جرير في ترجيحه، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ "وعندي أن المراد بقوله: (عسس) إذا أقبل، وإن كان يصح استعماله في الإدبار، لكن الإقبال هاهنا أنسب؛ كأنه أقسم تعالى بالليل وظلامه إذا أقبل، وبالفجر وضياهه إذا أشرق، كما قال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ ① ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ ② (الليل: ١، ٢)، وقال: ﴿وَالضُّحَى﴾ ③ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ (الضحى: ١، ٢)"^(٣).

وأخلص من هذا أن الإمامين كانا علميين في وضع وتطبيق بعض قواعد التفسير وترجيحه، وبالأخص على الآيات ذات المعاني المتعددة.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/٨ / ٣٣٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/٨ / ٣٣١).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/٨ / ٣٣٨).

المطلب السابع: في القراءات ونسبتها وضوابط اعتمادها

اعتنى ابن جرير بالقراءات المتواترة والشاذة فيما يتعلق بتغيير بنية الكلمة أو الحركة فقط، أما من حيث اختلاف القراءة في الأداء كالممدود والإمالات والتفخيمات والترقيقات والإدغامات واختلافهم في عدّ الآي فلم يتطرق إليه، ويظهر هذا جلياً في كل آية لها أكثر من قراءة، فقد كان همّه في القراءات حشد أكبر قدر منها يؤدي إلى إعطاء معنى جديد في التفسير، فلم يفوّت قراءة معتبرة أو ضعيفة، بأن ينسبها لقراء بلدها، أو لأحد قرائها المشهورين بها، ولعل هذا هو منهجه في كتابه كله، ويذكر أيضاً ضابط اعتماد القراءة، ومنها: إجماع الحجة عليها، وأنها قراءة العامة، وموافقتها لرسم المصحف، إلا أنه يؤخذ عليه ترجيح قراءة متواترة على مثلها للضوابط التي سبق ذكرها.

وأما ابن كثير فقد كان مقلاً في القراءات، ولم يكن همه ذكر الخلاف في القراءات، وإن ذكر فباختصار واقتضاب دون أن ينسب القراءة لقراء الأمصار من الكوفيين أو البصريين وغيرهم على الغالب، ولم يرد عنه ترجيح قراءة متواترة على أخرى مثلها، وهذا يحمد له.

ومن أمثلة ذلك: المثال الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (آية: ٦).
أورد فيها ابن جرير قراءتين، الأولى (سجّرت) بالتشديد، وهي قراءة عامة قراء المدينة والكوفة، والثانية: (سجّرت) بالتخفيف، وهي قراءة قراء البصرة^(١).
وأما ضابط صحتها واعتمادهما؛ فلأنهما قراءتان معروفتان متقاربتان في المعنى.
قلت: قرأ ورش من طريق الأزرق كلمة (سجّرت) بتشديد الجيم وترقيق الراء^(٢)، ومعلوم أن ترقيق

(١) جامع البيان، الطبري، (٢٤/٢٤٤).

(٢) الميسر في القراءات الأربع عشر، خاروف، محمد فهد، (معاصر)، مراجعة: محمد كريم راجح، دار =

الراء لا يعني ابن جرير؛ لأنه لا يؤدي إلى تغيير في المعنى.

وأما ابن كثير فقد ذكر فيها القراءتين دون نسبتها، الأولى بالتصريح بقوله: (سجرت) مخففة، والثانية بالتلميح بذكر معناها بقوله: (سجرت) بمعنى: أوقدت.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ﴾ (آية: ٨)

أورد فيها ابن جرير قراءة منسوبة لأبي الضحى مسلم بن صبيح، وهي: (سألت) بفتح السين، ولو قرئ بها كان لها وجه، وقرأ بعض عامة قراء الأمصار (سئلت) بضم السين، وهي الصواب عندنا.

وأما ضابط صوابها واعتمادها فلا جماع الحجة من القراء عليه^(١).

قلت: القراءة (سألت) شاذة لم تصح، ولعل مقصوده بـ (كان لها وجه) أي: وجه لغوي، أما القراءة بالشاذ فلا تصح في الصلاة.

وأما ابن كثير فلم يذكر فيها اختلافًا في القراءة، وإنما عبّر عن القراءة الصحيحة بقوله: (سئلت) قراءة الجمهور، وأما ما ورد من أبي الضحى من أن (سئلت) يقرؤها (سألت)، فاعتبره قولاً منسوباً إليه وليس قراءة^(٢)، وهو معنى معتبر.

أو قد يقال: إنه فسّر القراءة المتواترة بالشاذة، فقال: سئلت: أي: سألت.

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ (آية: ١٠)

أورد فيها ابن جرير قراءتين، الأولى قراءة عامة قراء المدينة بالتخفيف (نشرت)، والثانية قراءة بعض قراء مكة وعامة قراء الكوفة بالتشديد (نشرت)، وأما

الكلم الطيب، دمشق، ط ١، ١٤٢٠هـ، ص ٥٨٦. ولم أجد أحدًا من المتقدمين أشار إلى ترقيق الراء في (سجرت)، باعتبار أنها من أصول القراءات التي ينبغي لمتعلم القراءات معرفتها أولاً. وانظر مثلاً: العنوان في القراءات السبع، السرقسطي، إسماعيل بن خلف، (٤٥٥هـ)، تحقيق: زهير زاهد وآخر، عالم الكتب، بيروت، د. ط، ١٤٠٥هـ، (١/٦٢)، باب مذهب ورش في ترقيق الراء المفتوحة.

(١) جامع البيان، الطبري، (٢٤/٢٤٧-٢٤٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/٣٣٣).

ضابط اعتماده للقراءتين؛ فلأن كليهما قراءة العامة^(١).

وأما ابن كثير فلم يذكر فيها اختلافاً في القراءة^(٢).

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾ (آية: ١٢)

أورد فيها ابن جرير قراءتين، الأولى قراءة عامة قراء المدينة بالتشديد، (سُعِرَتْ)، والثانية قراءة عامة قراء الكوفة بالتخفيف، (سَعِرَتْ)، وأما ضابط اعتمادهما فلأنهما قراءتان معروفتان^(٣).

وأما ابن كثير فلم يذكر فيها اختلافاً في القراءة^(٤).

المثال الخامس: قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (آية: ٢٤)

أورد فيها ابن جرير قراءتين، الأولى قراءة عامة قراء المدينة والكوفة بالضاد، (بضنين)، والثانية قراءة بعض المكيين وبعض البصريين وبعض الكوفيين بالظاء، (بظنين)، وقد رجّح ابن جرير قراءة الضاد، وضابط اعتمادهما أنها موافقة لخطوط مصاحف المسلمين^(٥).

قلتُ: وهذا ترجيح فيه نظر؛ لأن ضابط صحة القراءة عند القراء هو تواترها وموافقتها للرسم العثماني وللغة العربية^(٦)، وهي كذلك، وأما اكتفاء بعض المصاحف بالضاد دون الظاء؛ فلتعذر كتابة الحرفين معاً، فكتبت في بعض المصاحف بالظاء، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي، وفي بعضها الآخر بالظاء، وهي قراءة الباقيين من القراء العشرة^(٧).

(١) جامع البيان، الطبري، (٢٤/٢٤٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/٣٣٥).

(٣) امع البيان، الطبري، (٢٤/٢٥٠).

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/٣٣٥).

(٥) جامع البيان، الطبري، (٢٤/٢٦٢).

(٦) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري، محمد بن محمد، (٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ، (١/٨١).

(٧) حجة القراءات، ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، (٤٠٣هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، بيروت، د.ط، د.ت، (١/٧٥٢).

وقد يراد بترجيح الطبري اختياره للقراءة الموافقة لرسم مصحفه، وهذا لا حرج فيه بشرط عدم رفضه للقراءة الأخرى، وأما إذا كان قصده بالترجيح تضعيف الرواية المتواترة الأخرى، فهذا مرفوض، ولا أظنه أراد ذلك.

وأما ابن كثير فبعد أن ذكر القراءتين، بين أنهما صحيحتان فقط بقوله: وكلاهما متواتر^(١)، أي: في أعلى درجات الصحة.

المطلب الثامن: في عدم التوسع في المذاهب العقيدية

إذا كان ابن جرير حريصاً على جمع الأسانيد والقراءات كل في موطنه، فإنه لم يكن كذلك في مسائل العقيدة والكلام، ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (آية: ٢٩)، فإنه قد فسرها تفسيراً إجمالياً بقوله: "وما تشاءون أيها الناس الاستقامة على الحق، إلا أن يشاء الله ذلك"^(٢)، ولم يتعرض لمسألة المشيئة المختلف فيها بين القدرية والجبرية في هذه السورة، رغم أنه قليلاً ما يتعرض لآراء القدرية والمعتزلة في تفسيره^(٣)، وسر ذلك أنه أبان-هذا الموضوع- في مواطن أخرى في تفسيره، ومن ذلك:

قوله: "وفي هذا بيان واضح على فساد ما يقول القدرية، من أن كل من كفر أو آمن فبتفويض الله أسباب ذلك إليه"^(٤).

"وليس هذا بإطلاق من الله الكفر لمن شاء، والإيمان لمن أراد، وإنما هو تهديد ووعيد"^(٥).

ومن هنا يتبين أن ابن جرير لم يكن متوسعاً ولا خائضاً في مسائل العقيدة، خلافاً

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/ ٣٣٩).

(٢) جامع البيان، الطبري، (٨/ ٢٦٤).

(٣) جامع البيان، الطبري، (١/ ١٩٥)، (١٢/ ٣٣٤)، (٢٢/ ٣٠٢).

(٤) جامع البيان، الطبري، (١٢/ ٣٣٤).

(٥) جامع البيان، الطبري، (١٨/ ١٠).

لمن قال بغير ذلك^(١).

وأما ابن كثير فلم يتعرض في هذه السورة للخلاف العقدي في مسألة المشيئة، حيث قال: "ليست المشيئة موكولة إليكم، فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله عز وجل رب العالمين"^(٢).

وأما ذكره للمسائل العقدية والفرق الكلامية في تفسيره فهو من المقلين منه، وهو في هذا يشابه ابن جرير -رحمهما الله تعالى-، ومن ذلك قوله: احتج بهذه الآية ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الذاريات: ٣٦) من ذهب إلى رأي المعتزلة، ممن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام؛ وهو ضعيف"^(٣).



(١) التفسير والمفسرون، الذهبي، (١/١٥٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/٣٤٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٧/٤٢٢).

الخاتمة

تمت دراسة المنهج الفني والعلمي لتفسيري ابن جرير وابن كثير على سورة واحدة، هي سورة التكوير، وتم التوصل إلى النتائج الآتية:

من حيث المنهج الفني:

١/ التزم ابن جرير تسمية السورة بما ورد مرفوعاً، وهي: (إذا الشمس كورت)، بينما أخذ ابن كثير باجتهاد من قبله بتسمية السورة بالتكوير.

٢/ استفتح ابن كثير بحديث مرفوع في فضل السورة، بينما استفتحها ابن جرير بقوله: (القول في تأويل قوله تعالى).

٣/ تميّز ابن جرير بأسانيده المتصلة إليه، والمبدوءة بقوله: (حدثنا، أو حدثني، أو حدثت)، لدرجة أنه لم يرجع في ذلك إلى كتاب، أما ابن كثير فقد تخطى زمن الرواية، فكان يروي من الكتب المسندة.

٤/ تميّز ابن كثير بنقد الحديث، وبيان صحته من ضعفه، بناء على علمه بالرجال ونقد المتون، بينما اكتفى ابن جرير بنقل كل الأسانيد التي يعرفها في أي باب، حتى لو كان المتن له أكثر من إسناد، فإنه يذكرها كلها.

ثانياً: من حيث المنهج العلمي:

٥/ أسس ابن جرير لقواعد التفسير والترجيح، واعتمد عليها كثيراً في اختيار القول الراجح، بينما كان ابن كثير ناقلاً لقواعد ابن جرير، إما مؤيداً، أو مصححاً، أو مخالفاً.

٦/ صرح ابن جرير بسبب نزول آخر آية في هذه السورة، بقوله: (وذلك أن السبب الذي من أجله نزلت الآية) وأتى بثلاث روايات منتهية إلى الرجل نفسه، وهو سليمان بن موسى، وهو تابع تابعي، وذكرت أن رواية سبب النزول عن تابع التابعي غير مقبولة بأي حال، وأما ابن كثير فاكتمل برواية واحدة عن (تابع التابعي) نفسه الذي روى له ابن جرير.

٧/ اعتدل ابن جرير في استشهاده بالقرآن فلم يكثر منه، بخلاف ابن كثير الذي كان همه استحضر الآيات ذات العلاقة ما أمكن.

٨/ اعتمد المفسران على روايات الصحابة والتابعين وتابعيهم، وكان نصيب التابعين أكثر من غيرهم، ولعل السبب في ذلك تحرز الصحابة عن الرواية في التفسير، وانشغالهم بالأحكام الشرعية والإفتاء والجهاد. وأما بالنسبة لتابعي التابعين فلانتشار التأليف، وانقطاع عصر الرواية الشفهية وكثرة الفتوحات.

٩/ أكثر ابن جرير من الاستشهاد اللغوي على اختلاف صوره، سواء أكان في الترجيح وبالمشهور، أو في تضلعه بالشعر، واستحضاره للأبيات الدالة على مقصوده، وأما ابن كثير فلم يكن مكثراً، بل كان في أغلب الأوقات ناقلاً للمشهور من الشعر من ابن جرير.

١٠/ اعتنى ابن جرير بالقراءات المتواترة والشاذة المعينة على تفسير الآية فيما يتعلق بالكلمات المختلف فيها دون النظر في اختلافات الأداء كالإمالات والإدغامات وترقيق الراء، وغيره، فلم يفوت منها شيئاً، بل ينسبها لقراء بلدها، ويذكر ضابط اعتمادها، بل ويرجح بعضها على بعض.

وأما ابن كثير فقد كان مقلداً في القراءات، ولم يكن ذاكرة لخلاف الكلمات في القراءات إلا قليلاً، إلا أنه تميز عن ابن جرير بأنه لم يرجح قراءة متواترة على مثلها.



المصادر والمراجع

١. الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط ١، ١٣٩٤هـ.
٢. الأزمنة وتلبية الجاهلية، قطرب، محمد بن المستنير، (٢٠٦هـ)، تحقيق: د. حاتم الضامن، دار الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٥م.
٣. إصلاح المنطق، ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق، (٢٤٤هـ)، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م.
٤. أعلام النبوة، الماوردي، علي بن محمد، (٤٥٠هـ)، مكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ.
٥. الانتصار للقرآن، الباقلاني، محمد بن الطيب، (٤٠٣هـ)، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٦. البحر الزخار، البزار، أحمد بن عمرو، (٢٩٢هـ)، تحقيق: عادل بن سعد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، ٢٠٠٩م.
٧. تاريخ القرآن الكريم، الخطاط، محمد طاهر، (١٤٠٠هـ)، (ط ١)، جدة: مطبعة الفتح، ١٣٦٥هـ).
٨. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، (٤٦٣هـ)، تحقيق: د. بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٩. تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد، (٣٢٧هـ)، تحقيق: محمد أسعد الطيب، مكتبة نزار الباز، السعودية، ط ٣، ١٤١٩هـ.
١٠. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، السعودية، ط ٢، ١٤٢٠هـ.

١١. التفسير الوسيط، الزحيلي، وهبة مصطفى، (٢٠١٥)، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
١٢. التفسير والمفسرون، الذهبي، محمد حسين، (١٣٩٨ هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ط، د.ت.
١٣. تقريب التهذيب، العسقلاني، أحمد بن علي، (٨٥٢ هـ)، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط ١، ١٤٠٦ هـ.
١٤. التقارير السنوية شرح المنظومة البيقونية، المالكي، حسن محمد، (١٣٩٩ هـ)، تحقيق: د. فواز زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤، ١٤١٧ هـ.
١٥. تهذيب الأسماء واللغات، النووي، يحيى بن شرف، (٦٧٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
١٦. تهذيب التهذيب، العسقلاني، (٨٥٢ هـ)، دائرة المعارف، الهند، ط ١، ١٣٢٦ هـ.
١٧. جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير، (٣١٠ هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
١٨. جمهرة أشعار العرب، القرشي، محمد بن أبي الخطاب، (١٧٠ هـ)، تحقيق: علي البجادي، نهضة مصر، القاهرة، (د.ط، د.ت).
١٩. جمهرة اللغة، ابن دريد، محمد بن الحسن، (٣١٢ هـ)، تحقيق: رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٧ م.
٢٠. حجة القراءات، ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، (٤٠٣ هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، بيروت، د.ط، د.ت.
٢١. ديوان الأعشى، أعشى بن قيس بن ثعلبة، (٦٢٥ م)، تحقيق: عمر الطباع، دار القلم، بيروت، د.ط، د.ت.

٢٢. ديوان أوس بن حجر، (٦٢٠م)، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت).
٢٣. ذيل تذكرة الحفاظ، الحسيني، محمد بن علي، (٧٦٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
٢٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، محمد ناصر، (١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.
٢٥. سنن الترمذي، الترمذي، أحمد بن عيسى (٢٧٩هـ)، تحقيق: إبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٥هـ.
٢٦. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، (٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢٧. صحيح مسلم، النيسابوري، مسلم بن الحجاج، (٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، د.ت.
٢٨. طبقات المفسرين العشرين، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (٩١١هـ)، تحقيق: محمد علي عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٣٩٦هـ.
٢٩. طبقات المفسرين، الإدنه وي، أحمد بن محمد، (١١١هـ)، تحقيق: سليمان ابن صالح، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط١، ١٤١٧هـ.
٣٠. العنوان في القراءات السبع، السرقسطي، إسماعيل بن خلف، (٤٥٥هـ)، تحقيق: زهير زاهد وآخر، عالم الكتب، بيروت، د.ط، ١٤٠٥هـ).
٣١. العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي وآخر، دار الهلال، بيروت، د.ط، د.ت.
٣٢. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، العسقلاني، أحمد بن علي، (٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٩٧هـ.
٣٣. الفصول في مصطلح حديث الرسول، الزاهدي، حافظ ثناء الله، (معاصر)، الجامعة الإسلامية، باكستان، د.ط، د.ت.

٣٤. القدر، الفريابي، جعفر بن محمد، (٣٠١ هـ)، تحقيق: د. عبد الله المنصور، أضواء السلف، الرياض، ط ١، ١٤١٨ هـ.
٣٥. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، (٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤ هـ.
٣٦. مجموعة أشعار العرب، تحقيق: وليم بن الورد البروسي، دار ابن قتيبة، الكويت، د. ط، د. ت.
٣٧. مختار الشعر الجاهلي، السقا، مصطفى، (معاصر)، مطبعة الحلبي، القاهرة، ط ١، ١٩٢٩ م.
٣٨. مسند أبي يعلى، الموصلي، أحمد بن محمد، (٣٠٧ هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون، دمشق، ط ١، ١٤٠٤ هـ.
٣٩. مسند أحمد، ابن حنبل، أحمد بن محمد، (٢٤١ هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ.
٤٠. المعارف، ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، (٢٧٦ هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٢ م.
٤١. مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، (٧٢٨ هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط ١، ١٩٨٠ م.
٤٢. منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري، محمد بن محمد، (٨٣٣ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
٤٣. المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، ابن جماعة، محمد بن إبراهيم، (٧٣٣ هـ)، تحقيق: د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار الفكر العربي، دمشق، ط ٢، ١٤٠٦ هـ.
٤٤. الميسر في القراءات الأربع عشر، خاروف، محمد فهد، (معاصر)، مراجعة: محمد كريم راجح، دار الكلم الطيب، دمشق، ط ١، ١٤٢٠ هـ.

٤٥. نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، العسقلاني، أحمد بن علي، (٨٥٢هـ)، تحقيق: عصام الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، ط ٥، ١٤١٨هـ.
٤٦. ندوة علوم الحديث (علوم وآفاق)، مجموعة من المؤلفين، د. ط، د. ن، د. ت.
٤٧. النكت على مقدمة ابن الصلاح محمد بن عبد الله الزركشي، (٧٩٤هـ)، تحقيق: د. زين العابدين بلا فريج، أضواء السلف، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ.
٤٨. الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، أبو شهبه، محمد محمد، (١٤٠٣هـ)، دار الفكر العربي، بيروت: د. ط، د. ت.



**صفات من يحبهم الله ﷺ
في ضوء القرآن الكريم
دراسة موضوعية**

د. عبدالله بن خالد بن سعد الحسن

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه

بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث

تضمّنت هذه الدراسة -صفات من يحبهم الله ﷻ- إثبات صفة الحب والمحبة لله ﷻ في القرآن الكريم، مع الوقوف على الآيات التي ذكر فيها صفة الحب والمحبة لله ﷻ ودراستها دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم، وتكمن أهمية هذا الموضوع كونها صفة من صفات الله ﷻ كما أثبتتها لنفسه ﷻ، وكذلك اقتران محبة الله ﷻ ببعض الصفات التي يحبها ﷻ.

وقد ذكر الله ﷻ في كتابه صفات من يحبهم، وقسمت تلك الصفات التي ورد ذكرها في الآيات إلى ثلاث جوانب مختلفة وهي:

إما في جانب العقيدة، وهم: الذين اتصفوا بالإيمان، أو اتصفوا باتباع النبي ﷺ، أو اتصفوا بالتوكل عليه ﷻ.

وإما في جانب الأحكام الشرعية، وهم: الذين اتصفوا بالجهد، سواء بالصبر والثبات والتوكل، أو في وحدة صفهم عند قتالهم العدو، أو اتصفوا بالطهارة، سواء الطهارة الحسية، أو الطهارة المعنوية، أو اتصفوا بالعدل في الحكم، سواء كان العدل في الحكم بين المؤمنين، أو العدل في الحكم مع المشركين، أو العدل في الحكم بين المشركين، أو اتصفوا بالإحسان، سواء كان الإحسان في الطاعة، أو الإحسان إلى المخالفين.

وإما في جانب الأخلاق، وهم الذين اتصفوا بالإحسان كذلك، إما في الإنفاق في سبيل الله، أو الإنفاق في السراء والضراء، أو اتصفوا بالوفاء بالعهد، سواء كان الوفاء العهد مع عامة الناس، أو الوفاء بالعهد مع المشركين.

ثم ذكرت الخاتمة وفيها أبرز النتائج، وأهم التوصيات.



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].^(١)

أما بعد:

فإن الله تعالى أنزل كتابه الكريم ليكون للعالمين نذيراً، أنزله شفاء لما في صدور عباده، وهدى ورحمة لهم، قال عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، وقد أخبر تعالى أنه أحكم آياته وفصلها، وأنزله قرآناً عربياً فقال: ﴿كَتَبْتُ فُصِّلْتُ ءَايَتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣].

ولا يخفى على المتأمل أن في القرآن الكريم ودائع وأسراراً لا تظهر إلا لمن أمعن وتأمل وتدبر في كلام ربه، ففي القرآن معان وأسرار بلاغية عميقة جاءت لتنمّي وتربّي الإنسان على الأخلاق الحسنة الحميدة، ومن هذه الأخلاق: خلق الحب، كيف لا وقد جعلها الله ﷻ صفة تليق به ﷻ، وذلك ثابت في الكتاب والسنة.

ومن أجل ذلك أردت الوقوف في هذا البحث على تلك الصفات الحسنة التي قرنت بحسبة الله ﷻ، وجمعت الآيات التي اقترن فيها اسم الله ﷻ بالصفة التي يحبها

(١) خطبة الحاجة رواها الإمام أحمد في مسنده ٨/٤. رقم الحديث: ٢١١٨، والنسائي في سننه، كتاب الجمعة، باب: كيفية الخطبة ٣/١٠٤. رقم الحديث: ١٤٠٤، من حديث عبدالله بن مسعود ؓ.

في عباده، ودراستها دراسة موضوعية، وأسميتها: (صفات من يحبهم الله ﷻ في ضوء القرآن الكريم - دراسة موضوعية)، أسأل الله الإعانة والتوفيق.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- ١- أن الله ﷻ ذكر صفة الحب والمحبة في كتابه، ووصف به نفسه.
- ٢- ارتباط صفة الحب والمحبة بالخالق ﷻ، والحرص على الاتصاف بمن يحبهم ﷻ.
- ٣- كون تلك الصفات الحسنة مذكورة في القرآن الكريم، واقترانها بمحبة الله ﷻ.

أهداف البحث:

- ١- بيان أن القرآن الكريم أثبت صفة الحب والمحبة لله ﷻ.
- ٢- الوقوف على الصفات التي يحبها الله ﷻ في عباده، ودراستها دراسة موضوعية.

حدود البحث:

جمع ودراسة الآيات التي اقترنت فيها الصفات الحسنة بمحبة الله ﷻ، وعددها سبعة عشر موضعاً.

الدراسات السابقة:

- ١- الحب في القرآن الكريم، للباحث: آية الله السيد أبو القاسم الديباجي، وهو بحث قدّمه الباحث في المؤتمر العام الرابع عشر لمؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي عام ١٤٢٨ هـ، وقد قسّم الباحث بحثه إلى جانبين، الجانب الأول: حب الحق للخلق، والجانب الثاني: حب الخلق للحق، وذكر في الجانب الأول الأصناف التي يحبها الله وصفاتهم، والأصناف التي لا يحبها الله وصفاتهم، ثم استطرد في ذكر أنواع الحب، وقد ظهر على بحثه صبغة الرفض.

٢- الحب في القرآن الكريم، للباحث صاحب السمو الملكي الأمير: غازي بن محمد بن طلال الهاشمي، وهي رسالة دكتوراه قدّمها الباحث في قسم الفلسفة في كلية أصول الدين في جامعة الأزهر بالقاهرة عام ٢٠٠٩م، ويغلب على هذه الرسالة الجانب الاجتماعي في الحب، فقد قسّم المؤلف رسالته إلى خمسة أبواب، الباب الأول: الحب الإلهي، والباب الثاني: حب الرسول ﷺ، والباب الثالث: حب الإنسان، والباب الرابع: الحب، والباب الخامس: المحبوب، والذي يهمننا هو الباب الأول، فقد ربط المؤلف صفة الحب بعدة أسماء لله ﷻ، فربطها بالرحمن والرحيم والودود، ولم يذكر المؤلف جميع الآيات التي اقترن فيها لفظ الجلالة بالصفة التي يحبها ﷻ، ولم يذكر كلام المفسرين فيها، والمناسبة في ذكر الصفة بالفعل المذكور في الآية.

٣- من يحبهم الله ﷻ في القرآن الكريم، للمؤلف: محمد بن مسحل البقمي، وهو كتاب في ٤٠ صفحة، طبع في سنة ٢٠١٩م، وقد قسّم الباحث كتابه إلى ثلاثة فصول، الفصل الأول: في معنى المحبة، وصفة محبة الله، والفصل الثاني: أصناف الذين يحبهم الله عز وجل، وقسّم المؤلف في هذا الفصل كل صفة لوحدها، والفصل الثالث: الأسباب الجالبة لمحبة الله ﷻ المستنبطة من الآيات، وقد أغفل الباحث في بحثه قول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقول الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْكَنَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، وأيضا اقتصر المؤلف في كتابه على كتاب واحد في التفسير في كل موضع -وذلك في أغلب المواضع التي ذكرها في الفصل الثاني-، ولم يتطرق إلى ذكر أقوال المفسرين، والجمع بين أقوالهم، وكذلك لم يتطرق المؤلف إلى دراسة الآيات من ناحية موضوعية، بذكر أسباب النزول للآيات -إن وجد-، وكذلك النسخ والمنسوخ في الآيات، وكذلك لم يتطرق المؤلف إلى القراءات القرآنية في الآيات التي تناولها في

بحثه، وهي في صلب الموضوع، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَظْهَرَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، والفروق الجوهرية بين هذا البحث والكتاب المؤلف هو عدم الدراسة الموضوعية للآيات، وكذلك غياب الصبغة المنهجية في التأليف العلمي من ناحية الدراسة الموضوعية للآيات، فالكتاب أشبه ما يكون بالتفسير الإجمالي المختصر جدًا للآيات.

منهج البحث:

- ١- جمع الآيات القرآنية التي ذكر فيها الصفات التي يحبها الله ﷻ، مع عزو الآيات إلى سورها، وبيان رقم الآية واسم السورة، حسب الرسم العثماني.
- ٢- تصنيف تلك الآيات تصنيفًا موضوعيًا في مباحث، ويتضمن كل مبحث عددًا من المطالب المناسبة.
- ٣- تخريج الأحاديث والآثار الواردة في البحث، وإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما أو أحدهما، وإن كان في غيرهما أذكر تخريجه من كتب السنة التي أوردته - حسب الإمكان -.
- ٤- تخريج القراءات الواردة في البحث من الكتب الأصيلة.
- ٥- ذكر أقوال أهل العلم في المراد بالآيات القرآنية الواردة في ذكر ما لا يحبه الله ﷻ.
- ٦- ترجمة للأعلام غير المشهورين في البحث من الكتب الأصيلة.
- ٧- تبين الكلمات الغريبة الواردة في البحث من الكتب الأصيلة.
- ٨- وضع خاتمة للبحث، وفيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها في البحث.

خطة البحث:

وتشتمل على: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وثبت بأهم المصادر والمراجع.

المقدمة: وتشتمل على:

أهمية البحث وسبب اختياره، وأهداف البحث، وحدود البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث.

التمهيد: وفيه:

- تعريف الحب.

- الحب والمحبة صفة لله ﷻ.

المبحث الأول: صفات من يحبهم الله ﷻ في جوانب العقيدة، ويشتمل على

ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: من اتصف بالإيمان.

المطلب الثاني: من اتصف باتباع النبي ﷺ.

المطلب الثالث: من اتصف بالتوكل.

المبحث الثاني: صفات من يحبهم الله ﷻ في جوانب الأحكام الشرعية، ويشتمل

على أربعة مطالب:

المطلب الأول: من اتصف بالجهاد.

المطلب الثاني: من اتصف بالطهارة.

المطلب الثالث: من اتصف بالعدل في الحكم.

المطلب الرابع: من اتصف بالإحسان.

المبحث الثالث: صفات من يحبهم الله ﷻ في جوانب الأخلاق، ويشتمل على

مطلبين:

المطلب الأول: من اتصف بالإحسان.

المطلب الثاني: من اتصف بالوفاء بالعهد.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج، والتوصيات.

ثم فهرس لمصادر البحث وموضوعاته.

تمهيد

تعريف الحب:

تدور كلمة (الحُب) في اللغة العربية حول أربعة معانٍ، وهي:
الأول: الصفاء والبياض، ومنه قولهم لصفاء بيضاء الأسنان ونضارتها: حَبَبُ
الأسنان.^(١)

الثاني: العلو والظهور، ومنه: حَبَبُ الماء وحبابه، وهو ما يعلوه عند المطر
الشديد، وحَبَبُ الكأس منه.^(٢)

الثالث: اللزوم والثبوت، ومنه: حَبَّ البعير وأَحَبَّ، إذا بَرَكَ ولم يقم، وأيضًا
حَبُّ الماء للوعاء الذي يحفظ فيه ويمسكه، ففيه معنى الثبوت.^(٣)

الرابع: اللُب، ومنه: حَبَّة القلب للُبِّه وداخله، ومنه الحَبَّة لواحدة الجيوب، إذ
هي أصل الشيء ومادته وقوامه.^(٤)

ولا ريب أنَّ تلك المعاني من لوازم المحبة، فإنها صفاء المودة.^(٥)
أمَّا معنى الحُب في الاصطلاح فلا تكاد تجد كاتبًا عرَّف الحُب تعريفًا يعطيه
حقُّه، ويشمل جميع جوانبه؛ لأنَّ الحب والمحبة حالة شعورية محضّة، لا تظهر إلا
آثارها، ف"لا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء،
فحدُّها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة."^(٦)

(١) انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد، حبَّ ٣/٣٢. وتهذيب اللغة للأزهري، حبَّ ٩/٤. ولسان العرب
لابن منظور، حبَّ ١/٢٩٤.

(٢) انظر: جمهرة اللغة لابن دريد، بحج ٢/٩٩٩. وتهذيب اللغة، حبَّ ٩/٤.

(٣) انظر: جمهرة اللغة، بحج ١/٦٤. ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، حبَّ ٢/٢٦.

(٤) انظر: تهذيب اللغة، حبَّ ٤/٧. والصحاح للجوهري، حب ١/١٠٥. والمحكم والمحيط الأعظم
لابن سيده، الحاء والباء ٢/٥٤٣. وتاج العروس للزبيدي، حب ٢/٢٢١.

(٥) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم ٣/١٢. بتصرف

(٦) مدارج السالكين ٣/١١.

وقد ذكر بعض العلماء أن الحب -بمعناه الاصطلاحي- هو: الميل لما يوافق المحبوب،^(١) ويتضح في تعريفهم هذا: هو ما يكون بين المخلوقين، وهو في حق الله ﷻ محال؛ لأن الميل والانتفاع يكون عند المخلوق، أما الخالق ﷻ فمنزّه عن ذلك، قال ابن الجوزي: (محبة الله ﷻ للعبد ليست بشغف كمحبة الآدميين بعضهم بعضاً)^(٢)، وقال: (فليس محبة الله ﷻ كمحبة الآدميين، وإنما يحب من أطاعه)^(٣).
و"سلف الأمة وأئمة السنة على إقرار محبة الله ﷻ على ما هي عليه"^(٤)، فمحبة ﷻ لعباده تقتضي فعل محبوباته، وترك مكروهاته،^(٥) فلو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان، ولتعطّلت منازل السير إلى الله،^(٦) فالله ﷻ هو الودود المحب، فهو الذي يحب أنبياءه ورسله وأتباعهم، ويحبونه، فهو أحب إليهم من كل شيء قد امتلأت قلوبهم من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليه ودّاً وإخلاصاً وإنابة من جميع الوجوه.^(٧)

الحب والمحبة صفة لله ﷻ.

اختلف الناس في إثبات هذه الصفة ونفيها أو تأويلها، فمذهب أهل السنة والجماعة على إثبات محبة الله ﷻ لعباده، وإثبات محبة العباد لربهم، فالله ﷻ يحبهم وهم يحبونه، فقد جاءت النصوص الكثيرة الدالة على إثبات هذه الصفة، كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، وجاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ١/ ٢١٤. وتفسير الرازي ١٤/ ٢٨٢.

(٢) تلبس إبليس لابن الجوزي ص ٦٨.

(٣) تلبس إبليس لابن الجوزي ص ٣٤٧.

(٤) قاعدة في المحبة لابن تيمية ص ٥١.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ١١/ ٥٢٠.

(٦) انظر: مدارج السالكين ٣/ ٢٧.

(٧) انظر: تفسير أسماء الله الحسنی للزجاج ص ٥٢. وتفسير أسماء الله الحسنی للسعدي ص ٢٤٢.

ورسوله^(١)، وقال ﷺ: «ثلاث مَنْ كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...»^(٢)، فقوله: «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» دليل على جواز إضافة المحبة لله تعالى، وإطلاقها عليه، ولا خلاف في إطلاق ذلك عليه صحيحٌ مُجِبٌّ ومحبوبٌ^(٣).

وقد أجمع علماء أهل السنة والجماعة على إثبات الحب والمحبة صفة لله ﷻ كأى صفة من صفاته المثبتة له ﷻ، فإنهم لا يأولونها، ولا يعطلونها، ولا يشبهون الله تعالى فيها بأحد من الخلق، قال شيخ الإسلام: (فإن الكتاب والسنة وإجماع المسلمين أثبتت محبة الله لعباده المؤمنين، ومحبتهم له، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٣١]، ... وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين، ومحبتهم له، وهذا أصل دين الخليل إمام الحنفاء (عليه السلام)^(٤)، ولذلك نجد أن الله ﷻ ردَّ على من ادَّعى أنه حبيب الله، فقال: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ [المائدة: ١٨].

أمَّا من عطَّلوا هذه الصفة -وهم الجهمية المعطلة وأهل الكلام- فمذهبهم في ذلك أنه لا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ، فأولوا نصوص محبة العباد لله ﷻ على محبة طاعته وعبادته، وأولوا نصوص محبته ﷻ لهم بإحسانه إليهم، وإعطائه الثواب، أو بإرادته

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: فضل من أسلم على يديه رجل ٤ / ٦٠. رقم الحديث:

٣٠٠٩. وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابي ﷺ، باب: من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ

٤ / ١٨٧٢. رقم الحديث: ٢٤٠٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: حلاوة الإيمان ١ / ١٢. رقم الحديث: ١٦. وصحيح مسلم،

كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر، وعلامة الساعة، باب: بيان خصال من اتصف

بهن وجد حلاوة الإيمان ١ / ٦٦. رقم الحديث: ٤٣. واللفظ للبخاري.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ١ / ٢١٢.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢ / ٣٥٤. وانظر: محاسن التأويل للقاسمي ٤ / ١٧١.

لذلك،^(١) قال شيخ الإسلام: (وقد تأوّل الجهمية ومَن اتبعهم مِن أهل الكلام محبة الله لعبده على أنها الإحسان إليه، فتكون من الأفعال، ... وسلف الأمة وأئمة السنة على إقرار المحبة على ما هي عليه، وكذلك محبة العبد لربه يفسرها كثير من هؤلاء بأنها: إرادة العبادة له وإرادة التقرب إليه، لا يثبتون أن العبد يحب الله، وسلف الأمة وأئمة السنة ومشايخ المعرفة وعامة أهل الإيمان متفقون على خلاف قول هؤلاء المعطلة لأصل الدين، بل هم متفقون على أنه لا يكون شيء من أنواع المحبة أعظم من محبة العبد ربه).^(٢)

والمأمل في القرآن الكريم يجد أن الله ﷻ نفى محبته عن أصناف من خلقه في بعض المواضع، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وغيرها من الآيات، وأيضاً جاءت السنة أن الله لا يحب أصنافاً من خلقه، أو أفعالاً معينة، كما قال النبي ﷺ: «مَهْ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَحْشَ وَالتَّفَحُّشَ»^(٣) ومفهوم المخالفة يقتضي إثبات محبة الله ﷻ لمن تجنب هذه الصفات والأفعال، وأيضاً إذا استخدم الإثبات والنفي في شيء فإنه يدل على الحقيقة لا المجاز.



(١) انظر: مدارج السالكين ١٩/٣.

(٢) قاعدة في المحبة ص ٥١. وانظر: شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي ص ١٦٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم ١٧٠٧/٤ رقم الحديث: ١١.

المبحث الأول: صفات من يحبهم الله ﷻ في جوانب العقيدة

جاءت محبة الله ﷻ في كتابه الكريم مقترنة بجوانب وصفات تميز من يحبهم الله ﷻ من عباده عن غيرهم، وفي هذا المبحث سأطرق إلى ذكر من شملتهم محبة الله ﷻ من عباده في جانب العقيدة، وذلك من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: من اتصف بالإيمان.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِّنْ بَرْتَدٍّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

ذكر الله ﷻ هذا الوعيد للمؤمنين بأن يأتي بقوم مؤمنين إن ارتدَّ منهم مرتد، وقد ميَّز صفاتهم التي من أجلها سيبدل هؤلاء بهؤلاء، فأول تلك الصفات أنه ﷻ يحبهم، وأيضا هم يحبونه ﷻ، فبدأ بمحبته لأنها العجالة والموجبة لمحبتهم، ولا يحب الله ﷻ إلا من أحبه الله، ولولا محبة الله إياهم ما أحبوه.^(١)

ومحبة الله ﷻ للمؤمنين، ومحبة المؤمنين له؛ لا تتأتى إلا بتوفيق وفضل من الله ﷻ، فلا تكون تلك المحبة إلا لمن كمل إيمانه، لذا قال ﷻ بعد أن ذكر صفات المؤمنين: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾،^(٢) فقله: ﴿ذَلِكَ﴾ فيها من معنى البعد؛ للإيدان بعد منزلتها في الفضل.^(٣)

وهذه الآية جاءت بين آيات الموالاة، فجاءت بعد آيات الموالاة التي يحذر الله ﷻ هذا الفعل الذي يخرج من الملة، ويخل بالعقيدة، فقال ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ

(١) انظر: التفسير البسيط للواحدى ٧/ ٤٣٠. وتفسير الرازي ١٢/ ٣٨١. والبحر المحيط لأبي حيان ٤/ ٢٩٧.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج ٢/ ١٨٣. وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١/ ٥٦٠. وتفسير أبي حيان ٤/ ٢٩٧. وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ١٣٧.

(٣) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٦/ ١٩٢-١٩٣. وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ٣/ ٥٢.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ [المائدة: ٥١]، وجاءت قبل آية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥] ^(١) بعد أن ذكر صفات أولئك القوم الذين تمسكوا بعقيدتهم وإيمانهم، وأول تلك الصفات هي: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾.

فالمؤمن كامل الإيمان من تكون له تلك الصفات التي ذكرها الله ﷻ، وأول تلك الصفات حب الله، ومحبة الله، وقد افتتحت الآية بالنداء للمؤمنين خاصة، تحذيراً لهم من الردة، والتمسك بعقيدتهم وإيمانهم. ^(٢)

المطلب الثاني: من اتصف باتباع النبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]

رُوي في بعض كتب أسباب النزول عن الحسن البصري أنه قال: زعم أقوام على عهد رسول الله ﷺ أنهم يحبون الله، فقالوا: يا محمد إنا نحب ربنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية. ^(٣)

وقد بَوَّب البخاري في صحيحه في كتاب الأدب باباً سَمَّاهُ: (باب: علامة حب الله ﷻ لقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]) ^(٤)؛ ليدل على أن من علامة حب الله ﷻ حب رسوله ﷺ، وأتباع سبيله، والافتداء بسنته، لذا كانت المحبة عملاً من أعمال القلوب، واعتقاداً لها، ^(٥) قال النبي ﷺ: «المرء مع

(١) انظر: نظم الدرر ٦/ ١٨٦-١٩٣.

(٢) انظر: تفسير القرآن الكريم سورة المائدة لابن عثيمين ٢/ ٣٣.

(٣) انظر: أسباب النزول للواحدي ص ١٠٣. والعجائب في بيان الأسباب لابن حجر ٢/ ٦٧٨. ولباب القول في أسباب النزول للسيوطي ص ٥٦. وذكر ذلك من المفسرين الطبري ٦/ ٣٢٢. وابن المنذر ١/ ١٦٩. وابن أبي حاتم ٢/ ٦٣٣. وابن كثير ٢/ ٣٢. والأثر ضعيف كما ذكره الطبري ٦/ ٣٢٤.

(٤) صحيح البخاري ٨/ ٣٩.

(٥) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن ٢٨/ ٥٨٥.

من أحب»^(١).

فقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ يظهر فيها إلزام المحبة، وذلك من وجهين:

الأول: إن كنتم تحبون الله فاتبعوا نبيه ﷺ؛ لأن المعجزات دلت على أن الله ﷻ أوجب عليكم متابعة نبيه ﷺ.

الثاني: إن كنتم تحبون أن يحبكم الله فاتبعوا نبيه ﷺ؛ لأنكم إذا اتبعتموه فقد أطعتم الله ﷻ^(٢).

فجعلت المحبة مستلزمة لاتباع النبي ﷺ في طاعته، والحرص على هديه وسنته، لذا قال تعالى بعدها توكيداً: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢]^(٣)، وجعل اتباع النبي ﷺ علامة على محبة العبد لله ﷻ، وشرط في محبة الله للعبد ومغفرته له^(٤).

والذي يسعى له المسلم في حياته، ويرجوه من ربه، وهو غاية طلبه ومسعاه، محبة الله ﷻ له؛ لأن المسلم إذا أحبه الله، فلا شك هو يحب الله ﷻ، ومحال أن يحب الله عبداً يعصيه ولا يطيعه؛ لأنه ﷻ قرن محبته باتباع نبيه ﷺ، ومحبة نبيه لا تكون إلا بطاعته، وطاعته لا تكون إلا فيما أمر الله ﷻ، وقيل:

تَعْصِي الْإِلَهِ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هَذَا مَحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعٌ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لِأَطَاعَتِهِ ... إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ^(٥)

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: علامة حب الله ﷻ ٨/ ٣٩، رقم الحديث: ٦١٦٨. وصحيح

مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: المرء مع من أحب ٤/ ٢٠٣٤، رقم الحديث: ٢٦٤٠.

(٢) انظر: تفسير الرازي ٥/ ١٩٧.

(٣) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٢/ ١٣. ومدارك التنزيل وحقائق التأويل للسنفي

١/ ٢٤٩. وتفسير أبي حيان ٣/ ١٠٤. وتفسير أبي السعود ٢/ ٢٤.

(٤) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/ ١٤٩.

(٥) ينسب هذان البيتان للورّاق، وذكر في ديوانه الذي جمعه وليد قصاب ص ٥٠، وينسب أيضاً إلى الشافعي، وذكر في ديوانه الذي جمعه نعم زرزور ص ٧٦.

المطلب الثالث: من اتصف بالتوكل.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩]

أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالعتفو عن أصحابه ما صدر منهم من التقصير في حقه ﷻ، والاستغفار لهم في التقصير في حق الله ﷻ، فجمع بين العفو والإحسان، ثم أمره بأن يشاورهم في الأمور التي تحتاج إلى استشارة، ثم أمره بعد أن يستشيرهم ويعزم أن يتوكل على الله ﷻ، ولم يقل: فإذا عزم فتوكل عليه، بل أمره أن يتوكل على الله ﷻ، ولا يتكل على المشاورة، ثم علل ذلك بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾،^(١) فالتوكل سبب لنيل محبة الله، وهي الصفة التي تميز بها المؤمنون عن غيرهم، ولذلك أوجب الله التوكل عليه.

والتوكل هو: صدق الاعتماد على الله كفاية وحسباً، في جلب المنافع، ودفع المضار، مع الثقة به ﷻ، وفعل الأسباب الصحيحة، وهو من تمام الإيمان وعلاماته،^(٢) "فالتوكل عمل القلب، وعبوديته اعتماداً على الله، وثقة به، والتجاء إليه، وتفويضاً إليه، ورضاً بما يقتضيه له، لعلمه بكفايته ﷻ، وحسن اختياره لعبده إذا فوض إليه"،^(٣) قال سعيد بن جبیر: (التوكل على الله ﷻ جماع الإيمان).^(٤)

(١) انظر: التفسير البسيط للواحدى ١٢٤/٦. وتفسير السمعاني ٣٧٣/١. وتفسير البغوي ١٢٤/٢.

وتفسير النسفي ٣٠٦/١. واللباب في علوم الكتاب لابن عادل ٢٠/٦. وتفسير أبي السعود ١٠٥/٢.

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ١٨٥/١. وشرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين ص ٥٨.

(٣) الروح لابن القيم ص ٢٥٤.

(٤) مصنف بن أبي شيبة، كتاب الدعاء، باب: ما يقول إذا وقع في الأمر العظيم ٧٦/٦، رقم الأثر:

٢٩٥٨٩. وشعب الإيمان للبيهقي، فصل: التوكل بالله عز وجل والتسليم لأمره تعالى ٤٧٣/٢ -

٤٧٤، رقم الأثر: ١٢٦٢. وإسناده جيد، فيه محمد بن فضيل، قال عنه العجلي في الثقات: (ثقة)

ص ٤١١. وانظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ٢٢٦/٦. وفيه ضرار بن مرة، قال عنه ابن حجر في

التهذيب: (ثقة) ٤٥٧/٤. وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ١٢/٤.

وهذه الآية أوضح آية في الإرشاد إلى معنى التَّوَكَّلِ الذي حرَّف القاصرون ومن كان على شاكلتهم معناه، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ﴿٥٩﴾ أدب عظيم مع الخالق، يدل على محبة العبد ربه فلذلك أحبه الله؛^(١) ولأن الله يحب التوكل، ويحب المتوكلين عليه؛ قرن التوكل في القرآن الكريم بالربوبية والألوهية معاً، فقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ ﴿٣٠﴾ [الرعد: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ ﴿٩﴾ [المزمل: ٩].



(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٤/ ١٥١-١٥٢.

المبحث الثاني

صفات من يحبهم الله ﷻ في جوانب الأحكام الشرعية

ذكر الله ﷻ محبته لعباده في القرآن الكريم، وجاءت تلك الآيات في ذكر الصفات التي يحبها الله ﷻ في عباده، وتلك الآيات تصب في جانب واحد من الجوانب التي يحبها الله ﷻ، وهي جانب الأحكام الشرعية التي شرعها الله ﷻ لعباده، وتفصيلها في المطالب التالية:

المطلب الأول: من اتصف بالجهاد

أولاً: الصبر والثبات والإحسان، قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦-١٤٨]

جاءت تلك الآيات على هذا النظم البديع لحمل الكلام على تثبيت المؤمنين في حال الهزيمة عند جهادهم العدو، وفي حال الإرجاف بقتل النبي ﷺ، ومحل العبرة هو ثبات الربانيين على الدين مع موت أنبيائهم ودعاتهم،^(١) فقد روي عن عمر ابن الخطاب ؓ "أنه كان يقرأ على المنبر سورة آل عمران، ثم قال: (إنها أُحْدِيَّة) ثم قرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]"،^(٢) ويقصد ﷺ أن تلك الآيات وما بعدها نزلت في يوم أُحد؛ ليخبرنا الله ﷻ بحال من قبلنا من الأمم من ثباتهم وصبرهم عند الجهاد في سبيله.

وقد وصف الله ﷻ صفات من يجاهد في سبيله، وأحب فيهم صفة الصبر في

(١) انظر: التحرير والتنوير ١١٨/٤.

(٢) تفسير ابن المنذر ٤٠٢/١. والدر المنثور ٣٣٤/٢. روي عن كليب عن ابن المنذر، وإسناده جيد.

انظر: الجامع الكبير للسيوطي ٨٣٧/١٤.

جهاد الأعداء، ولم تضعف قلوبهم، ولم يصبهم الوهن في أبدانهم، ولم يذلّوا للعدو، وأنهم لم يتكلوا على جهدهم به من الصبر، بل اعتمدوا على الله ﷻ، وسألوه أن يثبت أقدامهم عند جهادهم العدو، وأحب فيهم أيضاً صفة الإحسان، وهي أن يفعل عند جهاد الأعداء كفعل هؤلاء الموصوفين من سؤاله أن يثبت أقدامهم، وأن ينصرهم، والتوبة والاستغفار والاستنصار برهم،^(١) ولهذا ذُيّلت تلك الآيات -بعد وصف الله المجاهدين في سبيله- بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﷻ فأحبهم ﷻ لأنهم اعترفوا بكونهم مسيئين، حيث قالوا: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾، فلما اعترفوا بذلك سمّاهم الله محسنين.^(٢)

ولما مدح الله المجاهدين الصابرين المحسنين، مدحهم أولاً بصفات النفي، فقال تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ ﷻ، ثم ذُيّلت الآية بحب الله الصابرين: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ ﷻ، ثم مدحهم ثانياً بصفات الإثبات، فقال تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا﴾، وذيّلت الآية بحب الله المحسنين: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﷻ.^(٣)

ولما ذكر الله حال المجاهدين وما كانوا عليه من الجلد والصبر وعدم الوهن والاستكانة للعدو، وذلك كله من الأفعال النفسانية التي يظهر أثرها على الجوارح، ذكر ما كانوا عليه من الإنابة والاستغفار والالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء، وحصر قولهم في ذلك القول، فلم يكن لهم ملجأ ولا مفرع إلا إلى الله تعالى، ولا قول إلا هذا القول،^(٤) فجُعل مع الأفعال -عدم الوهن والضعف والاستكانة- الصبر، وجُعل مع الأقوال -الاستغفار والدعاء- الإحسان.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص ١٥١.

(٢) انظر: تفسير الرازي ٩/ ٣٨٢.

(٣) انظر: تفسير الرازي ٩/ ٣٨١. بتصرف

(٤) انظر: تفسير أبي حيان ٣/ ٣٧٣. وتفسير أبي السعود ٢/ ٩٦. ومحاسن التأويل للقاسمي ٢/ ٤٢٥.

والمأمل في حال المجاهدين المحسنين في استغفارهم ودعائهم حال الجهاد، قدّموا في قولهم اعترافهم بالذنوب والتقصير والإسراف، فقالوا: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾، وهذا يتضمّن ثواب الآخرة؛ لأنّ هذا مرادهم وغايتهم من الله ﷻ، ثم قالوا: ﴿وَتَبَتِ أقدامَنَا وَانْصَرْنَا﴾، وهذا يتضمّن ثواب الدنيا، ثم أخبر تعالى أنّه منحهم الثوابين فقال: ﴿فَنَأْتِيهِمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾، فأخبر بما أعطاهم مقدّمًا من ذكر ثواب الدنيا؛ ليكون ذلك إشعارًا لهم بقبول دعائهم وإجابتهم إلى طلبهم، وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدّمه، وأنه هو المعتد به عنده ﷻ، وترغيبًا في طلب ما يحصله من العمل الصالح، وأيضًا مناسبة لآخر الآية من حُبّه ﷻ للمحسنين.^(١)

ثانيًا: وحدة الصف عند قتال الأعداء، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنَيْنٌ مَرُصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]

جاء في سبب نزول هذه السورة - عند الترمذي بإسناد صحيح - أنّ عبد الله بن سلام قال: «قعدنا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحبّ إلى الله لعملناه، فأنزل الله تعالى ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ» [الصف: ١-٢]، قال عبد الله بن سلام: «فقرأها علينا رسول الله ﷺ»،^(٢) فأخبر ﷻ أنّه يحب من يشبّه في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه.^(٣)

(١) انظر: تفسير أبي حيان ٣/٣٧٤-٣٧٥. بتصرف

(٢) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الصف ٥/٤١٢، رقم الحديث: ٣٣٠٩. وهو حديث صحيح على شرط الشيخين. انظر: المستدرک للحاكم ٢/٢٤٨. وانظر: أسباب النزول للواحدي ص ٤٢٦-٤٢٧. ولباب النقول ص ١٩٥. والصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي ص ٢١٢. والمححر في أسباب النزول للمزني ٢/١٠٠٣-١٠٠٥.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥/١٦٤. وزاد المسير ٤/٢٧٨. وتفسير القرطبي ١٨/٨١. وتفسير ابن كثير ٨/١٠٧.

ولعظم هذا العمل - وهو اصطفا المجاهدين في سبيل الله صفًا -، وأنه من أحب الأعمال إلى الله؛ بوب البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير بابًا سمّاه: (باب: عمل صالح قبل القتال، وقال أبو الدرداء: «إنما تقاتلون بأعمالكم»، وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ﴾ [الصف: ٢-٤].^(١)

وفي الآية وصف دقيق لحال المؤمنين المجاهدين الذين يقاتلون العدو، فوصفهم الله تعالى أنهم يقاتلون صفًا، وشبههم بالبناء المرصوص المتين الثابت الذي لا يزول، قال قتادة: (ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه؟ كذلك تبارك وتعالى لا يختلف أمره، وإن الله وصف المؤمنين في قتالهم، وصفهم في صلاتهم، فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به).^(٢)

وفي افتتاح هذه السورة مناسبة عميقة لما قبلها من الآيات في آخر السورة قبلها - وهي سورة الممتحنة - عند قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَيسُوْا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَيسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ۚ﴾ [الممتحنة: ١٣]، فاختتمت الممتحنة بالأمر بتنزيهه ﷺ عن تولي من يخالف أمره بالتولي عنهم والبراءة منهم، وافتتحت الصف بالحث على الجهاد في سبيله، فاقترض ذلك - أي: في سورة الممتحنة - إثبات العداوة بينهم، فحضر ﷺ على الثبات إذا لقي المؤمنون في الحرب أعداءهم.^(٣)

المطلب الثاني: من اتصف بالطهارة

أولاً: الطهارة الحسية، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَجِيزِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا الْيَسَاءَ فِي الْمَجِيزِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

(١) صحيح البخاري ٤/ ٢٠.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٢٣/ ٣٥٧. وتفسير ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٣٥٤. والدر المنثور ٨/ ١٤٧٠.

(٣) انظر: تفسير أبي حيان ١٠/ ١٦٤. ونظم الدرر ٢/ ٢.

جاءت هذه الآية في ذكر الطهارة الحسيّة للمرأة والرجل والولد، لذا جاءت كلمة ﴿أَذَى﴾ منكرة؛ لبيان أن الأذى لا يقتصر على المرأة فقط، بل هو أذى لزوجها وجنينها، فوجبت الطهارة الحسية.^(١)

ومما يدل على أن الطهارة هنا طهارة حسية ما ورد في قوله تعالى: ﴿يُطَهَّرْنَ﴾ من قراءات متواترة، فقد جاءت بالتخفيف: ﴿يُطَهَّرْنَ﴾، وجاءت بالتشديد: ﴿يُطَهَّرْنَ﴾،^(٢) قال مكي^(٣): (مخففاً على معنى ارتفاع الدم وانقطاعه، ولكن لم تتم الفائدة إلا بقوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾، أي: بالماء، ﴿فَأَتُوهُنَّ﴾، فبهذا تمت الفائدة والحكم؛ لأن الكلام متصل بعبءه ببعض، فلا يحسن أن يكون ﴿يُطَهَّرْنَ﴾ مخففاً تتم عليها الفائدة والحكم؛ لأنه يوجب إتيان المرأة إذا انقطع عنها الدم وإن لم تتطهر بالماء، ويكون قوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ لا فائدة له ...، فمع التخفيف بيان الشرطين اللذين مع وجودهما توطأ الحائض، وهما: انقطاع الدم، والتطهر بالماء، ... وقرأ الباقون بفتح الهاء مشدداً على معنى التطهير بالماء، دليله إجماعهم على التشديد في قوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾).^(٤)

والم تأمل يجد أن الله ﷻ قال: ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾، ولم يقل: المتطهرات، وإنما جرى قبل ذلك ذكر التطهر للنساء؛ لأن ذلك بذكر ﴿الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ يجمع الرجال والنساء، ولو ذكر ذلك بذكر المتطهرات، لم يكن للرجال في ذلك حظ،

(١) انظر: التحرير والتنوير ٢/ ٣٦٥.

(٢) قرأها بالتشديد: شعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر، وقرأها الباقون بالتخفيف. انظر: التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص ٢٩٤-٢٩٥. والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/ ٢٢٧.

(٣) هو: مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي، أبو محمد، مقرئ، عالم بالتفسير والعربية، من أهل التبصر في علوم القرآن، ولد في القيروان سنة ٣٥٥هـ، وسكن قرطبة سنة ٣٩٣هـ وخطب وأقرأ بجامعها، ثم توفي فيها سنة ٤٣٧هـ. انظر: إنباه الرواة على أنباء النحاة للقفطي ٣/ ٣١٣. ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي ص ٢٢٠. والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروزآبادي ص ٢٩٧. وطبقات المفسرين للأذنه وي ص ١١٤.

(٤) انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحجتها لمكي ١/ ٢٩٣-٢٩٤. بتصرف

وكان للنساء خاصة، فذكر الله تعالى ذكره بالذكر العام لجميع عباده المكلفين، إذ كان قد تعبّد جميعهم بالتطهر بالماء، وإن اختلفت الأسباب التي توجب التطهر عليهم بالماء في بعض المعاني، واتفقت في بعض.^(١)

وقد جاءت السنة النبوية في تبين كيفية هذه الطهارة، فقال ﷺ: «تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها، فتطهر فتحسن الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكاً شديداً حتى تبلغ شؤون رأسها، ثم تصب عليها الماء، ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها».^(٢) والنصوص في الطهارة الحسية والمعنوية كثيرة، جاءت في الكتاب والسنة؛ لاهتمام هذا الدين العظيم بشأن الطهارة، فمن تطهر نال محبة الله ﷻ،^(٣) والآية أيضاً فيها طهارة معنوية -سيأتي الحديث عنها بإذن الله تعالى-.

ثانياً: الطهارة المعنوية، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضُرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [النساء: ١٠٧]، لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٨]

في الآية الأولى جاءت الآية صريحة بوجوب الطهارة، وأن الله ﷻ يحبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ، فمن أراد أن ينال محبة الله ﷻ عليه بالطهارة الحسية -وقد سبق الكلام عنها- وبالطهارة المعنوية، فالطهارة المعنوية هنا هي التَّطَهُّرُ مِنْ

(١) انظر: تفسير الطبري ٤/٣٩٦-٣٩٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب: استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم ١/٢٦١، رقم الحديث: ٣٣٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٣/٧٤٢-٧٤٤. وتفسير ابن أبي حاتم ٢/٤٠٣. والنكت والعيون للماوردي ١/٢٨٣-٢٨٤. والبسيط للواحد ٤/١٧٩-١٨٠. وتفسير الراغب الأصفهاني ١/٤٨٥. وتفسير ابن عطية ١/٢٩٩. وتفسير ابن الجوزي ١/١٩٠-١٩١. والدر المنثور ١/٦٢٥-٦٢٦.

الذنوب بالتوبة، فالتوبة هي طهارة معنوية، وقد جاءت بصيغة المبالغة ﴿التَّوْبِينَ﴾؛ لتفيد محبة الله ﷻ لمن تتكرر منه التوبة مرة بعد أخرى؛ لأنَّ فَعَّالٌ أبلغ من فاعل، وزيادة المبنى تدل على زيادة في المعنى، فالإنسان يقع في الذنوب مرة بعد أخرى، فإذا أحدث لكل ذنب توبة؛ فإن الله يحبه، وإذا كان هذا في حق من كثرت ذنوبه وكثرت توبته، فمن قلَّت ذنوبه كانت محبة الله له بالتوبة من باب أولى.^(١)

ومن أدلة السنة النبوية على محبة الله ﷻ للتوابين قوله ﷺ: «الله أشد فرحاً بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها».^(٢)

فالآية تدل على حسن أسلوب القرآن الكريم؛ لأنها جمعت بين الطهارة الحسية، والطهارة المعنوية،^(٣) قال ابن القيم: (فاعلم أن هاهنا أربعة أمور: أمران حسيَّان، وأمران معنويَّان، فالنجاسة التي تزول بالماء هي ومزيلها حسيَّان، وأثر الخطايا التي تزول بالتوبة والاستغفار هي ومزيلها معنويَّان، وصلاح القلب وحياته ونعيمه لا يتم إلا بهذا وهذا).^(٤)

وقد قُدِّمت الطهارة المعنوية في هذه الآية على الطهارة الحسية؛ للتنويه بشأن التوبة عند ذكر ما يدل على امتثال ما أمرهم الله به من اعتزال النساء في المحيض، أي: إنَّ التوبة أعظم شأنًا من التَّطَهُّر، أي: أنَّ نيَّة الامتثال أعظم من تحقق مصلحة التَّطَهُّر لكم؛ لأنَّ التوبة تطهر روحاني، والتطهر تطهر جُثمانِي.^(٥)

وفي الآية الثانية -وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضُرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٦) لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ

(١) انظر: مجموع الفتاوى والرسائل لابن عثيمين ١٩٢/٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب: في الحض على التوبة والفرح بها ٢١٠٢/٤، رقم الحديث: ٢٦٧٥.

(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم سورة الفاتحة والبقرة لابن عثيمين ٨٦/٣.

(٤) إغائة اللفهان من مصايد الشيطان لابن القيم ٥٧/١.

(٥) انظر: التحرير والتنوير ٣٧٠/٢.

فِيهِ فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٨] - دلالة على أَنَّ التوبة طهارة معنوية.

ومن الأدلة على أَنَّ الطهارة في هذه الآية طهارة معنوية ما روي عن الأعمش^(١) أَنَّهُ قَالَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾: (التوبة مِنَ الذَّنْبِ، وَالتَّطَهُّرُ مِنَ الشَّرِكِ).^(٢)

وروي أيضًا عن أبي العالية^(٣) عندما توضأ أحدهم وقرأ: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ فقال: (إِنَّ الطُّهُورَ بِالماءِ لِحَسَنٍ، وَلَكِنَّهُمْ الْمُتَطَهِّرُونَ مِنَ الذُّنُوبِ).^(٤) وقد جاء في سبب نزول هذه الآية أثرٌ يدل على أَنَّها تحتل الطهارتين، الطهارة الحسية والطهارة المعنوية، فالطهارة المعنوية ما ذكر في الأثرين السابقين، والطهارة الحسية أَنَّ الآية نزلت في حرص أهل قُبَاءَ على الطهارة، وهي: الاستنجاء بالماء، فقد جاء عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "نزلت هذه الآية في أهل قُبَاءَ: ﴿فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾"، قال: «كانوا يستنجون بالماء، فنزلت هذه الآية فيهم»^(٥).^(٦) فتلك الآيتان تدلان على محبة الله ﷻ لمن تطهر، سواء الطهارة المعنوية، أو الطهارة الحسية، ومن جمع بين الطهارتين نال محبة الله ﷻ، وهو أن يتطهر من

(١) هو: التابعي سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، أبو محمد، الملقب بالأعمش، أصله من بلاد الرِّيِّ، ومنشأه ووفاته في الكوفة، ولد سنة ٦١هـ، وتوفي سنة ١٤٨هـ، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض. انظر: طبقات الحفاظ للذهبي ١/١١٦. وتهذيب التهذيب لابن حجر ٤/٢٢٢.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٦/١٨٨٣.

(٣) هو: التابعي رفيع بن مهران البصري الفقيه المقرئ، أبو العالية، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد موت النبي ﷺ بستين، توفي سنة ٩٣هـ في ولاية الحجاج. انظر: طبقات الحفاظ ١/٤٩-٥٠. وتهذيب التهذيب ٣/٢٨٤. وطبقات المفسرين للداوودي ١/١٧٨-١٧٩.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٦/١٨٨٣.

(٥) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة التوبة ٥/٢٨٠، رقم الحديث: ٣١٠٠. قال الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: (صحيح) ١/٨٤.

(٦) ذكر سبب النزول من المفسرين الطبري ١٤/٤٨٧. وابن أبي حاتم ٦/١٨٨٣. والبغوي ٢/٣٩٠. والقرطبي ٨/٢٥٩. وابن كثير ٤/١٨٧. وذكرها السيوطي في باب النقول ص ١١٢.

الذنوب والمعاصي، وأن يتطهر من الأوساخ والأحداث،^(١) وجاء في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «المؤمن لا ينجس»،^(٢) قال النووي: (وهذا الحديث أصل عظيم في طهارة المسلم).^(٣)

المطلب الثالث: من اتصف بالعدل في الحكم

ذكر العلماء الفرق بين القسط والعدل، وجعلوا القسط أدق وأظهر وأبين من العدل؛ لأنَّ القسط يكون في المكيال، لذلك سمي المكيال قسطاً، والميزان قسطاً؛ لأنه يصور لك العدل في الوزن حتى تراه ظاهراً، والعدل يكون ما يخفى على الإنسان.^(٤)

وقد جاء في القرآن الكريم بعض الآيات التي تدل على محبة الله ﷻ للمقسطين، وهي:

أولاً: العدل في الحكم بين المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَقِّتْلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]

هذه الآية تضمنت نهى المؤمنين عن أن يبغى بعضهم على بعض، ويقاتل بعضهم بعضاً، وأيضاً إن وقع البغي والافتتال فإنَّ على غيرهم من المؤمنين أن يتلافوا هذا الشر الكبير بالإصلاح فيما بينهم، والتوسط بذلك على أكمل وجه يقع به الصلح، ويسلكوا الطريق الموصلة إلى ذلك، فإن صلحتا فهذا المرجو، وإن ﴿بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَقِّتْلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي: ترجع إلى ما حد الله ورسوله، من فعل الخير

(١) انظر: تفسير السعدي ص ٣٥١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب: غسل الميت ووضوئه بالماء والسد ٧٣/٢. وصحيح مسلم، كتاب الحيض، باب: الدليل على أن المسلم لا ينجس ٢٨٢/١، رقم الحديث: ٣٧١.

(٣) شرح النووي على مسلم ٦٦/٤.

(٤) انظر: المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير لابن قتيبة ص ١٩٩. والفروق اللغوية للعسكري ٢٣٤/١. ومشارك الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض ١٩٢/٢. والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٦٠/٤.

وترك الشر، الذي من أعظمه الاقتتال، ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ هذا أمر من الله ﷻ بالصلح، وكذلك أمرهم بالعدل في الصلح، فإنَّ الصلح قد يكون ولكن لا يكون بالعدل، بل بالظلم، فهذا ليس هو الصلح المأمور به، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أي: العادلين في حكمهم بين الناس وفي جميع الولايات التي تولوها، حتى إنه قد يدخل في ذلك عدل الرجل في أهله، وعياله في أدائه حقوقهم، فالله ﷻ وهب محبته لمن يعدل، وتحمل الآية على العموم في القسط؛ لأنها لم تخصص في العدل والقسط بين المقتتلين من المؤمنين في الآية.^(١)

والتأمل في الآية يجد أن قوله تعالى: ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ كافياً في الأمر أن يصلح بينهم بالعدل، ولكنه ﷻ أمر بالقسط بعد ما أمر به في إصلاح ذات البين بالعدل فقال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا﴾ أي: في كل أمر مفضٍ إلى أشرف درجة وأرفع منزلة، وهي محبة الله ﷻ.^(٢)

وجاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن ﷻ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولُّوا»^(٣) وفيه دليل على محبة الله ﷻ لمن أقسط وعدل في جميع الولايات.

ثانياً: العدل في الحكم مع المشركين، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]

في هذه الآية أمر الله عن البر والصلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين من الأقارب وغيرهم، إن لم يقاتلوكم في الدين، ويخرجوكم من دياركم، فليس

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٢/٢٩٦. والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ٤/٣٦٦. وتفسير البيضاوي ٥/١٣٥. وتفسير النسفي ٣/٣٥٢. وتفسير ابن عادل ١٧/٥٤١-٥٤٢. وتفسير أبي السعود ٨/١٢٠. وفتح القدير للشوكاني ٥/٧٤. وتفسير القاسمي ٨/٥٢٦. وتفسير السعدي ص ٨٠٠. والتحرير والتنوير ٢٦/٢٤٢.

(٢) انظر: تفسير الرازي ٢٨/١٠٦.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر ٣/١٤٥٨، رقم الحديث: ١٨٢٧.

عليكم جناح أن تصلوهم، وتقسطوا إليهم، فإن البر والصلة في هذه الحالة لا محذور فيها ولا مفسدة، خاصة إن كانوا من الأقارب،^(١) ففي الآية رخصة من الله ﷻ في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم.^(٢)

وقد بَوَّب البخاري في صحيحه باباً سَمَّاه: (باب: الهدية للمشركين، وقال الله تعالى: قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِينِكُمْ أَنَّ تَبْرُوهُمْ وَتُقَسِّطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٣)).

ومما يدل على أن البر والصلة - مع المشركين الذين لم يقاتلوا المؤمنين ولم يخرجوهم من ديارهم - يكون أولى للأقربين؛ ما جاء عند البخاري من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: (أتتني أُمِّي رَاغِبَةً فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَصِلُهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ ابْنُ عِينَةَ^(٤): فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾^(٥)).

(١) انظر: تفسير البغوي ٩٥/٨. وتفسير ابن كثير ٩٠/٨. وتفسير السعدي ص ٨٥٦.

(٢) انظر: تفسير القرطبي ٥٩/١٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها، والتحريض عليها ١٦٤/٣.

(٤) هو: سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد، محدث الحرم المكي، ولد بالكوفة سنة ١٠٧هـ، وسكن مكة وتوفي بها سنة ١٩٨هـ، كان حافظاً ثقة، واسع العلم كبير القدر. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي ٣٤٧/٢٢. وطبقات الحفاظ للذهبي ١٩٣/١.

(٥) التصريح في سبب نزول هذه الآية هنا جاء فقط في البخاري من طريق سفيان بن عيينة، ولم يصرح به غيره بسبب النزول، ولم يذكر المفسرون هذا السبب، ومن ذكره ذكره بصيغة التضعيف (قيل)، قال ابن حجر في الفتحة: (زاد في الأدب عقب حديثه عن الحميدي عن بن عيينة، قال بن عيينة: فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾، وكذا وقع في آخر حديث عبد الله بن الزبير، ولعل ابن عيينة تلقاه منه، وروى بن أبي حاتم عن السدي: أنها نزلت في ناس من المشركين كانوا أليين شيء جانباً للمسلمين، وأحسنه أخلاقاً، قلت: ولا منافاة بينهما، فإن السبب خاص، واللفظ عام، فيتناول كل من كان في معنى والدته أسماء) ٢٣٤/٥. وانظر: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكاني ٧/٦. والمحرر في أسباب نزول القرآن ٩٩٣/٢. وقال ابن عاشور بعد أن ساق الأقوال في سبب نزول الآية: (والذين شملتهم أحكام هذه الآية كلهم قد قيل إنهم سبب نزولها وإنما هو شمول وما هو بسبب نزول). ١٥٢/٢٨.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: صلة الوالد المشرک ٤/٨، رقم الحديث: ٥٩٧٨.

فأخبر الله ﷻ أَنَّهُ يحب المنصفين الذين ينصفون الناس، ويعطونهم الحق والعدل من أنفسهم، فيبرُّون مَنْ برَّهم، ويُحْسِنُونَ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ،^(١) ناهيك بتوصية الله المؤمنين أَنْ يستعملوا القسط مع المشركين به ويتحاموا ظلمهم، مترجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم أخيه المسلم.^(٢)

وجاء التذييل في الآية بالتعليل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٣) مؤكداً دفعاً لظن من يرى أذى الكفار بكل طريق.^(٤)

ثالثاً: العدل في الحكم بين المشركين، قال تعالى: ﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]

جاء في الصحيح عن البراء بن عازب ؓ قال: "مرَّ على النبي ﷺ بيهودي محمَّماً^(٥) مجلوداً، فدعاهم ﷺ، فقال: «هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟»، قالوا: نعم، فدعاً رجلاً من علمائهم، فقال: «أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟» قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والضعيف، فجعلنا التحميم، والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ»، فأمر به فرجم، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٤١] إلى قوله: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخْذُوهُ﴾ [المائدة: ٤١]، يقول: اتتوا محمداً ﷺ، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن

(١) انظر: تفسير الطبري ٣٢٣/٢٣. وتفسير السمرقندي ٤٣٨/٣. وتفسير السمعاني ٤١٧/٥.

(٢) انظر: تفسير الزمخشري ٥١٦/٤.

(٣) انظر: نظم الدرر ٥٠٨/١٩. والتحرير والتنوير ١٥٣/٢٨.

(٤) المحمّم: المسود الوجه، والتحميم: تسويد الوجه. انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي ص ١٣١.

أفتاكم بالرَّجْم فاحذروا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، في الكفار كلها.^{(١)(٢)}

فالله ﷻ أمر نبيه ﷺ إن عدل بين المحتكمين من أهل الكتاب أن يحكم بينهم بالعدل والقسط، وذلك هو الحكم بما جعله الله حكماً في مثله على جميع خلقه من أمة نبينا ﷺ، فالله يحب العادلين في حكمهم بين الناس، القاضين بينهم بحكم الله الذي أنزله في كتابه، وأمره أنبياءه عليهم السلام، حتى ولو كانوا ظلمة وأعداء، فلا يمنع ذلك من العدل في الحكم بينهم.^(٣)

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ وهو النبي ﷺ لا يحكم إلا بالقسط، فهو أمر معناه الخبر، أي: فحكمك لا يقع إلا بالعدل؛ لأنه ﷺ معصوم من اتباع الهوى، ثم ذكر ﷻ محبته للمقسطين ومن اتصف بذلك، ففيه حث على توخي القسط وإيثاره.^(٤)

المطلب الرابع: من اتصف بالإحسان

أولاً: الإحسان في الطاعة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣].

لما نزل تحريم الخمر، والتشديد فيه، تمنى أناس من المؤمنين أن يعلموا حال إخوانهم الذين ماتوا على الإسلام قبل تحريم الخمر، وهم كانوا يشربونها، فسألوا

(١) صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنى ٣١٣٢٧، رقم الحديث: ١٧٠٠.

(٢) وذكر سبب النزول الواحد في أسباب النزول ص ١٩٥-١٩٦. والسيوطي في لباب النقول ص ٨٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١٠/٣٣٤-٣٣٥. وتفسير السمرقندي ١/٣٩٢. وتفسير السمعاني ٢/٤٠.

وتفسير ابن كثير ٣/١١٧. وتفسير السعدي ص ٢٣٢.

(٤) انظر: تفسر أبي حيان ٤/٢٦٥.

عنهم فأنزل الله هذه الآية،^(١) كما جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة رضي الله عنه، وكان خمرهم يومئذ الفضيخ^(٢)، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منادياً ينادي: «أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ» قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج، فأهرقها، فخرجت فهرقتها، فَجَرَتْ في سكك المدينة، فقال بعض القوم: قد قُتِلَ قوم وهي في بطونهم، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ [المائدة: ٩٣] الآية.^(٣)

وقد ذكر الله تعالى هذه المراتب العظيمة، وهي التقوى والإيمان والعمل الصالح، ثم التقوى والإيمان، ثم التقوى والإحسان، ثم ذيل الآية بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤)، والمعنى أنه تعالى لما جعل الإحسان شرطاً في نفي الجناح بين أن تأثير الإحسان ليس في نفي الجناح فقط، بل وفي أن يحبه الله، ولا شك أن هذه الدرجة أشرف الدرجات وأعلى المقامات،^(٥) فالله تعالى يحب من اتصف بتلك الصفات -وهي التقوى والإيمان والعمل الصالح-، فوضع المحسنين موضع تلك الصفات إشارة إلى أنهم متصفون بذلك بالإحسان.^(٦)

ثانياً: الإحسان إلى المخالفين، قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ

(١) انظر: تفسير الطبري ٥٧٦/١٠. وتفسير السمعاني ٦٥/٢. وتفسير البغوي ٩٥-٩٦/٣. وتفسير ابن عطية ٢٣٤/٢.

(٢) الفضيخ: وهو ما افتضح من البسر من غير أن تمسه النار. انظر: غريب الحديث للقاسم بن سلام ١٧٧/٢. ومشارك الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض ١٦٠/٢. وغريب الحديث لابن الجوزي ١٩٧/٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب: صب الخمر في الطريق ١٣٢/٣، رقم الحديث: ٢٤٦٤. وصحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب: تحريم الخمر، وبيان أنها تكون من عصير العنب، ومن التمر والبسر والزبيب، وغيرها مما يسكر ١٥٧٠/٣، رقم الحديث: ١٩٨٠. واللفظ للبخاري.

(٤) انظر: تفسير الرازي ٤٢٧/١٢. واللباب ٥١٢/٧.

(٥) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ٢٠/٤.

مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ [المائدة: ١٣].
أمر الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ بالعفو عن هؤلاء القوم الذين همُّوا أن ييسطوا أيديهم إليه من اليهود، فقال ﷻ لنبيه: اعف يا محمد عن هؤلاء اليهود الذين همُّوا بما همُّوا به من بسط أيديهم إليك وإلى أصحابك بالقتل، واصفح لهم عن جرِّهم - وهذا هو عين النصر والظفر -، فإني أحب من أحسن العفو والصفح إلى من أساء إليه.^(١)
فأله ﷻ أمر أن نعفو ونصفح عن أهل الكتاب، ونحسن إليهم، فقال: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ﴾، وهذا هو عين النصر والظفر، كما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (ما عاقبت من عصي الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه)،^(٢) وبهذا يحصل لهم تأليف وجمع على الحق، ولعل الله أن يهديهم، فلذلك من اتصف بتلك الصفات إلى المخالفين فقد نال محبة الله ﷻ.^(٣)
وجاءت جملة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣﴾ تعليلاً للأمر بالصفح، وحثاً عليه، وتنبيهاً على أن العفو عن الكافر الخائن إحسان، فضلاً عن العفو عن غيره،^(٤) فظاهر الآية الأمر بالمعروف، والصفح عنهم جميعهم، وذلك بعث على حسن التخلق معهم، ومكارم الأخلاق.^(٥)
وروي عن ابن عباس^(٦) ومجاهد^(٧) وقتادة^(٨) أنهم قالوا: (الآية منسوخة بآية

(١) انظر: تفسير الطبري ١٣٤/١٠. وتفسير أبي حيان ٢٠٦/٤. ونظم الدرر ٥٨/٦. وتفسير السعدي ص ٢٢٥.

(٢) أخرجه الخطيب في المتفق والمفترق ٣٠٤/١ بإسناد ضعيف، عن يحيى بن سعيد بن المسيب، من كلام عمر رضي الله عنه موقوفاً عليه.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٦٧/٣.

(٤) انظر: تفسير البياضوي ١١٩/٢. وتفسير أبي السعود ١٦/٣. وتفسير الألوسي ٢٦٢/٣.

(٥) انظر: تفسير أبي حيان ٢٠٦/٤.

(٦) انظر: الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص ١٩٠.

(٧) انظر: الدر المنثور ٤٢/٣.

(٨) انظر: الناسخ والمنسوخ لقتادة ص ٤١. وتفسير الطبري ١٣٤/١٠.

(السيف)،^(١) ومعنى هذا: أن العفو والصفح عن أهل الكتاب مأمور به قبل أن تنزل آية السيف، قال الزركشي^(٢) بعدما ذكر معرفة الناسخ من منسوخه: (وبهذا التحقيق - يقصد النسخ في آية السيف - تبين ضعف ما لهج به كثير من المفسرين في الآيات الآمرة بالتخفيف من أنها منسوخة بآية السيف قول ضعيف، فهو من المنسأ، بمعنى: أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما، لِعِلَّةٍ تُوجِبُ ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر وليس بنسخ، إنما النسخ: الإزالة، حتى لا يجوز امتثاله أبداً... وليس حكم المسايقة ناسخاً لحكم المسألمة، بل كل منهما يجب امتثاله في وقته).^(٣)

وقال ابن عاشور: (وأمره بالعفو عنهم والصفح حمل على مكارم الأخلاق، وذلك فيما يرجع إلى سوء معاملتهم للنبي ﷺ، وليس المقام مقام ذكر المناوأة)^(٤) القومية أو الدينية، فلا يعارض هذا قوله في براءة: ﴿قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩]؛ لأن تلك أحكام التصرفات العامة، فلا حاجة إلى القول بأن هذه الآية نسخت بآية براءة).^(٥)

وبعد هذا، نعلم أن الآية ليست بمنسوخة؛ لأن القول بالنسخ فيه إشكالات، وهي:

(١) واختاره السمرقندي ١/ ٣٧٦. والتعليبي ٤/ ٣٨. وابن حزم في النسخ والمنسوخ ص ٣٥. والواحدي في البسيط ٧/ ٣٠٦. والبغوي ٣/ ٣٢. وابن عطية ٢/ ١٧٠. والرازي ١١/ ٣٢٥.

(٢) هو: بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، عالم بفقهاء الشافعية والأصول، تركي الأصل، مصري المولد والوفاة ولد سنة ٧٤٥هـ، وتوفي سنة ٧٩٤هـ. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ٥/ ١٣٣-١٣٥. وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن عماد ٨/ ٥٧٢-٥٧٣. والأعلام للزركلي ٦/ ٦٠.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٢/ ٤٢-٤٣.

(٤) المناوأة: المعادة، أي: أن يفعل القوم كما يفعل أعداؤهم، من المباهاة والمباراة، والمناوأة تكون غالباً بين القوم. انظر: جمهرة اللغة لابن دريد ١/ ٢٥٠. وتهذيب اللغة للأزهري ١٥/ ٣٩٠. ومقاييس اللغة لابن فارس ٥/ ٣٦٧.

(٥) التحرير والتنوير ٦/ ١٤٥.

أولها: لم يرد دليل أو نص ثابت صحيح على نسخ هذه الآية بآية السيف، قال الطبري عند تفسير هذه الآية والرد على من قال أنها منسوخة: (فلا سبيل إلى العلم بأنه ناسخ إلا بخبر من الله جل وعز أو من رسوله ﷺ، وليس في قوله: ﴿قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩] دلالة على الأمر بنفي معاني الصفح والعفو عن اليهود).^(١)

ثانيها: لا يُعلم تاريخ نزول هذه الآية، ومن المعلوم أن من شرط النسخ العلم بالتاريخ حتى يعلم أن هذا بعد هذا، فيكون ناسخاً له.^(٢)

ثالثها: أنه يمكن الجمع بين العفو والصفح وبين القتال، فإذا أمكن الجمع فلا نسخ.^(٣)

رابعها: أن سورة المائدة من آخر ما نزل.^(٤)

فهذا يدل على أن الآية ليست منسوخة، بل الأمر لا يزال قائماً في العفو والصفح عن أهل الكتاب - في دائرة الشرع-، والله أمرنا بذلك، ومن وعفى عنهم وصفح وأحسن لهم نال محبة الله، فكيف بمن عفى وصفح وأحسن للمؤمنين؟



(١) تفسير الطبري ١٠/ ١٣٥.

(٢) تفسير سورة المائدة لابن عثيمين ١/ ١٩٣-١٩٤.

(٣) تفسير سورة المائدة لابن عثيمين ١/ ١٩٣-١٩٤.

(٤) رواه أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق ﷺ ٣٥٣/ ٤٢، رقم الحديث: ٢٥٥٤٧. والحاكم في المستدرک، کتاب التفسیر، تفسير سورة المائدة ٢/ ٣٤٠، رقم الحديث: ٣٢١٠. وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه). وقال الألباني: (إسناده صحيح) إرواء الغلیل في تخريج أحاديث منار السبیل ١/ ١٣٩. وانظر: البرهان للزركشي ٢/ ٦٦. والإتقان للسيوطي ١/ ١٠٤.

المبحث الثالث: صفات من يحبهم الله ﷻ في جوانب الأخلاق

جاءت الشرعية المطهرة بذكر الخلق والأخلاق الحسنة، والمدح لمن اتصف بالأخلاق الحسنة بالخيرية، فقال النبي ﷺ: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً»،^(١) بل أن النبي ﷺ بعث ليتمم مكارم الأخلاق، فقال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»،^(٢) لذا سيكون في هذا المبحث الحديث الصفات الحسنة التي يحبها الله ﷻ في جانب الأخلاق، وهي في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: من اتصف بالإحسان.

أولاً: الإنفاق في سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

جاء عند الترمذي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: (...، أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا، فأصلحنا ما ضاع منها. فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ يرد علينا ما قلنا: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها، وتركنا الغزو. فما زال أبو أيوب رضي الله عنه شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم.^(٣)

أمر الله ﷻ عباده بالإنفاق في سبيله، وهو إخراج الأموال من صدقة على

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب: صفة النبي ﷺ ١٨٩/٤، رقم الحديث: ٣٥٥٩، وصحيح

مسلم، كتاب الفضائل، باب: كثرة حياته ﷺ ١٨١٠/٤، رقم الحديث: ٢٣٢١.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٢٨/٢١، رقم الحديث: ٢٠٨١٩. قال ابن عبد البر في التمهيد: (صحيح)

٣٣٤/٢٤. وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: (صحيح) ٣٦١/٢.

(٣) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة البقرة ٥/٢١٢، رقم الحديث: ٢٩٧٢. قال

الألباني: (حديث صحيح). انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤٧/١.

مسكين، أو قريب، أو إنفاق على من تجب مؤنته، وأعظم ذلك الإنفاق في الجهاد في سبيل الله، فإن النفقة فيه جهاد بالمال، فالجهاد في سبيل الله لا يقوم إلا على ساق النفقة، وفي ترك الإنفاق في سبيل الله إبطال للجهاد، وتسليط للأعداء، وشدة تكاليفهم، فيكون قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ كالتعليل لذلك، ولما كانت النفقة في سبيل الله نوعاً من أنواع الإحسان، أمر بالإحسان عموماً فقال: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١) وهذا يشمل جميع أنواع الإحسان، لأنه لم يقيد بشيء دون شيء، فيدخل فيه الإحسان بالمال من باب أولى كما تقدم، فمن اتصف بهذه الصفات، نال محبة الله ﷻ.^(١)

وبعدما أمر الله ﷻ الإنفاق في سبيله، ونهى عن إلقاء النفس إلى التهلكة، جاء العطف بالأمر بالإحسان؛ لأن الإحسان أعلى مقامات الطاعة،^(٢) ثم ذيلت الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣)، وفي هذا تحريض على الإحسان؛ لأن محبة الله عبده غاية ما يطلبه الناس، إذ محبة الله العبد سبب الصلاح والخير في الدنيا والآخرة.^(٣)

ثانياً: الإنفاق في السراء والضراء، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]

فإن الله ﷻ يحب من عمل بهذه الأمور التي وصف أنه أعد للعاملين بها الجنة التي عرضها السموات والأرض، والعاملون بها هم: المحسنون، وإحسانهم هو: عملهم بتلك الأعمال،^(٤) وهي: الإنفاق في السراء والضراء، في حال الرخاء والسعة، وفي

(١) انظر: تفسير الطبري ٥٩٥/٣. ومعاني القرآن للزجاج ٢٦٦/١. وتفسير السمرقندي ١٢٩/١. وتفسير السمعاني ١٩٥/١. وتفسير الرازي ٢٩٦/٥. وتفسير السعدي ص ٩٠.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٥٣٠/١.

(٣) انظر: تفسير أبي حيان ٢٥٤/٢. والتحرير والتنوير ٢١٦/٢.

(٤) انظر: تفسير مقاتل ٣٠١/١. وتفسير الطبري ٢١٥/٧. وتفسير ابن عطية ٥١٠/١.

حال الضيق والشدة،^(١) وفي حال العسر واليسر،^(٢) والكاظمين الغيظ الجارعين له عند امتلاء نفوسهم منه،^(٣) والعافين عن الناس، أي: يعفون عن الناس بعد قدرتهم عليهم،^(٤) فعَقَّبَ وصف هؤلاء بالكظم والعفو بِحُبِّه المحسنين، وفي ذلك دليل على أن هؤلاء محسنون، والأوصاف التي وُصفوا بها كلها إحسان إلى الناس،^(٥) إما بإيصال النفع، أو بدفع الضرر، أما إيصال النفع فهو في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾، وأما دفع الضرر فهو إما في الدنيا، وهو في قوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾، وإما في الآخرة، وهو في قوله تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، فصارت هذه الآية من هذا الوجه دالة على جميع جهات الإحسان إلى الناس، ولما كانت هذه الأمور الثلاثة مشتركة في كونها إحساناً إلى الناس ذكر ثوابها فقال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٦) فإن محبة الله للعبد أعم درجات الثواب.^(٧)

وروي عن علي بن الحسين عليه السلام: (أن جارية له تسكب عليه الماء، فتهدأ للصلاة، فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشججه، فرفع علي بن الحسين رأسه إليها، فقالت الجارية: إن الله ﷻ يقول: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾، فقال لها: قد كظمت غيظي، قالت: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، فقال لها: قد عفا الله عنك، قالت: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٨)، قال: اذهبي فأنت حرة.^(٩)

(١) قول سعيد بن جبیر. انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٧٦٣/٣.

(٢) قول ابن عباس. انظر: تفسير الطبري ٢١٤/٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٢١٤/٧.

(٤) انظر: تفسير السمرقندي ٢٤٧/١.

(٥) انظر: التفسير البسيط للواحيدي ٦٠٠/٥. والتحرير والتنوير ٩١/٤.

(٦) انظر: تفسير الرازي ٣٦٧/٩.

(٧) شعب الإيمان للبيهقي، كتاب الخلق، فصل: في ترك الغضب، وفي كظم الغيظ، والعفو عند القدرة ٥٤٥/١٠، رقم الأثر: ٧٩٦٤. وهو ضعيف، فيه طاهر بن يحيى الحسيني، وقيل: الحسين، روى عن أبيه عن شيخ من أهل اليمن، وكذلك فيه عبدالرزاق الصنعاني، فهم من مجهولين.

المطلب الثاني: من اتصف بالوفاء بالعهد.

أولاً: الوفاء بالعهد مع عامة الناس، قال تعالى: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِيَدِينَ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّةِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران: ٧٥-٧٦]

بَيَّنَّ ﷻ في الآيتين مَنْ أَوْفَى بعهد الله الذي عاهد في كتابه، فأمن بالنبى ﷺ وصدق به وبما جاء به من الله، من أداء الأمانة إلى مَنْ ائتمنه عليها، وغير ذلك من أمر الله ونهيه، واتقى ما نهاه الله عنه من الكفر به، وسائر معاصيه التي حرمها عليه، ومنها: الخيانة ونقض العهد، فاجتنب ذلك مراقبةً وعيد الله وخوف عقابه، فإن الله يحب الذين يتقونه فيخافون عقابه ويحذرون عذابه، فيجتنبون ما نهاهم عنه وحرّمه عليهم، ويطيعونه فيما أمرهم به.^(١)

واختلف المفسرون في عود الضمير في قوله: ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾، فمنهم مَنْ قال: إنه عائد على الله تعالى،^(٢) أي: من أوفى بعهد الله، ومنهم مَنْ قال: إنه عائد على ﴿مَنْ أَوْفَى﴾،^(٣) أي: عائد على الموفّي ومتقي الكفر والخيانة ونقض العهد، والقولان يرجعان إلى معنى واحد؛ لأن أمر الله تعالى بالوفاء مقترن بعهد كل إنسان.^(٤)

(١) انظر: تفسير الطبري ٥٢٦/٦. وتفسير البغوي ٥٦/٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٥٢٦/٦. وتفسير السمرقندي ٢٢٤/١. وتفسير الثعلبي ٩٧/٣. والتفسير البسيط للواحدي ٣٧٠/٥. وتفسير البغوي ٥٦/٢. وتفسير ابن عطية ٤٥٩/١. وتفسير ابن الجوزي ٢٩٦/١. وتفسير البضاوي ٢٤/٢. وتفسير النسفي ٢٦٧/١. وتفسير ابن جزي ١٥٧/١. وتفسير أبي حيان ٢٢٥/٣. وتفسير السمين الحلبي ٢٧٠/٣.

(٣) انظر: تفسير الثعلبي ٩٧/٣. والتفسير البسيط للواحدي ٣٧٠/٥. وتفسير البغوي ٥٦/٢. وتفسير الزمخشري ٣٧٥/١. وتفسير ابن عطية ٤٥٩/١. وتفسير ابن الجوزي ٢٩٦/١. وتفسير البضاوي ٢٤/٢. وتفسير ابن جزي ١٥٧/١. وتفسير أبي حيان ٢٢٥/٣. وتفسير السمين الحلبي ٢٧٠/٣.

(٤) انظر: تفسير ابن عطية ٤٥٩/١. وتفسير أبي حيان ٢٢٥/٣.

واعلم أن هذه الآية دالة على تعظيم أمر الوفاء بالعهد، وذلك لأن الطاعات محصورة في أمرين، الأول: التعظيم لأمر الله، والثاني: الشفقة على خلق الله، فالوفاء بالعهد مشتمل عليهما معاً؛ لأن ذلك سبب لمنفعة الخلق، فهو شفقة على خلق الله، ولما أمر الله به كان الوفاء به تعظيماً لأمر الله، فثبت أن العبارة مشتملة على جميع أنواع الطاعات، والوفاء بالعهد كما يمكن في حق الغير يمكن أيضاً في حق النفس؛ لأن الوافي بعهد نفسه هو الآتي بالطاعات والتارك للمحرمات، فعندئذ يفوز بالثواب.^(١)

ثانياً: الوفاء بالعهد مع المشركين، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتَيْتُمُوهُمْ إِلَىٰ عَهْدِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، وقال تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]

في الآية الأولى جاء الاستثناء منقطعاً وهو عائد إلى قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَىٰ النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣]، أي: وأذان من الله ورسوله أن الله بريء من المشركين ورسوله إلا الذين عاهدتم من المشركين،^(٢) فقد أخبر ﷺ بأنه بريء من المشركين من عهودهم، إلا المعاهدين منهم، وجاء التذييل في الآية بأن الله يحب من لم ينقض العهد من المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(٣) ففيه تنبيه على أن الوفاء بالعهد -ولو مع المشركين- من التقوى، أي: الذين يتقون نقض العهد،^(٤) وأيضاً يكون التقوى في عدم المساواة بين الوفي وبين الغادر، فمن اتقى ربه في العهد -وإن كان المعاهد مشركاً- نال محبة الله ﷻ.

(١) انظر: تفسير الرازي ٨/ ٢٦٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٤/ ١٣٢. وتفسير ابن عطية ٣/ ٧. وتفسير الرازي ١٥/ ٥٢٧. وتفسير أبي حيان ٥/ ٣٧٠.

(٣) انظر: تفسير السمرقندي ٢/ ٣٩. وتفسير السمعاني ٢/ ٢٨٨. وتفسير ابن عطية ٣/ ٨. وتفسير البيضاوي ٣/ ٧١. وتفسير أبي حيان ٥/ ٣٧١.

وهذا العهد بين المؤمنين والمشركين يكون باقياً ما لم يتخلف المشركون بالصفتين المذكورتين في الآية، فالصفة الأولى هي: ﴿ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾، أي: لم ينقصوكم من عهدكم الذي عاهدتموهم، والصفة الثانية: ﴿وَلَمْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾، أي: لم يظاهروا عليكم أحداً من عدوكم،^(١) فإذا كانت الصفتان فيهم باقية ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾.

وفي الآية الثانية شروع في تحقيق ما سبق من البراءة وأحكامها المتفرعة منها، وتبيين الحكمة من ذلك،^(٢) فجاء الاستفهام في مطلع الآية على جهة التعجب والاستنكار والاستبعاد، أي: أننى يكون -أيها المؤمنون- للمشركين عهد عند الله ﷻ وعهد عند رسوله ﷺ يوفى لهم؟ ثم جاء الاستثناء بعد الاستنكار بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.^(٣)

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقْلُمُوا لَكُمْ فَاسْتَغْنُوا لَهُمْ﴾ شرط في بقاء العهد.^(٤) وذُلت هذه الآية أيضاً بمحبة الله ﷻ للمتقين ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(٥)، أي: من اتقى ربه، وراقبه، وأوفى بعهده لمن عاهده، وأيضاً تدل على أن التبرص بهم إن استقاموا من أعمال المتقين.^(٦)

وكلا الآيتين اختتمتا بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(٧)، فجاءت ﴿إِنَّ﴾ للاهتمام.^(٨)



-
- (١) انظر: تفسير الطبري ١٤/١٣٢. وتفسير الرازي ١٥/٥٢٧. وتفسير القرطبي ٨/٧١.
 (٢) انظر: تفسير أبي السعود ٤/٤٤. والتحرير والتنوير ١٠/١٢٠.
 (٣) انظر: معاني القرآن للفراء ١/٤٢٣. وتفسير الطبري ١٤/١٤١. وتفسير الزمخشري ٢/٢٤٩. وتفسير ابن عطية ٣/٩. وتفسير أبي حيان ٥/٣٧٥.
 (٤) أحكام القرآن للكمي الهراسي ٤/١٨١.
 (٥) انظر: التفسير البسيط للواحدي ١٠/٣٠٣. وتفسير الزمخشري ٢/٢٤٩. وتفسير الرازي ١٥/٥٣١.
 وتفسير السنفي ١/٦٦٥. وتفسير أبي حيان ٥/٣٧٧.
 (٦) انظر: التحرير والتنوير ١٠/١٢٣.

الخاتمة

بعد عون الله وتوفيقه فهذا ما يسّر الله لي جمعه ودراسته، فله الحمد وحده، وله الشكر وحده، والله أسأل الإخلاص والتوفيق والسداد في القول والعمل.

وفيما يلي خلاصة ما توصلت إليه في هذا البحث من نتائج:

١ - جاءت النصوص والآثار في إثبات صفة الحب والمحبة لله ﷻ، وكثرة ورودها في القرآن الكريم والسنة النبوية.

٢ - أن محبة الله ﷻ مرتبطة باتباع نبيه ﷺ، فمن خالف النبي ﷺ فهو ليس محبوباً عند الله ﷻ.

٣ - محبة الله ﷻ لعباده تُنال في جوانب ثلاثة ورد ذكرها في القرآن، إما في العقيدة، وإما في الأحكام الشرعية، وإما في الأخلاق، فمن أراد أن ينال محبة الله ﷻ فليتقرب إليه بتلك الأعمال.

٤ - ارتبطت محبة الله ﷻ بالإحسان إلى الخلق، وكظم الغيظ، والعفو عنهم، بل وتعدّى إلى الإحسان والوفاء للمشرّكين والمخالفين.

• التوصيات:

١ - دراسة الآيات التي ذكر فيها عدم محبة الله ﷻ، ومقتته، وكرهه، دراسة موضوعية.

٢ - دراسة الآيات التي ذكر فيها محبة الله ﷻ دراسة عقدية موضوعية، تربط بين القرآن والعقيدة.

٣ - دراسة الآيات التي ذكرها الله ﷻ في محبة الخلق للدنيا وغيرها، دراسة موضوعية.



المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن. المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ). المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة: ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م
٢. أحكام القرآن. المؤلف: علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي (المتوفى: ٥٠٤ هـ). المحقق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ.
٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢ هـ). الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٤. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ). إشراف: زهير الشاويش. الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت. الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٥. أسباب نزول القرآن. المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، (المتوفى: ٤٦٨ هـ). المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان. الناشر: دار الإصلاح الدمام. الطبعة: الثانية ١٤١٢ هـ.
٦. الأعلام. المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦ هـ). الناشر: دار العلم للملايين.
٧. إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان لابن القيم. المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ). المحقق: محمد عفيفي. الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان / مكتبة فرقد الخاني، الرياض، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

٨. إنباه الرواة على أنباه النحاة. المؤلف: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦ هـ). المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢ م.
٩. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر ابن محمد الشيرازي البضاوي (المتوفى: ٦٨٥ هـ). المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت. الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
١٠. بحر العلوم. المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣ هـ).
١١. البحر المحيط في التفسير. المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥ هـ). المحقق: صدقي محمد جميل. الناشر: دار الفكر - بيروت. الطبعة ١٤٢٠ هـ.
١٢. البرهان في علوم القرآن. المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤ هـ). المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م. الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
١٣. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة. المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧ هـ). الناشر: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة: الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٤. تاج العروس من جواهر القاموس. المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥ هـ). المحقق: مجموعة من المحققين. الناشر: دار الهداية.

١٥. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ). الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس. سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
١٦. تذكرة الحفاظ = طبقات الحفاظ. المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ). الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
١٧. التسهيل لعلوم التنزيل. المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ). المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي. الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت. الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.
١٨. تفسير أسماء الله الحسنى. المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ). المحقق: أحمد يوسف الدقاق. الناشر: دار الثقافة العربية.
١٩. تفسير أسماء الله الحسنى. المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ). المحقق: عبيد بن علي العبيد. الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. الطبعة: العدد ١١٢ - السنة ٣٣ - ١٤٢١ هـ.
٢٠. التفسير البسيط. المؤلف: أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحددي. (المتوفى: ٥٤٦٨هـ). طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود.
٢١. تفسير الراغب الأصفهاني. المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ). جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة. تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني. الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا. الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٢٢. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم. المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ). المحقق: أسعد محمد الطيب. الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية. الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.
٢٣. تفسير القرآن العظيم. المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). المحقق: سامي بن محمد سلامة. الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٢٤. تفسير القرآن الكريم، سورة الفاتحة والبقرة، لفضيلة الشيخ العلامة: محمد ابن صالح العثيمين، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.
٢٥. تفسير القرآن الكريم، سورة المائدة. لفضيلة الشيخ العلامة: محمد بن صالح العثيمين، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ.
٢٦. تفسير القرآن. المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ). المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٢٧. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم. المؤلف: محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ). المحقق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز. الناشر: مكتبة السنة - القاهرة - مصر. الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٢٨. تفسير مقاتل بن سليمان. المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ). المحقق: عبد الله محمود شحاته. الناشر: دار إحياء التراث - بيروت. الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.

٢٩. تلبس إبليس. المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ). الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان. الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
٣٠. تهذيب التهذيب. المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ). الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند. الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.
٣١. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزني (المتوفى: ٧٤٢هـ). المحقق: د. بشار عواد معروف. الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٣٢. تهذيب اللغة. المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ). المحقق: محمد عوض مرعب. الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت. الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
٣٣. التوضيح لشرح الجامع الصحيح. المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ). المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث. الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا. الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٣٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر ابن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ). المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٣٥. التيسير في القراءات السبع. المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ). المحقق: اوتو تريزل. الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت. الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

٣٦. جامع البيان في تأويل القرآن. المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠ هـ). المحقق: أحمد محمد شاكر. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٣٧. الجامع لأحكام القرآن. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ). المحقق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة. الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
٣٨. جمهرة اللغة. المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١ هـ). المحقق: رمزي منير بعلبكي. الناشر: دار العلم للملايين - بيروت. الطبعة: الأولى، ١٩٨٧ م.
٣٩. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦ هـ). المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط. الناشر: دار القلم، دمشق.
٤٠. الدر المنثور. المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ). الناشر: دار الفكر - بيروت.
٤١. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ). المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان. الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند. الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م.
٤٢. ديوان الإمام الشافعي، جمعه وشرحه: الأستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.
٤٣. ديوان محمود الوراق، جمع ودراسة وتحقيق: أ.د. وليد قصاب، مؤسسة الفنون، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.

٤٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ). المحقق: علي عبد الباري عطية. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
٤٥. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة. المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
٤٦. زاد المسير في علم التفسير. المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ). المحقق: عبد الرزاق المهدي. الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٤٧. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ). الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض. الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف).
٤٨. سنن الترمذي. المؤلف: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ). تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢). ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣). وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥). الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر. الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
٤٩. سنن النسائي. المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ). تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب. الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.
٥٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد

- ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩ هـ). حققه: محمود الأرناؤوط. خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط. الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٥١. شرح العقيدة الطحاوية. المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢ هـ). تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد الله بن المحسن التركي. الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت. الطبعة: العاشرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٥٢. شرح العقيدة الواسطية. المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ). خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصمي. الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية. الطبعة: السادسة، ١٤٢١ هـ.
٥٣. شرح ثلاثة الأصول. المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ). الناشر: دار الثريا للنشر. الطبعة: الطبعة الرابعة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
٥٤. شعب الإيمان. المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ). حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد. الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند. الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
٥٥. الشفا بتعريف حقوق المصطفى. المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤ هـ). الناشر: دار الفيحاء - عمان. الطبعة: الثانية - ١٤٠٧ هـ.
٥٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد

- الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. الناشر: دار العلم للملايين - بيروت. الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٥٧. صحيح البخاري. المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر. الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي). الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.
٥٨. الصحيح المسند من أسباب النزول. المؤلف: مُقْبَلُ بْنُ هَادِي بْنِ مُقْبَلِ بْنِ قَائِدَةِ الْهَمْدَانِي الْوَادِعِيِّ (المتوفى: ١٤٢٢ هـ). الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة. الطبعة: الرابعة مزينة ومنقحة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
٥٩. صحيح مسلم. المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١ هـ). المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي. الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت. الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م.
٦٠. طبقات المفسرين للداوودي. المؤلف: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥ هـ). الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.
٦١. طبقات المفسرين. المؤلف: أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (المتوفى: ق ١١ هـ). المحقق: سليمان بن صالح الخزي. الناشر: مكتبة العلوم والحكم - السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٦٢. طريق الهجرتين وباب السعادتين. المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ). الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر. الطبعة: الثانية، ١٣٩٤ هـ.
٦٣. العجائب في بيان الأسباب. المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن

- أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ). المحقق: عبد الحكيم محمد الأنيس. الناشر: دار ابن الجوزي.
٦٤. غريب الحديث. المؤلف: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي. المحقق: الدكتور حسين محمد محمد شرف، أستاذ م بكلية دار العلوم. مراجعة: الأستاذ عبد السلام هارون، الأمين العام لمجمع اللغة العربية. الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة. الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
٦٥. غريب الحديث. المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ هـ). المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان. الطبعة: الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٦٦. الفتاوى الكبرى لابن تيمية. المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ). الناشر: دار الكتب العلمية. الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
٦٧. فتح القدير. المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ). الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت. الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.
٦٨. الفروق اللغوية. المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥ هـ). حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم. الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.
٦٩. قاعدة في المحبة. المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي

- الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). المحقق: محمد رشاد سالم. الناشر: مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر.
٧٠. كتاب العين. المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ). المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي. الناشر: دار ومكتبة الهلال.
٧١. كتاب تفسير القرآن. المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ). قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي. حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد. دار النشر: دار المآثر - المدينة النبوية
٧٢. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل. المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو ابن أحمد، الزمخشري جاز الله (المتوفى: ٥٣٨هـ). الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت. الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
٧٣. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. المؤلف: مكي بن أبي طالب المقدسي (المتوفى: ٤٣٧هـ). المحقق: الدكتور محيي الدين رمضان. الناشر: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق. ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
٧٤. الكشف والبيان عن تفسير القرآن. المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ). تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان. الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
٧٥. لباب النقول في أسباب النزول. المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ). ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبدالشافى. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
٧٦. اللباب في علوم الكتاب. المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن

- عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥ هـ). المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٧٧. لسان العرب. المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١ هـ). الناشر: دار صادر - بيروت. الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
٧٨. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين. المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ). جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان. الناشر: دار الوطن - دار الثريا. الطبعة: الأخيرة - ١٤١٣ هـ.
٧٩. محاسن التأويل. المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢ هـ). المحقق: محمد باسل عيون السود. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
٨٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢ هـ). المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
٨١. المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية. المؤلف: خالد بن سليمان المزيني. الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى ١٤٢٧ هـ.
٨٢. المحكم والمحيط الأعظم. المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨ هـ]. المحقق: عبد الحميد هنداوي. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٨٣. المخلصيات وأجزاء أخرى لأبي طاهر المخلص. المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا البغدادي المخلص (المتوفى: ٣٩٣هـ). المحقق: نبيل سعد الدين جرار. الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لدولة قطر. الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٨٤. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي. الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت. الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
٨٥. مدارك التنزيل وحقائق التأويل. المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ). حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي. راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو. الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٨٦. المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير. المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ - ٢٧٦ هـ). المحقق: مروان العطية - محسن خرابة. الناشر: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
٨٧. المستدرک علی الصحیحین. المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله ابن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥ هـ). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠ هـ.
٨٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل. المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ابن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١ هـ). المحقق: أحمد محمد شاكر. الناشر: دار الحديث - القاهرة. الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ.

٨٩. مشارق الأنوار على صحاح الآثار. المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤ هـ). دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.
٩٠. معالم التنزيل في تفسير القرآن. المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠ هـ). المحقق: عبد الرزاق المهدي. الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.
٩١. معاني القرآن وإعرابه. المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١ هـ). المحقق: عبد الجليل عبده شلبي. الناشر: عالم الكتب - بيروت. الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٩٢. معاني القرآن. المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧ هـ). المحقق: أحمد يوسف النجاشي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي. الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر. الطبعة: الأولى.
٩٣. معجم مقاييس اللغة. المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥ هـ). المحقق: عبد السلام محمد هارون. الناشر: دار الفكر. عام النشر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
٩٤. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار. المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ). الناشر: دار الكتب العلمية. الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ.
٩٥. مفاتيح الغيب. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦ هـ). الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت. الطبعة: الثالثة ١٤٢٠ هـ.

٩٦. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. المؤلف: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ - ٦٥٦ هـ). حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب مستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال. الناشر: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت). الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
٩٧. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ). الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت. الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ.
٩٨. الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن. المؤلف: أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤ هـ). دراسة وتحقيق: محمد بن صالح المديفر (أصل التحقيق رسالة جامعية). الناشر: مكتبة الرشد / شركة الرياض - الرياض. الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٩٩. الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم. المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦ هـ). المحقق: د. عبد الغفار سليمان البنداري. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
١٠٠. الناسخ والمنسوخ. المؤلف: قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري (المتوفى: ١١٧ هـ). المحقق: حاتم صالح الضامن، كلية الآداب - جامعة بغداد. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة: الثالثة، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.
١٠١. النشر في القراءات العشر. المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ). المحقق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ). الناشر: المطبعة التجارية الكبرى.

١٠٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥ هـ). الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
١٠٣. النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه). المؤلف: علي بن فضال بن علي بن غالب المُجاشِعي القيرواني، أبو الحسن (المتوفى: ٤٧٩ هـ). دراسة وتحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل. دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ.
١٠٤. النهاية في غريب الحديث والأثر. المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦ هـ). الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.
١٠٥. نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار. المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ). تحقيق: عصام الدين الصبابطي. الناشر: دار الحديث، مصر. الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.



محمد بن أبي القاسم بن بابجوك البقالي (ت ٥٦٢هـ)،
ومعالم منهجه في الموجود من تفسيره "مفتاح التنزيل"

إعداد

د. ممدوح بن تركي بن محمد القحطاني
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة شقراء

ملخص البحث

عنوان البحث: محمد بن أبي القاسم بن بابجوك البقالي (ت ٥٦٢ هـ)، ومعالم منهجه في الوجود من تفسيره "مفتاح التنزيل".

اشتمل البحث على مقدمة، وفصلين، وخاتمة، تضمن الفصل الأول مبحثين، في المبحث الأول التعريف بالمؤلف، وحياته العلمية، وثناء العلماء عليه، ثم مصنفاته، وفي المبحث الثاني التعريف بالكتاب ونسخه الخطية، وفي الفصل الثاني تناول البحث منهج البقالي في التفسير، منهجه في التفسير بالمأثور، وكيفية تعامله مع الإسرائيليات، ثم منهجه في علوم اللغة، ومسائل الاعتقاد، والأحكام، والاستنباط، ثم عنايته بقواعد التفسير، وترجيحاته، ومناقشاته، ثم منهجه في عرض علوم القرآن في تفسيره، ثم خاتمة.

أهداف البحث: تعرّف سيرة هذا العالم، وإبراز المكانة العلمية التي تبوأها، وذكر مؤلفاته، والتعريف بهذا التفسير، بوصفه واحداً من التفاسير المتقدمة تاريخياً، ووصف نسخه الخطية، وإبراز المنهج الذي سار عليه، والسمات الظاهرة فيه، والقيمة العلمية له.

ومن نتائج البحث:

١. بيان أن هذا التفسير من أجَلِّ التفاسير في القرن السادس، وأن مؤلفه قامة علمية بارزة، وأن شخصيته ظاهرة في تفسيره، وأن له فيه ترجيحات، كما له عناية بقواعد التفسير وعلم المناسبات والاستنباط.

٢. توجيه أنظار الباحثين لتعرّف بقية كتب البقالي، والبحث عنها في خزائن المخطوطات، وخدمتها.

ومن أهم التوصيات: البحث عن النسخ الخطية لهذا الكتاب، واستخراج أقوال المؤلف واختياراته الفقهية من كتب الفقه، وتناول تفسيره بالدراسات من عدة جوانب، كتفسيره القرآن بالقرآن.

الكلمات المفتاحية: مفتاح التنزيل، بابجوك، البقالي، تفسير، منهجه

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:
فإن خدمة كتاب الله من خير الأعمال التي يرجى ثوابها، وإن علماء الأمة لم يُقَصِّروا في خدمته، فقد أثروا المكتبة القرآنية بما لا يحصى من التصانيف في مختلف علومه، بعضها مشهور، وبعضها مغمور، وكثير منها يُظنُّ أنه مفقود.
وإن حاجة المتخصصين في الدراسات القرآنية إلى معرفة التفاسير المخطوطة التي المغمورة، لا تقل عن حاجتهم إلى معرفة مناهج كتب التفسير المشهورة، قريبة المتناول، التي صُنِّفَ على بعضها عشرات الأعمال العلمية.
وقد يسر الله للباحث أن يَطَّلِعَ على التفسير الجليل المسمى (مفتاح التنزيل) لأبي الفضل محمد بن بابجوك البقالي (ت ٥٦٢هـ)، وهو من جِلَّةِ المفسرين في القرن السادس الهجري، وُصِفَ بالإمامة والتبريز، عسى أن يكون التعريف به وبمؤلفه ومنهجه مفيداً للباحثين.

أهداف البحث:

١. تعرُّف سيرة هذا العالم المفسِّر، وإبراز المكانة العلمية التي تبوأها، وجمع النصوص التي تضمنت الثناء عليه.
 ٢. جمع ما وقف عليه الباحث من مؤلفات هذا العالم، وإبراز عناواناتها.
 ٣. التعريف بهذا التفسير المُتَقَدِّم تاريخياً، فهو من تفاسير القرن السادس، جاء بين تفسيرين مشهورين هما تفسير الزمخشري وتفسير الرازي، ووصفُ نسخه الخطية.
 ٤. إبراز المنهج الذي سار عليه المؤلِّف، والسمات الظاهرة في تفسيره، والقيمة العلمية لهذا التفسير، والعلوم التي تناولها.
- حدود البحث: النسخ الخطية التي وقف عليها الباحث، وتبدأ من سورة طه إلى

آخر سورة النجم، وقراءتها ثم استخراج منهج المفسر منها، وقبل ذلك التعريف بالمفسر، وحياته العلمية، ومؤلفاته.

الدراسات السابقة: هذه الدراسة هي الأولى حسب علمي، فبعد البحث والسؤال لم يجد الباحث دراسة علمية عن البقالي ولا عن أي كتاب من كتبه.

منهج البحث: سلك الباحث المنهج الاستقرائي الوصفي، فقرأ النسخ الخطية، ثم دوّن ما عرض لي مما يوضح منهج المفسر الذي سار عليه، ثم وزع هذه الأمثلة على ما يناسبها من مباحث ومطالب، وتتبع مصادر كثيرة مخطوطة ومطبوعة، ولم يُغفل ذكر مصدر فيه إشارة إلى المؤلف حسب جهده.

خطة البحث: جعل الباحث خطة البحث مكونة من مقدمة وفصلين وخاتمة، على هذا النحو:

المقدمة، وتشتمل على أهمية الموضوع وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة.

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف وكتابته، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف الموجز بالمؤلف، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده.

المطلب الثاني: حياته العلمية، وثناء العلماء عليه وشيوخه، وتلاميذه.

المطلب الثالث: مصنفاته، ووفاته.

المبحث الثاني: التعريف بالكتاب ونسخه الخطية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسم الكتاب وإثبات نسبته إلى مؤلفه.

المطلب الثاني: نسخه الخطية.

المطلب الثالث: مصادره.

المطلب الرابع: الملامح العامة لتفسيره.

الفصل الثاني: منهج البقالي في تفسيره، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التفسير بالمأثور، والإسرائيليات في تفسيره، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة النبوية.

المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

المطلب الرابع: الإسرائيليات في تفسيره.

المبحث الثاني: منهجه في علوم اللغة، ومسائل الاعتقاد والأحكام، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إعماله علوم اللغة.

المطلب الثاني: منهجه في مسائل الاعتقاد.

المطلب الثالث: منهجه في الأحكام الفقهية.

المطلب الرابع: منهجه في الاستنباط.

المبحث الثالث: إعماله قواعد التفسير، وترجيحاته، وردوده، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عنايته بقواعد التفسير.

المطلب الثاني: ترجيحاته.

المطلب الثالث: ردوده ومناقشاته.

المبحث الرابع: علوم القرآن في تفسيره، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: علم القراءات، والوقف والابتداء.

المطلب الثاني: أسماء السور، والمكي والمدني.

المطلب الثالث: الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول.

المطلب الرابع: مشكل القرآن والمتشابه اللفظي.

المطلب الخامس: الانتصار للقرآن الكريم.

المطلب السادس: المناسبات بين الآيات.

الخاتمة: وتشتمل على أبرز النتائج التي توصلت إليها، وأهم التوصيات، ثم

الفهرس، وأسأل الله التوفيق والسداد.

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف وبكتابه.

المبحث الأول: التعريف الموجز بالمؤلف.

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده^(١).

اسمه ونسبه: هو أبو الفضل مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي القاسمِ بْنِ بابجوك الخوارزمي البقالي.

ويلقب بزین المشايخ الأدمي، لأنه قرأ كتاب "الأدمي" في النحو وحفظه فاشتهر بذلك^(٢)، والكتاب لأحمد ابن محمد بن علي الأدمي (ت بعد ٤٥٠ هـ)^(٣)، وسمي بذلك نسبة إلى بيع الأدم، وهي الجلود^(٤).

بابجوك: ضبطه الصفدي بالعبارة فقال: "بباءين موحدتين بينهما ألف وبعدها

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢٦١٨/٦، الدر الثمين في أسماء المصنفين لابن الساعي ص ١٣١، تاريخ الإسلام للذهبي ٢٦٨/١٢، ٢٨٥/١٢، المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٥١، الوافي بالوفيات للصفدي ٢٤٢/٤، الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي ٣٩٢/٤، توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ٥٧٦/١، الطبقات لابن قاضي شهبة ص ١٥٨، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر ١٦٦/١، تاج التراجم لابن قطلوبغا ص ٢٧١، بغية الوعاة للسيوطي ٢١٥/١، طبقات المفسرين للسيوطي ص ١١٧، طبقات المفسرين للداودي ٢٣١/٢، كتاب أعلام الأخيار للكفوي مخطوط م ١ ق ٢٩٧، سلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة ٦٧/٣، ديوان الإسلام للغزي ٣١٦/١، الفوائد البهية للكنوي ص ١٦١، نيل السائر للبنجييري ص ٢١١، وفي طبقات المفسرين للأدنه وي ص ١٩٥: "الباقلي" ولعله غلط من الطابع أو الناسخ، أو تصحفت على المؤلف.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٢٦٨/١٢، ٢٨٥/١٢، المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٥١، الوافي بالوفيات للصفدي ٢٤٢/٤، الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي ٣٩٢/٤، توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ٥٧٦/١، الطبقات لابن قاضي شهبة ص ١٥٨، تاج التراجم لابن قطلوبغا ص ٢٧١، طبقات المفسرين للسيوطي ص ١١٧، طبقات المفسرين للداودي ٢٣١/٢، طبقات المفسرين للأدنه وي ص ١٩٥.

(٣) إنباه الرواة للقفطي ١٥٥/١، الوافي بالوفيات ٩٩/٨، بغية الوعاة ٣٧٤/١.

(٤) المعجم المفصل في اللغويين العرب ٧٤/١، وانظر الأنساب للسمعاني ١٤١/١.

جيم وبعد الواو كاف" ^(١). وذكره ابن قاضي شهبة بقوله: "باباجوك" ويقال: بابجوك" ^(٢)، ووقع محرفاً في كثير من المطبوعات إلى "بابجوك"، وكذلك إلى "مانحول" في ثلاث نسخ مخطوطة من كتاب الكفوي ^(٣).

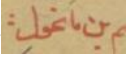
والخُورازمي: نسبة إلى خُوارِزْم، وهي بلاد عظيمة ^(٤)، وهو اسم لناحية بجملتها، وقصبتها جرجانية ^(٥)، وهي مدينة عظيمة حسنة الأحوال كثيرة الأموال على نهر جيحون، قبل أن يخرها المغول ^(٦).

وتقع الجرجانية الآن في غرب أوزبكستان، غرب نهر جيحون، قريبة من حدود تركمانستان، وهي عاصمة ولاية خوارزم ^(٧).

والبقالي: قال الذهبي: "البقال" ^(٨)، والعجم يزيدون الياء ^(٩)، وقال الكفوي: "وهي زيادة العجم، لا نسبة، والبقال الذي يبيع الأشياء اليابسة من الفواكه" ^(١٠)، قال ابن ناصر الدين: "البقال: في عرف المتقدمين من يبيع الأشياء المتفرقة من الفواكه

(١) الوافي بالوفيات للصفدي ٢٤٢/٤.

(٢) الطبقات لابن قاضي شهبة ص ١٥٨.

(٣) كتائب أعلام الأخيار للكفوي مخطوط م ١ ق ٢٩٧ جاء فيه: ، وفي م ١ ق ١٩٠:

(٤) آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان للمنجم ص ٧٩.

(٥) معجم البلدان لياقوت الحموي ٣٩٥/٢.

(٦) المرجع السابق ١٢/١٢٣

(٧) انظر الموقع الرسمي للمدينة على هذا الرابط: [http://xorazm.uz/uz/viloyat-haqida/viloyat-# /haqida-malumat](http://xorazm.uz/uz/viloyat-haqida/viloyat-#/haqida-malumat)

(٨) تاج التراجم لابن قطلوبغا ص ٢٧١.

(٩) المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٥١، وتبعه في الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي ٣٩٢/٤، توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ١/٥٧٦، وابن حجر في تبصير المشتبه بتحرير المشتبه

١/١٦٦، واللكوني في الفوائد البهية ص ١٦٢.

(١٠) كتائب أعلام الأخيار للكفوي مخطوط م ١ ق ٢٩٧.

اليابسة ونحوها، وفي عرف أهل عصرنا من يبيع الخُصَر من البُقُول الرطبة"^(١).
وقد عرف بهذه النسبة غيره، منهم: أبو عمران موسى بن يوسف البقالي الحنفي (ت ٤٥٢ هـ)، نقل عنه فتاوي صاحب "يتيمة الدهر في فتاوي أهل العصر"^(٢)، وله فتاوي مذكورة في كتب الحنفية"^(٣).

أسرته: لم يقف الباحث على شيء يخص أسرته؛ غير أنه في "تاج العروس"^(٤) في ترجمة أبي بكر محمد بن يوسف العدسي الجرجاني^(٥)، قال: "جرجاني أيضًا، تفقه وحدث عن أبي القاسم البقالي"، فربما كان أبا لمحمد بن أبي القاسم، ولكن لما رجع الباحث إلى "تاريخ جرجان" وجدته قد قال: "محمد بن يونس العدسي... روى عن أبي القاسم الشغالي"^(٦) بالغين المعجمة، وكذا في "توضيح المشتبه"^(٧).

مولده: ذكر المترجمون للبقالي أنه نَفِيَ على السبعين حين موته^(٨)، فيكون مولده بعد عام اثنين وتسعين وخمسمئة (٤٩٢ هـ).

(١) توضيح المشتبه ٥٧٤/١، والأكثر شيوعاً في العصر الحديث هو استعمال (بَقَال) بمعناه الواسع الذي يشمل بائع البقول وغيرها من المأكولات غير المطهّوة، انظر "معجم الصواب اللغوي" ١/١٨٨، وفي المعجم الوسيط ص ٤٤: "بائع الأطعمة المحفوظة والقطاني والسكر والصابون ونحوها تسميه العامة في مصر: البَقَال"، وانظر "معجم اللغة العربية المعاصرة" ١/١٣٢.
(٢) يتيمة الدهر في فتاوي أهل العصر للترجماني مخطوط ص ٢٥٥، وقد عرفت هذا الكتاب من مشاركة لحسين يعقوب محمد في متدئ الأصولين (رابط المشاركة في آخر البحث)، ثم وجد الباحث صاحب سلم الوصول إلى طبقات الفحول قد أشار إليه في ٣/٣٥٩ بقوله: "ذكره الترجماني في يتيمة الدهر"، وانظر ٤/٢٥٩.

(٣) الفتاوى التتارخانية ١/٥٢.

(٤) تاج العروس ١٦/٢٣٩.

(٥) لم يجد الباحث تاريخ وفاته.

(٦) تاريخ جرجان لحمزة الجرجاني ص ٤٥٣.

(٧) تبصير المشتبه ٦/٢٠٦.

(٨) تاريخ الإسلام للذهبي ١٢/٢٦٨، ١٢/٢٨٥.

المطلب الثاني

حياته العلمية، وثناء العلماء عليه وشيوخه، وتلاميذه

لم تذكر المصادر التي وقف عليها الباحث شيئاً عن نشأته الأولى وحياته العلمية، ولكن بمعرفة تاريخ مولده ووفاته ونسبته إلى خوارزم نعلم أنه عاش في محيط هذه الناحية من العالم الإسلامي، وقد كانت خوارزم في ذاك الزمن تحت حكم الخوارزميين، الذين يتبعون السلاجقة، وامتد حكمهم من عام تسعين وأربعمئة إلى عام ثمانية وعشرين وستمئة (٤٩٠هـ - ٦٢٨هـ)، ودخل تحت سلطانهم أراض شاسعة شملت نواحي خراسان إلى بلاد ما وراء النهر، وقد عاصر البقالي الحاكم محمد بن أنوشكين (ت ٥٢١هـ) المؤسس الحقيقي لدولة الخوارزميين^(١)، الذي حكم من عام (٤٩١هـ) إلى تاريخ وفاته عام (٥٢١هـ)، ثم ولي الأمر ابنه أئمز (ت ٥٥١هـ) الذي كان يتبع السلاجقة، وبدأ الاستقلال عنهم بعد عدة نزاعات معهم^(٢)، ثم ابنه أيل أرسلان (ت ٥٦٨هـ)^(٣) الذي استقل رسمياً عن دولة السلاجقة^(٤).

وكان الخوارزميون رُغم انشغالهم بالحروب المتواصلة يولون العلم والأدب شطراً من عنايتهم؛ فبرز كثير من الأدباء والشعراء والعلماء والكتاب، وكانوا يستدعون العلماء للحضور إلى عواصمهم، ويعتنون بفتح المدارس في أمار المدن^(٥).

(١) التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية لعفاف صبرة ص ٣٦، السلطان جلال الدين خوارزمشاه في ميزان التاريخ لمحمد دبیر سياتي ص ٢٣.

(٢) التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية لعفاف صبرة ص ٣٧.

(٣) انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٦ / ١٦١، السلطان جلال الدين خوارزمشاه في ميزان التاريخ لمحمد دبیر سياتي ص ٢٢، الحركة الثقافية في الدولة الخوارزمية للسيد أحمد الباز ص ٧.

(٤) التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية لعفاف صبرة ص ٥٠، الدولة الخوارزمية والمغول لحافظ أحمددي حمدي ص ٢٨.

(٥) المرجع السابق ص ١٠٢، ص ١٠٦.

مذهبه: كان البقالي في الفقه حنفي المذهب، وله كتب على مذهب الحنفية، ويذكر في طبقاتهم، وكثيراً ما يذكرون أقواله وكتبه، خصوصاً كتابه الفتاوي، وكتاب الصلاة، ويصفه ابن عابدين الحنفي (ت ١٢٥٢ هـ) بالإمام^(١)، وسيأتي الحديث عن منهجه في الأحكام الفقهية.

وأما مذهبه في أصول الدين، فلم يكن ظاهراً في تفسيره، بخلاف شيخه الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، ولكن عبارة جاءت في "الجواهر المضية" في ترجمة الكاخشثواني (ت ٦٧٣ هـ) بيّنت أنه دُفن بجانب البقالي والبياعي، ثم قال المؤلف: "من مشايخ المعتزلة"^(٢)، وهذه العبارة يُحتمل أنها تعود إلى الكاخشثواني أو إلى البقالي والبياعي.

وجرجانية خوارزم يغلب على أهلها مذهب المعتزلة وممارسة علوم الكلام^(٣)، والزمخشري معتزلي، والمطرزي (ت ٦١٠ هـ) تلميذ البقالي معتزلي، والزاهدي (٦٥٨ هـ) تلميذ المطرزي معتزلي^(٤).

وقد وقف الباحث على نصّ عزيز، يفهم منه موافقته الطبري في قوله؛ إذ لم يتعقبه بشيء، وكذلك لم ينسب نفسه إلى المعتزلة، قال: "وقد ذكر الطبري عن ابن زيد: ﴿يَسْأَلُ الْأَسْمُ﴾ [الحُجُرَات: ١١] أن يسميه بالفسق وهو على الإسلام، قال: وأهل هذا الرأي سُمُّوا معتزلة، قالوا: لا نكفره كما كفره أهل الأهواء، ولا نقول مؤمن كما قالت الجماعة، ولكننا نسميه باسمه فإن كان سارقاً فسارق؛ فاعتزلوا الفريقين فسموا معتزلة"^(٥)، وسيأتي في المبحث الثاني من الفصل الثاني في منهجه في مسائل الاعتقاد

(١) رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين ١/١٥٥.

(٢) الجواهر المضية ٢/٦٣٣، وانظر الفوائد البهية للكنوي ص ١٤٧، والبياعي مذكور في الجواهر المضية ٤/١٥٩ وأنه إسماعيل بن محمد، ولم يزد على ذلك.

(٣) آثار البلاد وأخبار العباد للقرظيني ص ٥٢٠.

(٤) طبقات الحنفية للحنائي ٢/٢١٦.

(٥) ظ ١/١٦٦ أ.

أنه ينسب نفسه إلى أهل السنة، وأن اسم المعصية لا تزيل اسم الإيمان، وبعض المسائل العقدية التي ذكرها.

ثناء العلماء عليه: قيل عنه: "الأستاذ"، "النَّحْوِيُّ الإمام العلامة المحقق الأديب" ^(١)، "سيف السُّنة" ^(٢).

قال ابن الساعي (ت ٦٧٤هـ): "ذكره محمود بن محمد الحافظ الخوارزمي" ^(٣) في تاريخ خوارزم، وقال: كان إماماً في الأدب وحجة في لسان العرب"، "وكان جمّ الفوائد، كثير الفرائد، حسن الاعتقاد، تقيّ الفؤاد، طيّب الصّحبة، كريم النفس نزيه العرض، مشغلاً بالإفادة، وتصنيف التصانيف" ^(٤).

ووصفه رشيد الدين الوطواط (ت ٥٧٣هـ) ^(٥) قائلاً: "الإمام الأجل أدام الله سعادته، وحرس سيادته" ^(٦).

قال ياقوت: "كان غير خائض فيما لا يعنيه، له يد في التّرسل ونقد الشعر" ^(٧)،

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٦/ ٢٦١٨، الدر الثمين في أسماء المصنفين لابن الساعي ص ١٣١، تاريخ الإسلام للذهبي ١٢/ ٢٨٥، المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٥١، الوافي بالوفيات للصفدي ٤/ ٢٤٢، الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٢/ ٦٣٢، توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ١/ ٥٧٦، بغية الوعاة للسيوطي ١/ ٢١٥، طبقات المفسرين للسيوطي ص ١١٧، كتائب أعلام الأخيار للكفوي مخطوط م ١ ق ٢٩٧، ديوان الإسلام للغزي ١/ ٣١٦.

(٢) أعلام الأخيار للكفوي م ١ ق ٢٩٨.

(٣) هو محمود بن محمد بن عباس بن أرسلان الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ)، له تاريخ خوارزم، انظر ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي ١٢/ ٣٩٨.

(٤) الدر الثمين في أسماء المصنفين لابن الساعي ص ١٣١، معجم الأدباء لياقوت الحموي ٦/ ٢٦١٨، توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ١/ ٥٧٦، الطبقات لابن قاضي شهبة ص ١٥٨، تاج التراجم لابن قطلوبغا ص ٢٧١، بغية الوعاة للسيوطي ١/ ٢١٥، طبقات المفسرين للدودي ٢/ ٢٣٢، طبقات المفسرين للأدنه وي ص ١٩٥، نيل السائر للبنجيبي ص ١١٢.

(٥) انظر ترجمته في "معجم الأدباء" لياقوت ٦/ ٢٦٣١، "بغية الوعاة" ١/ ٢٢٦.

(٦) رسالة رشيد الدين الوطواط فيما جرى بينه وبين الزمخشري ص ٢٩٧.

(٧) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٦/ ٢٦١٨، الدر الثمين في أسماء المصنفين لابن الساعي ص ١٣١، بغية الوعاة للسيوطي ١/ ٢١٥، طبقات المفسرين للدودي ٢/ ٢٣٢.

وُوصف بأنه "صاحب التصانيف"، وأن "اسمه اشتهر وبُعد صيته"، "وأقبل الطلبة على تصانيفه"^(١).

ونقل الذهبي عن الحافظ محمود بن مُحَمَّد بن أرسَلان الخُوَارَزْمِيّ في "تاريخ خُوَارَزْم" أنه قال: "كَانَ إِمَامًا حُجَّةً فِي الْعَرَبِيَّةِ، وخلف الزمخشري في حلقاته"^(٢). قال الكفوي: "كان إِمَامًا فَاضِلًا تَقِيًّا، مُنَاطِرًا نَحْوِيًّا ذَكِيًّا، خَبِيرًا بِالْمَعَانِي وَالْبَيَانِ، وَكَانَ مِنْ كَبَارِ الْأَئِمَّةِ وَحُجَّةٍ فِي الْعَرَبِيَّةِ"، وَذَكَرَ بِأَنَّهُ "الشيخ الكبير"، و"سيف السُّنَّة"^(٣).

شيوخه:

١. أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)^(٤) العلامة الشهير، واشتهر بالأخذ عنه فأخذ عنه اللغة وعلم الإعراب، وسمع الحديث منه ومن غيره، وجلس بعده في مكانه وخلفه في حلقاته^(٥). وقد وجد الباحث نصًّا عزيزًا ذكره الوطواط في رسالته، وهي مسألة وقعت له مع الزمخشري بحضرة البقالي، ثم قال عنه: "أدام الله سعادته وحرس سيادته"^(٦).

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ١٢/٢٦٨، الوافي بالوفيات للصفدي ٤/٢٤٢، تبصير المنتبه بتحريр المشتبه لابن حجر ١/١٦٦.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ١٢/٢٨٥، طبقات المفسرين للأدنه وي ص ١٩٥.

(٣) كُتَابُ أَعْلَامِ الْأَخْيَارِ لِلْكَفَوِيِّ مَخْطُوطٌ م ١ ق ٢٩٨، وانظر الفوائد البهية للكنوي ص ١٦١.

(٤) الفوائد البهية للكنوي ص ١٦١، تاج التراجم لابن فطلوبغا ص ٢٧١، ديوان الإسلام للغزي ١/٣١٦.

(٥) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٦/٢٦١٨، تاريخ الإسلام للذهبي ١٢/٢٦٨، ١٢/٢٨٥، المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٥١، الوافي بالوفيات للصفدي ٤/٢٤٢، الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي ٤/٣٩٢، توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ١/٥٧٦، الطبقات لابن قاضي شهبه ص ١٥٩، تبصير المنتبه بتحريр المشتبه لابن حجر ١/١٦٦، طبقات المفسرين للسيوطي ص ١١٧، طبقات المفسرين للدودي ٢/٢٣٢، كُتَابُ أَعْلَامِ الْأَخْيَارِ لِلْكَفَوِيِّ مَخْطُوطٌ م ١ ق ٢٨٣، ٢٩٨، طبقات المفسرين للأدنه وي ص ١٩٥، نيل السائر للبنجي ص ٢١٢.

(٦) رسالة رشيد الدين الوطواط فيما جرى بينه وبين الزمخشري ص ٢٩٧ ضمن رسائل البلغاء التي جمعها محمد كرد علي.

مما يدل على أنه كان حيًّا في أثناء كتابة هذه الرسالة.

٢. عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَسَنَ بْنِ عَلِيٍّ الْفَرَّغُولِيِّ (٤٥٦هـ - ٥٣٨هـ)^(١)، سكن مرو إلى حين وفاته، وفي كهولته سمع منه البقالي^(٢).

٣. أبو طاهر محمد بن أبي بكر محمد السنجي^(٣) (٤٦٣هـ - ٥٤٨هـ)، سمع البقالي منه بمرو، وحدث عنه^(٤)، ويؤخذ من هذا والذي قبله أن البقالي رَحَلَ إلى مرو.

تلاميذه:

سبق القول بأن البقالي خلف الزمخشري على حلقة، وذلك يعني أنه تلمذ له جملة من التلاميذ، ولكن المصادر التي وقف عليها الباحث لم تذكر كثيرًا منهم، وقد تيسر الوقوف على بعضهم، فمنهم:

١. أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرزي (٥٣٨هـ - ٦١٠هـ)^(٥)، وقد وجد الباحث عبارة في مقدمة كتاب "المغرب في ترتيب المغرب" للمطرزي قال فيها - بعد ذكره الكتب التي اعتمد عليها -: "جمع التفاريق" لشيخنا الكبير^(٦)، و"جمع التفاريق" كتاب منسوب إلى البقالي، وهذا النص يفهم منه أنه من شيوخه، وهناك

(١) انظر ترجمته في "المنتخب من معجم شيوخ السمعاني" ١/ ١١٨٢، تاريخ الإسلام للذهبي ١٢/ ٢٨٥، توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ١/ ٥٧٦، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر ١/ ١٦٦.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ١٢/ ٢٨٥، المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٥١، الطبقات لابن قاضي شعبة ص ١٥٩ وتحرف عنده إلى "الفرعولي".

(٣) انظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء" للذهبي ٢٠/ ٢٨٤، وتصحف في كثير من الكتب المطبوعة والمخطوطة إلى: السبكي، ويختلط بمحمد بن أبي بكر السبكي (ت ٥٥٥هـ) انظر "سير أعلام النبلاء" ٢٠/ ٢٨٦.

(٤) المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٥١، توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ١/ ٥٧٦، الطبقات لابن قاضي شعبة ص ١٥٩، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر ١/ ١٦٦.

(٥) تاريخ الإسلام للذهبي ١٣/ ٢٥٣، التكملة لوفيات النقلة للمنزري ٢/ ٢٧٩، وفي الكامل لابن الأثير ١٠/ ٢٧٢ أنه توفي في ٦٠٦هـ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي ٤/ ١٨.

(٦) ص ١٦.

نص في كتاب "الجواهر المضية" يُذكر فيه أن المطرزي "تفقه على البقالي"^(١)، وبهذا يترجح أن المطرزي من تلاميذ البقالي.

والمطرزي قيل عنه: "كان بخوارزم خليفة الزمخشري"^(٢)، مع أنه ولد في اليوم الذي توفي فيه الزمخشري.

٢. محمد بن سعد بن محمد الديباجي المروزي، (٥١٧هـ-٥٦٠هـ)^(٣)، توفي بمرو، قال ياقوت: "لقي الزمخشري، وقرأ على تلميذه البقالي"^(٤).

٣. علي بن عبد الله بن عمران العمراني^(٥)، أخذ عن الزمخشري وغيره، وأخذ عن البقالي الفقه والنحو^(٦).

(١) الجواهر المضية ٣/ ٥٢٩، وقع تحريف في هذه الكلمة إلى (النعالي) في الطبعة القديمة (ط كراتشي)، وتناقلها المترجمون للمطرزي خطأ.

(٢) مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي ١٨/ ٤.

(٣) انظر ترجمته: في معجم الأدباء لياقوت الحموي ٦/ ٢٥٣٨، "تاريخ الإسلام" ١٣/ ٢٢٤.

(٤) معجم الأدباء ٦/ ٢٥٣٨، بغية الوعاة للسيوطي ١/ ١١١، سلم الوصول إلى طبقات الفحول ٣/ ١٤٣.

(٥) انظر ترجمته: في كتائب أعلام الأخيار للكفوي مخطوط م ١ ق ٢٩٩، وهو وفي هذه النسخة الخطية محرف إلى (المعمراني) وفي م ٢ ق ١٩٠ (العمراني)، ولم أقف على تاريخ وفاته، وانظر الفوائد البهية للكنوي ص ١٢٣.

(٦) كتائب أعلام الأخيار للكفوي مخطوط م ١ ق ٢٩٨.

المطلب الثالث: مصنفاته، ووفاته

نُعتَ البقالي بأنه كثير التصانيف متنوعها، وأكثرها مفقود، ولم يطبع من مصنفاته شيء.

قال ابن قاضي شعبة: "له تصانيف كثيرة، كلها حسنة، وعند الناس مقبولة"^(١)، وهذا سرد لمصنفاته:

١. أسرار الأدب وافتخار العرب^(٢)، وقد وقع في اسمه تصحيف كثير، نحو: "كتاب آفات الكذب"^(٣)، و"أسرار الكتب"^(٤)، و"أسرار الكذب وافتخار العرب"^(٥)، وله مختصر في مكتبة هامبورج بألمانيا برقم (٣٩)^(٦)، وقد صوره الباحث، ويقع في اثنتي عشرة صفحة، في ضمن مجموع، وتبين للباحث بعد الحصول على نسخة منه أنه كتاب في فقه اللغة.

٢. الأسمى في سرد الأسماء^(٧)، أو الأسماء في شرح الأسماء^(٨)، وقد يكون هو الآتي وهو شرح الأسماء الحسنى أو المقصد الأسنى.

(١) الطبقات ص ١٥٨.

(٢) الدر الثمين في أسماء المصنفين لابن الساعي ص ١٣١، تاريخ الإسلام للذهبي ١٢ / ٢٨٥، المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٥١، الوافي بالوفيات للصفدي ٤ / ٢٤٢، توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ١ / ٥٧٦، الطبقات لابن قاضي شعبة ص ١٥٨.

(٣) كتائب أعلام الأخيار للكفوي مخطوط م ١ ق ٢٩٨.

(٤) تاج التراجم لابن قطلوبغا ص ٢٧١.

(٥) ذكره محقق الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي ٤ / ٣٩٢، وفي بعض النسخ: أسرار الكتب، ذكره الشيخ بكر أبو زيد في طبقات النسايين ص ١١٦ باسم افتخار العرب، ولعله ظن أنه كتاب في مفاخر العرب.

(٦) تاريخ الأدب العربي ٥ / ٢٣٩.

(٧) الدر الثمين في أسماء المصنفين لابن الساعي ص ١٣١، تاريخ الإسلام للذهبي ١٢ / ٢٨٥، المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٥١، الوافي بالوفيات للصفدي ٤ / ٢٤٢، توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ١ / ٥٧٦.

(٨) الطبقات لابن قاضي شعبة ص ١٥٨.

٣. أذكار الصلاة^(١).
٤. الإعجاب في الإعراب^(٢).
٥. أم الفضائل^(٣).
٦. آفات الكذب^(٤)، وقد يكون هو أسرار الأدب السابق.
٧. البداية في المعاني والبيان^(٥)، وقد يكون هو "الهداية إلى علم المعاني والبيان"، أو "الهداية في المعاني والبيان"^(٦).
٨. الترغيب في العلم^(٧).

-
- (١) الدر الثمين في أسماء المصنفين لابن الساعي ص ١٣١، تاريخ الإسلام للذهبي ١٢ / ٢٨٥، المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٥١، الوافي بالوفيات للصفدي ٤ / ٢٤٢، الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي ٤ / ٣٩٢، توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ١ / ٥٧٦، الطبقات لابن قاضي شهبة ص ١٥٩، تاج التراجم لابن قطلوبغا ص ٢٧١، كئائب أعلام الأخيار للكفوي مخطوط م ١ ق ٢٩٨، الفوائد البهية للكنوي ص ١٦٢، نيل السائر للبنجييري ص ٢١٢.
- (٢) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٦ / ٢٦١٨، الدر الثمين في أسماء المصنفين لابن الساعي ص ١٣١، الطبقات لابن قاضي شهبة ص ١٥٩، بغية الوعاة للسيوطي ١ / ٢١٥، طبقات المفسرين للداودي ٢ / ٢٣٢، ديوان الإسلام للغزي ١ / ٣١٦، نيل السائر للبنجييري ص ٢١٢.
- (٣) الدر الثمين في أسماء المصنفين لابن الساعي ص ١٣١، الطبقات لابن قاضي شهبة ص ١٥٨.
- (٤) الفوائد البهية للكنوي ص ١٦٢، نيل السائر للبنجييري ص ٢١٢.
- (٥) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٦ / ٢٦١٨، بغية الوعاة للسيوطي ١ / ٢١٥، نيل السائر للبنجييري ص ٢١٢.
- (٦) الدر الثمين في أسماء المصنفين لابن الساعي ص ١٣١، تاريخ الإسلام للذهبي ١٢ / ٢٨٥، المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٥١، الوافي بالوفيات للصفدي ٤ / ٢٤٢، الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي ٤ / ٣٩٢، الطبقات لابن قاضي شهبة ص ١٥٩، توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ١ / ٥٧٦، تاج التراجم لابن قطلوبغا ص ٢٧٢، طبقات المفسرين للداودي ٢ / ٢٣٢، كئائب أعلام الأخيار للكفوي مخطوط م ١ ق ٢٩٨، الفوائد البهية للكنوي ص ١٦٢.
- (٧) الدر الثمين في أسماء المصنفين لابن الساعي ص ١٣١، تاريخ الإسلام للذهبي ١٢ / ٢٨٥، المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٥١، الوافي بالوفيات للصفدي ٤ / ٢٤٢، الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي ٤ / ٣٩٢، توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ١ / ٥٧٦، الطبقات لابن قاضي شهبة ص ١٥٩، تاج التراجم لابن قطلوبغا ص ٢٧٢، كئائب أعلام الأخيار للكفوي مخطوط م ١ ق ٢٩٨، الفوائد البهية للكنوي ص ١٦٢، نيل السائر للبنجييري ص ٢١٢.

٩. تفسير القرآن^(١)، قال ابن الساعي: "في أربع مجلدات، رأيته ولا أدري أهو مفتاح التنزيل أو لا"^(٢)، قال الداودي: "سماء مفتاح التنزيل"^(٣).
١٠. تقويم اللسان، في النحو^(٤)، وقد جمع الباحث - بحمد الله - ما يزيد على عشرين نسخة خطية منه، من مكنتات شتى.
- وعلى هذا الكتاب شرح لأحمد بن السيد رمضان المرزوقي الحسني (١٢٠٥هـ-١٢٦٢هـ)^(٥)، اسمه تسهيل الأذهان على متن تقويم اللسان^(٦).
١١. تكميل تقويم اللسان^(٧).
١٢. التنبيه على إعجاز القرآن^(٨)، وقد يسمى إعجاز القرآن^(٩).

-
- (١) تاريخ الإسلام للذهبي ١٢/ ٢٨٥، المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٥١، الوافي بالوفيات للصفدي ٤/ ٢٤٢، الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي ٤/ ٣٩٢، توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ١/ ٥٧٦، الطبقات لابن قاضي شهبة ص ١٥٩، طبقات المفسرين للسيوطي ص ١١٧، طبقات المفسرين للأدنه وي ص ١٩٥، كئائب أعلام الأخيار للكفوي مخطوط م ١ ق ٢٩٨، الفوائد البهية للكنوي ص ١٦١.
- (٢) الدر الثمين في أسماء المصنفين لابن الساعي ص ١٣١.
- (٣) طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٢٣٢.
- (٤) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٦/ ٢٦١٨، الدر الثمين في أسماء المصنفين لابن الساعي ص ١٣١، الطبقات لابن قاضي شهبة ص ١٥٩، بغية الوعاة للسيوطي ١/ ٢١٥، طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٢٣٢، ديوان الإسلام للغزي ١/ ٣١٦، نيل السائر للبنجيبي ص ٢١٢.
- (٥) انظر المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر ص ١١٤، وإمتاع الفضلاء بتراجم القراء فيما بعد القرن الثامن ٢/ ٢٥.
- (٦) انظر المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر ص ١١٤.
- (٧) الطبقات لابن قاضي شهبة ص ١٥٩.
- (٨) الدر الثمين في أسماء المصنفين لابن الساعي ص ١٣١، المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٥١، الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي ٤/ ٣٩٢، توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ١/ ٥٧٦، الطبقات لابن قاضي شهبة ص ١٥٩، تاج التراجم لابن قطلوبغا ص ٢٧١، كئائب أعلام الأخيار للكفوي مخطوط م ١ ق ٢٩٨، الفوائد البهية للكنوي ص ١٦٢.
- (٩) تاريخ الإسلام للذهبي ١٢/ ٢٨٥، الوافي بالوفيات للصفدي ٤/ ٢٤٢، طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٢٣٢، طبقات المفسرين للأدنه وي ص ١٩٥.

١٣. جمع التفاريق^(١).

١٤. شرح الأسماء الحُسنى^(٢)، وعند الكفوي: "المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى"^(٣)، وفي الجواهر المضية: "الأسنى في شرح الأسماء الحسنى"^(٤).

١٥. شرح الأربعين^(٥)، ولم يتبين المقصود بالأربعين، ربما كان كتاب أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) أو غيره، وقد نقل عنه الكفوي مسألة فقهية^(٦).

١٦. الصلاة، ويذكر باسم صلاة البقالي^(٧).

١٧. الفتاوى^(٨)، يذكره الحنفية كثيرًا في كتبهم، يقال: "ذكره البقالي في فتاواه"^(٩)، وله نسخة في المركز الحكومي بإسطنبول (٣٠٧)^(١٠).

(١) كتائب أعلام الأخيار للكفوي مخطوط م ١ ق ٢٩٨، الفوائد البهية للكنوي ص ١٦٢، "كشف الظنون" ٥٩٦/١.

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢٦١٨/٦، الدر الثمين في أسماء المصنفين لابن الساعي ص ١٣١، تاريخ الإسلام للذهبي ٢٨٥/١٢، المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٥١، الوافي بالوفيات للصفدي ٢٤٢/٤، الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي ٣٩٢/٤، توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ٥٧٦/١، الطبقات لابن قاضي شهبة ص ١٥٨، تاج التراجم لابن قطلوبغا ص ٢٧١، طبقات المفسرين للسيوطي ص ١١٧، طبقات المفسرين للداودي ٢٣٢/٢، طبقات المفسرين للأذنه وي ص ١٩٥، الفوائد البهية للكنوي ص ١٦٢، نيل السائرين للبنجبيري ص ٢١٢.

(٣) كتائب أعلام الأخيار للكفوي مخطوط م ١ ق ٢٩٨.

(٤) الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي ٣٩٢/٤، تاج التراجم لابن قطلوبغا ص ٢٧٢.

(٥) كتائب أعلام الأخيار للكفوي مخطوط م ١ ق ٢٩٨.

(٦) كتائب أعلام الأخيار للكفوي مخطوط م ١ ق ٢٩٨.

(٧) في "حاشية الشلبي" (ت ١٠٢١ هـ) على تبين الحقائق شرح كنز الدقائق "في مواضع كثيرة، منها ١/١٥، وتكملة البحر الرائق للطوري القادري (ت ١١٣٨ هـ) في مواضع، منها ١/٥٤، وذكره في كشف الظنون ١٠٨١/٢، وهدية العارفين ٩٨/٢.

(٨) كتائب أعلام الأخيار للكفوي مخطوط م ١ ق ٢٩٨، الفوائد البهية للكنوي ص ١٦٢.

(٩) يذكر كثيرًا في كتاب "المحيط البرهاني في الفقه النعماني" لابن مازة البخاري (٥٦١٦ هـ)، وفي "البحر الرائق شرح كنز الحقائق" لابن نجيم (ت ٩٧٠ هـ)، وفي غيرها.

(١٠) الفهرس الشامل ٢٤/٧.

١٨. كافي التّراجم بلسان الأعاجم^(١)، أو التراجم بلسان الأعاجم^(٢)، أو الكافي في التراجم بلسان الأعاجم^(٣).

وهناك كتاب منسوب إلى أحمد بن محمد الغزنوي (ت ٥٥٩٣هـ) في بعض النسخ الخطية التي وقف عليها الباحث، وأُثبتَ على غلافها "كتاب تراجم الأعاجم" من مصنفات الشيخ الأجل العالم الكامل أبي المعالي أحمد بن محمد الغزنوي، طبع في إيران، مع مقدمة بالفارسية، وأوله: "الحمد لله مانح الأغلاق وفتاح الأغلاق... إلى أن قال: "فهذا مختصر في التفسير الناجم سُمّي تراجم الأعاجم، والشرط فيه أن كل كلمة فسرّها مرة لا يعود إليها كرة، لِيَقْلَ عائدته فيكثر فائدته"^(٤)، ثم ابتداء الكتاب بتفسير كلمات القرآن الكريم الفارسية على ترتيب المصحف، وفي كشف الظنون "كتاب تراجم الأعاجم" ونسبه إلى البقالي، وذكر هذه المقدمة عينها^(٥).

١٩. مختصر في الفقه، وعند الباحث نسخة منه، كُتِبَ على غلافها أن الكتاب من تأليفه.

٢٠. منازل العرب^(٦)، وقد يكون هو مياه العرب^(٧)، وجمعهما السيوطي (ت ٩١١هـ) فقال: "منازل العرب ومياهها"^(٨)، وقال ابن

(١) الدر الثمين في أسماء المصنفين لابن الساعي ص ١٣١، تاريخ الإسلام للذهبي ١٢/ ٢٨٥، المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٥١، الوافي بالوفيات للصفدي ٤/ ٢٤٢، توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ١/ ٥٧٦.

(٢) الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي ٤/ ٣٩٢، الفوائد البهية للكنوي ص ١٦٢.

(٣) الطبقات لابن قاضي شعبة ص ١٥٩.

(٤) تراجم الأعاجم ص ١.

(٥) كشف الظنون ١/ ٣٩٤.

(٦) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٦/ ٢٦١٨.

(٧) تاريخ الإسلام للذهبي ١٢/ ٢٨٥، المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٥١، الوافي بالوفيات للصفدي ٤/ ٢٤٢، توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ١/ ٥٧٦،

(٨) بغية الوعاة للسيوطي ١/ ٢١٥، طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٢٣٢، ديوان الإسلام للغزي ١/ ٣١٦، نيل السائر للبنجييري ص ٢١٢، وانظر "المعجم العربي" لحسين نصار ص ١٣٣، و"معجم المعاجم" لأحمد الشرفاوي ص ١٣١.

الساعي (ت ٦٧٤ هـ): "منازل العرب ومياها وديارها"^(١).
وله "غير ذلك"^(٢).

وهناك كتابان ينسبان إليه:

١. الكبريت الأحمر، لم يثبت عند الباحث أنه من مؤلفاته^(٣)، ولم ينسبه إليه من ترجم له، ذكره الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) في مقدمة كتابه "البحر المحيط"^(٤)، ونسبه إلى أبي الفضل الخوارزمي، ونسب مؤلفه إلى الحنفية^(٥)، وعزاه البرماوي (ت ٨٣١ هـ) في الفوائد السنية^(٦) إلى أحد المعتزلة، ولم يصرح باسم مؤلفه.
 ٢. شرح البقالي، ينسب إلى البقالي في كتب الحنفية^(٧)، ولم يترجح عند الباحث أنه لأبي الفضل البقالي.
- وفاته: تُوفي أبو الفضل البقالي بـجُرْجَانِيَّة خُوَارَزْم فِي شهر جُمَادَى الآخِرَةِ فِي سلخها، سنة اثنتين وستين وخمسمئة (٥٦٢ هـ)، وله من العمر حين توفي نيف وسبعون سنة^(٨)، وسبق أنه دُفِنَ بجانب البياعي.

(١) الدر الثمين في أسماء المصنفين لابن الساعي ص ١٣١، الطبقات لابن قاضي شهبة ص ١٥٩.
(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ١٢/ ٢٨٥، الوافي بالوفيات للصفدي ٤/ ٢٤٢.
(٣) خلافا لما ذكره د محمد بو لوز في كتابه "بداية المجتهد لابن رشد ودوره في تربية ملكة الاجتهاد" ص ٤٥.
(٤) البحر المحيط ١/ ٥.
(٥) البحر المحيط ١/ ١٠٩.
(٦) الفوائد السنية في شرح الألفية ٣/ ٤٢٢.
(٧) البحر الرائق شرح كنز الحقائق لابن نجيم (ت ٩٧٠ هـ) في مواضع، منها ٤/ ١٨٧.
(٨) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٦/ ٢٦١٨، الدر الثمين في أسماء المصنفين لابن الساعي ص ١٣١، تاريخ الإسلام للذهبي ١٢/ ٢٦٨، ١٢/ ٢٨٥، المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٥١، الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي ٤/ ٣٩٢، توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ١/ ٥٧٦، الطبقات لابن قاضي شهبة ص ١٥٩، بغية الوعاة للسيوطي ١/ ٢١٥، طبقات المفسرين للسيوطي ص ١١٧، طبقات المفسرين للدواودي ٢/ ٢٣٢، طبقات المفسرين للأدنه وي ص ١٩٦، كتائب أعلام الأخيار للكفوي مخطوط م ١ ق ٢٩٨، الفوائد البهية للكنوي ص ١٦٢، نيل السائرين للبنجييري ص ٢١٢.

وذكره الذهبي في وفيات سنة إحدى وستين وخمسمئة (٥٦١هـ)^(١)، واقتصر على ذلك الصفدي^(٢).

وذكر القرشي أنه توفي في ست وسبعين وخمسمئة (٥٧٦هـ) وقال: "وقد نيفَ على السبعين" كما في المطبوع^(٣)، ولكن في نسختين خطيتين من نسخ "كتائب الأخيار" للكفوي: "وقد نيفَ على التسعين"^(٤)، وقال: "كذا ذكره عبد القادر في الجواهر المضية"، وتبعه على ذلك اللكنوي^(٥)، مع أن عبد القادر القرشي ذكر أنه نيف على السبعين كما سبق، وربما وقع في نسخته تحريف، قال ابن قاضي شهبة: "ابن نيف وسبعين سنة، بتقديم السين"^(٦).

وجاء في "معجم المؤلفين"^(٧) أن وفاته سنة ٥٢٣هـ^(٨).



(١) وانظر: الطبقات لابن قاضي شهبة ص ١٥٩ فقد أشار إلى ذكر الذهبي للبقالي مرتين.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ١٢/٢٦٨، الوافي بالوفيات للصفدي ٤/٢٤٢.

(٣) الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي ٤/٣٩٢، نيل السائر للنجيري ص ٢١٢.

(٤) كتائب أعلام الأخيار للكفوي مخطوط م ١ ق ٢٩٨ من نسخة شوري إيران، وم ١ ق ١٩٠، نسخة الدكتور محمد التركي في الألوكة.

(٥) الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي ٤/٣٩٢، كتائب أعلام الأخيار للكفوي مخطوط م ١ ق ٢٩٨، الفوائد البهية للكنوي ص ١٦٢، طبقات النسايب ل بكر أبو زيد ص ١١٦.

(٦) الطبقات لابن قاضي شهبة ص ١٥٩.

(٧) معجم المؤلفين ١١/١٣٧.

(٨) كشاف معجم المؤلفين للدكتور فراج عطا سالم ٤/٢٥١٩.

المبحث الثاني: التعريف بالكتاب ونسخه الخطية

المطلب الأول: اسم الكتاب وإثبات نسبته إلى مؤلفه:

اشتهر هذا التفسير باسم (مفتاح التنزيل)، وقد نسبته جمع إلى ابن بابجوك البقالي بهذا الاسم، وهم:

ياقوت (ت ٦٢٦ هـ) في "معجم الأدباء" ٢٦١٨/٦، وابن الساعي (ت ٦٧٤ هـ) في "الدر الثمين" ص ١٣١، والذهبي (ت ٧٤٨ هـ) في "تاريخ الإسلام" ٢٨٥/١٢، وفي "المشتبه في أسماء الرجال" ص ٥١، والصفدي (ت ٧٦٤ هـ) في "الوافي" ٢/٢٤٢، والقرشي (ت ٧٧٥ هـ) في "الجواهر المضية" ٣٩٢/٤، وابن ناصر الدين (ت ٨٤٢ هـ) في "توضيح المشتبه" ٥٧٦/١، وابن قاضي شهبه (ت ٨٥١ هـ) في "تراجم طبقات النحاة واللغويين والمفسرين والفقهاء" ص ١٥٩، وابن قطلوبغا (ت ٨٧٩ هـ) في "تاج التراجم" ص ٢٧٢، والسيوطي (ت ٩١١ هـ) في "طبقات المفسرين" ص ١١٧، وفي "بغية الوعاة" ٢١٥/١، والأذنه وي (ت ق ١١) في "طبقات المفسرين" ص ١٩٥، وحاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ) في "كشف الظنون" ١٧٦٠/٢، وفي "سلم الوصول" ٦٧/٣، ورياض زاده (ت ١٠٧٨ هـ) في "أسماء الكتب" ص ١٢٦، والغزي (ت ١١٦٧ هـ) في "ديوان الإسلام" ٣١٦/١، واللكنوي (ت ١٣٠٤ هـ) في "الفوائد البهية" ص ١٦٢، والبنجييري (ت ١٣٦٥ هـ) في "نيل السائرين" ص ٢١٢، والزركلي (ت ١٣٩٦ هـ) في "الأعلام" ٣٣٥/٦، وعمر كحالة (ت ١٤٠٨ هـ) في "معجم المؤلفين" ١٣٧/١١، وفي "المنتقى من مخطوطات معهد البيروني للدراسات الشرقية بطشقند" ص ١٣٢^(١)، وفي "الموسوعة القرآنية" ٣٩/٩. وجاء باسم "مفتاح التنزيل في تفسير القرآن" في "معجم المفسرين" لعادل نويهض ٦٠٦/٢، وفي "فهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم" ١٢٤١/٣.

(١) وسيأتي بيان ما فيه من الخطأ.

ونسب إليه بوصف (تفسير القرآن) أو (كتاب تفسير القرآن)^(١)، عند الذهبي في "تاريخ الإسلام" ٢٨٥/١٢، والصفدي في "الوافي بالوفيات" ٢٤٢/٤، وابن قاضي شهبة في "تراجم طبقات النحاة واللغويين والمفسرين والفقهاء" ص ١٥٩، والسيوطي في "طبقات المفسرين" ص ١١٧، والأذنه وي في "طبقات المفسرين" ص ١٩٥، وعمر كحالة في "معجم المؤلفين" ١٣٧/١١، وفي "فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهرية" ٤٤٥/٣، وفي "الفهرس الشامل" ٢٠٥/١، وفي "معجم التاريخ (التراث الإسلامي في مكتبات العالم)" ١٦٨/١، وفي "خزانة التراث" الذي أعده "مركز الملك فيصل"، وفي "الموسوعة القرآنية" ٣٩/٩.

وأما ابن الساعي فقد ذكر "مفتاح التنزيل" وقال: "و"كتاب في التفسير" في أربع مجلدات، رأيته ولا أدري أهو "مفتاح التنزيل" أم لا"^(٢)، وجزم الداودي (ت ٩٤٥هـ) في "طبقات المفسرين" بأنهما كتاب واحد، قال: "له من التصانيف: "تفسير القرآن" سماه "مفتاح التنزيل"^(٣).

ونسب إليه باسم "كتاب التفسير" أو "التفسير"، ذكره الذهبي في "المشتبه" ص ٥١، والقرشي في "الجواهر المضية" ٣٩٢/٤، وابن ناصر الدين في "توضيح المشتبه" ٥٧٦/١، وحاجي خليفة في "سلم الوصول" ٦٧/٣، ورياض زاده (ت ١٠٧٨هـ) في "أسماء الكتب" ص ١٢٦، والكفوي (ت ١٠٩٤هـ) في "كتائب أعلام الأخيار" مخطوط م ١ ق ٢٩٨، واللكنوي في "الفوائد البهية" ص ١٦١، والزركلي في "الأعلام" ٣٣٥/٦.

(١) وقد يذكر قبله كلمة (كتاب)، ومن تكرر ذكره هنا فقد ذكر الاثنين معاً، "مفتاح التنزيل" و"تفسير القرآن".

(٢) الدر الثمين في أسماء المصنفين لابن الساعي ص ١٣١.

(٣) طبقات المفسرين للداودي ٢٣٢/٢.

وجاء أيضًا مع "مفتاح التنزيل" باسم "تفسير بقالِي" في "الفهرس الشامل" ١/٨٤٢، وفي "معجم التاريخ (التراث الإسلامي في مكتبات العالم) ١/١٦٨، ٤/٢٥٠٠، ويبدو أنه بناءً على ما جاء في النسخة الخطية المحفوظة في دامت إبراهيم باشا كما سيأتي.

وجاء في "المتقى من مخطوطات معهد البيروني للدراسات الشرقية بطشقند" ص ١٣٢: "مفتاح التنزيل" أو "مفتاح القرآن"، وفي "هدية العارفين" للبغدادي (ت ١٣٩٩ هـ) ٢/٩٨: "مصباح التنزيل في التفسير".

وجميع ما تقدم يثبت - بما لا يدع مجالاً للشك - صحة نسبة هذا التفسير إلى البقالِي، ومن الأدلة على صحة نسبته إلى مؤلفه ما يأتي في المطلب الثاني.

المطلب الثاني: نسخه الخطية

بعد البحث الكثير والسؤال لم يتيسر للباحث الوقوف إلا على نسخ خطية لا يكتمل بها التفسير، وهذا بيان لها:

النسخة الأولى: نسخة دامت إبراهيم باشا برقم (٩٩) كما في "دفتر كتبخانه دامت إبراهيم باشا" ص ٥، في كل صفحة خمسة عشر سطرًا تقريبًا، كتبت بخط عتيق عَسِر، والآيات بالحمرة، تقع في (٢٥٧) لوحًا، وكتب عليها بخط حديث "الجزء السابع من تفسير البقالِي" وفي أعلى الصفحة "تفسير بقالِي" بخط صغير، تبدأ النسخة من سورة طه إلى آخر سورة النمل، وفي آخرها "ويتلوه الجزء الثامن من البقالِي، سورة القصص، وفرغ منه عمر بن محمد ابن عمر بن غالب الخطيب الدسكري، في يوم الإثنين، ثالث وعشرين صفر سنة تسع وخمسين وخمسمئة، والحمد لله رب العالمين..."، أي أنها كتبت في حياة المؤلف، وقد يكون هذا الجزء السابع من مجموع عشرة أجزاء، وفي النسخة خلل كبير في ترتيب الأوراق، وليس فيها نظام التعقيبة، وتبين بعد ذلك أن ليس في النسخة سقط بحمد الله، وهي كثيرة الأخطاء، وكثير من كلماتها بغير نقط، والكاف لا تكتب رأسها، مثال ذلك:

(سيابيلم)^(١) أي (ستأتيتكم)، وقوله: (وهو الحسن ها هني اللثير)، أي (وهو الحسن هاهنا الكثير)^(٢).

ومثال ذلك من صورة المخطوط: قوله:

ومن لما حذر حذر المطر دلال الوقت، أي: ومن أين لنا كيف كان حكم النظر في ذلك الوقت.

ومثله قوله:

"قالوا في اليعير من راي عليه نعلين وهو عرب يروح وان كان مياها لا يروح باخرى"، قالوا المعير من راي عليه نعلين

وهو عرب يروح وان كان مياها لا يروح باخرى

أي: "قالوا في التعبير: من رأى عليه نعلين وهو عزب تزوج، وإن كان متأهلاً تزوج بأخرى".

وكثير من الآيات تكتب بلا نقط ولا شكل، مثل ما ذكره من قوله - تعالى - :

وهي الآية [٨٣] من سورة النمل،

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾

قوله - تعالى - : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾، ورمزت لها بحرف (د) من داماد.

وهذه نماذج من أولها ومن آخرها:

(١) د/٢١٨/ب.

(٢) د/١٩٩/أ.

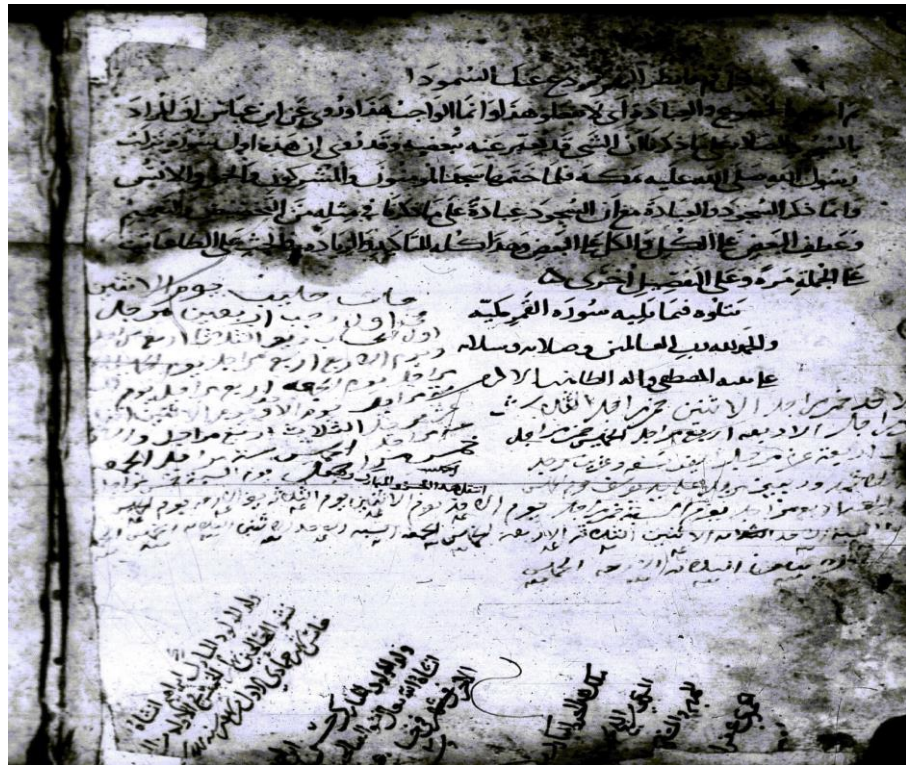


النسخة الثانية: نسخة الظاهرية برقم (٥٢٠)، تفسير (١٢٥)، وفي فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات الظاهرية ٤٤٦/٣، منسوخة في القرن السابع الهجري، بخط نسخي، وكتبت الآيات وأسماء السور بالحمرة، وعلى الورقة الأولى مجموعة من قيود التملك، أكثرها أصابه طمس، أحدها باسم أبي بكر أحمد بن عمر الطرابلسي سنة (٨٦٧هـ)، وآخر باسم محمد بن أبي بكر الخطيب سنة (٩٦٠هـ)، وفي آخره قيود وتملكات، وقد أصاب المخطوطة رطوبة شديدة تؤثر على قراءة النص، خاصة في الأطراف العليا من أوائلها وأواخرها.

وتشمل هذه النسخة الجزء الثالث، وتبدأ من أول سورة القصص إلى آخر سورة النجم، وتقع في مئة وأربعة وتسعين لوحًا، وكتبت عليها: "الجزء الثالث من تفسير البقالي رحمة الله عليه"، ويظهر أن هذا الجزء الثالث من أربعة أجزاء، وقد سبق قول ابن الساعي: "في أربع مجلدات"، وعليه فالجزء الرابع يبدأ من سورة القمر إلى آخر القرآن، ورمزت لها بالحرف (ظ) من الظاهرية.

وعند الإشارة إلى هاتين النسختين في الحواشي يذكر الباحث رمز النسخة ويتلوها رقم اللوح ثم شرطة ثم وجه اللوح، ومثال ذلك: د ١٥٠/ب، أي أن النقل عن نسخة داماد إبراهيم، ورقم اللوح ١٥٠ الوجه ب.

وهذه نماذج من أولها ومن آخرها:



ويتبين بهذا أن الموجود من الكتاب بنسخته يبدأ من سورة طه إلى آخر سورة النجم، وقد وقف الباحث على مواضع أشار فيها المؤلف إلى أماكن أخرى من تفسيره، قال: "على ما ذكرنا في أول الكتاب"^(١)، وقال: "يؤكد ما تقدم في أول الكتاب"^(٢)، "على ما ذكرنا في قوله: ﴿وَجَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾ [البقرة: ٩٨]"^(٣)، وأحال على تفسير آيات من سورة الأعراف^(٤)، والأنفال^(٥)، والنحل^(٦)، وقال في موضع: "فأما قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: ٧]"^(٧)، فله وجوه نذكرها في موضعها"^(٨)، وسيأتي أنه يكثر من الإحالات، وبهذا يتبين أنه قد فسر القرآن كاملاً، ولم يذكر أحد أنه لم يتم تفسيره، بحسب اطلاع الباحث.

وهناك نسخة في مكتبة الأسكوريال؛ صرفت عنها النظر لأنها في خمس ورقات فقط. تنبيه مهم: جاء في "المنتقى" من مخطوطات معهد البيروني للدراسات الشرقية بطشقند ص ١٣٢: "مفتاح التنزيل" أو "مفتاح القرآن"، للبقالي: محمد بن أبي القاسم بن بابجوك ت ٥٦٢هـ / ١١٦٧م، ٣٣٤ ق "وأن" رقمه في المعهد: ٦١٧٤، وبعد أن طلب الباحث هذه النسخة من المعهد وانتظر مدة تقارب خمسة أشهر، وصل المخطوط، وقد كُتِبَ على الصفحة الأولى منه باللغة التركية القديمة ما ترجمته: "مفتاح التنزيل، احتمال، مؤلف هذا الكتاب هو زين المشايخ محمد بن أبي القاسم الخوارزمي البقالي، أحد تلاميذ الزمخشري، توفي في ٥٦٢هـ"، وبعد الاطلاع عليه تبين أنه ليس بتفسير البقالي، وإنما هو كتاب في غريب القرآن مرتب على حروف المعجم.

(١) ظ ٦٩/ب.

(٢) ظ ٢٢/ب.

(٣) ظ ٤١/ب.

(٤) د ٦٣/ب.

(٥) ظ ٥٦/ب.

(٦) د ٢٢٨/أ.

(٧) ظ ١٨٣/ب.

المطلب الثالث: مصادره:

لأن النسخ التي وقف عليها الباحث لا تشمل المقدمة، التي يغلب على الظن ذكر المصادر فيها، وبعد قراءة النسخ تبين - فيما يظهر - أنه لم يعتمد تفسيراً معيناً يتخذة أصلاً لكتابه، وإن كان قد نص على النقل من بعض التفاسير التي سيأتي ذكرها، ولأنه من أخص تلاميذ الزمخشري فقد استفاد من تفسيره في بعض المواضع، ولا ينقل عنه نصاً، ولكنه يتصرف في العبارة، ويختصر ويزيد كثيراً، وهذا بيان بالكتب التي نقل عنها وأشار إليها:

جامع سفيان بن عيينة (ت ١٩٨ هـ): ذكره في مواضع^(١).

البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)^(٢).

مشكل القرآن لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ): ذكره في مواضع^(٣)، وعيون الأخبار له^(٤).

تفسير ابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ): نقل عنه في مواضع^(٥)، وعلق على بعض كلامه، ورجح بعضه واعتراض على بعضه، وسيأتي ذلك.

تفسير أبي القاسم بن حبيب: وهو الحسن بن محمد بن الحسن بن جعفر بن حبيب النيسابوري (ت ٤٠٦ هـ)، من أشهر مفسري خراسان^(٦)، صنف في التفسير والقراءات والآداب، ومن كتبه المطبوعة "التنبيه على فضل علوم القرآن"، و"عقلاء المجانين". وسارت تصانيفه في الآفاق^(٧).

(١) منها ظ ٢٩/ب.

(٢) ظ ١٥٥/أ.

(٣) منها ظ ٧٨/ب.

(٤) ظ ١٥٥/أ.

(٥) ظ ٨٤/ب.

(٦) وتفسيره مخطوط يذكره كثيراً الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٣٨/٢، يوجد منه جزء كبير منه في الجامعة

الإسلامية برقم (٨٧٠٩)، ويبدأ من سورة الأنفال إلى سورة الزخرف، مصور عن نسخة شستريتي

برقم (٣٤٩٦)، وتاريخ نسخه عام (٦١٠ هـ).

(٧) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/٢٣٧، طبقات المفسرين للداودي ١/١٤٤.

فمن ذلك قوله لما ذكر معاني عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال: "وإلى قريب من هذه المعاني أشار في تفسير البوزجاني، وكذلك ذكر أبو القاسم بن حبيب أن الناس في تفصيلها طبقتان.."^(١)، ونقل عنه في مواضع، قال: "حكى أبو القاسم بن حبيب عن أهل المعاني..."^(٢) "إلى غير ذلك"^(٣).

أبو منصور الأشعري: ولعله محمد بن الحسين بن أبي أيوب الأيوبي (ت ٤٢١هـ)، المتكلم، صاحب حجة وبيان ونظر، متقدم في مذهب أبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ)، له كتاب "تلخيص الدلائل"^(٤).

ذكره في تفسير ﴿قَالَ يٰٓإِبْرٰهٖمُ مَا مَعَكَ اَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِدَیْنٍ﴾ [ص: ٧٥] وأنه قال: "يده: قدرته، وإنما التشريف لآدم تخصيصه بالذكر..."^(٥).

ويحتمل أن يكون أبا منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت ٤٢٩هـ)، صاحب المؤلفات الكثيرة، ومنها "الفرق بين الفرق"^(٦).

تفسير القاضي أبي عاصم: ولم يتبين من صاحب هذا التفسير؟، ومن المشاهير القاضي أبو عاصم الهروي الشافعي، وهو محمد بن أحمد العبّادي (ت ٤٥٨هـ) إمام محقق مدقق، له مصنفات في الفقه^(٧)، وله "طبقات الشافعية"، مطبوع، وقد نقل عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) في تفسيره "درج الدرر" في تفسير الآي والسور^(٨)، وقد جعله محقق "درج الدرر" أبا عاصم العبّادي السابق ولم يجد الباحث من أشار إلى

(١) ظ ٥٧/أ.

(٢) ظ ٣٨/ب.

(٣) ظ ٧٤/ب، ظ ٨١/أ، ظ ٩٤/أ، د ٣٨/ب.

(٤) تاريخ الإسلام ٣٦٨/٩، وسير أعلام النبلاء ٥٧٣/١٧، للذهبي، طبقات الشافعية للسبكي ١٤٧/٤.

(٥) ظ ١٠١/أ، مذهب أهل السنة والجماعة إثبات ما أثبتته الله لنفسه من غير تحريف، ولا تعطيل، وغير تكييف، ولا تمثيل.

(٦) البداية والنهاية لابن كثير ٦٧٢/١٥، الأعلام للزركلي ٤٨/٤.

(٧) تاريخ الإسلام للذهبي ١٠١/١٠، طبقات الشافعية للسبكي ١٠٤/٤.

(٨) انظر درج الدرر ٥٧٩/٢.

أن للعبادي تفسيرًا للقرآن.

وقد ذكر البقالي القاضي أبا عاصم في مواضع، منها أنه قال في تفسير سورة ص: "وذكر القاضي أبو عاصم فإن^(١) معناه لِمَا خَلَقْتُ أنا بغير واسطة، فإنما ذكر اليمين لتحقيق الإضافة؛ لأن خلق سائر الناس بواسطة، وفي تفسير البوزجاني نحوه"^(٢).
تفسير البُوزْجَانِي: ذكره في مواضع^(٣)، باسم كتاب البوزجاني^(٤)، وقال: "وذكر البوزجاني نحوه هذا"^(٥)، وذكر وجهين في تفسير آية ثم قال: "وكلا الوجهين في تفسير البوزجاني"^(٦).

وهو منسوب إلى بُوزْجَان، وهي بلدة قديمة تقع في شرق إيران اليوم، ينسب إليها كثير من العلماء^(٧)، ولم يتبين من صاحب التفسير المقصود؟، إذ لم يجد الباحث من ذكر هذا التفسير أو نقل عنه.

المطلب الرابع: الملامح العامة لتفسيره:

يعد هذا التفسير من جملة التفاسير الوسيطة، فلم يقصد مؤلفه التوسع وجر أذيال النقول، ولكنه يميل إلى الاختصار في كثير من المواضع، وهذا واضح جدًا لمن يقرأ فيه، وإن بَسَطَ الكلام على آيات دون آيات، خصوصًا في آيات الأحكام والآيات المشتملة على القصص والأخبار، ومن مظاهر قصد الاختصار أنه يحيل كثيرًا إلى ما سبق ذكره، ويعرض عن الأقوال والروايات التي أكثر منها المفسرون، ويقصد أيضًا البعد عن الإغراق في ذكر المذاهب الفقهية والعقدية، ويحيل على

(١) كذا في النسخة الخطية، ولعل الصواب: (بأن) أو (أن).

(٢) ظ ١٠١/أ، ومنها ظ ٥٧/ب، ظ ٧٦/أ.

(٣) د ٥٣/ب.

(٤) ظ ٢٩/أ، ظ ٩٧/ب.

(٥) ظ ٩٦/أ.

(٦) ظ ٧٣/ب.

(٧) الأنساب للسمعاني ٢/٣٥٥، معجم البلدان للحموي ١/٥٠٧.

الكتب الخاصة بهذه الفنون، وهذا بيان لمظاهر قصد الاختصار في تفسيره:

١. عدم الإكثار من النقول: فهو لا يكثر من النقول الحرفية عن كتب التفسير، وإذا نقل فإنه ينقل بالمعنى، أو يختصر ويشير إلى الأقوال، فجُلُّ ما في تفسيره من قوله لا من منقوله، إلا ما يذكره من روايات وآثار.

فشخصيته ظاهرة في كتابه، وهو إن نقل فإنه يتصرف تصرفاً غير مخل، ثم يقول: كذا عن فلان، ويذكر القول الآخر ثم يقول: كذا عن فلان، وهذا مثال يوضح أسلوبه في التفسير وذكر الأقوال وتوجيهها:

ففي تفسيره قوله - تعالى - : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ﴾ الآية [الروم: ٤١] قال: "للفساد وجهان، أحدهما: الخراب، ومنه قوله - تعالى - : ﴿أَفْسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، والثاني: المعاصي، ومنه قوله - تعالى - : ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]^(١) وكلاهما قيل ههنا، أما الأول فله وجهان أيضاً، أحدهما: أن القحط والجذب عقوبة بما كسبه الناس من المعاصي، ويؤكد قوله: ﴿لِيُذِيقَهُمْ﴾، وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، والآخر: أن يكون قوله ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ تفسيراً له وبياناً لسببه، أي وذلك من كسبهم؛ لأنهم قطعوا الطرق فانقطعت التجارات، وظلموا حتى انقطعت الزراعات وبطلت أسباب المعاش فتكون اللام للعاقبة كقوله: ﴿لِيُرْذَوْهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧]، ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٦]، ونحو ذلك إلا أنه لا يليق بقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، وأما إذا حمل الفساد على المعاصي فالمراد به الشرك وما دونه، والفاحشة بين الرجلين وبين المرأتين، ويكون قوله: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ تفسيراً له أيضاً إلا أنه لا يليق بقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ولا يتصل به في المعنى، وقد يضمن فيه: ظهرت عقوبة الفساد، والروايات في ذلك كله مختلفة"، ثم ذكر الروايات عن السلف، ثم قال: "وعن عكرمة: العرب تسمي الأمصار بحراً، وقد يضمن فيه: في أهل البر والبحر، وإنما قال: ﴿بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾؛ لأنه آخر بقية الجزاء

(١) في المخطوط ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾، وهو سهو.

إلى يوم القيامة" ^(١) إلى آخر ما قال.

وذكر ما يزيد على عشرة أقوال ونسبها إلى أصحابها في تفسير قوله - تعالى - : ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ [لقمان: ٢٠] ثم قال: "إلى نحو ذلك مما لا يحصر من الأقاويل، وهذا دليل على سعة القول في هذا النوع بإجماع المسلمين، وأن ذلك مما لا يختص بالتوقيف إلا عند من لا يعرف ما يقول" ^(٢).

ولما ذكر الآثار في المراد بالاستقامة في قوله - تعالى - : ﴿إِنَّ الَّذِي قَالَ لِرَبِّهِ اللَّهِ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا نَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ الآية [فصلت: ٣٠]: قال: "والكلام في هذا يحتمل البسط، وقليله يغني عن كثيره" ^(٣).

٢. الإحالات على ما سبق بقصد الاختصار: ومما يلاحظ في هذا التفسير أنه يكثر جداً من الإحالة على ما سبق؛ لئلا يطول الكتاب بتكرار الأقوال، ويعتذر عن التطويل في مواضع، فيقول مثلاً: "وتفسير السلامة على التفصيل مما يطول" ^(٤)، وإنما يجمعها السلامة من المعصية؛ لأن [الجوارح] تبع له" ^(٥) أي للقلب، ومن الأمثلة قوله: "قد مضى القول في هذه المعاني، وقد ذكرنا أيضاً أن الكريم يمدح به كل شيء على حسب ما يليق به، كقوله: ﴿وَمَقَامِ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٥٨]، وهو الحسن هاهنا، الكثير خيره ونفعه، وقيل: أي كريم عليهم يرغب أنفسهم فيه ويجيبونه، و(كان) هاهنا ^(٦) صلة على ما تقدم في مثله، وذكرنا معنى الأكثر في مثله أيضاً على المستقبل كقوله: ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ [يونس: ١٣] ^(٧)، وقال في خبر فرعون: "قد ذكرنا مناقضته في دعوى الإلهية والحاجة إلى المشورة، وخوف ما خافه مع ذلك

(١) ظ ٣٢/أ.

(٢) ظ ٣٥/أ.

(٣) ظ ١٢٠/أ.

(٤) قال ذلك في تفسيره قوله - تعالى - : ﴿إِلَّا مَنَ أَنْى اللَّهُ يَقْلِبْ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩].

(٥) د ٢١٠/أ، وفي المخطوط: [الجوارح] وهو تحريف.

(٦) يتكلم عن قوله - تعالى - : ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٦٧].

(٧) د ١٩٩/أ.

فَجَمَعَ السَّحْرَةَ" ^(١).

ويعبر عن الإحالات بألفاظ متنوعة كقوله: "قد مضى القول في المقطعات" ^(٢) وهذه العبارة يذكرها في أوائل بعض السور التي فيها الحروف المقطعة. ومن عباراته: قوله: "على ما تقدم" ^(٣)، و"على ما تقدم في مثله" ^(٤)، و"على ما تقدم في مواضع" ^(٥)، و"قد مضى القول في مثله" ^(٦)، و"على ما ذكرنا في مثله" ^(٧)، و"كما ذكرنا من نظائره" ^(٨)، و"وقد مضى القول في الأساطير" ^(٩)، و"على ما ذكرنا" ^(١٠)، و"على ما ذكرنا من تفسير ذلك" ^(١١)، و"قد مضى القول فيما يتعلق بهذه القصة" ^(١٢)، و"ذكرنا قصة زكريا" ^(١٣)، و"وقد ذكرنا معنى العالمين في مواضع، وذكرنا معنى الخلق والتقدير" ^(١٤)، و"وقد ذكرنا أن القرآن من القراءة والكتاب من الكتابة" ^(١٥)، إلى غير ذلك مما يشابه هذه الأقوال.

٣. التفسير الإجمالي: يعد هذا التفسير من التفاسير الإجمالية، وليس من التفاسير التحليلية، وهو وإن كان يذكر المعنى الإجمالي للآية في الغالب إلا أنه يقف

(١) د ٢٠٣ / ب.

(٢) د ٢ / أ، د ١٩٨ / أ.

(٣) د ١٩٨ / أ، د ٢٠٢ / أ، ظ ٦١ / أ.

(٤) ظ ٢٤ / ب، ظ ٤٣ / ب.

(٥) ظ ٦٨ / أ.

(٦) د ٢ / أ، د ٢٠٤ / أ، د ٢١٥ / ب، ظ ٨ / أ، ظ ٢٣ / ب، ظ ٧٣ / أ.

(٧) د ٢٠٦ / أ، د ١٧٧ / ب، ظ ٦١ / أ، ظ ٧٣ / أ.

(٨) د ٢٢٠ / أ.

(٩) د ١٧٣ / ب.

(١٠) ظ ٣٣ / ب.

(١١) ظ ٣٧ / ب.

(١٢) د ٢١٤ / أ.

(١٣) د ٢٢٦ / أ.

(١٤) د ١٧٣ / أ.

(١٥) د ٢٢٢ / ب.

مع المواضع المشككة، ويذكر معاني الكلمات الغريبة، والقراءات المشهورة والشاذة ويوجهها ويعزوها إلى أصحابها، وينقل الأقوال ناسباً إياها إلى قائلها كما سيأتي. وأمثلة ذلك كثيرة جداً وهي سمة غالبية في تفسيره، ومن ذلك ما ذكره في تفسير قوله - تعالى - : ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفَرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٦] قال: "أخبر أنهم لا ينجون بذلك مما هو نازل بهم لا محالة، فكيف يختارون المعصية لغرض لا يحصل لهم؟، وإذا نجوا من ذلك في الحال فالمدة قليلة، ولا بد من الموت في آخر الأمر"^(١).

٤. لا يطيل في ذكر مسائل الفقه: ومن مظاهر قصد الاختصار في تفسيره أنه لا يطيل في ذكر الأحكام الفقهية، وإنما يشير إليها باختصار، ويحيل كثيراً على كتب الفقه، وأمثلة ذلك كثيرة، كقوله في أوائل سورة النور في أحكام الزنا: "فأما سائر الشرائط في الشهادة والفعل ومحله، والشبهات التي تمنع الوجوب، والأوقات التي يقيم فيها الحدود، ونحو ذلك من فروع هذه الأحكام؛ فمذكور في كتب الفقه"^(٢)، وفي آيات اللعان، قال بعد ذكره شيئاً من أحكامها: "وفروع ذلك كثيرة في كتب الفقه"^(٣)، وفي مسألة الظهار أول سورة الأحزاب، قال: "وما يجري مجراه من الكلام على ما يذكره الفقهاء في كتبهم من فروع ذلك وتفصيله"، وفي مسألة تخيير الزوجة في الطلاق، ذكر المذاهب باختصار، وقال: "والزيادة على ذلك في كتب الفقه"^(٤).



(١) ظ ٤٢/ب.

(٢) د ١٢٧/ب.

(٣) د ١٢٩/أ، د ١٣٢/أ.

(٤) ظ ٤٠/أ، ظ ٤٤/ب.

الفصل الثاني: منهج البقالي في تفسيره

المبحث الأول: التفسير بالمأثور، والإسرائيليات في تفسيره:

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن:

اعتنى البقالي بتفسير القرآن بالقرآن عناية كبيرة، وهي سمة بارزة ظاهرة في تفسيره، فهو كثيراً ما يشير إلى نظائر الآيات التي يفسرها، فمثلاً عند قوله - تعالى - : ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦] قال: "ثم أخبر عن تراورهم ومحدثاتهم بأحاديث الدنيا، أي: كنا نخاف هذا اليوم وعذابه، ألا تراه فسر به بأنه وقاهم ذلك، وهذا تفسير لكل مخافة مطلقة في القرآن، كقوله ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ﴾ [النحل: ٥٠]" ثم ذكر مواضع كثيرة من القرآن فيها ذكر المخافة^(١).

وقال في قوله - تعالى - : ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥]: "وإنما قال: ﴿لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾؛ لما بينا أنه فسر في موضع آخر، والقرآن كالأية الواحدة؛ لأنه قال: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ [غافر: ٧]، أو هو من العموم الذي أريد به الخصوص"^(٢).

ويقول: "﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٧) هذا كقوله: ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩]، ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [الأنعام: ١٥٦]، ﴿لَوْلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، أي لولا أن تقولوا ذلك إذا حلت بهم العقوبة لعاقبتهم، وليس المراد به قولهم لا محالة، وإنما معناه لولا أن ذلك مما يحتمل القول والاحتجاج، وإنما جواب ﴿لَوْلَا﴾: لأصابتهم،

(١) ظ ١٨١/ب.

(٢) ظ ١٢٥/أ.

فحذف؛ لدلالة الكلام، ونصب ﴿فَنَتَّبِعْ﴾ على الجواب^(١).

وقوله: ﴿مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص: ٦١] أي النار، كقوله: ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصفات: ٥٧]؛ لأن ذلك لا يطلق إلا في الحشر إلى الهوان، وهو كقوله: ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]، ﴿ثُمَّ أَصْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٢٦]^(٢).

وقال في تفسير قوله - تعالى - : ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمُ فِي الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٩]: "أي في جملتهم في الجنة كقوله: ﴿فَادْخُلِي فِي عِزِّي﴾^(٣) وادْخُلِي جَنِّي﴾ [الفجر: ٢٩-٣٠]، ﴿وَادْخُلِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]، ﴿وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ٦٩]، وقد تكون ﴿في﴾ بمعنى مع، وقد تكون على سائر الأعم، فإن قيل: هذه صفة جميعهم فما معنى دخولهم فيهم وما في ذكر سائر الأعم في ذلك من الوعد والترغيب؟ قلنا: أي مع الأنبياء كما تقدم^(٤).

وقال عند تفسير قوله - تعالى - : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]: "إنما المراد أن الانتهاء يُحصَل بها على ما ذكرنا من نظائره كقوله: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾^(٥)، ﴿فَزَادَتْهُمْ رَجْسًا﴾ [التوبة: ١٢٥]، ﴿إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا﴾ [إبراهيم: ٣٦]، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [لقمان: ٣٣]، فمنهم من حملة على الاشتغال بالصلاة؛ لأن المصلي لا يشتغل بشيء من المعاصي لاشتغاله بالصلاة عنها، وليس لقائل أن يقول: هذا موجود في سائر الأعمال المباحة؛ لأن الاشتغال بها وإن وقع الامتناع به عن المعاصي فليس

(١) ظ ٩/ب.

(٢) ظ ١٢/أ.

(٣) ظ ١٨/ب.

(٤) كذا في المخطوط، وهو سهو من الناسخ أو المصنف، ولعله يريد قوله - تعالى - : ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤]، واشتبهت عليه بقوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [آل عمران: ١٧٣].

بعبادة في نفسه، والصلاة عبادة وتضمنت عبادة أخرى؛ فكانت جمعاً بين الفعل المأمور به وترك المنهي عنه؛ لأن الأعمال المباحة يجوز تركها في كل ساعة، وأما الصلاة فإنها يتصل أجزاؤها ولا يجوز قطعها قبل تمامها، ولها تحريم وتحليل، ومنهم من قال "...إلى آخره، في كلام طويل في فضل الخشوع في الصلاة وما ورد عن السلف^(١).

وعند قوله - تعالى - : ﴿وَإِذَا نُنُتِلَ عَلَيْهِ أَيْنُنَا وَلِي مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعَهَا كَانَ فِي أذْنِهِ وَقُرْ﴾ [لقمان: ٧] قال: "هذا تفسير ما ذكره في سائر المواضع أنهم صم؛ لأنه بين معنى التشبيه هاهنا وأنهم مع السماع وعدم الصمم، كأنهم صم"^(٢).

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة النبوية:

اعتنى البقالي في تفسيره بالسنة النبوية، ولكنه لا يذكر الأسانيد ولا عناية كبيرة له بذلك، وإن كان في مواضع كثيرة يتعقب هذه المرويات، ومن باب الاختصار يشير إلى هذه الأحاديث والآثار بصيغة: (وروي)، على اختلاف درجات هذه المرويات، مثال ذلك في تفسير قوله - تعالى - : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] قال: "وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((يقول الله - تعالى - : أَعَدَدْتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أُذُنٌ سمعت ولا خَطَرَ على قَلْبٍ بشرٍ))"^(٣) ثم قرأ هذه الآية"^(٤).

وقال في تفسير قوله - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] بعد أن ذكر معنى الصلاة، قال: "وقد روي عن كعب بن عجرة أنه

(١) ظ ٢١/أ.

(٢) ظ ٣٢/ب.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، برقم: (٣٢٤٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، برقم: (٢٨٢٤).

(٤) ظ ٣٨/أ.

قال لابن أبي ليلى: (ألا أفيدك؟ قال: بلى، قال: قلنا لرسول الله ﷺ قد عرفنا السلام عليك فكيف نصلي عليك) "الحديث" (١).

ويحسب له أنه صان كتابه عن الحديث الموضوع المشهور الذي فيه فضائل كل سورة، وتعلق به بعض المفسرين كالواحدي والزمخشري والبيضاوي وغيرهم تبعاً للشعبي.

ومن تصحيحاته قوله: "صح الخبر بأن القلم جرى بما هو كائن إلى يوم القيامة وجف به" (٢)، وقال في موضع ذكر فيه ما روي في نزول قوله - تعالى - : ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] ثم قال: "والرواية الأولى أصح" (٣)، وذكر حديثاً في اللعان فقال: "ويحتج بما ذكرنا من الحديث، وفيه كلام بين أهل العلم والحديث" (٤).

المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين:

يكثر البقالي من ذكر أقوال ابن عباس - رضي الله عنهما -، ويقدمه ويرجحه، فعند تفسير قوله - تعالى - : ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم: ١٢] قال: "أي يأسون، كذا عن ابن عباس، وعن سعيد بن جبير: يكتئبون، وعن الأخفش: يندمون، وعن المؤرج: يتحIRON، والأصل هو الأول، على ما ذكرنا في مثله" (٥).

وقال في تفسير ﴿يُخَبَّرُونَ﴾ [الروم: ١٥]: "وكذا عن ابن عباس يفرحون، ومنه المثل: ما من حَبْرَةٍ إِلَّا وَتَبَعْتَهَا عَبْرَةٌ" (٦)، وعن مجاهد: يُكرمون، وعن قتادة: يُنعمون،

(١) ظ ٥٤/أ، متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (٦٣٥٧)، مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد، (٤٠٦).

(٢) ظ ١٨٩/أ.

(٣) د ١٠٨/أ.

(٤) د ١٣١/ب.

(٥) ظ ٢٦/ب.

(٦) يذكر في كتب غريب القرآن كمجاز القرآن لأبي عبيدة ١٢٠/٢، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٤٠، وانظر "الجمهرة" لابن دريد (ح ب ر).

وعن ابن كيسان: يُحَلَّلُونَ وَيُزَيَّنُونَ، وعن أبي بكر ابن عياش: يعني التيجان على رؤوسهم، وعن وكيع: يعني السماع، والأصل هو الأول^(١).

ولما ذكر أقوالهم في قوله - تعالى - : ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُّصُونَ﴾ [الزمر: ٣١] قال: "وهذا يؤكد ما تقدم من قولهم في القرآن برأيهم من غير توقيف، ولكنه رأي مجتهد في موضع الاجتهاد"^(٢).

وقد يصحح أو يضعف الرواية بحسب اجتهاده، كما في قوله عن عمر نوح - عليه السلام - : "وقد روي عن الواقدي أنه قال: كان عمره ألف سنة إلا خمسين عاماً، وهذا لا يصح؛ لأنه لا دلالة في الآية على أن المراد به عمره، وإنما أخبر - تعالى - أنه أرسله إليهم، وهذا دليل على أن هذه المدة بعد الإرسال"^(٣)، وقال لما ذكر الروايات في عدد ما راهن عليه أبو بكر المشركين من الإبل وعدد السنين، ثم قال: "والصحيح من الرواية هي الأولى"^(٤).

ولم يجد الباحث أنه يعزو الأحاديث إلى أحد كتب السنة إلا في مواضع يسيرة، منها موضع ذكر فيه حديثاً عن عائشة رضي الله عنها ثم قال: "وهذه الرواية عن عائشة في صحاح محمد بن إسماعيل"^(٥).

تفسيره القرآن بأقوال السلف: يحرص البقالي حرصاً شديداً على ذكر أقوال السلف في تفسير الآية، ويسرد أقوالهم باختصار، مثال ذلك ما ذكره في قوله - تعالى - : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ [الأحزاب: ٧٢] قال: "أما الأمانة فهي عبارة عن كل ما أمر به - تعالى - ، ويدخل فيه حقوقه وحقوق العباد؛ لأن حقوق الدين كالأمانات عند العباد على ما تقدم في قوله: ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾

(١) ظ ٢٧/ب، وانظر "الكشف والبيان" للثعلبي ١٢٢/٢١.

(٢) ظ ١٠٦/أ.

(٣) ظ ١٨/ب.

(٤) ظ ٢٥/أ.

(٥) ظ ١٨٤/ب.

[الأنفال: ٢٧]، ويدخل فيه ما يؤتمن عليه العبد حتى السر"، فذكر ما روي ثم قال: "وقد تكلم السلف في ذلك على ما ذكرنا، فذكر معنى الأمانة عن عدد من السلف، كالضحاك ومجاهد وسعيد بن المسيب وأبي العالية وعبد الله بن عمر وزيد ابن أسلم^(١).

وقال بعد ذكره المعاني في قوله - تعالى - : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] واستظهر ما استظهر: "وقد يروى في ذلك أخبار عن السلف كثيرة، والله أعلم بما يروى من ذلك"^(٢)، ثم ذكرها وأطال فيها وقارن بينها وقوى واستبعد، ثم قال: "والأقويل في ذلك لا تحصي، وهذا دليل على سعة القول في مثله وتجويز كل واحد من المتقدمين ذلك، من غير أن يرجعوا فيه إلى توقيف على ما ذكرنا في أول الكتاب، وهذا مما لا ينكره منكر إلا من يتجاهل ولا يدري ما يقول"^(٣).

وقال في موضع آخر لما ذكر استدراك الشعبي على ابن عباس - رضي الله عنهما - في أن آية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾^(٤) [الأحقاف: ١٠] نزلت في عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: "وهذا يؤكد ما ذكرنا من سعة القول في التأويل، وأنهم كانوا لا يقفون ذلك على التوقيف حتى كان يستدرك فيه التابعي على الصحابي"^(٥).

(١) ظ ٥٦/ب.

(٢) ظ ٦٩/ب.

(٣) ظ ٦٩/ب.

(٤) وردت عن الشعبي عدة روايات يرد فيها قول من قال: إنها نزلت في عبد الله بن سلام، انظر: "تفسير ابن جرير" ١٢٥/٢١.

(٥) ظ ١٤٧/أ، يعني بذلك - والله أعلم - أن كثيراً من الآيات قد تعددت فيها أقوال السلف، وهذا يدل على أن الأمر واسع، وأن الخلاف بينهم في الغالب اختلاف تنوع، وأنهم لا يتوقفون في تفسير الآيات على ما ورد به نص من النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما يوردون كثيراً من الأمثلة تدخل في عموم الآية، ولذلك اختلفت أقوالهم وتنوعت، وقد ذكر ابن تيمية - رحمه الله - في أول مقدمته في أصول التفسير أمثلة وقواعد في هذه المسألة.

ولما ذكر الأقوال في مدة لبث يونس - عليه السلام - في بطن الحوت قال: "وهذا دليل على أن مثل هذه الروايات لا توجب القطع، ولا تدخلها الخصومة واللجاج، وإنما هي على الاحتمال والتوقف"^(١).

وأطال في ذكر لطف الله عز وجل ورزقه عباده في تفسير قوله - تعالى - : ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: ١٩] وذكر معاني كثيرة، ثم قال: "وأكثر ما ذكرنا منقول عن السلف"^(٢)، وفي سبب نزول أول سورة الفتح ذكر أقوالاً ثم قال: "وذلك كله مروي عن السلف"^(٣)، وقال عن رواية: "وتلك الرواية في نفسها تستغني عن طلب الدليل على فسادها"^(٤).

وذكر كثيراً من أقوال السلف باختصار وعزاها لأصحابها ورجح بينها، في تفسير قوله - تعالى - : ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي نُحُورِهِمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وقال: "وعن عطاء الخرساني: دخل فيه من حافظ على الصلوات الخمس، وهذا صحيح؛ لأنه الأصل في المدح ثم الزيادة تبع"^(٥).

وإذا ذكر أقوال السلف، فإنه كثيراً ما يجمع بينها، فمثلاً عند تفسيره ﴿وَلِيَّ لَقَاءٍ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢] ذكر أقوال السلف، ثم قال: "وهذه الأقاويل متقاربة، وهو مدح يشمل جميع الفضائل"^(٦).

وسرد أقوال كثير من السلف في تفسير قوله - تعالى - : ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢] ثم قال: "وهذا كله تفصيل لبعض ما يحتمله اللفظ"^(٧).

(١) ظ ٨٨/ب.

(٢) ظ ١٢٧/ب.

(٣) ظ ١٥٦/ب، ونحوه في ظ ٧٩/ب.

(٤) ظ ٩٧/أ.

(٥) ظ ١٦٢/أ.

(٦) ٢٨٥/أ.

(٧) ١٠٥/أ.

وعند تفسيره قوله - تعالى - : ﴿لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩]، ذكر أقوالهم في السائل ثم قال: "وهذه عبارات متقاربة"، وفي المحروم قال: "والمعاني متقاربة وإن اختلفت الألفاظ" ^(١).

المطلب الرابع: الإسرائيليات في تفسيره:

مما يتميز به هذا التفسير، أن مؤلفه البقالي اتبع منهجاً معتدلاً في التعامل مع المرويات التي عرفت في الدراسات القرآنية بالإسرائيليات، فهو يستفيد منها في فهم الآية، ككثير من المفسرين سلفاً وخلفاً، على اختلاف بينهم في اعتمادهم عليها وقبولهم ما جاء فيها، وفي كثير من المواضع يقدم لها بقاعدة أو يعقبها برد عليها، أو نحو ذلك مما يشير إلى أنه غير معتمد عليها، وكثيراً ما يكرر عبارة تفيد الاكتفاء بما في القرآن، وقد يصدرها بعبارة: "وفيما حدث من الأقاويل" ^(٢)، "وفيما يتكلف من الأقاويل" ^(٣).

ومن أمثلة ذلك أنه عند قوله - تعالى - : ﴿قَالَتِ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ [النمل: ٣٤] ذكر روايات كثيرة وأخباراً في قصة سليمان - عليه السلام - وخاتمها مما يذكر في كتب التفسير عند هذه الآية، ثم قال: "هذا وما أشبه ذلك مما يُروى ليس في القرآن" ^(٤).

ولما تكلم عن قوله - تعالى - : ﴿وَكَشَفْتَ عَنْ سَاقِهَا﴾ [النمل: ٤٤] وذكر روايات قال: "وقد يقال في هذه القصة: كيف جاز لسليمان أن يفعل ما يؤدي إلى ظهور ساقها؟؛ لأن مثل هذه الأخبار لا يوجب مثل هذا السؤال، ومن أين لنا كيف كان حكم النظر في ذلك الوقت؟، وهل نظر إليها إنسان في ذلك الوقت؟، ولعلها فعلت

(١) ظ ١٧٦/أ.

(٢) ظ ٥/ب، د ٨/ب.

(٣) د ٦/ب.

(٤) د ٢٣٨/أ.

ذلك في طَرَفٍ^(١) الصرح؛ لئلا تبطل ثيابها وكان سليمان بعيداً من ذلك الموضع، فكانت تستره إذا قربت منه"^(٢)، ثم قال بعد ذلك: "والقصة على ما في القرآن، وما عدا ما فيه منها فالله أعلم به"^(٣)، ولما ذكر بعض الأخبار عن ملكة سبأ قال: "والعهدة على من روى ذلك"^(٤).

وذكر ما يروى في الدابة المذكورة في سورة النمل ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٢] ثم قال: "الأخبار كثيرة في ذلك، وفيها تفاوت واضطراب، ولا حاجة إلى معرفة التفصيل، وإنما هي آية من آيات الله، ومن علامات الساعة كنزول عيسى - عليه السلام -، وطلوع الشمس من مغربها"^(٥). ولما تكلم عن رفع موسى - عليه السلام - الحَجَرِ لتسقي المرأتان قال: "واختلفوا في مقداره، وإن كان لا حاجة إلى معرفته"^(٦).

وفي قصة الذبيح في سورة الصافات، لما ذكر معاني الآيات، وإعرابها، والقراءات فيها، والاختلاف، قال: "والكلام فيما يروى في هذه القصة كثير، وما قاله إبليس للذبيح ولأبويه في ذلك، وما قاله الوالد والولد كل واحد منهما لصاحبه، وما حكاه الله - تعالى - من هذه القصة في القرآن ففيه كفاية"^(٧).

وفي سورة ص قال: "وقد أكثر القصص ومن لا يبالي بما يقول ولا يميز بين الصحيح والفساد من الخوض في ذلك؛ وأضافوا إلى داود ما لا يجوز على الأنبياء، ولو وقع ذلك ممن دونهم سقطت عدالته ومنزلته بين الناس"^(٨)، وقال في قصة

(١) ويحتمل أنها: في طرق.

(٢) د ٢٤٣/ب.

(٣) د ٢٣٤/ب.

(٤) د ٢٤٢/ب.

(٥) د ٢٥٢/أ.

(٦) ظ ٥/أ.

(٧) ظ ٨٧/أ.

(٨) ظ ٩٣/ب.

سليمان - عليه السلام - بعده: " وذكر البوزجاني نحو هذا، وإنما وقعت هذه الأخبار من أباطيل اليهود، كما قال - تعالى - : ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ [البقرة: ١٠٢]^(١)

وقال في قوله - تعالى - : ﴿وَحُذِرْكَ ضَعْفًا فَضَرِبَ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ﴾ [ص: ٤٤]: "ظاهر الآية يقتضي أنه كان له يمينٌ على ضَرْبٍ أحد، فهذه الله - تعالى - لهذه الحيلة، وأتم عليه نعمة الدين والدنيا، فشفاه وكفاه ما أهمه من أمر اليمين، وهذا القدر مما يستقل بنفسه، ولو لم نقف على كيفية ذلك ومن كان المحلوف على ضربه؟، ولم يضرنا ذلك، وقد روي أن ذلك كان في امرأته، وهذا أيضًا مما لا حاجة فيه إلى معرفة التفصيل..."^(٢).

التفسير الإشاري: قال في قصة أيوب في سورة ص: "وقد ذهب بعض المتكلفين إلى أن الضغت عبارة عن جملة من الشرائع والأمر والنهي؛ لأن اللفظ عام في كل ما يجمع من الأشياء المختلفة كقوله: ﴿أَضَغْتُ أَحْلِيًّا﴾ [يوسف: ٤٤]، وحمل قوله: ﴿فَأَضْرَبَ بِهِ﴾ [ص: ٤٤] على أن معناه بلغ ذلك وأمر به، وقوله: ﴿وَلَا تَحْنُتْ﴾ [ص: ٤٤] أي ولا تأثم، فإنك إذا لم تبلغ أثمت كقوله: ﴿وَكَاؤُوا يُصْرُونَ عَلَى الْحَنَثِ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٤٦] ، ويقال للصبي: بلغ الحنث، وهذا مما لا يجوز الاشتغال به، وأي ضرورة إلى مثل هذا التأويل مع إمكان حمل الآية على ظاهرها؟، وكيف يقول: ﴿وَحُذِرْكَ ضَعْفًا﴾ ثم يقول: المراد به بلغ عني؟، وكيف يكون تفسير الضرب به؟، هذا والحنث المطلق لا يفهم منه إلا الحنث في اليمين"^(٣).



(١) ظ ٩٦/أ.

(٢) ظ ٩٨/أ.

(٣) ظ ٩٨/ب.

المبحث الثاني: منهجه في علوم اللغة، ومسائل الاعتقاد والأحكام:

المطلب الأول: إعماله علوم اللغة:

يُعنى البقالي بعلوم اللغة في تفسيره، وهو كما سبق لُغوي له مصنفات، فيحلل الألفاظ، ويتعرض للكلمات من حيث اللغة اشتقاقاً وتصريفاً، وينقل عن أئمة اللغة والمعاني كأمثال الخليل (ت ١٧٠هـ)، والكسائي (ت ١٨٩هـ)، والمؤرج السدوسي (ت ١٩٥هـ)، والنضر بن شميل (ت ٢٠٣هـ)، والفراء (ت ٢٠٧هـ)، وأبي عبيدة (ت ٢٠٩هـ)، والأخفش (ت ٢٢١هـ)، وأبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ)، والزجاج (ت ٣١١هـ)، وغيرهم^(١).

وينقل البقالي عن المُفَضَّل في مواضع كثيرة^(٢)، قال في موضع: "وقد اعترض المُفَضَّل على قول الفراء"^(٣)، ويظهر أنه يقصد المُفَضَّل بن سلمة بن عاصم البغدادي (ت ٢٩٠هـ تقريباً)، له كثير من المصنفات، منها "معاني القرآن" و"الاشتقاق" و"آلة الكتابة" و"المدخل إلى علم النحو"^(٤)، ولعل البقالي ينقل من كتابه "معاني القرآن"، أو أنه نقل عنه بواسطة أحد الكتب كتفسير الثعلبي فإنه ينقل عنه^(٥).

ومن أمثلة تفسيره اللغوي قوله في تفسير قوله - تعالى - ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِفِينَ مِنْكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٨]: "المَعْوَفُ: المانع، عاقه واعتاقه وعَقَّاه واعتقاه وعَوَّقَه على التكثير، أي: مَنَعَ بعضهم بعضاً عن نصره رسول الله - صلى الله عليه -"^(٦)، وقال في

(١) وهذه النقول كثيرة في كتابه، وفي تاريخ وفيات هؤلاء بعض الاختلاف.

(٢) ظ ٨٤/أ، ظ ٢٩/أ، ظ ١٠١/أ.

(٣) ظ ٦٢/ب.

(٤) انظر ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي ٨٣٨/٦، بغية الوعاة للسيوطي ٢/٢٩٦.

(٥) الكشف والبيان ١٢٥/٤.

(٦) ظ ٤٣/أ، وانظر "البسيط" للواحدي ١٨/٢٠٥.

قوله - تعالى - : ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ﴾ [الزُّحُرْف: ٥٤]: "ليس من الاستخفاف الذي هو الاستحقار والإهانة كما يظنه بعض المتعربة، وإنما السين للسؤال، أي: هيئهم، واستعجلهم، وسألهم الخفة لمراده، وقد تكون السين للتصور، أي: عرف خفة عقولهم، ووجدهم جهالا، فغرمهم لما استجهلهم."^(١)

وقال: "وقوله: ﴿بُورًا﴾ [الفتح: ١٢]: أي هلكى أو فاسدين، وعن السُّدِّي: غير متقين ولا محسنين، وهذا على المعنى، فأما الأصل فهو من الكساد، وقيل: هو في كلام العرب لا شيء، ويقال في الواحد والجمع "ثم استشهد عليه بشاهد شعري"^(٢). وله اختيارات في علم الصرف، قال في قوله - تعالى - : ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]: "وعن أبي رجاء: أنه قرأ بفتح اللام، فمنهم من أنكره؛ لأنه إنما يكون في الأسماء لا في المصادر، والصحيح أنه يكون في المصادر أيضًا كالقبول والوروع والولوع، فلعل هذا لغة أيضًا"^(٣).

ومن كلامه عن الفروق بين الصيغ ما ذكره عند قوله - تعالى - : ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ [الشعراء: ٦٠] قال: "أي لحقوا بهم وقت الشمس أي وقت إضاءتها، أشرقت: أضاءت، وشرقت: طلعت، وأشرق الرجل إذا دخل وقت الشروق"^(٤). ويذكر الفروق اللغوية بين الألفاظ، كقوله عندما ذكر معنى قوله - تعالى - : ﴿وَأُزْلِفَتْ﴾ [الشعراء: ٩٠] ﴿وَبُرِزَتْ﴾ [الشعراء: ٩١] قال: "أي أذنت وأظهرت، وإنما فرق بين اللفظين كما قال: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ [مريم: ٨٥] ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [مريم: ٨٦] على ما ذكرنا من ذلك"^(٥).

(١) ظ ١٣٤/أ.

(٢) ظ ١٥٨/أ.

(٣) ظ ١٧٣/ب.

(٤) د ٢٠٦/أ، فائدة: هذا الحرف من جملة ألفاظ "فصيح" نعلب وما يشابهه من كتب إصلاح الغلط.

(٥) د ٢١٠/أ.

وفي قوله - تعالى - : ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَبُشِّفْنِي﴾ [الشعراء: ٨٠]، قال: "وإنما قال: مرضت ولم يقل إذا مرضني؛ لأنه كره أن يخلط الشكر بالشكائية، وإنما ذكر النعمة الخالصة ونبه على الأمراض بما يجري مجرى الكناية كقوله: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَوِ يَسِّرٌ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، وهو المريد للأمرين" ^(١).

وهو ممن يقول بالأضداد، إذ ذكر ذلك في مواضع من كتابه، مثاله: قوله في قوله - تعالى - : ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [يس: ٤١]: قد يحمل ذلك على قوم نوح لما ذكرنا أن الذرية من الأضداد... ^(٢).

وقال في موضع آخر: "وأما المسجور فهو من الأضداد: المملوء واليابس"، وذكر أقوال السلف، ثم قال: "والظاهر في هذا اللفظ هو الممتلئ" ثم ذكر شاهداً شعرياً وحديثاً نبوياً ^(٣).

أما في الإعراب فهو لا يذكر من الإعراب إلا ما يؤثر في معنى الآية، ويعدد أوجه الإعراب في مواضع كثيرة من تفسيره إذا اقتضى الأمر ذلك، قد ذكر في أول سورة يس أعراب كثيرة.

وذكر سبب اختيار الرفع في قوله: ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٣] واختيار النصب في قوله: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٦٦] ^(٤).

ولا يكتفي بالنقل، وإنما يرجح ويصحح، قال في إعراب كلمة: ﴿الشَّوْأَى﴾ في قوله - تعالى - : ﴿تُرْكَانَ عَنقَبَةَ الَّذِينَ أُسْوُوا السَّوْأَى﴾ [الروم: ١٠]، "والصحيح أنها من صلة ﴿أُسْوُوا﴾" ^(٥).

(١) د ٢٠٧/ب.

(٢) ظ ٧٦/أ، وانظر د ١٩٦/أ.

(٣) ظ ١٨٠/ب.

(٤) د ٢١٥/ب.

(٥) ظ ٢٦/ب.

وقال في قوله - تعالى - : ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الرَّؤْي: ٧٣]: "وهذه الواو تجعل واو الثمانية على ما تقدم في مثله، والصحيح أنها للحال" (١).
أما علم البلاغة فلا يخلو تفسيره من إشارات إليه، وكثيراً ما يشير إلى الإضمار في الآيات، نحو ما ذكره عند قوله - تعالى - : ﴿قَالَ لَا فَذْهَبَا يَتَّيِنَاتُ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [٥٥] إلى قوله: ﴿قَالَ أَلَمْ نُنْزِلْكِ فِينَا وَلِيدًا وَلَيْسَتْ فِينَا مِنْ عَمَلِكُمْ سَيِّئًا﴾ [الشعراء: ١٨]: قال: "وفي الآية إضمار، أي فَذْهَبَا فقالا ما أمرهما الله أن يقولاه" (٢).

وقال في موضع: "وكذلك نظائره في باب الإضمار: ﴿فَدِيَةٌ مُسْكَمَةٌ﴾ [النساء: ٩٢]، ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]" (٣).
ويشير إلى المجاز كثيراً، وقد ينقل الإجماع عليه في بعض المواضع، كقوله في تفسير قوله - تعالى - : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]: "واختلفوا في المراد بهذا النهي ومعناه المنع، مع الإجماع على أنه مجاز؛ لأن الصلاة لا تنهى في الحقيقة، إنما المراد أن الانتهاء يُحَصَّلُ بها على ما ذكرنا من نظائره" (٤).

(١) ظ ١١٠/أ.

(٢) د ٢٠١/أ.

(٣) د ٢٣٧/أ.

(٤) ظ ٢١/أ، وجّه المفسرون كيفية نَهْيِ الصلاة عن المنكر على وجه كثيرة، من ذلك قول ابن عاشور في "التحرير والتنوير" ٢٠/٢٥٨: "وإذ قد كانت حقيقة النهي غير قائمة بالصلاة تعين أن فعل ﴿تَنْهَى﴾ مستعمل في معنى مجازي بعلاقة أو مشابهة، والمقصود أن الصلاة تيسر للمصلي ترك الفحشاء والمنكر، وليس المعنى أن الصلاة صارفة المصلي عن أن يتركب الفحشاء والمنكر؛ فإن المشاهد يخالفه؛ إذ كم من مصل يقيم صلاته ويقترف بعض الفحشاء والمنكر"، وفي معنى الآية عدة أقوال، فقيل: إن الإنسان إذا أدّى الصلاة كما ينبغي وتدبر ما يتلو فيها نهته عن الفحشاء، هذا مقتضاها وموجبها، وقيل: تنهاه ما دام فيها، وقيل: ينبغي أن تنهاه، ولا بن عطية كلام محرر في تفسيره المحرر الوجيز ٦/٦٤٨ في كيفية نهي الصلاة صاحبها عن الفحشاء والمنكر، وفي عدّه هذا من المجاز خلاف مشهور.

وأما الشاهد الشعري في تفسيره فكثير، ويورد الشواهد الشعرية محتجاً بها في مسائل اللغة، فيعزوها إلى أصحابها، وتظهر عنايته الكبيرة بالشعراء المحتج بهم من أهل الجاهلية والإسلاميين ومن في عصر الاحتجاج؛ فيستشهد بأمثال الكميت^(١)، والنابعة^(٢)، وعنترة^(٣)، وجريز^(٤)، وحسان^(٥)، والفرزدق^(٦)، ورؤبة^(٧)، والقطامي^(٨)، وغيرهم، وربما لم يذكر اسم الشاعر فيقول: "كقول الشاعر"^(٩)، وربما ذكر المصدر الذي نقل عنه، فيقول: "أنشد الأخفش"، أو "أنشد الفراء"^(١٠) أو غيرهما.

ومن كلامه في الشعر ما ذكره في قوله - تعالى - : ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] فقد ذكر أقوالاً في المراد بذلك، ثم ذكر أبياتاً أنشده في تدارك النفس بالعمل، والاستعداد لحضور الأجل، ثم قال: "والكلام في ذلك من الشعر وغيره كثير"، ثم قال: "وأما النذير فهو ما أنذر به - تعالى - عباده، ويدخل فيه الأنبياء والكتب، وقد يحمل على الشيب وهو نذير أيضاً، وقد أكثر الناس فيه من الشعر وغيره"^(١١).

وقد يقال: إن له اطلاعاً على علم العروض؛ فحينما أورد مسألة إضمار (إن) في

(١) د ٢٠٥/أ.

(٢) د ٢٢٨/أ.

(٣) ظ ٧٠/أ.

(٤) د ٢١٠/ب.

(٥) د ٢١٧/أ.

(٦) ظ ٢٩/ب.

(٧) د ٢١٠/ب.

(٨) د ٢١٧/أ.

(٩) د ٢٢٥/ب.

(١٠) د ٢١٤/أ.

(١١) ظ ٧٢/أ.

قوله - تعالى - : ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُحْدِلُونَ﴾ [الشورى: ٣٥]

قال: "قال الشاعر:

لَا تَنَّهُ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ^(١)

قال: "ولا يظهر موضع الاستدلال من هذا البيت؛ لأن الوزن مع فتح الياء وإرسالها مستقيم"^(٢).

يقصد أن فتح الياء في قوله: (وتأتي) وإسكانها لا يؤثر في استقامة وزن البيت، فلا يصح أن يكون شاهداً لنصب الفعل بعد أن مضمرة.

قلت: ولكن إسكانها على خلاف الأصل، ويُعدُّ عندهم من الضرورات، من باب التخفيف وتشبيه المنصوب بالمرفوع والمجرور^(٣).

وله عناية بمسائل النظم وإعجاز القرآن، مع حرصه على عدم التكلف، قال عند قوله - تعالى - : ﴿فَسُبْحَنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ [الروم: ١٧] "ولا سؤال في تقديم المساء، على أنه أحسن في النظم"^(٤).

وقال: "قال ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، وفي قصة موسى ﴿صَابِرًا﴾ [الكهف: ٦٩]، وقد ذكرنا ما قيل فيه، ولا حاجة إلى التكلف؛ لأن كل واحد من اللفظين أليق بموضعه؛ لأن رؤوس الآي هكذا"^(٥).

وقال عند قوله - تعالى - : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ [الحج: ٧٧]: "فصل ثم أجمل، كما أجمل في مواضع ثم فصل، وإنما التفصيل مع الجملة تفخيم وتعظيم، كما يفرد بالذكر"^(٦).

(١) اختلف في نسبته كثيراً، وهو في "الكتاب" لسيبويه ٤١/٣ منسوب إلى الأخطل، وينسب إلى غيره كأبي الأسود الدؤلي، انظر "خزانة الأدب" للبغدادي ٨/٥٦٧.

(٢) ظ ١٣٠/ب.

(٣) انظر: "ضرائر الشعر" لابن عصفور ص ٩١.

(٤) ظ ٢٧/ب.

(٥) ظ ٨٦/ب.

(٦) د ١٠٣/أ.

فصیحات القرآن: قال عن قوله - تعالى - ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ الآية [النمل: ٦١] "وهذه الآية إحدى فصیحات القرآن التي يظهر إعجازها"^(١).

وعن قوله - تعالى - ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ [الزُّحُرْف: ٥] قال: "وهذه إحدى فصیحات القرآن"^(٢)، وقوله - تعالى - ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأنبياء: ١٠٩]: "وهذه إحدى فصیحات القرآن المعدودة، وإن كان كله فصیحًا في النهاية، ونظيره ﴿فَأُنْذِرْ إِلَهُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨]"^(٣).

وهذه العبارة (فصیحات القرآن) يذكرها بعض المفسرين كالثعلبي والقرطبي، يعنون بها ما بلغته هذه الآيات من فصاحة أقربت العرب بالقصور عن الإتيان بمثلهما^(٤).

وقال في تفسير قوله - تعالى - ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُونَ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَحِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ [سبأ: ١٣] قال: "ولا معنى لطعن الطاعن بوجود هذه اللفظة في أشعار امرئ القيس؛ لأن هذه الألفاظ كلها موجودة في كلام العرب لا محالة على التفريق، ولهذا كان حجة عليهم، وكذلك ألفاظ الشعر والقصائد قد يسبق الواحد إلى أحادها وإن لم يكن ذلك من صنعته على ما تقدم من ذلك في الإعجاز"^(٥).

ومن الإعجاز الغيبي أنه لما ذكر قصة سليمان - عليه السلام - مع ملكة سبأ قال: "وذلك في الجملة إحدى المعجزات على ما تقدم في مثله مما كان عند أهل الكتاب علمه، ولم يكن عند العرب شيء من ذلك، ولم يكن لرسول الله - صلى الله عليه - من علم أهل الكتاب شيء ولا قرأ من كتبهم، وإنما نبأ به العليم الخبير"^(٦).

(١) د ٢٤٧/أ.

(٢) ظ ١٣٣/ب.

(٣) د ٧٤/ب.

(٤) الكشف والبيان للثعلبي ١٣/١٢٩، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/٢٢٠.

(٥) ظ ٥٩/ب.

(٦) د ٢٤٣/ب.

المطلب الثاني: منهجه في مسائل الاعتقاد:

يرى البقالي أن التفسير لا ينبغي أن يكون محلاً لنصرة المذاهب، وقد يضطر أحياناً إلى ذكر ما في الآية من مسائل الاعتقاد، وأما استخراج مذهبه من خلال النظر في كتاب ليس يقصد منه مؤلفه تقرير العقيدة فهذا لا يكفي في معرفة عقيدته في غالب مسائل الاعتقاد إلا إن كان معتنياً بذكرها في تفسيره كالزمخشري والرازي وغيرهما، وإن كان قد يعرف منه بعض ملامح المنهج العقدي، وفرق بين استخراج مذهبه من هذه المصنفات العامة، وبين النظر في كتاب أَلْفَه في العقيدة قصداً، ولذلك فإنه ليس مقصودُ الباحث من ذكر هذه المسائل العقدية نقدَها، أو بيان عقيدة البقالي، وإنما يذكر بعض الأمثلة ليتبين شيء من منهجه في بعض مسائل الاعتقاد.

ففي قوله - تعالى - : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] ذكر ما قيل: "أنه من علو المنزلة"، ثم قال: "وهذا خلاف الظاهر، وإنما هو كقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]^(١).

وقال: "قد أكثر الناس من القول في قوله - تعالى - : ﴿لَمَّا خَلَّطْتُ يَدَيَّ﴾، وقد ذكرنا أن اليد في اللغة قد تكون بمعنى القدرة، وبمعنى النعمة، وبمعنى الجارحة، وأن هذا اللفظ قد يطلق [فيما] لا يحمل شيئاً من ذلك كقوله: ﴿يَبِّسْ يَدِي رَحْمَةً﴾ [الأعراف: ٥٧]، ﴿لَا يَأْنِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١]، ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ﴾ [المجادلة: ١٢]، وأنها قد تكون صلة، وذكرنا أيضاً أن التفسير لا يُشْتَغَلُ فيه بنصرة بعض المذاهب، وإنما يذكر ما يقتضيه اللفظ لا محالة أو يحتمله ويحتمل غيره إلا أنه لا بد من ذكر ما قيل مع ذلك..."^(٢).

(١) د ٣/أ.

(٢) ظ ١٠١/أ.

وقال: "والذي يعتمد في تركه على الظاهر والامتناع عن التفسير، أن كل ما لا يقبح إضافته إلى الله - تعالى - وليس في ظاهره ما لا يجوز عليه، فإنه ينزل على ظاهره..."^(١).

ومما ذكر من المسائل ما جاء في قوله - تعالى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [غافر: ١٠]، قال: "وقد ذكرنا في الغضب والرحمة والحب ونحو ذلك أنها في أوصافه - تعالى - على خلاف ما يراد بها في أوصاف العباد، فكذلك المقت والبغض إنما هو عبارة عن الكراهة وعدم الرضى"^(٢).

وفي قوله - تعالى - : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] قال: "عقب ذلك بأنه سميع بصير وإن لم يكن له مثل، وسمعه وبصره يخالف سمع المخلوق وبصره حتى لا يظن ظان أنه كما لا مثل له كذلك لا يوصف بما يوصف به المخلوق؛ فبين أنه يوصف بذلك - وإن كان على خلاف تلك الجهة - بلا آلات ولا جوارح؛ لأن نفي المماثلة تضمن نفي ذلك أيضًا"^(٣).

ويرى أن التشبيه الذي وقع في الإسلام مأخوذ من اليهود^(٤)، وقال في موضع: "وإنما وقع التشبيه فيما بين المسلمين من قول اليهود على ما ذكرنا من ذلك، - تعالى - الله عما يقولون علواً كبيراً"^(٥).

ومما يلاحظ في تفسيره أنه كثيراً ما يتكلم عن أهل البدع، مورداً هذه اللفظة (أهل البدع)، ناسباً نفسه إلى أهل السنة، قال: "وكذلك موافقة أهل البدع أهل السنة

(١) ظ ١٠١/أ.

(٢) ظ ١١١/أ، سبق ذكر قاعدة أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات.

(٣) ظ ١٢٦/أ.

(٤) ظ ١٧٣/ب.

(٥) ظ ١٨٦/ب.

على بعض الأقوال لا يمنع جواز القول به، إذا كان مما يجوز القول به في نفسه، وإنما القول بدليله لا بقائله، وقد تقع الموافقة بين المسلمين والكفار على بعض الأقوال"^(١).

ولما ذكر وصف القرآن بالمجيد في سورة ق قال: "فأما المجيد فهو من أسمائه - تعالى - [وقد وصف به القرآن]^(٢) تشريفاً له؛ لأنه مدح على حسب ما يليق بالمدوح كما ذكرنا في الكريم"^(٣).

وذكر فضائل الصحابة وأثنى عليهم، وخصوصاً الأربعة الراشدين^(٤) عند قوله - تعالى - : ﴿تُحَمَّدُ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الآية [الفتح: ٢٩]. وقال عند قوله - تعالى - : ﴿وَلَا يَفْقَهُنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتُلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩] "وفي الآية دليل على أن المعصية لا تزيل اسم الإيمان كما قيل: إنها تضر المؤمن، [ولا تضر الإيمان]"^(٥).

وقد وقف الباحث على مواضع كثيرة يردُّ فيها البقالي أقوالاً تنسب إلى الرافضة، مثال ذلك: في سورة النمل ذكر ما قيل من أن النمل "عبارة عن قوم من الزهاد أعرضوا عن الدنيا وكرهوا ما فيه سليمان"، قال: "وهذه من الجهالات وتشبه تأويل الروافض، كما تقدم في قوله ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ﴾ [النحل: ٦٨] أنهم بنو هاشم"^(٦).

وعند تفسير قوله - تعالى - : ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾^(٧) [النمل: ٢٢] قال: "وفيه دليل على إبطال قول الروافض إن الإمام لا يخفى عليه

(١) ظ ١٠١/ب.

(٢) أصابته رطوبة شديدة، لم يتضح معه الخط، ويظهر أنه ما أثبتته.

(٣) ظ ١٧٠/أ.

(٤) ظ ١٦٢/ب.

(٥) ظ ١٦٥/ب، وما بين [] أصابته رطوبة شديدة طمست الكلام، ويظهر أنه كما ذكرت.

(٦) د ٢٢٨/ب.

شيء، ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه" ^(١)، وقد ذكر ذلك قبله شيخه الزمخشري ^(٢).

وفي تفسير الدابة في قوله - تعالى - : ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ الآية [النمل: ٨٢] ذكر "عن الروافض أنها علي أو الإمام" ثم قال: "وهذه إحدى جهالاتهم، حين جوزوا إطلاق هذا الاسم عليه، ولا يفهم من إطلاقه إلا البهيمة، فإن كان قوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [هود: ٦] على العموم فالاسم ههنا خاص، ولا يحمل إلا على ما ذكرنا" ^(٣).

ومن ردوده على الطوائف ما ذكره عند تفسير قوله - تعالى - : ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]: قال: "وقد روي عن وهب أنه قال: كان عمره ألف وأربعمئة سنة، وهذا دليل على إبطال قول الملحدة: إن الأعمار كلها على حد معلوم لا يتجاوزها" ^(٤).

وقال في روايات ذكرها في أول سورة الشورى، وفيها تفسير للحروف المقطعة بأن أول كل حرف منها إشارة إلى حدث قال: "وهذه الأخبار كلها مما لا يمكن اعتقاده على القطع؛ لأن رسول الله - صلى الله عليه - إنما بين ما بين على العموم ولم يُسرَّ بشيء إلى واحد دون غيره، فإن كان هذا الحساب من حيث اللغة فمن أين؟ وكل هذه الحروف تدخل في كلمات لا تحصى، فكيف خص الحاء بأنه من الحرب ولم يكن من الحصن أو الحب أو الحلم أو الحرث أو الحجر إلى نحو ذلك، وعلى هذا سائر الحروف، وكيف خص العين بالعلو ثم بعلو بني العباس،

(١) د ٢٣٠ / أ.

(٢) الكشف للزمخشري ٣ / ٣٥٩.

(٣) د ٢٥١ / ب، وانظر د ٧٤ / ب.

(٤) ظ ٢٠ / ب.

وكذلك الميم على هذا، وإنما هي شهوات تشبه تأويل الروافض^(١). وسيأتي الحديث عن ردوده في المبحث الثالث من الفصل الثاني.

المطلب الثالث: منهجه في الأحكام الفقهية:

مرّ بنا أن البقالي لا يتوسع في ذكر الأحكام الفقهية في تفسيره، وإنما يشير إليها إشارة ويحيل إلى كتب الفقه، ويلاحظ في هذه الأحكام أنه يعتني بذكر أقوال أبي حنيفة وأصحابه، وقد يشير إلى المذاهب الأخرى خصوصاً مذهب الشافعية. ومن أمثلة ما يذكره من أحكام فقهية ما أورده عند قوله - تعالى - : ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَنَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥]، قال: "وقد يحتج بهذه الآية لإثبات المهالبة، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه إذا كنا متعبدين بشرائع من قبلنا؛ لأن قوله: ﴿لَنَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ من المهالبة"^(٢).

وفي قوله - تعالى - : ﴿فَتَاتِذَا الْقُرْآنُ فَحَقُّهُ، وَالْمَسْكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ﴾ [الروم: ٣٨]: قال: "وقد يحتج به أبو حنيفة وأصحابه في وجوب النفقة للمحارم؛ لأن الألف واللام كالإضافة، أي: ذا قرابتك"^(٣).

وقال في قوله - تعالى - : ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]: "قد يحتج بذلك من يثبت الحياة في العظام؛ لأن أصحاب أبي حنيفة يمنعون ذلك؛ لأن عظم الميتة عندهم طاهر وكذلك الشعر ونحوه، لأنه لا حياة فيها فلم يؤثر فيها الموت، ويتناولون هذه الآية على أنها إخبار عن الآخرة، والكلام في أحوال الدنيا وأحكامها، ولأن ذلك على التشبيه بالحياة"^(٤).

(١) ظ ١٢٤/أ.

(٢) د ٢١٤/ب، والمهالبة هي قسمة المنافع على التعاقب والتناوب، أي أن يتراضى الشريكان بهيئة واحدة، فالشريك منتفع بالعين على الهيئة التي ينتفع بها الشريك الآخر، انظر "التعريفات" للجرجاني ص ٢٣٤، البناية شرح الهداية للعيني ١١/٤٦٢.

(٣) ظ ٢٩/ب، وانظر ظ ٣٢/أ، ظ ٤١/أ.

(٤) ظ ٧٩/أ.

وفي قوله - تعالى - : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] قال: "وقد يحتج به أبو حنيفة وأصحابه في إبطال الأعمال بالردة وإن وُجد الإسلام بعدها"^(١).

وذكر عدة مسائل فقهية على مذهب الحنفية والشافعية واستنباطات عند قوله - تعالى - : ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾ الآية [الفتح: ٢٥]^(٢)، وذكر أيضًا مسألة تتَّرس الكفار بالمسلمين عند الحنفية والشافعية^(٣)، ومسألة المعانقة عند قوله - تعالى - : ﴿رَحْمَةً بَيْنَهُمْ﴾^(٤).

تعليل الأحكام الشرعية: يعلل البقالي لبعض الأحكام الشرعية، ويرد على الطاعنين في الشريعة، ومن ذلك ما ذكره في تفسير سورة الأحزاب حين ذكر آية إحلال الأزواج له [آية] وخصوصيته في الزيادة على أربعة نسوة قال: "وأجمعوا على أن أمره كان بخلاف غيره في عدد المنكوحات، ولا تعلق للطاعن في ذلك، وليس فيه إلا ما في سائر ما أباحه - تعالى - وحظره، وربما عرف في ذلك صلاحًا من وجوه، وله أن يخص بعض عبادته بما يشاء، ويكرم بما يشاء، ولعله إنما حرم الزيادة على الأربع على غيره لما عرف من حالهم أنه لا يمكنهم القيام بالعدل كما قال: ﴿ذَلِكَ أَذَىٰ لَا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣]، أو عرف من رسوله [ﷺ] أن يقوم بذلك، ولعل ذلك أدعى إلى إسلام النساء إذا رغبن في نكاحه، وأدعى إلى بيان الأحكام وتواتر النقل إذا روين ما شاهدن منه - صلى الله عليه - ، خصوصًا وهن أبعد من طبعهن عن الكتمان، ولو كان هناك ما يوجب التهمة للطاعن لم ينكتهن مع كثرتهم ووقوفهن منه على ما لا يقف عليه غيرهن، وهو أبلغ في تعلم الأحكام أيضًا، وفي الدعاء إلى الإسلام لما يدخل من سائر النساء عليهن لتعلم الدين

(١) ظ ١٠٩/أ.

(٢) ظ ١٥٩/ب.

(٣) ظ ١٦٠/أ.

(٤) ظ ١٦١/ب.

والدعاء إلى الإسلام ونحو ذلك مما لا [يوقف]^(١) عليه، على ما ذكرنا أنه ليس من شرط الحكمة أن يقف العبد على العلة في أحكامه - تعالى - وأفعاله، وإنما الواجب التسليم والقطع على أن الحكمة فيه"^(٢).

قلت: وهذا كلام غاية في النفاسة، يستفاد منه في رد الشبهات.

المطلب الرابع: منهجه في الاستنباط:

يُعنى البقالي بإيراد الفوائد والاستنباطات من الآيات، خصوصاً في آيات الأحكام، ويفعل ذلك أيضاً في القصص والأخبار وغيرها، ويوردها باختصار. ومثال ذلك أنه لما ذكر آيات الإفك في سورة النور قال: "وفي القصة فوائد"، ثم ذكر ثلاث عشرة فائدة باختصار، منها: "التسلية عما ينال الواحد من المكروه؛ فإنه ربما تحمد عاقبته إذا صبر عليه؛ لقوله: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾ [النور: ١١]، ونظيره ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ [البقرة: ٢١٦]، "ومنها أن الذين برأهم الله - تعالى - في الجنة، ومنها أن الأولي فيما يصيب الإنسان ويضيق به صدره ألا يعجل بما تدعوه إليه نفسه؛ لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يعجل بمفارقة عائشة فكانت فيه الخيرة، ومنها التسلي بالماضين وألا يستعظم الإنسان ما يصيبه فقد أصاب من هو خير منه"، وفي آخر الفوائد قال: "إلى نحو ذلك مما يمكن أن يستفاد منها"^(٣). وعند قوله - تعالى - : ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الحج: ٤١] قال: "وهو دليل على صحة الخلفاء الأربعة؛ لأنه لم يتمكن [في] الأرض بنفاذ الأمر من المهاجرين غيرهم، لا حظ فيه للأنصار [ولا] الطلقاء"^(٤).

(١) في ظ [مما لا يقف عليه].

(٢) ظ ٥٣/ب.

(٣) د ١٤٠/ب.

(٤) د ٩٣/أ، ما بين [] ليس فيما يتضح من المخطوط؛ لأن طرف المخطوط مطموس بسبب التجليد، ولعله ما ذكرت.

وقال أيضاً عند قوله - تعالى - ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية [النور: ٥٥]: "وهو دليل على صحة الخلافة للخلفاء الأربعة؛ لأن الخبر لا ينسخ، ولم يكن من الخلفاء موجود في ذلك الوقت [غيرهم]"^(١).

وعند قوله - تعالى - ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٧] قال: "وفيه دليل على تحريم المتعة"^(٢).

وقال في قوله - تعالى - ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٤]: "هذا دليل على أن القلب محل العقل"^(٣).

وقال في قوله - تعالى - ﴿أَذْهَبَ بِكُنْيَتِي هَذَا فَالِقَهُ لِيهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨]: "فيه دليل على جواز العمل بخبر الواحد"^(٤).

وعند قوله - تعالى - ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ [القصص: ٢٣]: قال: "وفيه دليل على إباحة كلام الأجنبية في مثله"^(٥)، وقال عند قوله - تعالى - ﴿قَالَتِ احْدِثْهُمَا بُيُوتًا يُسْتَعْرَجُ فِيهَا خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَعْرَجْتَ الْفَقِيهُ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦] قال: "روي أن الكبرى قالت ذلك، وفيه إضمار، أي فأجابها وذهب معها حتى انتهى إلى أبيها.

وفيه دليل على جواز العمل بخبر الواحد، وعلى صحبة المرأة الأجنبية في مثل هذه الحال، ولا يُدْرَى كيف كانت هذه الأحكام في تلك الشريعة"^(٦).

وعند قوله - تعالى - ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُغَيِّرُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾

(١) د ١٦٤/أ، وما بين [] يقال فيه ما قيل في الحاشية السابقة.

(٢) د ١٠٦/ب.

(٣) د ٢١٤/ب.

(٤) د ٢٣٣/ب.

(٥) ظ ٥/أ، أي: في مثل هذه الحال كما وضحتها البقالي في الآية التالية.

(٦) ظ ٦/أ.

[الروم: ٥٠] قال: "وفيه دليل على صحة القياس؛ لأنه جعل خضرة الشجر بعد يسها دليلاً على إحياء الموتى، وإنما أثر الرحمة ما ينبت بالمطر"^(١).

وذكر مسائل كثيرة مستنبطة من قوله - تعالى - ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ [الآية [الأحزاب: ٤٩]]"^(٢).

وقال عند قوله - تعالى - ﴿وَإِذْ يَتَحَفَّضُونَ فِي النَّارِ﴾ [الآية [غافر: ٤٧]]: "وفي ذلك أقوى دليل على عذاب القبر؛ لأن العرض على النار هو التعذيب بها، أي لما [عُرِضُوا] صاروا أو صارت أرواحهم إلى النار، وكذا عن محمد بن كعب وعكرمة^(٣): هذا دليل على عذاب القبر"^(٤).

وللبقالي لفتات نفيسة، فعند قوله - تعالى - ﴿فَسَبَّحْنِ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧]: قال: "قد يحمل ذلك على الصلوات الخمس، وهي إحدى الآيات التي تفيد ذلك، وإحدى الآيات التي يُحْمَلُ فيها التسبيح على الصلاة، ولا معنى للاشتغال بذلك في إثبات الصلوات الخمس؛ لأن ثبوتها ثبوت القرآن على ما تقدم في تحريم الخمر"^(٥).

ويذكر فوائد قصص القرآن، مثال ذلك ما ذكره عند قوله - تعالى - ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [طه: ١٢]: قال: "ومن فوائد القصة" ثم ذكر فوائد منها: "التسليية والتنبيه على ثمرة الصبر وحسن عاقبته"، ثم قال: "وفيها دليل على صحة النبوة، وهي إحدى المعجزات؛ لأن هذه الأخبار لم تكن عند العرب وإنما كانت عند أهل الكتاب، ولم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معهم صحبةً، وإنما أخبره تعالى كما أخبره

(١) ظ ٣١/أ.

(٢) ظ ٥١/أ.

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٢٣/٢١١.

(٤) ظ ١١٥/أ.

(٥) ظ ٢٧/أ.

محمد بن أبي القاسم بن بابجوك البقالي، ومعالم منهجه في الموجود من تفسيره د. ممدوح بن تركي القحطاني

بسائر الغيوب، وفيه التنبيه على الأدب، والتواضع، وتعظيم البقاع الشريفة، [فَرَقًا]
بينها وبين غيرها في الدخول وغيره" ^(١).

* * *

(١) د ٦/أ، وما بين [] اجتهدت في قراءته بسبب ما أصابه من طمس من آثار التجليد.

المبحث الثالث: إعماله قواعد التفسير، وترجيحاته وردوده:

المطلب الأول: عنايته بقواعد التفسير:

مما يتميز به تفسير البقالي أنه في أثناء تفسيره للآيات يذكر عبارات تُعدُّ قواعد مُعينة على التفسير، أو قرائن وضوابط، وفيها ما يدرأ الشبهات الطارئة على من لم يمعن النظر في كلام أهل العلم المحققين، وتتنوع هذه العبارات من حيث العلم الذي تتصل به من علوم القرآن.

قال في موضع: "أولى التفسير ما كان له في القرآن نظير، على ما ذكرنا في مثله" ^(١).

وقال: "وإذا أشكل بعض الظواهر فوجد له نظير في القرآن مُفسَّرٌ فلا حاجة إلى تفسير العباد" ^(٢).

وقال: "وما أبهمه - تعالى - لم يجز تفسيره إلا بدليل مقطوع به؛ لأن هذا مما لا يجوز التحكم فيه" ^(٣).

ومن ذلك أنه ذكر قاعدة نفيسة جداً متقدمة تاريخياً في ترابط آيات القرآن الكريم، حيث قال في أثناء تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ نَجَافٍ جُتُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: ١٦]: "وقد أكثر الناس من القول في ذلك، وتفسير الله - تعالى - أولى من تفسير غيره، وإذا ذكر في القرآن شيئاً مجملاً وذكره في موضع آخر مفصلاً كان ذلك تفسيراً لجميع ما ذكر منه؛ لأن القرآن كالسورة الواحدة، كما أطلق المتقين في مواضع ووصفهم في بعضها فقال: ﴿ هُدًى لِّلشَّافِقِينَ ﴾ [البقرة: ٣]، ﴿ أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزمر: ١٣٤]، كذلك أطلق الخوف والطمع وفسرهما في قوله:

(١) ظ ٧٦/ب.

(٢) ظ ١٢٤/ب.

(٣) ظ ١٨٥/ب.

﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الرُّم: ٩]، كأنه قال يحذر النيران ويرجو الجنان فقال: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا﴾ [الإنسان: ١٠]، ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦]، ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَتْ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧] إلى نحوه^(١).

وعند ذكر النور والظلمة في قوله - تعالى - : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] قال: "ومن أشكل عليه من معاني كلامه - تعالى - ما يجد له نظيرًا في عادات الناس ومخاطباتهم فقد أشكل عليه ما لا يُشْكَلُ؛ لأنه إذا وجد كلامًا يخالف ظاهره معناه، وذلك ظاهر عند الناس، ثم سمع [ما] في كلام الله - تعالى - فقد استغنى عن تكلف القول فيه وطلب معناه من غيره"^(٢).

وقال في تفسير قوله - تعالى - : ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤]: "ولا يزال يتعلق بها [ساع]^(٣) في الأرض بالفساد، يتسلط على المسلمين، وأي تعلق بذلك على الوجهين حُمِلَ؟".

وإذا أخبر - تعالى - عن قوم من الكفار أو عن قوم من الأشرار، أن عاداتهم كذا أو هم يفعلون كذا وكذا فهو النهاية في الذم والإنكار؛ فكيف يجعل حجة في ضده؟، وإنما هو كقوله: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقال: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٦] إلى نحو ذلك مما أخبر فيه - تعالى - عن أحوالهم المذمومة وشهد بها، ولا حجة في ذلك للمفسدين، ومن استباح الحرام فهو كافر فكيف إذا احتج له بالقرآن^(٤).

(١) ظ ٣٧/ب.

(٢) د ١٥٣/أ، وما بين [] مطموس، واجتهدت في تقديره.

(٣) وما بين [] أصابته الأرضة، واجتهدت في تقديره.

(٤) د ٢٣٦/ب.

ويقول: "لا يجوز للمخلوق أن يعتقد الإجابة إلى كل ما يسأل، وإذا أجاب - تعالى - داعياً وحرماً داعياً [فإنه] يجيب المضطرين كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾ [يس: ٨١]، وإن لم [يكن] ذلك موجوداً في كل حال لا محالة، وإنما المراد بذلك كله تنبيههم على الخطأ فيما كانوا عليه من عبادة الأصنام؛ لأنها لا تنفع ولا تدفع بوجه" (١).

وفي تفسير قوله - تعالى - : ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ذكر أقوالاً ثم قال: "وهذه الأقاويل كلها متقاربة، والظاهر يستقل بنفسه إذا حمل على الابتداء، على ما ذكرنا، وما ذكرنا من تصديق ابن عباس قول هذا القائل يؤكد ما تقدم في أول الكتاب أنهم كانوا يتوسعون في مثل هذا التأويل، ويستجيزون القول فيه بما يقع لهم من غير أن يرجعوا في ذلك إلى توقيف، حتى كان الأكبر يسوغ ذلك لمن دونه، وكانوا على ذلك فيما بينهم لا ينكره أحد منهم ولا يعيب بعضهم بعضاً فيه" (٢).

وعند قوله - تعالى - : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧]، قال: "وإنما ذكرها ولاءً بعد الجملة وإن دخلوا فيها؛ لأن التفصيل للتفضيل" (٣)، على ما ذكرنا في قوله: ﴿وَجَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾ [البقرة: ٩٨] (٤).
وتكلم عند قوله - تعالى - : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] ورداً قولاً محدثاً، قال: "وقد حدث فيمن ينتحل التذكير - وليس من أهله - من يتعلق بهذه الآية في تفضيل العاصي على المطيع؛ لأنه - تعالى - بدأ بذكر الظالم؛ لأنه أحب إليه، وهذا القول يُستغنى بظاهرة عن كشف ما يقتضيه، وينادي على صاحبه بما فيه؛ لأن إباحة المعصية خروج عن الإسلام بإجماع المسلمين

(١) د ٢٤٧/ب.

(٢) ظ ٢٢/ب.

(٣) في المخطوط: [الفصيل للفصيل].

(٤) ظ ٤١/ب.

فكيف التفضيل والمدح؟، وقد قال: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَعْدُونَ﴾ [النساء: ٩٥]، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ﴾ [الحديد: ١٠] وقد ذكرنا أن من حق التفسير ألا يشتغل فيه بنصرة المذاهب إلا أن هذا ليس من المذاهب، وإنما هو تمييز بين الكفر والإسلام... "إلى آخر كلامه^(١).

وعند قوله - تعالى - : ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نِبَاهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٨] قال: "ومعناه يوم القيامة، كذا عن ابن عباس، وعن قتادة: بعد الموت، وعن السدي: يوم بدر"، قال: "والظاهر مستغن بنفسه؛ لأنهم يعرفون ذلك في الجملة عند الموت وبعده"^(٢). وفي قوله - تعالى - : ﴿وَإِنَّهُ لَكَنَنْتُ عَزِيزٌ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤١] قال: "وَفَسَّرَ الذكر بأنه كتاب، وسماه عزيزاً وهو أحد ما وصفه به، وهو من أوصافه - تعالى - ، وإنما يكون معنى الصفة المحتملة الوجوه على حسب حال الموصوف، وما يليق به منها، ومعناه هاهنا عدم النظر، أي لا يوجد مثله..."^(٣)، إلى غير ذلك.

المطلب الثاني: ترجيحاته:

شخصية المؤلف بارزة واضحة في كتابه، وترجيحاته كثيرة، ويشير إليها بعدة ألفاظ، وهذه أمثلة لها:

- تقويته للقول الذي يختاره، كقوله: "وهذا أقرب الوجوه"^(٤)، "وهذا أولى من سائر الأقوال"^(٥).

- نصه على الصحة: "والصحيح ما تقدم"^(٦)، و"والصحيح أنه المُلْك

(١) ظ ٧١/أ.

(٢) ظ ١٠٢/أ.

(٣) ظ ١٢٢/أ.

(٤) ظ ٩٦/أ.

(٥) ظ ١١٠/ب.

(٦) د ١٦/أ.

والعلم^(١)، و"والصحيح أنه مدينة بقرب صنعاء"^(٢)، و"الصحيح خلافه"^(٣)، و"هو الصحيح"^(٤)، و"الأول أصح"^(٥)، و"هذا صحيح؛ لأنه الأصل"^(٦).

- نصه على بُعد القول عن الصحة: "وفيه بعد"^(٧)، و"هو بعيد"^(٨)، و"فأما... فبعيد"^(٩)، و"هذا لا يصح"^(١٠).

- تعبيره بنفي القول: "وليس كذلك"^(١١).

- تعبيره بالظاهر: "والظاهر أنه من المذكورين"^(١٢)، و"هو الظاهر"^(١٣)، و"الظاهر ما تقدم"^(١٤)، و"الظاهر أنه من قول الهدهد"^(١٥)، و"الظاهر ما ذكرنا"^(١٦)، و"هو ظاهر اللفظ إلا أن الأول أظهر"^(١٧)، و"الأول أظهر"^(١٨)، و"هذا أظهر"^(١٩)،

(١) د ٢٢٦ / أ.

(٢) د ٢٣٠ / ب.

(٣) ظ ٩٧ / ب.

(٤) ظ ١١٢ / ب.

(٥) ظ ١٥٩ / أ.

(٦) ظ ١٦٢ / أ.

(٧) د ٢٠٢ / أ، د ٢٤٦ / ب.

(٨) د ٢٠ / أ، د ٢٤٢ / ب، ظ ٣٨ / ب، ظ ٤٤ / أ، ظ ٩٥ / ب.

(٩) ظ ٤٦ / أ.

(١٠) ظ ٥٢ / ب.

(١١) د ٢٣٦ / أ.

(١٢) د ٢١٦ / ب.

(١٣) د ٢١٧ / ب، د ٢٢٢ / ب، د ٢٤٠ / أ، ظ ٣٠ / أ، ظ ٤٢ / ب، ظ ٥٨ / أ.

(١٤) د ١٧ / أ، د ٢٣٨ / ب، د ٢٣٠ / أ، د ١٧٦ / أ، د ١٧٧ / ب، ظ ١٣ / أ، ظ ٢٣ / ب، ظ ٣١ / أ.

(١٥) د ٢٣٢ / ب، ظ ٤٦ / أ.

(١٦) د ٢١٠ / أ، وانظر د ١٧٦ / أ.

(١٧) د ٢٤٠ / ب.

(١٨) د ١٧٣ / أ، ظ ١٠٣ / أ، ظ ١١٦ / ب.

(١٩) ظ ٣٣ / أ.

- و"ما ذكرناه أشبه بالظاهر"^(١)، و"قد يحمل على الظاهر، و"هو الأشبه بما قبله"^(٢).
- تعبيره بمخالفته للظاهر: "وهذا مما لا يفيد ظاهر اللفظ"^(٣)، و"هذا بعيد"، و"لا يحتمله الظاهر"^(٤)، و"الظاهر يستقل بنفسه، ولا حاجة فيه إلى التخصيص"^(٥).
- تعبيره بألفاظ يفهم منها تضعيفه الأقوال: "والعهدة على من روى ذلك"^(٦)، و"فيما حدث من الأقاويل..."^(٧)، وقوله: "ومما حدث من الأقاويل: ... وهذا من الهزل الظاهر"^(٨)، و"وهذا تكلف"^(٩).
- جمعه بين الأقوال: "وهو قريب من الأول"^(١٠)، و"وكلاهما واحد"^(١١).
- ولما ذكر معنى الحزن في قوله - تعالى - : ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر ٣٤]، قال: "وقد أكثر الناس من تفصيل هذه الأنواع حتى قال بعضهم: كراء الدار، وهذا القائل قد خلط الجد بالهزل، كأنه كان مبتلى بذلك فكان من أهم الأمور عنده، ولو كان محتاجاً إلى البقل فضلاً عن الخبز واللحم لذكره أيضاً!، وكيف لو دهمه عدو؟ وما الحاجة إلى تعيين نوع دون نوع مع دخول ذلك كله في اللفظ؟"^(١٢).
- وإذا رجح ففي مواضع كثيرة يذكر سبب الترجيح، فمثلاً: في قوله - تعالى - :

(١) ظ ٥٨ ب، وانظ د ٦٤ ب.

(٢) ظ ١٨٩ ب.

(٣) ظ ٩٦ ب.

(٤) ظ ٩٧ أ.

(٥) ظ ٩٧ ب.

(٦) د ٢٤٢ ب.

(٧) د ٢٣٤ ب، ظ ٧١ أ.

(٨) د ٢٢٩ ب.

(٩) ظ ٦٣ أ، ظ ٦٣ ب، ظ ١٥٧ أ.

(١٠) د ٢٢١ ب.

(١١) د ٢٢١ أ.

(١٢) ظ ٧١ ب.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣] قال: "والظاهر أن المراد بذلك أزواج النبي - صلى الله عليه - إلا أنه صرف الخطاب إلى الذكور؛ لأنه أدخل رسول الله معهن، ويجوز أن يدخل سائر أهل بيته أيضًا في ذلك، فأما أن يجعل فيهم على الخصوص على ما يروى أنها نزلت في علي - عليه السلام - وأولاده، وفيه حديث الكساء ... فبعيد؛ لأن الآية في قصص النساء فيبعد ألا يدخلن فيها، وإن جاز أن يدخل معهن غيرهن، والحديث لا يدل أيضًا على أنه ليس له أهل بيت سوى هؤلاء..."^(١) وذكر كلامًا.

ونحو قوله في تفسير ﴿وَإِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ الْمُعْتَبِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٤]: "وقد تحمل العتبي على الرجعة إلى تخفيف العذاب كقوله: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، وهو الأشبه بمقابلة الصبر؛ لأنه بمعنى الجزع، وقد يحمل الصبر على الإصرار، وهو بعيد"^(٢).

المطلب الثالث: ردوده ومناقشاته:

وقف الباحث على مواضع من تفسيره يناقش فيها أقوال من قبله من المفسرين والمعرّبين وغيرهم، ويرد عليها باختصار، ومن الأمثلة على ذلك: رده على الفراء في حكم فقهي، قال في تفسير قوله - تعالى - : ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ [النمل: ٢٥]: "ويحكي عن الفراء: أن السجدة لا تجب في قراءة التشديد، ولا يُرجع إليه في هذا، وهي واجبة في الحالين؛ لأن موضعها إما أمر وإما ذم بتركها أو مدح بفعلها"^(٣).

وقد يذكر أقوالاً لأئمة اللغة والنحو كأمثال الفراء والزجاج ثم يرجح غيره، مثال ذلك ما ذكره في تفسير قوله - تعالى - : ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا

(١) ظ ٤٦/أ.

(٢) ظ ١١٩/ب.

(٣) كذا في د ٢٣٢/ب، وفي تفسير الزمخشري ٣/٣٦٢: "لأن مواضع السجدة إما أمر بها أو مدح لمن أتى بها أو ذم لمن تركها".

يَسْتَوْنَ ﴿[السجدة: ١٨] قال: "الاستفهام بمعنى الجحد ثم ابتداء ﴿لَا يَسْتَوْنَ﴾، فلهذا كان بلفظ الجمع، أي المؤمنون والفاسقون تأكيداً للجحد الأول، وعن الفراء: إذا لم يكن الاثنان مصمودين^(١) ذُهِبَ بهما مذهب الجمع، وعن الزجاج نحوه، والصحيح ما تقدم"^(٢).

موقف البقالي من ابن جرير الطبري: وقف الباحث على مواضع من تفسير البقالي ناقش فيها ابن جرير، كقوله في تفسير قوله - تعالى - ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٩]: "وقد يحمل على حوانيت التجار؛ لأنهم فتحوها، وهذا دليل الإذن في الدخول، وقد أنكره الطبري^(٣)، قال: "هي مسكونة"، وهذا الإنكار بعيد؛ لأنها ليست للسكنى في عادات الناس، ولا تسمى من المساكن، وإن كان الناس يدخلونها لسائر الأغراض"^(٤).

واعترض على ما اختاره الطبري في قوله - تعالى - ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨] قال: "قال الطبري: فعلى هذا أي ما كان من اختيارها^(٥) ولا لآلهتهم فكذلك اختياري لولايتي خيار خلقي، قال فإن قيل: فأين خبر كان؟، قيل له: إن العرب تجعل لحروف الصفات إذا جاءت الأخبار بعدها أخباراً كفعلها بالأسماء إذا جاءت بعدها أخبارها" إلى آخر حكايته عن الطبري^(٦)، ثم قال: "وهذا الذي أنكره الطبري فعليه^(٧) أكثر المفسرين، وليس في ﴿كَانَ﴾ ما ذكره لا محالة كما ذكرنا في مواضع أنه يحتمل الحال والاستقبال، وإنما هو تأكيد

(١) أي مقصودين، صمده: قصده، "مختار الصحاح"، (ص م د).

(٢) ظ ٣٨/أ.

(٣) جامع البيان للطبري ١٧/٢٥٢.

(٤) د ١٤٣/أ.

(٥) كذا في المخطوط، ولعل الصواب: (اختيارهم).

(٦) جامع البيان ١٨/٢٩٩، وقد نقله البقالي بمعناه.

(٧) كذا في المخطوط.

النفي، وكذلك ما ذكره أنه لم يتقدمه دعوى أحد، ولا اعتبار بذلك؛ لأنه يستقيم أن يقول - تعالى - ابتداء: أنا الذي أختار ما أشاء ليس إلى عبادي شيء من ذلك، وأما كون الخيرة اسمًا فقد يجوز أن يكون بمعنى المصدر أيضًا، ونظيره قوله: ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْحَيْرَةُ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وكيف يستقيم أن يقال: ويختار الذي كان لهم المختار؟؛ لأنه يوهم أنه يختار ما اختاروا بعينه، إلا أن يضمن فيه مثل ما يختارون لآلهتهم، والنفي أظهر في المعنى، وكذا ذكره الزجاج، وإن كان الثاني جائزًا أيضًا^(١). أيضًا^(١).

وقال أيضًا في قوله - تعالى - : ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت: ٧]: "وقد نصر الطبري أن المراد بها زكاة المال؛ لقوله بعده ذلك: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَفَرُونَ﴾، وهذا ليس بدليل لا محالة"^(٢).

وعند قوله - تعالى - : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] قال: "وقد أنكر الطبري أن تحمل الآية على النجوم ونحوها؛ لأنهم كانوا يرونها قبل وبعد، وهذا لا يمنع ما تقدم؛ لما بينا أن المعنى يجمع الحال والاستقبال، وما رأوه من ذلك سيرونه أيضًا"^(٣).

ومما أورده من ألفاظ في رده على الطبري قوله في موضع: "وهذا الذي استبعده الطبري ليس ببعيد"^(٤).

ومن موافقته وتعليله لما اختاره الطبري ما ذكره في قوله - تعالى - : ﴿تَكَادُ السَّمَكُوتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورى: ٥] قال: "وفي تفسير الطبري^(٥): أي من فوق

(١) ظ ١٢/ب.

(٢) ظ ١١٧/ب.

(٣) ظ ١٢٣/ب ش.

(٤) ١٨د/ب.

(٥) جامع البيان ٤٦٦/٢٠.

الأرضين، وهذا حسن، وإن كان كناية لغير مذكور إلا أنه مذكور في سائر المواضع، كقوله: ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١١] وقال: ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ [الروم: ٥١]، وقال: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ [المؤمنون: ٦٧]، ويحتمله المعنى ولا يبعد^(١).

ويقول عن ابن المقفع بعد أن نقل قوله: "(من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به):" وليس ابن المقفع مما يُرْجَعُ إليه فيما يتعلق بالدين، وقد جرت العادة فيما بين المسلمين أنهم يكتبون بعضهم إلى بعض ولا يختمون، وهذا أولى أن يعتبر من قول ابن المقفع^(٢)، وهذا القول عن ابن المقفع نقله كثير من المفسرين^(٣). وكثيراً ما يُردُّ الأقوال المتكلفة، ويقول: "الظاهر يستغني عن التكلف"^(٤)، وهذه العبارة تتكرر كثيراً.

وقال في تفسير قوله - تعالى - : ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِلرَّجُلِ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤]: "وعن بعض المتكلفين: إنما قال: ﴿لِلرَّجُلِ﴾ ولم يقل لأحد؛ لأن المرأة قد يكون في بطنها ولد فيجتمع في بطنها قلبان، وهذا بعيد؛ لأنه لم يقل ما جعل الله في رجل، وقلب الولد قلب له لا لأمه، وإنما ذكر الرجل؛ لأن السبب فيه على ما ذكرنا"، وكان قد ذكر أقوالاً في ذلك قبل^(٥).

وفي تفسير قوله - تعالى - : ﴿يُبَيِّنُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظُرُ مَاذَا تَرَى﴾ [الصافات: ١٠٢] ذكر مسائل كثيرة واستنباطات، وناقشها ووصف بعضها بأنه "مما لا حاجة إلى القول فيه"، وبعضها بأنه "مما يُتَفَكَّهُ به في الكلام"، وقال عن بعضها: "وهذا من الهزل"^(٦)، وإذا اضطر إلى ذكر شيء من هذه الأقوال قال: "وإنما أقرب

(١) ظ ١٢٤/ب.

(٢) د ٢٣٤/ب.

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٢٠٦/٧، وغيره ممن جاء بعده.

(٤) ظ ٨٥/ب.

(٥) ظ ٤٠/أ.

(٦) ظ ٨٦/ب.

ما يتكلف في ذلك" ^(١).

"ومما قيل في ذلك من الأقاويل على [التَّشْهِي] ^(٢) ولا دليل عليه: أن النمل عبارة عن قوم من الزهاد، أعرضوا عن الدنيا وكرهوا ما فيه سليمان منها، وحذر بعضهم بعضاً أن ينظروا في ذلك فيفتتنوا به ويرغبوا فيه فيحبط لذلك دينهم، وهذه من الجهالات، ويشبه تأويل الروافض كما تقدم في قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ﴾ [النحل: ٦٨] أنهم بنو هاشم وكذلك قيل في قوله: ﴿وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ﴾ ^(٣) [يوسف: ١٠]: أن معناه يبعثه من بعض أهل الظاهر إلى الذين لا علم لهم بالتأويل، وهذا مما لا يحل أن يقال في كتاب الله، وإنما يعدل عن الظاهر للضرورة، ولا ضرورة هاهنا، ولو جاز أن يحمل النمل على غير ما وضع له في اللغة مما لم [...] ^(٤) فيه الناس جاز أن يحمل على ما لا يحصى من المعاني إذ ليس بعضهم أولى من بعض، نعوذ بالله من ذلك" ^(٥).



(١) ظ ٨٦/ب.

(٢) كلمة في المخطوط غير واضحة ولا منقوطة، ويظهر أنها ما أثبتته.

(٣) كلمة غير واضحة، ويبدو أنها: [ينقل].

(٤) د ٢٢٨/أ.

المبحث الرابع: علوم القرآن في تفسيره

المطلب الأول: علم القراءات، والوقف والابتداء:

لم يكن البقالي مكثراً من إيراد القراءات القرآنية، ولكنه يذكر أحياناً اختلاف القراءات المشهورة والشاذة، ويوجهها وينسبها إلى رواها وأصحابها، ولم ينص على اعتماده قراءة معينة، وقد وجد الباحث أنه يقدم قراءاتٍ على أخرى في أثناء تفسيره، فمثلاً: قَدَّمَ قوله: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذُكِّرَى الدَّارِ﴾ [ص: ٤٦]، وهي مكتوبة هكذا بالتثنية في النص القرآني في المخطوط، ثم قال: "وقرأ أهل المدينة ﴿بِخَالِصَةٍ ذُكِّرَى الدَّارِ﴾ على الإضافة"^(١)، فبدل على أن القراءة التي اعتمد عليها ليست قراءة أهل المدينة، وإن كان هشام قد قرأ بالإضافة كذلك^(٢).

وقَدَّمَ قراءة ﴿هَذَا قَلْبُ قُوَّةٍ حَمِيمٌ وَعَسَاءُ﴾ [ص: ٥٧] بالتشديد وهي مكتوبة في النص القرآني في المخطوط، ثم قال: "ومن قرأ بالتخفيف جعله اسماً على هذه الصيغة مثل ذَهَاب"^(٣)، فالقراءة التي قدمها مشددة، والتشديد قراءة حمزة والكسائي وخلف وحفص^(٤).

وينص على أسماء القراء، وقد يذكر القراءة المشهورة بلفظ "قرئ"، كما في قراءة ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ [النمل: ٢٥]، فقد ذكرها بالتخفيف: ثم قال: "وقرئ ﴿أَلَا﴾ بالتشديد"^(٥)، وكأنه يفسرها بقراءة الكسائي وأبي جعفر ورويس؛ لأن غير هؤلاء من الباقيين هم الذين شددوا^(٦).

(١) ظ ٩٩/أ.

(٢) انظر "التيسير" للداني ص ٤٧٢، "البدور الزاهرة" للقاظمي ص ٥٤٤.

(٣) ظ ٩٩/ب.

(٤) انظر "التيسير" للداني ص ٤٧٣، "البدور الزاهرة" للقاظمي ص ٥٤٥.

(٥) د ٢٣٢/ب.

(٦) "التيسير" للداني ص ٤٤١، "البدور الزاهرة" للقاظمي ص ٤٧٠.

ولاحظ الباحث أنه إذا ذكر قراءة عاصم فإنه يأتي بما يوافق رواية أبي بكر بن عياش (شعبة)، نحو ما ذكره في قوله - تعالى - : ﴿غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ﴾ [النور: ٣١]، قال: "ومن نصب فعلى الحال، وهي قراءة ابن عامر وعاصم" ^(١)، وهي رواية شعبة دون حفص ^(٢).

وقد يطلق قراءة أهل الكوفة ولا توافق رواية حفص عن عاصم، قال: "وقرأ أهل الكوفة بالتخفيف من اللقاء" ^(٣)، يعني قوله - تعالى - : ﴿وَيَلْقَوْنَ فِيهَا حَمِيمًا وَسَلَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥]، وهي رواية شعبة عن عاصم ^(٤).

وقد يذكر الإجماع في القراءات، كقوله: "أجمع القراء على أن القراءة بالياء" ﴿أَوْ لَا يَكُنْ لَكُمْ آيَةٌ﴾ [الشعراء: ١٩٧] ^(٥)، وينص على مخالفة بعض القراءات لشروط القراءة المقبولة: كقوله: "لا يقرأ به؛ لمخالفته المصحف" ^(٦).

القراءات الشاذة: وإلى جانب القراءات المشهورة فإنه يذكر كثيرًا من القراءات الشاذة، سواء أكانت من قراءات الصحابة المروية عنهم، أم قراءات التابعين، أم الأربع الزائدة على العشر، أم غيرها من القراءات.

مثاله ما ذكره من قراءات كثيرة في قوله - تعالى - ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ﴾ [النور: ٣٥] ^(٧)، وكذلك أشار إلى عدة قراءات في قوله - تعالى - : ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَطْهَرُونَ﴾ [الأحزاب: ٤] ^(٨).

(١) د ١٤٨/أ.

(٢) "التيسير" للداني ص ٤٣٣، "البدور الزاهرة" للقاضي ص ٤٤٧.

(٣) د ١٩٧/أ.

(٤) "التيسير" للداني ص ٤٣٧، "البدور الزاهرة" للقاضي ص ٤٥٩.

(٥) د ٢١٧/أ.

(٦) د ٢٢٨/أ.

(٧) د ١٥٤/ب.

(٨) ظ ٤٠/أ.

وقد يذكر توجيهات للقراءات في بعض المواضع، مثل ذكره مذاهب القراء والنحويين في ﴿طَسَرَ﴾ [الشعراء: ١]، قال: "هذه الطاء يكسرها أهل الكوفة؛ للإمالة، ويفخمها أبو عمرو؛ للتعظيم، وقد جعلها أهل المدينة بين الفتح والكسر، وبعض النحويين يظهر النون، وأخفاها بعضهم لمجاورتها؛ حروف الفم"^(١).

ويذكر حجج من أنكر قراءة من القراءات المشهورة، كقوله في قراءة أبي جعفر والحسن: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الفرقان: ١٨]، قال: "وعن الحسن وأبي جعفر: ﴿أَنْ نَتَّخِذَ﴾ بضم النون، وقد أنكروه لدخول ﴿مِنْ﴾، وإنما جازت القراءة ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون ﴿فَيَقُولُ﴾ بالياء؛ لأن المعنى ظاهر، ألا ترى إلى قوله: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ثم قال: ﴿عِبَادِي﴾"^(٢)، وهو يشير إلى ما يُنْقَلُ عن أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر وأبي عبيدة من الكلام على هذه القراءة^(٣).

الوقف والابتداء: تكلم البقالي عن مسائل الوقف والابتداء في تفسيره في مواضع كثيرة، ومن ذلك: عند قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: ٥٩] قال: "قد يُجعلُ ابتداءً، وقد يتصل بما قبله، أي: أحمد الله على هلاك أولئك وعلى أن عصمك مما كانوا عليه"^(٤).

قال في قوله - تعالى - : ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ﴾ [القصص: ٩]: "وعن بعض الجهال أن الوقف عند قوله: ﴿لَا﴾ أي يكون قرّة عين لي دونك، ولو كان كما ظن لم يستقم أن يقول: ﴿نَقْتُلُوهُ﴾"^(٥).

وقال: "ولما قال: ﴿ذَلِكَ يَحْوِفُّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ﴾ عَقَبَهُ بِمَنْ يَبْشُرُهُ، ثم استأنف البشارة

(١) د ١٩٨ / ب.

(٢) د ١٧٨ / أ.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٧٨ / ١٥.

(٤) د ٢٤٦ / ب.

(٥) ظ ٢ / أ.

أيضاً لمن هو على مثل حالهم؛ لأن جميع هؤلاء يشتركون في هذه الأوصاف إلا أنه أفرد كل صفة بالبشرى؛ زيادة في الترغيب، وقد يجعل الوقف عند قوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧]، وهو تكلف^(١).

المطلب الثاني: أسماء السور والمكي والمدني:

أسماء السور: لا يغفل البقالي ذكر اسم السورة ومكان نزولها، فهو ينص على اسمها قبل شروعه في تفسير السورة، وقد يذكر سبب تسميتها بهذا الاسم كقوله في سورة الفرقان: "وإنما سميت هذه السورة بالفرقان لما فيها من ذكره، [وما] فيها من التنبيه على التوحيد وكثرة الأدلة عليه، وهو الفرق بين الحق والباطل، وفيها من بيان الحلال والحرام وسائر الأحكام وذكر صفات العباد التي يجب أن يكونوا عليها ما ليس في سائر السور مثله، وقد ذكرنا أن السورة إنما تسمى بأولها، أو بما يذكر فيها من الألفاظ المشهورة فيها، وذكرنا أن القرآن سمي بالفرقان؛ لفرقه بين الحق والباطل؛ وتفرقه في النزول"^(٢).

وقال في سورة ﴿عَسَى﴾ [الشورى: ٢]: "ولا معنى لقول القائل كيف زاد في اسم هذه السورة على سائر الحواميم؛ لأن السؤال في الزيادة كالسؤال في الأصل في ﴿آلَ﴾ و﴿المر﴾ وغيرها، وقيل: لأنه وصل ذكر الكتاب وما يجري مجراه بسائر الحواميم ولم يذكره هاهنا صريحاً فذكره بالضمير دليلاً عليه، وهذا تكلف، وقيل: لزيادة التعريف، وليس في هذا كله إلا التسليم، فأما أن يُجرى على قياس ما يهتدى إليه، فهذا مما لا سبيل إليه"^(٣).

المكي والمدني: يذكر البقالي تصنيف السورة بعد ذكر اسمها فيقول مثلاً:

(١) ظ ١٠٣/ب.

(٢) د ١٧٣/أ.

(٣) ظ ١٢٤/ب.

"سورة الشعراء، مكية"^(١)، وقال عن سورة الأحزاب: "مدينية"^(٢)، ويذكر المستثنى منها إن كان، كقوله: "سورة العنكبوت، مكية إلا عشرًا من أولها"^(٣)، وقوله: "سورة الروم مكية، وعن الحسن: إلا قوله: ﴿فَسُبْحَنَّ اللَّهَ﴾ [الروم: ١٧]"^(٤)، وقال: "سورة لقمان، مكية، وعن الحسن إلا قوله: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [لقمان: ٤]، وعن مجاهد: ليس فيها ناسخ ولا منسوخ"^(٥)، وهكذا^(٦).

المطلب الثالث: الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول:

الناسخ والمنسوخ: لم يكن البقالي مكثراً من القول بالنسخ، بل كثيراً ما يُضعفُ الأقوال التي أكثر أصحابها من القول بالنسخ، ويرى أنه لا حاجة إلى القول بالنسخ في مواضع كثيرة، مثال ذلك ما قيل عن نسخ هذه الآية ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ﴾... الآية [النمل: ٩٢]، قال: "ولا حاجة إلى ذلك"^(٧).

وقال عند قوله - تعالى - : ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]: "وقد يُجعل ذلك منسوخاً بالقتال، وقد يُحمل الوعد على قتلهم بيدر، ولا حاجة إلى ذلك؛ لأن الصبر محمود في كل حال ولا بد منه، وقد يُحمل الوعد على الآخرة..."^(٨).

وعند قوله - تعالى - : ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَأَنْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ﴾ [السجدة: ٣٠] قال: "وقد يُجعل الإعراض منسوخاً بالقتال، ولا حاجة إلى ذلك؛

(١) د ١٩٨ / أ.

(٢) ظ ٤٠ / أ.

(٣) ظ ١٨ / ب.

(٤) ظ ٢٥ / أ.

(٥) ظ ٣٢ / أ.

(٦) ظ ٥٧ / ب، ظ ٦٦ / ب، ظ ١٠٢ / أ.

(٧) د ٢٥٥ / أ.

(٨) ظ ٣٢ / ب.

لأن الإعراض قد يحتاج إليه في بعض الأحوال مع ثبوت حكم القتال^(١). وذكر عند قوله - تعالى - : ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ [ص: ١٧]: "قد يجعل الأمر بالصبر منسوخاً بالقتال، وقد ذكرنا في مثله أنه لا حاجة إلى النسخ؛ لأنه مما لا بد منه في كل وقت"^(٢). وقال نحو ذلك في مواضع كثيرة^(٣).

وذكر ما قيل في نسخ آية ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَلَّخْنَا لَكَ أَزْوَاجَ...﴾ [الأحزاب: ٥٠]، ثم قال: "والظاهر أن ذلك لم ينسخ، وكأنه لما خيرهن فاخترنه منعه - تعالى - أن يزيد عليهن أو يستبدل بهن؛ رعايةً لحقهن، ومقابلة بما صنعن من اختيارهن إياه"^(٤)، وهكذا في قوله - تعالى - : ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣]: من أنها "نسخت كل وعيد في القرآن"، قال: "وقد ذكرنا في مثله أن معناه التخصيص والبيان"^(٥).

أسباب النزول: يعتني البقالي بذكر ما يروى من أسباب النزول، ويعزوها إلى قائلها بدون سياق السند، وربما ذكر أكثر من سبب نزول، بحسب ما في الآية من روايات، مثاله ما ذكره في سبب نزول أول سورة العنكبوت، فقد ذكر عدة أقوال وروايات ونسبها إلى أصحابها^(٦).

وكثيراً ما يذكر القاعدة المشهورة في أسباب النزول ويعمل بها، قال عند قوله - تعالى - : ﴿وَيَوْمَ يَعْزُزُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧] قال: "وإن كانت الآية نزلت في ذلك فهذا لا يوجب خصوصها كسائر ما ينزل لأسباب"^(٧).

(١) ظ ٣٩/أ، ونحوه في ظ ١٢٦/ب.

(٢) ظ ٩٢/أ.

(٣) د ٤١/أ.

(٤) ظ ٥٣/أ.

(٥) ظ ١٠٧/ب.

(٦) ظ ١٨/ب.

(٧) د ١٨٢/أ.

وقال في سبب نزول قوله - تعالى - : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]:
 "والآية وإن نزلت على سبب فذلك لا يمنع عمومها في أمثاله"^(١).
 ولما ذكر ما قيل في أسباب نزول قوله - تعالى - : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفِهُنَا﴾ [العنكبوت: ٤] قال: "والآية عامة في جميع ما تحتمله"^(٢).
 ولما ذكر الأقوال في تفسير قوله - تعالى - : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] قال: "وهذا كقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]"، وذكر أنه قد يُحمَلُ على الغزو، أو على طلب العلم، وعلى جميع الطاعات، وذكر أقوالاً، ثم قال: "وقد أكثر الناس فيها، ولا معنى لتخصيصها ببعض ما تحتمله"^(٣).
 ويذكر أسباب نزول الآية ويتعقبها، كمثّل ما فعل في ذكره لأسباب نزول قوله - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١] قال: "والآية تستقل بنفسها، وتستغني عن طلب السبب، وهي عامة في كل طاعة تخالف طاعة الله - تعالى - ، وإن نزلت على سبب خاص"^(٤).
 وكذا عند قوله - تعالى - : ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ [الأحزاب: ٦٩]، قال: "لا حاجة إلى تكلف القول في معرفة الأذى ما هو، وقد تقدم النهي عن أذى الله ورسوله والمؤمنين والوعيد على ذلك، ولا أذى للأنبياء أعظم من تكذيبهم وتكذيب من بعثهم"^(٥).
 ومن عباراته: "والظاهر مستقل بنفسه"^(٦)، و"ظاهرها يستغني عن طلب التأويل

(١) ظ ١١/أ.

(٢) ظ ١٨/أ.

(٣) ظ ٢٥/أ.

(٤) ظ ٤٠/ب.

(٥) ظ ٥٦/أ.

(٦) ظ ١٠٧/أ.

وسبب النزول، وقد روي...^(١)، و"والآية مستقلة بنفسها مستغنية عن طلب السبب"^(٢)، ويكرر البقالي هذا العبارات ونحوها في مواضع^(٣).

المطلب الرابع: مشكل القرآن والمتشابه اللفظي:

وأمثلة ذلك كثيرة في تفسيره، فمنها ما ذكره عند قوله - تعالى - : ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ [الشعراء: ١٣] قال: "ولا معنى لقول القائل: كيف يجوز أن يأمره - تعالى - بشيء فيعتذر، ويستغني عنه، ويدل على غيره؟ لأن هذا سؤال في غير موضعه، وما فعل موسى - عليه السلام - شيئاً من ذلك، وإنما يصح لو قال: لا ترسلني إليهم فلا أصلح، ولكن أرسل أخي فإنه أولى به، وحاشاه أن يقول هذا، وإنما سأله عوناً له مع قبوله الأمر على ما قال: ﴿وَجْعَلْ لِّي وَزيراً مِّنْ أَهْلِي﴾ (١١) هَٰؤُلَاءِ أَخِي ﴿طه: ٢٩-٣٠﴾، ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص: ٣٤] ، ولهذا أجابه - تعالى - ولم ينكر عليه، وإنما بين العذر في سؤاله أن يضم إليه أخاه؛ لأن هذه الأعذار وإن كانت لا تزول بكون أخيه معه إلا أنه يسكن إليه، ويأنس به، ويشاوره في بعض ما يقع لهما"^(٤).

ومن أمثلة ذلك ما جاء في سورة القصص في قوله - تعالى - : ﴿فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [القصص: ٦٦]، قال: "وقوله: ﴿لَا يَسْأَلُ لُوطٌ﴾ لا يخالف قوله - تعالى - : ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥] وقوله: ﴿يَسْأَلُونَ﴾ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ [المدثر: ٤٠-٤١] على ما ذكرنا في مثله من اختلاف المواطن واختلاف المعاني، وعن الضحاك: أي عن الأنساب كقوله: ﴿وَلَا يَسْأَلُ لُوطٌ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وعن قتادة: لا يحتجون، والظاهر أنه من مساءلة بعضهم بعضاً كقوله: ﴿وَلَا يَتَنَلَّحِمِي حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠]، شغلهم ما هم فيه عن المساءلة التي تكون في الدنيا، ولا يسأل

(١) ظ ١٢٠/ب.

(٢) ظ ١٦٣/ب.

(٣) ظ ١٤٧/ب، ظ ١٥٢/أ، ظ ١٥٦/ب.

(٤) د ١٩٩/ب.

بعضهم بعضًا عن جواب ما يُسأل عنه؛ فقد استووا في العجز عن ذلك، أو لا يُسأل بعضهم بعضًا أن يحمل ذنبه عنه"^(١)، وقال في موضع آخر من تفسيره: "على ما ذكرنا أنه لا منافاة بينه وبين نفي السؤال في سائر المواضع"^(٢).

وقال في قوله - تعالى - : ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [يس: ٦٥] "قد ذكرنا في مثله أنه يكون مواطن يتكلمون في بعضها ويُمْنَعُونَ في بعضها، وإذا جحدوا خرسوا وشهدت جوارحهم"^(٣).

وفي المتشابه اللفظي يقول عند قوله - تعالى - : ﴿سُقِيَكَرْمًا فِي بُطُونِهَا﴾ [المؤمنون: ٢١]: "وقد قال ههنا: ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾، وفي سورة النحل ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ [النحل: ٦٦]؛ لأنه صرفه إلى الأنعام هاهنا، وهناك إلى لفظ (ما)"^(٤).

وذكر وصف الريح المسخرة لسليمان - عليه السلام - بأنها ﴿عَاصِفَةٌ﴾ [الأنبياء: ٨١] وقال: "وقد قال في موضع آخر ﴿رُجَاءٌ﴾ [ص: ٣٦] فوصفها باللين تارة وبالشدّة أخرى؛ لأنها كانت عاصفةً عند رفع الكراسي والسرر، لينّةً عند المشي بها، وعلى حسب الأحوال كما يريد، على ما ذكرنا في قوله: ﴿فَأَنفَجَرَتْ﴾ [البقرة: ٦٠]، ﴿فَأَنبَجَسَتْ﴾ [الأعراف: ١٦٠]، ونحو ذلك مما ورد في القرآن من الصفتين المختلفتين للشيء الواحد في الظاهر"^(٥).

وقال: "نفى كونه هاديًا وأثبتته في مواضع"^(٦)، وقال: "وقد ذكرنا الوجه في قوله مرة بأنها ثعبان ومرة كأنها جان"^(٧).

(١) ظ ١٢/ب.

(٢) ظ ١٨/أ.

(٣) ظ ٧٧/ب.

(٤) د ١١٠/أ.

(٥) د ٦٣/ب.

(٦) د ٢٥٠/ب.

(٧) د ٢٠٣/ب.

المطلب الخامس: الانتصار للقرآن الكريم:

يحرص البقالي في مواضع كثيرة على أن ينتصر للقرآن الكريم ضد الطاعنين، ومن ذلك أنه ذكر في أول سورة الأحزاب روايات في نسخ بعض آياتها، ثم ذكر رواية باطلة فيها "أن عثمان لم يجد منها حين جمع المصحف إلا هذا القدر، وأن الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رضي الله عنها فأكلتها الشاة"، ثم قال: "وهذا مما لا يجوز قبوله على القرآن"، ثم قال: "وقد ضمن الله - تعالى - حفظ القرآن وإنما أنزله لمصالح عباده، وأمر رسوله بتبليغه فلو جاز ألا يبلغه لما أنزله، ولا يجوز أن يبلغه على الخصوص، وإنما كان يبلغ تبليغاً عاماً، فكيف يكتّم هذه السورة دون غيرها؟، وتجوز ذلك يؤدي إلى ألا يُوثّق بشيء مما نحن فيه من الشرائع؛ لأنها ربما نُسخَتْ ولم نقف على النسخ، وما يروى في ذلك أن قوله: ﴿الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ فَارْجُمُوهُمَا بِنَّةٍ إِذَا زَنَيَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ كان في هذه السورة، فالذي ثبت أن ذلك مما أنزله الله - تعالى - ، وقد ينزل الحكم ولا يتلى، وقد يتلى ثم تنسخ التلاوة، فلا يجوز أن يقاس على ذلك ما لا دليل عليه، وإنما هذا من تلبيس الروافض والملحدة وسائر من يطعن في القرآن، وقد حفظه الله - تعالى - بحيث لو زاد فيه التالي حرفاً أو نقصه ظهر ذلك عند المسلمين، وهذا حمله من أول ما أنزله^(١)، وما جمعه عثمان إلا بالتواتر وكان ظاهراً عندهم بهذا الترتيب إلا أنه تكلف جمعه ل-مّا خاف وقوع الخلاف فيه، والقصة مشهورة لما أخبره حذيفة بما شاهده في سائر البلاد من اختلاف المصاحف والقراءات، وقد كان عمر رضي الله عنه أشار على أبي بكر رضي الله عنه بذلك ووافقه عليه زيد فجمعوا المصحف، وكان في بيت حفصة وقوبل به مصحف عثمان إلى غير ذلك مما يروى في هذه القصة"^(٢).

(١) يعني بذلك - والله أعلم - أن القرآن الكريم من حين أن أنزله الله - عز وجل - محمول على الحفظ، أي: أنه محفوظ لا يتطرق إليه نقص ولا فقدان.

(٢) ظ ٣٩/أ، وانظر ظ ٣٩/ب.

المطلب السادس: المناسبات بين الآيات:

أشار في مواضع إلى المناسبات بين الآيات، ورأيه في هذا العلم يؤخذ من نصه على بعضها، وهو قد يُصَرَّحُ بذكر وجه الاتصال وربما لا يُصَرَّحُ.

فمن المواضع التي صرح فيها قوله: ولما ذكر قوله - تعالى - ﴿وَأِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٢] قال: "وجه اتصال هذه الآية بما قبلها، أنه - تعالى - لما أخبر أنهم لا يسمعون ولا يقبلون وشبههم بالموتى والصم، أخبر أيضاً أنهم سينقادون ولا يمكنهم الإنكار حيث لا ينفعهم الإقرار"^(١).

ومما يتعلق بعلم المناسبات مسألة ذكرها في مواضع، وهي أن القرآن الكريم كالأية الواحدة في ارتباط بعضها ببعض، قال في قوله - تعالى - ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥]: "وإنما قال: ﴿لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ لما بينا أنه فسر في موضع آخر، والقرآن كالأية الواحدة؛ لأنه قال: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧]، أو هو من العموم الذي أريد به الخصوص"^(٢).

وقال عند قوله - تعالى - ﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا وِزْرًا﴾ [المؤمنون: ٦٢]: "لما ذكر ما تقدم أخبر بأنه لا يُكَلَّفُ فوق الطاقة، كأنه بين أن ما مدح به هؤلاء فذلك واجب عليهم وعلى غيرهم، أوجه - تعالى - عليهم وما أوجب إلا الوسع، فلا عذر لأحد في تركه"^(٣).

ولما ذكر قوله - تعالى - ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ...﴾ [الأحزاب: ٧٣] قال: "قد يُضَمَّرُ فيه القسم، والله ليعذبن، وهو أحسن ما يكون من النظم على ما قبله؛ لأنه ذكر العرض والإباء والحمل ثم أخبر أنه يعذب من خانها ولم يقم بها، ويتوب على من أداها ووفى بها"^(٤).

(١) د ٢٥٢/ب.

(٢) ظ ١٢٥/أ.

(٣) د ١١٦/أ.

(٤) ظ ٥٧/ب.

قال في قوله - تعالى - : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]: "ولما تقدم ذكر الهدى والضلال وكذلك المحاجة بأن ما ادعوه من الشُّرْكة باطل أخبر بما يتعلق بمجموع الأمرين من الوعد والوعيد، وبأنه رسول إلى جميع الناس، وهذا مما ذكرنا أنه لا حاجة فيه إلى طلب الدليل من القرآن؛ لأن ذلك شرط في الإيمان لا يتم إلا بالإقرار به"^(١).

وسبق في المطلب الأول من هذا المبحث ذكرُ قوله: "ولما قال: ﴿ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ ﴾ عَقَّبَهُ بمن يبشره"^(٢)، ثم استأنف البشارة أيضًا لمن هو على مثل حالهم؛ لأن جميع هؤلاء يشتركون في هذه الأوصاف إلا أنه أفرد كل صفة بالبشرى؛ زيادة في الترغيب، وقد يجعل الوقف عند قوله: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ [الزمر: ١٧]، وهو تكلف"^(٣).

وعند قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ إِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٦] قال: "لما وصف الدنيا كما هي؛ [ترهيداً]^(٤) فيها، عَقَّبَهُ بما يوجب الرغبة فيه، كقوله ﴿ وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَةُ ﴾ [الكهف: ٤٦]، ﴿ ذَٰلِكَ مَتَعِ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا ﴾ [آل عمران: ١٤]، ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ﴾ [النحل: ٩٦] إلى نحو ذلك"^(٥).

ويذكر الآيات المؤكدة لما قبلها في السياق، فعند قوله - تعالى - : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ [طه: ٥٣] قال: "لما أخبر أنه لا ينسى ولا يخطئ أكد ذلك بما هو الدليل عليه؛ لأن من أظهر هذه الآيات كان مخالفاً لخلقه، ولم يجوز عليه ما يجوز عليهم"^(٦).

ولما ذكر آية التطهير ذكر الآية التي بعدها وهي ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ

(١) ظ ٦٣/أ.

(٢) أي قوله - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ [الزمر: ١٧].

(٣) ظ ١٠٣/ب.

(٤) أصابتها رطوبة في المخطوط ولم تكن واضحة، والظاهر أنها كما ذكرت.

(٥) ظ ١٥٦/أ.

(٦) ١٩٥/ب.

وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ... ﴿[الأحزاب: ٣٥]﴾ قال: "هذا يؤكد ما تقدم أن ما ذكره - تعالى - لأهل البيت لا يمنع وجود ذلك المعنى في غيرهم، ولما ذكر فيهم ما ذكر، بين ما يتضمن هذا المعنى لجميع المسلمين، ترغيباً في الطاعة وأعمال الخير"^(١).
وقد يشير إلى عادات القرآن في الاقتران عند ذكره لمناسبة ما، قال في موضع: "ثم عَقَّبَ الوعد بالوعيد على ما هو العادة في أكثر الآي"^(٢)، وقال عند قوله - تعالى - ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا﴾ ﴿١١٢﴾: "لما ذكر الظالم ذكر المؤمن الصالح على ما تقدم من الاقتران من الوعد والوعيد"^(٣)، وقال في قوله - تعالى -: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ ﴿١٦﴾ [الصافات: ٦٢]: "عَقَّبَ الوعد بالوعيد على ما تقدم في مثله"^(٤).



(١) ظ ٤٦ / ب.

(٢) ظ ٦٥ / أ.

(٣) د ٣٦ / أ.

(٤) ظ ٨٣ / أ.

الخاتمة

الحمد لله على توفيقه وإعانتته وتيسيره، أختتم البحث بذكر أهم نتائجه، ثم ما تيسر من توصيات.

نتائج البحث:

١. تعرّف العالم الكبير محمد بن أبي القاسم البقالي، وشيء من سيرته ومكانته العلمية.
٢. تعرّف القيمة العلمية لتفسيره "مفتاح التنزيل"، وملامح منهجه الذي سار عليه، وإبراز ما في كتابه من علوم.
٣. إن هذا التفسير يعد من التفاسير متوسطة الحجم، ومن أجل في القرن السادس، وإن شخصية البقالي ظاهرة فيه، فهو يرجح، ويصحح، ويضعف، ويعترض، ويتعقب، ويستنبط.
٤. إن البقالي له عناية بتفسير القرآن بالقرآن، والتفسير الإجمالي، وله عناية بقواعد التفسير، وبكثير من علوم القرآن، وله عبارات مُتَقَدِّمَةٌ تاريخياً.
٥. توجيه أنظار الباحثين لتعرف بقية كتب البقالي، والبحث عنها في خزائن المخطوطات، وخدمتها بالتحقيق والدراسة.

وأهم التوصيات:

١. التوسع في دراسة سيرة محمد بن أبي القاسم البقالي، وتتبع ترجمته في بطون الكتب وخفايا المخطوطات.
٢. دراسة جهوده في العلوم الأخرى التي برز فيها، وبالأخص علمي العربية والفقه.
٣. البحث عن النسخ الخطية لهذا الكتاب في الفهارس وأدراج الخزائن، لعل الله أن ييسر الوقوف على نسخ كاملة منه.

٤. استخراج أقواله واختياراته الفقهية من كتب الفقه الحنفي ودراستها، فأقواله واختياراته وترجيحاته متناثرة في كتب الحنفية، وهي جديرة بالبحث والدراسة.

٥. بعد البحث عن نسخه والحصول عليها؛ يجدر تناول تفسيره "مفتاح التنزيل" بالدراسة من عدة جوانب، فإن فيه مجالاً لإعداد الدراسات والبحوث، كدراسة منهجه في تفسير القرآن بالقرآن، الذي أكثر منه في تفسيره، وكذلك ترجيحاته وتعليقاته، واستنباطاته، ومنهجه في المناسبات.

٦. المحاولة الجادة للوصول إلى منهجه في العقيدة، بعد سبر أقواله وتتبعها في بطون الكتب.

هذا، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



المصادر والمراجع

المخطوطات:

١. أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار، تأليف: محمود بن سليمان الكفوي، كتيبة مكتبة مجلس شورى ملي، إيران (١٠٤٥٥، ١٠٤٥١)، رمزتها ب-١.
- نسخة أخرى (موقع الألوكة: <https://www.alukah.net/library/0/133586>)، رمزتها ب-٢م.
٢. يتيمة الدهر في فتاوي أهل العصر، تأليف مجد الأئمة عبد الرحيم التريمان، مخطوط، محفوظ في مركز الملك فيصل.

المطبوعات:

١. آثار البلاد وأخبار العباد، تأليف: زكريا بن محمد القزويني (ت ٦٨٢ هـ)، دار صادر، بيروت، ط (بدون)، تاريخ (بدون).
٢. أسماء الكتب، تأليف: عبد اللطيف بن محمد، المعروف برياض زاده (ت ١٠٧٨ هـ)، تحقيق: محمد التونجي، دار الفكر، دمشق، ط (الطبعة، ١٤٠٣ هـ).
٣. آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، تأليف: إسحاق بن الحسين المنجم (ت ٤ هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط (الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ).
٤. إمتاع الفضلاء بتراجم القراء فيما بعد القرن الثامن الهجري، تأليف: إلياس بن أحمد البرماوي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط (الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م).
٥. الأنساب، تأليف: عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت ٥٦٢ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ط (الطبعة الأولى، ١٣٨٢ هـ).

٦. إنباه الرواة على أنباه النحاة، تأليف: علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، (ط) الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٢م.
٧. البحر المحيط في أصول الفقه، محمد بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: د. محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط) (بدون)، ١٤٢١هـ.
٨. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، تأليف: عبد الفتاح القاضي (ت ١٤٠٣هـ)، معهد الإمام الشاطبي، جدة، (ط) الأولى، ١٤٣٥هـ.
٩. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، (ط) (بدون)، التاريخ (بدون).
١٠. البناية شرح الهداية، تأليف: محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط) الأولى، ١٤٢٠هـ.
١١. تاج التراجم، تأليف: قاسم بن قُطْلُوبغا الجمالي الحنفي (ت ٨٧٩هـ)، محمد خير يوسف، دار القلم، دمشق، (ط) الأولى، ١٤١٣هـ.
١٢. تاريخ الأدب العربي، تأليف: كارل بروكلمان (ت ١٩٥٦م)، مترجم، جامعة الدول العربية، دار المعارف، القاهرة، (ط) الثالثة.
١٣. تاريخ الإسلام وَوَفَيَاتِ المشاهير وَالْأعلام، تأليف: محمد بن أحمد ابن قَائِمَاز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، (ط): الأولى، ٢٠٠٣م.
١٤. التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، تأليف: عفاف سيد صبره، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، (ط) الأولى، ١٤٠٧هـ.
١٥. تاريخ جرجان، تأليف: حمزة بن يوسف الجرجاني (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، عالم الكتب، بيروت، (ط) الثالثة، ١٤٠١هـ.

١٦. تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تأليف: أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، مراجعة: علي محمد البجاوي، المكتبة العلمية، بيروت، (ط) (بدون)، التاريخ (بدون).
١٧. التحيير في المعجم الكبير، تأليف: عبد الكريم بن محمد السمعاني، (ت ٥٦٢ هـ)، تحقيق: منيرة ناجي سالم، رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد، (ط) الأولى، ١٣٩٥ هـ.
١٨. تراجم الأعاجم، تأليف: أبي المعالي أحمد بن محمد الغزنوي، تحقيق: مسعود قاسمي، محمد مدبري، انتشارات اطلاعات، طهران، ١٣٨٩ هـ.
١٩. تراجم طبقات النحاة واللغويين والمفسرين والفقهاء، تأليف: أبي بكر بن أحمد الدمشقي ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١ هـ) تحقيق: د محسن غياض، الدار العربية للموسوعات، بيروت، (ط) الأولى، ١٤٢٨ هـ.
٢٠. التعريفات، تأليف: علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط) الأولى، ١٤٢١ هـ.
٢١. التكملة لوفيات النقلة، تأليف: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦ هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط) الثالثة، ١٤٠٥ هـ.
٢٢. توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تأليف: محمد بن عبد الله الدمشقي الشهير بابن ناصر الدين (ت ٨٤٢ هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط) الأولى، ١٩٩٣ م.
٢٣. التيسير في القراءات السبع، تأليف: عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ)، تحقيق: فريد محمد بن عزوز، دار ابن كثير، دمشق، (ط) الأولى، ١٤٣٤ هـ.
٢٤. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تأليف: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي الحنفي (ت ٧٧٥ هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة

- والنشر، الجيزة، مصر، (ط) الثانية، ١٤١٣هـ.
٢٥. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تأليف: عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط) الرابعة، ١٤١٨هـ.
٢٦. درج الدرر في تفسير الآي والسور، تأليف عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: وليد الحسين وإياد القيسي، دار الحكمة، بريطانيا، (ط) الأولى، ١٤٢٩هـ.
٢٧. الدر الثمين في أسماء المصنفين، تأليف: علي بن أنجب بن عثمان المعروف بابن الساعي (ت ٦٧٤هـ)، تحقيق: أحمد شوقي بنين، محمد سعيد حنشي، دار الغرب الاسلامي، تونس، (ط): الأولى، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
٢٨. دفتر كتبخانه داماد إبراهيم باشا، طبع عام ١٣١٢هـ.
٢٩. الدولة الخوارزمية والمغول، غزو جنكيز خان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية، تأليف: حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، القاهرة، (ط) الأولى، تاريخ (بدون).
٣٠. ديوان الإسلام، تأليف: محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (ت ١١٦٧هـ)، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط) الأولى، ١٤١١هـ.
٣١. رسائل البلغاء، في ضمنها رسالة رشيد الدين الوطواط فيما جرى بينه وبين الزمخشري، جمعها محمد كرد علي، دار الكتب العربية الكبرى، مصطفى البابي الحلبي وأخوه، (ط) الثانية، ١٣٣١هـ.
٣٢. السلطان جلال الدين خوارزمشاه في ميزان التاريخ، تأليف: محمد دبير سياقي، ترجمة أحمد الخولي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، (ط) الأولى، ٢٠٠٩م.
٣٣. سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تأليف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني

- العثماني المعروف ب- «كاتب جلبي» وب- «حاجي خليفة» (ت ١٠٦٧ هـ)،
محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسىكا، إستانبول، (ط) الأولى،
٢٠١٠ م.
٣٤. سير أعلام النبلاء، تأليف: محمد بن أحمد ابن قايمار الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)،
إشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، (ط) الثالثة، ١٤٠٥ هـ.
٣٥. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تأليف: أحمد بن علي بن أحمد
القلقشندي (ت ٨٢١ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط) (بدون)،
التاريخ (بدون).
٣٦. ضرائر الشعر، تأليف: علي بن بن مؤمن الحضرمي المعروف بابن عصفور (ت
٦٦٩ هـ)، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، بيروت، (ط) (بدون)،
التاريخ (بدون).
٣٧. طبقات الحنفية، تأليف: علي بن أمر الله الحميدي الحنائي (ت ٩٧٩ هـ)،
تحقيق: محيي هلال السرحان، ديوان الوقف السني، بغداد، (ط) الأولى،
١٤٢٦ هـ.
٣٨. طبقات الشافعية الكبرى، تأليف تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين
السبكي (ت ٧٧١ هـ)، تحقيق: محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو، دار هجر،
(ط) الثانية، ١٤١٣ هـ.
٣٩. طبقات المفسرين للداوودي، تأليف: محمد بن علي بن أحمد الداوودي (ت
٩٤٥ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط) (بدون)، التاريخ (بدون).
٤٠. طبقات المفسرين، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)،
تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، (ط) الأولى، ١٣٩٦ هـ.
٤١. طبقات المفسرين، تأليف: أحمد بن محمد الأدنه وي (ت ق ١١ هـ)، تحقيق:
سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، (ط)
الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٤٢. طبقات النسابين، تأليف: بكر بن عبد الله أبو زيد (ت ١٤٢٩هـ)، دار الرشد، الرياض، (ط) الأولى، ١٤٠٧ هـ.
٤٣. الفتاوى التتارخانية في الفقه الحنفي، تأليف: عالم بن العلاء الدهلوي (ت ٧٨٦هـ)، تحقيق: عبد اللطيف حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط) الأولى، ٢٠٠٥ م.
٤٤. فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهرية، تأليف: صلاح محمد الخيمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، (ط) الأولى، ١٤٠٣ هـ.
٤٥. الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن، مؤسسة آل البيت، (ط) الأولى، ١٤٠٩ هـ.
٤٦. فهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، مركز الدراسات القرآنية، ١٤٢٤ هـ.
٤٧. الفوائد البهية في طبقات الحنفية، تأليف: عبد الحي بن عبد الحليم اللكنوي (ت ١٣٠٤ هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (ط) (بدون)، التاريخ (بدون).
٤٨. الفوائد السنية في شرح الألفية، تأليف: محمد بن عبد الدائم البرماوي (٧٦٣ هـ - ٨٣١ هـ)، تحقيق: عبد الله رمضان موسى، مكتبة التوعية الإسلامية، الجيزة - جمهورية مصر العربية، (ط): الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
٤٩. الكتاب، تأليف: عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (ت ١٨٠ هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط) الثالثة، ١٤٠٨ هـ.
٥٠. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تأليف: أبي إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ)، تحقيق مجموعة من الباحثين، دار التفسير، جدة، (ط) الأولى، ١٤٣٦ هـ.
٥١. المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، تأليف: عبد الله مرداد أبي الخير، اختصار وتحقيق: محمد العامودي وأحمد علي، (ط) الثانية، عالم المعرفة، جدة، ١٤٠٦ هـ.

٥٢. المشتبه في أسماء الرجال، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، طبع في مدينة ليدن، مطبعة بريل، (ط) الأولى، ١٨٨١ م.
٥٣. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تأليف: ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٢ هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (ط) الأولى، ١٤١٤ هـ.
٥٤. معجم البلدان، تأليف: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، دار صادر، بيروت، (ط) الثانية، ١٩٩٥ م.
٥٥. معجم التاريخ (التراث الإسلامي في مكتبات العالم، المخطوطات والمطبوعات)، إعداد: علي الرضا قره بلوط، وأحمد طوران قره بلوط، دار العقبة، قصيري، تركيا، (ط) الأولى، ١٤٢٢ هـ.
٥٦. معجم المعاجم، تأليف: أحمد الشرقاوي إقبال، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (ط) الثانية، ١٩٩٣ م.
٥٧. معجم المفسرين، تأليف: عادل نويهض، مؤسسة نويهض، بيروت - لبنان، (ط): الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
٥٨. المعجم المفصل في اللغويين العرب، تأليف: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط) الأولى، ١٤١٨ هـ.
٥٩. معجم المؤلفين، تأليف: عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي بيروت، (ط) الأولى، تاريخ (بدون).
٦٠. المغرب في ترتيب المعرب، تأليف: ناصر بن عبد السيد الخوارزمي المَطْرَزي (ت ٦١٠ هـ)، دار الكتاب العربي، (ط) (بدون)، التاريخ (بدون).
٦١. المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، تأليف: عبد الكريم بن محمد السمعاني المروزي (ت ٥٦٢ هـ)، وتحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض.

٦٢. المنتقى من مخطوطات معهد البيروني للدراسات الشرقية بطشقند، إعداد: عبد الرحمن فرفور، ومحمد مطيع الحافظ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، (ط) الأولى، ١٤١٦هـ.
٦٣. الموسوعة القرآنية، تأليف: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت ١٤١٤هـ)، مؤسسة سجل العرب، (ط) (بدون)، ١٤٠٥هـ.
٦٤. نيل السائرين في طبقات المفسرين، تأليف: محمد طاهر البنجييري (ت ١٣٦٥هـ)، تحقيق: محمود جيرة الله، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط) الأولى، ٢٠١١م.
٦٥. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، تأليف: إسماعيل بن محمد أمين الباباني البغدادي (ت ١٣٩٩هـ)، وكالة المعارف الجلييلة، إسطنبول، ١٩٥١م، وأعادت طباعته دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٦٦. الوافي بالوفيات، تأليف: خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت، (ط) الأولى، ١٤٢٠هـ.

المواقع الإلكترونية:

١. منتدى الأصلين، مشاركة لحسين يعقوب محمد، على هذا الرابط:
<http://www.aslein.net/showthread.php?t=12229&p=74182#post74182>
٢. الموقع الرسمي لولاية خوارزم بأوزبكستان:
<http://xorazm.uz/uz/viloyat-haqida/viloyat-haqida-malumat/>



مفهوم الألوان في القرآن الكريم عند المفسرين

إعداد

د. محمد بن فرحان بن شليويح الهواملة الدوسري

الأستاذ المساعد في قسم القرآن وعلومه

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

ملخص البحث

هذا البحث الذي بعنوان: مفهوم الألوان في القرآن الكريم عند المفسرين تمت فيه دراسة الألوان الواردة في القرآن الكريم دراسة تحليلية مقارنة سواء كانت تلك الألوان اختلف فيها المفسرون؛ وهي ستة ألوان: الأخضر، والأزرق، والأصفر، والمُدْهَامُ، والمنْكَدِرُ، والورد؛ أم لم يختلف فيها المفسرون؛ وهي أربعة ألوان: الأبيض، والأحمر، والأخضر، والأسود.

وفي هذا البحث اهتمام بذكر آراء المفسرين المتقدمين منهم، والمتأخرين في تفسير الألوان في القرآن الكريم، والترجيح بينها، وبيان سبب الترجيح.



المقدمة

الحمد لله الغفار، والصلاة والسلام على نبينا المختار، وعلى آله الطيبين الأطهار، ورضي الله عن صحابته الأخيار، والتابعين لهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار، أما بعد :

فإن اختلاف الألوان آية من آيات الله؛ قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْوَانِكُمْ وَلَوْنِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

والألوان التي وردت في القرآن الكريم منها ما هو واضح المعنى لا يحتاج إلى بيان، ومنها ما يشوبه غموض يحتاج إلى بيان يزيل ذلك الغموض، ويرفع الالتباس؛ بل إذا نظرنا إلى ما هو واضح المعنى نجد منها ما اختلف المفسرون فيه على أكثر من قول، وإذا رجعنا إلى لغة العرب ربما لا تسعفنا؛ لأن المعاني التي ذكرها المفسرون وسببت الاختلاف موجودة في كتب معاجم لغة العرب؛ لهذا، وغيره رأيت أن أقوم مستعيناً بالله - تعالى - بجمع مواضع الألوان الواردة في القرآن الكريم ودراستها، سواء اختلف فيها المفسرون أم لم يختلفوا، وأن يكون البحث بعنوان: مفهوم الألوان في القرآن الكريم عند المفسرين.

أولاً: مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في اختلاف المفسرين في أكثر الألوان التي وردت في القرآن الكريم، وصعوبة مقارنتها بمعاني الألوان في الوقت الحاضر، كما أن هناك كلمات ربما لا ينتبه لها أنها من الألوان، ووجود خلط فيها.

ثانياً: أهمية البحث

١ - أن الألوان حصل في تفسيرها اختلاف بين المفسرين؛ فكانت الحاجة ماسة

إلى دراستها وفحصها.

- ٢- التفريق بين الألوان المتفق على معناها، والمختلف فيه.
- ٣- أن هذا الموضوع فيما أعلم لم يَكُنْ فيه أحد بحثاً مستقلاً؛ فهو موضوع جديد يحتاج إلى تتبع، واستقراء، وجمع ما تفرق منه في مكان واحد.

ثالثاً: أهداف البحث

- ١- جمع ما تفرق من ألفاظ الألوان في القرآن الكريم في مكان واحد.
- ٢- بيان مفهوم المفسرين لمعاني الألوان في القرآن الكريم.
- ٣- بيان المعنى الراجح لمعاني الألوان، وذكر سبب الترجيح.
- ٤- محاولة ربط الألوان التي وردت في القرآن الكريم بذكر أسمائها في الوقت الحاضر، أو بوصفها وصفاً دقيقاً .

رابعاً: حدود البحث

يتناول البحث دراسة الألوان الواردة في القرآن الكريم دراسة تحليلية مقارنة.

خامساً: الدراسات السابقة

لم أجد من تناول البحث كما أتناوله، ووجدت دراسات تناولت الألوان تناولاً مختلفاً عن تناولي للموضوع، ومن تلك الدراسات :

- ١- من سمات الجمال في القرآن الكريم الألوان ودلالاتها نموذجاً لعفاف عبد الغفور حميد، وهو بحث منشور في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد الرابع، عام ١٤٣١ هـ / ٢٠٠٩ م، والبحث محاولة بيّن دلالة القرآن للون في موقف معين مع دلالاته العلمية؛ فهو محاولة في مجال إعجاز القرآن الكريم بخلاف بحثي الذي يبين مفهوم الألوان عند المفسرين.

- ٢- دلالات الألوان في القرآن إعداد أبو إسلام أحمد بن علي، وهو منشور على

الشبكة العنكبوتية بدون معلومات نشر، وقد تناول دلالات الألوان في القرآن من الناحية النفسية، وألوان الأشياء الواردة في القرآن من ثمار، وأشجار، ونحو ذلك؛ ولم يهتم بإيراد أقوال المفسرين، والترجيح بينها، وبيان سبب الترجيح.

٣- الألوان في القرآن الكريم إعداد تأملات في المتشابهات، وهو مأخوذ من كتاب دلالات الألوان في القرآن السابق، ومنشور على الشبكة العنكبوتية بدون معلومات نشر.

٤- اللون ودلالاته في القرآن إعداد نجاح عبد الرحمن المرازقة وهي رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب في قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة مؤتة، وحيث إن تخصص الباحثة في الأدب فلم تهتم بإيراد أقوال المفسرين سلفاً وخلفاً في الألوان، والقول الراجح منها، وبيان سبب الترجيح.

٥- الألوان الصريحة ودلالاتها الجمالية في القرآن الكريم لإقبال إبداح، وهو بحث منشور في مجلة جامعة طيبة، العدد ١٤، عام ١٤٣٩ هـ.

والبحت واضح من عنوانه أنه في الألوان الصريحة؛ فهو ليس في كل الألوان، وهو يهدف إلى إبراز القيم الجمالية، وأثر اللون في الصورة القرآنية.

٦- الضوء واللون في القرآن الكريم الإعجاز الضوئي اللوني لنذير حمدان، وهو كتاب مطبوع في دار ابن كثير عام ٢٠٠٢ م، والكتاب واضح من عنوانه أنه في الإعجاز الضوئي اللوني في القرآن الكريم.

٧- ظاهرة اللون في القرآن الكريم لمحمد قرانيا، وهو بحث منشور في مجلة التراث العربي بدمشق، العدد ٧٠، عام ١٤١٨ هـ، ولم يهتم بإيراد أقوال المفسرين، والترجيح بينها، وبيان سبب الترجيح.

٨- الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم لسليمان الشعلي، وهو بحث منشور في مجلة جامعة الشارقة بالإمارات، المجلد ٤، العدد ٣، عام ١٤٢٨ هـ، وهو يهدف إلى

بيان أهمية الألوان في حياة الإنسان، وكيف وظف القرآن الكريم هذا العنصر في صور ترتاح لها النفس، وصور تنفر منها؟

الفرق بين بحثي والبحوث السابقة فيما يلي :

- ١ - الاهتمام بذكر آراء المفسرين المتقدمين منهم والمتأخرين في تفسير الألوان في القرآن الكريم، والترجيح بينها، وبيان سبب الترجيح.
- ٢ - الزيادة على ما ذكرته تلك البحوث من ألوان ورد ذكرها في القرآن الكريم كالمدهام، والأحوى.
- ٣ - محاولة ربط الألوان التي وردت في القرآن الكريم بذكر أسمائها في الوقت الحاضر، أو وصفها وصفًا دقيقًا إن كان حصل في تسميتها تغيير.
- ٤ - التفريق بين الألوان المتفق على معناها، والمختلف فيه .

سادسًا: منهج البحث

منهجي في البحث على النحو الآتي:

- ١ - سلوك المنهج الاستقرائي، التحليلي، المقارن في دراستي لألفاظ الألوان الواردة في القرآن الكريم بالرجوع إلى القرآن الكريم، ثم إلى كتب التفاسير، وغيرها من المصادر والمراجع.
- ٢ - تقسيم البحث إلى ألوان مختلف في معناها، وألوان متفق عليها، ورتبت الألوان داخل كل قسم ترتيبًا هجائيًا.
- ٣ - دراسة ألفاظ الألوان، وطريقتي في ذلك على ما يلي: أذكر اللفظة، ثم أذكر ورودها في القرآن الكريم، فإن حصل فيها اختلاف ذكرت أقوال المفسرين لتفسيرها، وأجعل القول الراجح هو القول الأخير ذاكراً سبب الترجيح.
- ٤ - عزو الآيات بذكر اسم السورة، ورقم الآية.
- ٥ - تخريج الأحاديث، والآثار؛ بعزوها إلى مصادرهما الأصلية، وبيان درجة

- الأحاديث معتمداً بعد الله على كلام المحققين من أهل الحديث.
- ٦- نسبة الأقوال إلى قائلها مع عزوها إلى موضعها من كتبهم - إن وجدت -، أو الكتب المعتمدة في نقل أقوالهم عند عدمها.
- ٧- التعريف بالأعلام غير المشهورين.

سابعاً: خطة البحث

- تتكون خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة؛ كما يلي:
- المقدمة: وفيها مشكلة البحث، أهميته، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة.
- التمهيد: في بيان مفردة (لون) في القرآن الكريم.
- الفصل الأول: الألوان المختلف فيها بين المفسرين، وفيه ستة مباحث:
- المبحث الأول: اللون الأحمر.
- المبحث الثاني: اللون الأزرق.
- المبحث الثالث: اللون الأصفر.
- المبحث الرابع: اللون المذهأ.
- المبحث الخامس: اللون المنكدر.
- المبحث السادس: اللون الورد.
- الفصل الثاني: الألوان المتفق عليها بين المفسرين، وفيه أربعة مباحث:
- المبحث الأول: اللون الأبيض.
- المبحث الثاني: اللون الأحمر.
- المبحث الثالث: اللون الأخضر.
- المبحث الرابع: اللون الأسود.
- الخاتمة: أذكر فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج في هذا البحث.

تمهيد في بيان مفردة (لون) في القرآن الكريم

جاءت كلمة (اللون) في القرآن الكريم على المعنى المعروف؛ وهذا المعنى عرّفه الجوهري^(١) بقوله: (هيئة؛ كالسواد، والحمرة)^(٢).

وقد ورد لفظ (اللون) في القرآن الكريم مفردًا، ومجموعًا؛ فأما المفرد فورد مرتين في قول الله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقْعُ لُونُهَا تَسْرُ النَّظِيرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩].

وكلمة ﴿صَفَرَاءُ﴾ تدل دلالة واضحة على أن لفظ (اللون) جاء على المعنى المعروف؛ لأن الصفرة من الألوان.

وأما المجموع فورد سبع مرات في المواضع الآتية:

١- قول الله تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ﴾ [النحل: ١٣].

قال أبو حيان: ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ﴾ من البياض، والسواد، وغير ذلك؛ وقيل: ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ﴾: أصنافه^(٣).

وما قدمه أبو حيان هنا هو المقدم؛ لأنه المعنى الحقيقي لكلمة اللون بخلاف المعنى الآخر؛ فهو مجاز؛ قال الألويسي: ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ﴾ أي: أصنافه كما قال جمع من المفسرين، وهو مجاز معروف في ذلك^(٤).

والأصل في الكلام الحقيقة لا المجاز، ولا يصار إلى المجاز إلا لقرينة، ولا قرينة هنا.

(١) هو: أبو نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري، إمام في علم لغة العرب، من مصنفاته: الصحاح، وكتاب المقدمة في النحو؛ توفي سنة ٣٩٨ هـ. ينظر: يتيمة الدهر (٤/ ٤٦٨)، ومعجم الأدباء (٢/ ٢٠٥) والبلغة ص ٨٧.

(٢) الصحاح (٦/ ٢١٩٧)، مادة: (لون).

(٣) البحر المحيط (٥/ ٤٦٥).

(٤) روح المعاني (١٤/ ١١٠).

٢- قول الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٨ - ٦٩].

قال الواحدي: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ وهو العسل، ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ﴾: منه أحمر، وأبيض، وأصفر^(١).

٣- قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَلَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقُ السِّنِّاتِ وَالْوَنَائِكِ﴾ [الروم: ٢٢].

قال الثعلبي: ﴿وَالْوَنَائِكِ﴾: أبيض، وأسود، وأحمر؛ وأنتم ولد رجل واحد، وامرأة واحدة^(٢).

٤- قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَنُهَا﴾ [فاطر: ٢٧].

قال ابن جزي: ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهَا﴾: يريد الصفرة، والحمرة، وغير ذلك من الألوان؛ وقيل: يريد الأنواع؛ والأول أظهر؛ لذكره البيض، والحمرة، والسود بعد ذلك^(٣).

٥- قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَنُهَا وَعَرَايِبٌ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

كلمة البيض، والحمرة، والسود تدل على أن المراد بالألوان هو المعنى المعروف^(٤)؛ لأن هذه الكلمات من أسماء الألوان.

(١) الوجيز (١/ ٦١٢).

(٢) الكشف والبيان (٢١/ ١٤٣).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٣/ ١٥٧-١٥٨).

(٤) ينظر: المصدر السابق.

٦- قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾
[فاطر: ٢٨].

الألوان جاءت على المعنى المعروف؛ لتقدم البيض، والحمرة، والسود في الآية السابقة.

٧- قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا﴾ [الزمر: ٢١].
قال الرّسّعني^(١): ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾: ما بين أخضر، وأحمر، وأصفر، وأبيض، وغير ذلك.

وقيل: المراد بألوانه: أصنافه: من بُرّ، وشعير، وأرز، وسمسم، وغيرها^(٢).
وما قدمه الرّسّعني هنا هو المقدم؛ لأن هذا المعنى هو الذي جاء في المواضع الأخرى من كتاب الله كما سبق.



(١) هو: أبو محمد، عبد الرّازق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف بن أبي الهيجاء الرّسّعني، الحنبلي فقيه، محدّث، مفسر، شاعر، صنّف رموز الكنوز، وكتاب مصرع الحسين؛ توفي سنة ٦٦١ هـ.
ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي ص ٦٦، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ٣٠٠)، وطبقات المفسرين للأدرنه وي ص ٢٤٣.
(٢) رموز الكنوز (٦/ ٥٣٦).

الفصل الأول: الألوان المختلف فيها بين المفسرين

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: اللون الأخضر

وردت كلمة (أخوى) في القرآن الكريم في موضع واحد؛ وهو قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۖ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَخْوَىٰ﴾ [الأعلى: ٤-٥].
واختلف العلماء فيها على قولين:

- ١- أن أخوى معناه: أخضر؛ قال الزجاج: (أخوى في موضع نصب، حال من المرعى؛ المعنى: الذي أخرج المرعى أخوى؛ أي: أخرجه أخضر يضرب إلى الحوة؛ والحوة: السواد)^(١)؛ وحكاه مكي^(٢)، والبيضاوي^(٣)، وأبو السعود^(٤).
- ٢- أن أخوى معناه: أسود؛ وهو قول مجاهد^(٥)، وابن قتيبة^(٦)، والطبري^(٧)، والواحدي^(٨)، والبغوي^(٩)، والنسفي^(١٠)، وقال ابن جزي: (وأخوى معناه: أسود، وهو صفة لغثاء؛ والمعنى: أن الله أخرج المرعى أخضر، فجعله بعد خضرته غثاء أسود)^(١١)، وقال الأصمعي: (الحوة: حمرة تضرب إلى السواد)^(١٢)، وقول

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣١٥/٥).

(٢) ينظر: مشكل إعراب القرآن (٤٧٠/٢).

(٣) ينظر: أنوار التنزيل (٣٠٥/٥).

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم (١٤٤/٩).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٣١٣/٢٤).

(٦) ينظر: تفسير غريب القرآن ص ٥٢٤.

(٧) ينظر: جامع البيان (٣١٣/٢٤).

(٨) ينظر: الوجيز (١١٩٤/٢).

(٩) ينظر: معالم التنزيل (٤٠٠/٨).

(١٠) ينظر: مدارك التنزيل (٦٣١/٣).

(١١) التسهيل لعلوم التنزيل (١٩٣/٤).

(١٢) ذكره عنه الجوهري في الصحاح (٢٣٢٢/٦).

الأصمعي هو الذي يترجح؛ وهذا اللون يعرف في وقتنا الحاضر باللون البني، وأحوى صفة لغشاء؛ وسبب الترجيح لما يلي:

أ- أن الله عز وجل قال: ﴿الْمُتَرَّانَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرْدُهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا﴾ [الزمر: ٢١].

وبالمشاهدة لتحولات المرعى يُلاحظ أنه لا يتحول لونه بعد الصفرة إلى الأسود الخالص، وإنما يتحول إلى اللون البني.

ب- أن القول الأول فيه تكلف^(١)؛ لأن معنى الآية عليه يكون: والذي أخرج المرعى أحوى أي: أخضر إلى السواد فجعله غشاء بعد ذلك؛ فيكون ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم، وإنما يقع التقديم والتأخير إذا لم يصح المعنى على غيره^(٢).

ج- أن الطبري ذكر أن القول الأول مخالف لأقوال أهل التأويل^(٣).

د- أن ابن عباس رضي الله عنه روي عنه في قول الله تعالى: ﴿عُثَاءً أَحْوًى﴾ أنه قال: (هشيمًا متغيرًا)^(٤).



(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩٣/٤).

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢٠٤/٥).

(٣) ينظر: جامع البيان (٣١٤ / ٢٤).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٣١٣ / ٢٤) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه؛ وينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢٠٤ / ٥)؛ وقد أفاد هذا الأثر في الترجيح بما يلي:

١- أن فيه ردًا على القول بأن أحوى بمعنى: أخضر؛ لأنه إذا كان هشيمًا متغيرًا فهو ليس بأخضر بسبب الري.

٢- أن المرعى إذا تحول إلى حمرة تضرب إلى السواد فهو متغير، والأحمر الذي يضرب إلى السواد هو ما يعرف باللون البني.

المبحث الثاني: اللون الأزرق

ورد اللون الأزرق في القرآن الكريم مجموعاً في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢].

واختلف المفسرون فيه على أربعة أقوال:

١- أن المراد: زرق العيون من شدة العطش؛ نَسَبَهُ للزهري ابنُ الجوزي^(١)، والرَّسْعَنِي^(٢)، وبالعطش فسره ثعلب^(٣)، وقال البغوي: (والزرقة: هي الخضرة في سواد العين؛ فيحشرون زرق العيون)^(٤).

٢- زرقاً: يبيضُ العيون من العمى؛ ورد عن سعيد بن جبير^(٥)، وهو قول ابن قتيبة^(٦)، وورد عن الكلبي^(٧) أن زرقاً: عمياً^(٨)؛ قال السمين الحلبي^(٩): (وهم يعبرون عن عمى العين بزرقته)^(١٠).

(١) ينظر: زاد المسير (٥/ ٣٢١).

(٢) ينظر: رموز الكنوز (٤/ ٥٦٥).

(٣) ينظر: مجالس ثعلب (١/ ٣٢٥)، وثعلب هو: أبو العباس، أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني بالولاء، البغدادي، العلامة، المحدث، إمام الكوفيين في النحو، من كتبه الفصيح، ومعاني القرآن؛ توفي سنة ٢٩١ هـ.

ينظر: نزهة الألباء ص ١٧٣، ووفيات الأعيان (١/ ١٠٢).

(٤) معالم التنزيل (٥/ ٢٩٤).

(٥) أخرجه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٣/ ٤٤٥).

(٦) ينظر: تفسير غريب القرآن ص ٢٨٢.

(٧) هو: أبو النضر، محمد بن السائب بن بشر الكلبي، نسابة، مفسر، متهم بالكذب، له تفسير؛ توفي سنة ١٤٦ هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٤/ ٣٠٩)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٢٤٨).

(٨) ينظر: التفسير البسيط (١٤/ ٥١٧).

(٩) هو: أبو العباس، أحمد بن يوسف بن محمد، المعروف بالسمين الحلبي، نحوي، مقرئ، من مؤلفاته: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ؛ توفي سنة ٧٥٦ هـ.

ينظر: طبقات المفسرين للدواودي (١/ ١٠١)، وشذرات الذهب (٨/ ٣٠٧).

(١٠) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٢/ ١٣٩).

٣- أن زرقًا : أعداء؛ حكاه محمود الكرمانى^(١).

٤- أن المراد: زُرْقَةُ ألوان الأبدان؛ حكاه ابن عطية،^(٢) وأبو حيان^(٣)؛ وهو الذي

يترجح لما يلي:

أ- أن هذا هو المعنى الظاهر؛ ولا يجوز الخروج عن الظاهر إلا بدليل.

ب- أن الأصل في الكلام الحقيقة لا المجاز؛ والقول بأن المراد زرقه العيون،

ونحوه مجاز^(٤) يحتاج إلى قرينة ولا قرينة صحيحة هنا.

ج- أن الجلود تَزْرُقُ من مكابدة الشدائد، وجفوف رطوبتها^(٥)؛ ولا شك أن يوم

القيامة شديد على الكافرين؛ قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّفُورِ ۝ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ

عَسِيرٌ ۝ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝ ﴾ [المدثر: ٨ - ١٠].



(١) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (٢/ ٧٣٠).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٤/ ٦٣).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٦/ ٢٥٨).

(٤) المجاز ليس في اللون الأزرق، وإنما في الشيء الذي يزرق هل هو جميع أجسام المجرمين أم عيونهم

فقط؟ فعلى القول بأن المراد زرقه العيون يوجد مجاز مرسل؛ إذ ذكر الجميع (المجرمين زرقًا)،

وأريد به الجزء (عيون المجرمين)، والعلاقة كلية.

(٥) ينظر: البحر المحيط (٦/ ٢٥٨).

المبحث الثالث: اللون الأصفر

ورد مؤنث الأصفر مفردًا وجمعًا في القرآن الكريم؛ فأما المفرد ففي قول الله تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩]، وأما الجمع ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۖ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صَفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٢- ٣٣]، واختلف المفسرون في هذين الموضعين^(١)، وتفصيل ذلك في الآتي:

الموضع الأول: قول الله تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩].

اختلف العلماء في معنى صفراء في هذه الآية الكريمة على قولين^(٢):

- ١- أن معنى صفراء: سوداء؛ وهو قول الحسن البصري^(٣).
- ٢- أنه من الصفرة؛ وهو اللون المعروف؛ وهو قول جمهور المفسرين^(٤)، وهو الذي يترجح لما يلي:

أ- أن الله ﷻ أكد صفرة البقرة بقوله: ﴿فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ (والفقوع: نعت مختص بالصفرة؛ كما خص أحمر بقاني، وأسود بحالك، وأبيض بناصع، وأخضر بناضر)^(٥).

ب- أن هذا القول هو المعنى الظاهر المتبادر إلى الفهم، وأما القول الآخر فقد

(١) وأما الصفرة التي وردت في المواضع الأخرى من كتاب الله فليس في معناها خلاف بين المفسرين، وعدد تلك المواضع ثلاثة؛ وهي: قول الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ [الروم: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا فُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهْمِجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلَمًا﴾ [الزمر: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلٍ عَيْثُ أَجَبَ الْكُفَّارَ بَنَاتُهُ ثُمَّ يَهْمِجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطْلَمًا﴾ [الحديد: ٢٠].

(٢) ينظر: زاد المسير (٩٧/١).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٩٣/٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٩/١).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨٥/٢)، والبحر المحيط (٤١٧/١).

(٥) المحرر الوجيز (١٦٣/١).

قال عنه النحاس: (خلاف المعروف من كلام العرب، وخلاف الظاهر، والمتعارف؛ لأن العرب تقول: أصفر فاقع، ولا يقال أسود فاقع) ^(١).

الموضع الثاني: قول الله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۚ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٢-٣٣].

اختلف العلماء في معنى كلمة ﴿صُفْرٌ﴾ هنا على أربعة أقوال:

١- أن معنى صفر: سود؛ وهو قول الحسن البصري ^(٢)، وقتادة ^(٣)، وأبي عبيدة ^(٤).

٢- أن معنى صفر: سود تضرب إلى الصفرة، حكاه الزمخشري ^(٥)، واختاره النسفي ^(٦)، وابن سعدي ^(٧).

٣- أن معنى صفر: نحاس؛ روي عن ابن عباس ^(٨).

٤- أنها على معناها المعروف من الصفرة؛ قال أبو حيان: (والصفرة الفاقعة أشبه بلون الشر؛ قاله الجمهور) ^(٩)، واختاره الرازي ^(١٠)، وهو الذي يترجح لما يلي:

أ- أن الصفرة جاءت على معناها المعروف في المواضع الأخرى من كتاب الله؛ كقول الله تعالى: ﴿الَّذِي نَزَّلَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ

(١) القطع والانتفاء ص ٦٤.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٠٦/٢٣).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٨٠/٣)، والطبري في تفسيره (٦٠٦/٢٣).

(٤) ينظر: مجاز القرآن (٢/٢٨١).

(٥) ينظر: الكشف (٤/٥١٢).

(٦) ينظر: مدارك التنزيل (٣/٥٨٧).

(٧) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص ٩٠٥.

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٠٨/٢٣)، ولفظه: (قطع النحاس)، وعلى هذا فمعنى جمالة: قطع، ومعنى صفر: نحاس.

(٩) البحر المحيط (٨/٣٩٨).

(١٠) ينظر: مفاتيح الغيب (٣٠/٢٧٧).

يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتَرَدُّهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا [الزمر: ٢١].

ب- أن هذا هو المعنى الظاهر المتبادر إلى الذهن.

ج- أن الشرر متى كان نارًا كان أصفر، وإنما يصير أسود إذا انطفأ وحينئذ لا يسمى شررًا^(١).

فإن قيل: إن الشرر أسود؛ لأنه من نار سوداء^(٢).

فالجواب: أن هذا مخالف لظاهر قول الله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۖ كَأَنَّهُ جَمَلٌ صُفَرٌ﴾ [المرسلات: ٣٢-٣٣]؛ فقد وصف شرر نار جهنم بالجمال الصفر؛ وأما ما روي أن النبي ﷺ قال: (أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت؛ فهي سوداء مظلمة)^(٣) فهو حديث غير ثابت، والحديث الصحيح يقدم على الحديث الحسن عند التعارض، فما بالك بمعارضة هذا الحديث للقرآن الكريم المتواتر!!



(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٧٧/٣٠).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٥١١/٢١).

(٣) رواه ابن ماجه في سننه في كتاب الزهد، باب صفة النار (١٤٤٥/٢)، والترمذي في سننه في كتاب صفة جهنم... باب منه (٧١٠/٤)، كلاهما من حديث أبي هريرة، واللفظ للترمذي، وقال: (حديث أبي هريرة في هذا موقف أصح، ولا أعلم أحدا رفعه غير يحيى بن بكير عن شريك)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه ص ٣٥٢.

المبحث الرابع: اللون المذهام

مدهام ورد في القرآن الكريم مؤنثاً مثنى في قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَتَانِ ﴾ [الرحمن: ٦٢ - ٦٤].

وقد اختلفت ألفاظ المفسرين في معنى ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ على قولين:

١ - خضراوان؛ ورد عن ابن عباس^(١)، وابن الزبير^(٢)، وعبد الله بن أبي أوفى^(٣)، ومجاهد^(٤)، وأبي صالح^(٥).

٢ - سوداوان من الرّئي؛ ورد عن مجاهد^(٦) أيضاً، وهو قول مقاتل بن سليمان^(٧). وهذا القول لا يناقض القول الأول؛ لأن الخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد، وفي القول الثاني لفظة: (من الرّئي)، التي أفادت أن المراد بالسواد هو: الأخضر شديد الخضرة؛ قال الزجاج: (وقوله عز وجل: ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ يعني: أنهما خضراوان تضرب خضرتهما إلى السواد، وكل نبت أخضر فتمام خضرته ورّيه أن يضرب إلى السواد)^(٨).

فاتضح بالجمع بين هذين القولين أن المدهام هو ما يُعرف في وقتنا المعاصر بالأخضر الغامق.



(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٥٥)، والبيهقي البعث والنشور ص ١٧٢.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٩/١٦٧)، والطبري في تفسيره (٢٢/٢٥٥-٢٥٦).

(٣) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في صفة الجنة (٢/٢٤٠).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٩/١٦٨).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٩/١٦٧)، والطبري في تفسيره (٢٢/٢٥٦).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٥٧)، والبيهقي البعث والنشور ص ١٧٢ - ١٧٣.

(٧) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/٢٠٤).

(٨) معاني القرآن وإعرابه (٥/١٠٣).

المبحث الخامس: اللون المُكدر

ورد المنكدر في القرآن الكريم بصيغة الفعل الماضي في موضع واحد في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا اللَّجُومُ أَنْكَدَرَ﴾ [التكوير: ٢]، وقد اختلف المفسرون في معنى ﴿أَنْكَدَرَ﴾ على قولين:

- ١- تناثرت؛ ورد عن الربيع بن خثيم^(١)، ومجاهد^(٢)، وأبي صالح^(٣)، وقتادة^(٤).
- ٢- تغيّرت؛ ورد عن ابن عباس^(٥)، ووضّح هذا مكي، وابن عطية فقالا: (من قولهم: ماء كدر أي: متغير اللون)^(٦)، وقال الألوسي: (ففيه تشبيه انطماس نورها بتكدّر الماء الذي لا يبقى معه صفاؤه ورونق منظره)^(٧)، وهذا هو الذي يترجح لما يلي:

أ- أنه يشهد له قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا اللَّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [المرسلات: ٨]؛ قال ابن قتيبة: (أي: ذهب ضوءها)^(٨)؛ وإذا ذهب ضوءها فقد انكدرت، والقرآن خير ما يفسر به القرآن، قال مقاتل بن سليمان: (قوله: ﴿فَإِذَا اللَّجُومُ طُمِسَتْ﴾ بعد الضوء والبياض إلى السواد)^(٩).

ب- دلالة لغة العرب على هذا القول؛ فإن الكُدرة من الألوان: ما نحا نحو السواد والغبرة^(١٠).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٢/٢٤)، والدولابي في الكنى والأسماء (٣/ ١٢٠٣-١٢٠٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٢/٢٤).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٢/٢٤).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٣٩٥).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٣/٢٤).

(٦) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٠٧٥)، والمحزر الوجيز (٥/ ٤٤١).

(٧) ينظر: روح المعاني (٣٠/ ٥١).

(٨) تفسير غريب القرآن ص ٥٠٥.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٥٤٣).

(١٠) ينظر: مادة: (كدر) في المحكم (٦/ ٧٤٦)، ولسان العرب (٥/ ١٣٤).

المبحث السادس: اللون الورْد

وَرَدَ اللونُ الْوَرْدُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مُؤَنَّثًا فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧]، وقد اختلف المفسرون في تفسيرها على قولين :

- ١- وردة النبات؛ حكاه الماوردي^(١)، والسمعاني^(٢).
- ٢- حمراء؛ وَرَدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، والضحاك^(٣)، ولكن لا يقصدان الحمرة الخالصة؛ فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (كالفرس الوردي)^(٤)، وَوَرَدَ عَنْ الضَّحَّاكِ أَنَّهُ قَالَ: (تتغير السماء؛ فيصير لونها كلون الدابة الوردة)^(٥)، ووضح ابن سيده اللون الْوَرْدُ فقال: (والورد: لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة في كل شيء)^(٦).

وبناء عليه يكون المراد باللون الْوَرْدُ: هو ما يعرف في وقتنا الحاضر باللون البرتقالي.

وهذا هو الذي يترجح لما يلي:

- أ- دلالة لغة العرب عليه؛ قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: (والأسد يُسَمَّى مُزَعَفَرًا؛ لَأَنَّهُ وَرْدُ اللون يضرب إلى الصفرة)^(٧)، وقال ابن دريد: (يقال: فرس ورد،

(١) ينظر: النكت والعيون (٥/ ٤٣٥).

(٢) ينظر: تفسير القرآن (٥/ ٣٣١).

(٣) ذكر السيوطي في الدر المنثور (١٤/ ١٢٧) أن ابن أبي حاتم أخرجه.

(٤) ذكر السيوطي في الدر المنثور (١٤/ ١٢٧) أن عبد بن حميد أخرجه.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٢٧).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٢٧-٢٢٨).

(٧) المحكم (٩/ ٤٢٤)، مادة: (ورد)، وأفاد قوله: (في كل شيء) أن هذا اللون لا يختص بلون الفرس، بل يشمل الفرس وغير الفرس.

(٨) العين (٢/ ٣٣٣)، مادة: (زعفر).

والأنثى وردة؛ وهي شجرة تعلوها صفرة، والجمع وِرَاد^(١)، وقال ابن سيده :
(والورد: لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة في كل شيء)^(٢)؛ فليس الورد هو
الأحمر القاني.

ب- أن القول بأن الورد هنا وردة النبات فيه نظر؛ لأن وردة النبات تختلف
ألوانها، فأى وردة تكون للون السماء حين تنشق؟!
فإن قيل : قد تختلف ألوان وردة النبات لكن الأغلب من ألوانها الحمرة
فالجواب : أن هذا غير منضبط؛ لأن تغير ألوان ورد النباتات يكون حسب المكان،
والزمان، والنبات؛ فقد تكون الصفرة في مكان هي الأغلب.



(١) جمهرة اللغة (٢/ ٦٤١)، مادة : (ورد).

(٢) المحكم (٩/ ٤٢٤)، مادة : (ورد).

الفصل الثاني: الألوان المتفق عليها بين المفسرين

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: اللون الأبيض

ورد اللون الأبيض ومشتقاته في أحد عشر موضعاً^(١) من كتاب الله تعالى هي:

الموضع الأول: قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

المراد بالخيط الأبيض: بياض النهار؛ نسبة ابن عطية لجميع العلماء^(٢).

الموضع الثاني: قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

في بياض الوجوه قولان^(٣):

- ١- أن البياض كناية عن الفرح والسرور؛ نسبة الرازي لأبي مسلم الأصفهاني^(٤)، وهو اختيار الراغب الأصفهاني^(٥).
- ٢- أن ابضااض الوجوه على حقيقة اللون؛ وهو قول الجمهور^(٦)، وهو الذي

(١) من الخطأ جعل المواضع اثني عشر بإضافة كلمة (بيض) الواردة في قول الله تعالى: ﴿كَانَ هُنَّ بَيْضٌ مَّكَوْنٌ﴾ [الصفافات: ٤٩]؛ لأنها ليست مشتقة من اللون الأبيض.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (١/٢٥٨).

(٣) لم أدخل هذا الموضع في الألوان المختلف فيها؛ لأن كلا القولين يتفقان على أنه الأبيض، وإنما الخلاف فيه بين الحقيقة والكناية.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب (٨/١٨٦)، وأبو مسلم هو: محمد بن بحر الأصفهاني، المعتزلي، أديب، مفسر؛ من مصنفاته: جامع التأويل، والناسخ والمنسوخ؛ توفي سنة ٣٢٢ هـ. ينظر: الوافي بالوفيات (٢/١٧٥)، وبغية الوعاة (١/٥٩).

(٥) ينظر: المفردات ص ٢٤٦.

(٦) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/٢٦٤-٢٦٥)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٢٤).

يترجح لما يلي:

أ- أنه قول الأكثرين؛ وقد قال ابن جزي: (إن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه)^(١).

ب- أن لفظ البياض في هذا القول حقيقة^(٢) بخلاف القول الآخر فهو كناية.

الموضع الثالث: قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وَجُوهُهُمْ فِئَى رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

الكلام في ﴿أَبْيَضَتْ﴾ في هذه الآية الكريمة كالكلام في الموضع السابق.

الموضع الرابع: قول الله تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٨].

قال مجاهد: (نزع يده من جيبه بيضاء من غير برص)^(٣).

الموضع الخامس: قول الله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَعْدُ عَلَى يَدَيْكَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤].

ابيضت عيناه أي: انقلبت إلى حال البياض^(٤)، قال الواحدي: (والحزن لما كان سبباً للبكاء جاز أن يسمى به؛ وذلك أن العين لا تبيض وإن اشتد الحزن حتى يكثّر البكاء)^(٥).

الموضع السادس: قول الله تعالى: ﴿وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٢٢]. قال الطبري: (أخرجها بيضاء من غير سوء، من غير برص، مثل الثلج)^(٦).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٩/١).

(٢) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (٢٨٢/١).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٤٦-٣٤٧/١٠).

(٤) ينظر: التفسير البسيط (٢١٤/١٢)، وزاد المسير (٢٧٠/٤).

(٥) التفسير البسيط (٢١٤/١٢).

(٦) ينظر: جامع البيان (٥٠/١٦).

الموضع السابع: قول الله تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الشعراء: ٣٣].

قال يحيى بن سلام^(١): (يغشى البصر من بياضها)^(٢).

الموضع الثامن: قول الله تعالى: ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [النمل: ١٢].

ورد عن محمد بن إسحاق^(٣) أنه قال: (أخرجها بيضاء مثل الثلج)^(٤).

الموضع التاسع: قول الله تعالى: ﴿أَسْلُكُ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ [القصص: ٣٢].

الكلام في ﴿بَيْضَاءَ﴾ في هذه الآية الكريمة كالكلام في الموضع السابق.

الموضع العاشر: قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

قال قتادة: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ﴾ أي: طرائق بيض^(٥).

الموضع الحادي عشر: قول الله تعالى: ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ [الصافات: ٤٦].

ورد عن الحسن البصري أنه قال: (خمر الجنة أشد بياضاً من اللبن)^(٦).



(١) هو: أبو زكريا، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة البصري، ثم الإفريقي، مفسر، من كتبه: التفسير، وكتاب الجامع؛ توفي سنة ٢٠٠ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٩٦)، وغاية النهاية (٢/ ٣٧٣).

(٢) ينظر: تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٠١).

(٣) هو: أبو بكر، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبلي بالولاء، المدني، إخباري، صاحب السيرة النبوية؛ توفي سنة ١٥١ هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٧٦)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٣٣).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٢٩٧٥).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٣٦٣).

(٦) ذكره عن الحسن النحاس في معاني القرآن (٦/ ٢٤)، والواحدي في التفسير البسيط (١٩/ ٤٥).

المبحث الثاني : اللون الأحمر

ورد اللون الأحمر في القرآن الكريم مجموعاً في قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

قال الجرجاني: ﴿وَحُمْرٌ﴾ جمع أحمر الذي لونه حمرة؛ وهو لون العقيق بين الشقرة والكمته، والعرب تسمي الأبيض أحمر^(١).

أقول : لو كان المراد بالحمرة هنا البياض لكان في الآية تكرار؛ إذ تقدم ذكر الأبيض، ولم أجد أحداً من المفسرين ذهب إلى أن المراد بالحمرة في الآية الكريمة هي البياض، والجرجاني لم يذكر ذلك تفسيراً للآية، وإنما ذكره عن العرب؛ فهذا وإن صح لغة فلا يصح تفسيراً، فما كل ما يصح في اللغة يصح تفسيراً للقرآن الكريم.

المبحث الثالث: اللون الأخضر

ورد اللون الأخضر ومشتقاته في ثمانية مواضع من كتاب الله تعالى هي:

الموضع الأول : قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرُجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ﴾ [الأنعام: ٩٩].

قال الزجاج : (معنى خَضِرَ كمعنى أَخْضَرَ، يقال: اخْضَرَ فهو أَخْضَرُ وخَضِرٌ)^(٢).

الموضع الثاني : قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ [يوسف: ٤٣].

﴿خُضْرٍ﴾ هنا جمع خضراء لا أخضر؛ لأن مفرد ﴿سُنْبُلَاتٍ﴾ مؤنث وهو سنبلة، والصفة تتفق مع موصوفها، وكلمة ﴿خُضْرٍ﴾ صفة لكلمة ﴿سُنْبُلَاتٍ﴾.

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور (٤/ ١٤٤٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٥).

الموضع الثالث: قول الله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ حُضِرٌ وَآخَرُ وَسَبْعٍ سُتُوكٍ حُضِرٌ وَآخَرُ يَابَسَتْ﴾ [يوسف: ٤٦].

الكلام في ﴿حُضِرٌ﴾ في هذه الآية الكريمة مثل الكلام في الموضع السابق.

الموضع الرابع: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۖ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ يَنعمُ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣٠ - ٣١].

﴿حُضِرٌ﴾ هنا جمع أخضر لا خضراء؛ لأن ﴿ثِيَابًا﴾ مفردا مذكر وهو ثوب، والصفة تتفق مع موصوفها، وكلمة ﴿حُضِرٌ﴾ صفة لكلمة ﴿ثِيَابًا﴾.

قال الراغب الأصفهاني: (والخضرة: أحد الألوان بين البياض والسود، وهو إلى السواد أقرب؛ ولهذا سمي الأسود أخضر، والأخضر أسود)^(١).

الموضع الخامس: قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الدُّنْيَا أُولَٰئِكَ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَوَاتُ أَرْوَاحٍ مُطَهَّرَةٍ وَهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ فِيهَا حَمْلُ مُبْتَلًى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مَرْجُلَاتُ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا قَائِيَاتٌ لَيْسَ لَهُنَّ زُفُرٌ وَلَا حُجُورٌ ۚ وَلَهُنَّ فِيهَا خُضْرٌ﴾ [الحج: ٦٣].
قال ابن كثير: ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: ٦٣].
قال ابن كثير: ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ أي: خضراء بعد بياضها ومحولها)^(٢).

الموضع السادس: قول الله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ [يس: ٨٠].

الأخضر هو اللون المعروف؛ قال إسماعيل حقي^(٣): (والخضرة: أحد الألوان بين البياض والسود، وهو إلى السواد أقرب؛ فلهذا سمي الأسود أخضر،

(١) المفردات ص ١٥٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤٥٠/٥).

(٣) هو: أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخَلَوِيُّ، تركي، متصوف، مفسر، من مؤلفاته: روح البيان في تفسير القرآن، والرسالة الخليلية؛ توفي سنة ١١٢٧ هـ. ينظر: إيضاح المكنون (١/ ٧٤)، والأعلام (٣١٣/ ١).

والأخضر أسود.

وقيل : سواد العراق^(١) للموضع الذي تكثر فيه الخضرة، ووصف الشجر بالأخضر دون الخضراء؛ نظرًا إلى اللفظ؛ فإن لفظ الشجر مذكر، ومعناه مؤنث؛ لأنه جمع شجرة^(٢).

الموضع السابع: قول الله تعالى: ﴿مُتَكِّينَ عَلَى رَقَفٍ خَضِرٍ وَعَبَقَرٍي حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦].

عن قتادة ﴿رَقَفٍ خَضِرٍ﴾ قال: (محابس خضر)^(٣).

والمحابس: جمع مَحْبَس؛ وهو ثوب يُسَط على ظهر الفراش^(٤).

الموضع الثامن: قول الله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١].

خُضْر هنا جمع أخضر، وهو اللون المعروف؛ قال السمين الحلبي: (والخُضْرَة: أحد الألوان، وهي بين السواد والبياض، ولكن إلى السواد أقرب؛ ولذلك يُعَبَّر عن السواد بالخُضْرَة، وبالعكس)^(٥).



(١) سواد العراق هو: من حديثه الموصول إلى عبّادان طولاً، ومن العذيب بالقادسية إلى حلوان عرضاً.

ينظر: معجم البلدان (٣/ ٢٧٢).

(٢) روح البيان (٧/ ٤٣٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٧٥).

(٤) ينظر: مادة: (حبس) في جمهرة اللغة (١/ ٢٧٧).

(٥) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (١/ ٥٠٩).

المبحث الرابع: اللون الأسود

ورد اللون الأسود ومشتقاته في سبعة مواضع من كتاب الله تعالى هي:
الموضع الأول: قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

المراد بالخيط الأسود: سواد الليل؛ نسبة ابن عطية لجميع العلماء^(١).

الموضع الثاني، والثالث: قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

ورد السواد في هذه الآية مرتين، وفي تفسيره قولان^(٢):

١- أن اسوداد الوجوه كناية عن الغم؛ نسبة الرازي لأبي مسلم الأصفهاني^(٣)، وهو اختيار الراغب الأصفهاني^(٤).

٢- أن اسوداد الوجوه على حقيقة اللون؛ وهو قول الجمهور^(٥)، وهو الذي يترجح لما يلي:

أ- أنه يشهد له قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَانَمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ [يونس: ٢٧]؛ فقوله تعالى: ﴿كَانَمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ يدل على اسوداد وجوه الكافرين يوم القيامة، قال الواحدي: (والعرب تستعمل لون الليل في السواد)^(٦).

(١) ينظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٥٨).

(٢) لم أدخل هذا الموضع في الألوان المختلف فيها؛ لأن كلا القولين يتفقان على أنه الأسود، وإنما الخلاف فيه بين الحقيقة والكناية.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (٨/ ١٨٦).

(٤) ينظر: المفردات ص ٢٤٦.

(٥) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٢٦٤-٢٦٥)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٢٤).

(٦) التفسير البسيط (١١/ ١٧٨).

ب- أنه قول الأكثرين؛ وقد قال ابن جزي : (إن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه)^(١).

ج- أن لفظ السواد في هذا القول حقيقة^(٢) بخلاف القول الآخر فهو كناية.
الموضع الرابع : قول الله تعالى : ﴿وَإِذَا وَجَّهَهُ مَسْودًا بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مَسْودًا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨].

في اسوداد الوجه قولان :

- ١- أن المراد سواد اللون؛ نسبة الماوردي للجهمور^(٣).
- ٢- أنه كناية عن الغم؛ وهو قول الرازي^(٤)، والقرطبي^(٥)، والبيضاوي^(٦)، وأبي السعود^(٧).

قال الخازن : (والغم يظهر أثره على الوجه؛ وهو الكمودة التي تعلق الوجه)^(٨).
والذي يترجح أن اسوداد الوجه هو تغيره؛ لما يلي :
أ- أن المبشرين بالإناث لا تتحول ألوان وجوههم إلى السواد؛ ولكن السواد كناية عما كان يعلوها من التغير والصعوبة عليهم عند البشارة بالإناث^(٩).

ب- أن العرب تقول هذا لكل مغموم قد تغير لونه من الغم اسودَّ وجهه^(١٠).
الموضع الخامس : قول الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٩/١).

(٢) ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل (٢٨٢/١).

(٣) ينظر : النكت والعيون (١٩٤/٣).

(٤) ينظر : مفاتيح الغيب (٥٦/٢٠).

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٣٤٠/١٢).

(٦) ينظر : أنوار التنزيل (٢٣٠/٣).

(٧) ينظر : إرشاد العقل السليم (١٢١/٥).

(٨) لباب التأويل في معاني التنزيل (٨٢/٣).

(٩) ينظر : نكت القرآن الدالة على البيان (٧٦/٢).

(١٠) ينظر : معاني القرآن للنحاس (٧٥/٤).

فَأَخْرَجْنَا بِهٖ تَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا
وَعَرَابِيْبٌ سُودٌ ﴿٢٧﴾ [فاطر: ٢٧]

قول الله تعالى: ﴿وَعَرَابِيْبٌ سُودٌ﴾ أي: شديدة السواد^(١)؛ قال مكّي:
(والعرب تقول: هو أسود غريب إذا وصفوه بشدة السواد)^(٢).

الموضع السادس: قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ
وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠].

١- أن اسوداد الوجوه عبارة عن الحزن والصغار^(٣)؛ قال ابن جزي: (يحتمل
أن يريد سواد اللون حقيقة، أو يكون عبارة عن شدة الكرب)^(٤).

٢- أن اسوداد الوجوه على حقيقة اللون؛ قال ابن عطية: (وظاهر الآية: أن لون
وجوههم يتغير، ويسود حقيقة)^(٥)، وهو الذي يترجح لما يلي:

أ- أن هذا القول هو المعنى الأصلي الظاهر؛ قال ابن حزم: (وحمل الكلام
على ظاهره الذي وضع له في اللغة فرض لا يجوز تعديه إلا بنص، أو إجماع؛ لأنّ
من فعل غير ذلك أفسد الحقائق كلها، والشرائع كلها، والمعقول كله)^(٦).

ب- أنه يشهد له قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا
وَتَرْهَقُهُمْ ذُكُوْنٌ مَّا عَصَوْا اللَّهُ مِنْ عَاصٍ حَنُوءًا كَانُوا كَالْمِثْلِ الْقَدِيمِ﴾ [يونس: ٢٧]؛ فقوله تعالى: ﴿كَانُوا كَالْمِثْلِ الْقَدِيمِ﴾ وجوههم قطعاً
مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا يدل على اسوداد وجوه الكافرين يوم القيامة.

(١) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٤٥٦)، وعمدة الحفاظ (٣/ ١٥٥).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (٩/ ٥٩٧٢).

(٣) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (٢/ ١٠١٨).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (٣/ ١٩٨).

(٥) المحرر الوجيز (٤/ ٥٣٩).

(٦) الفصل في الملل (٣/ ٣).

الموضع السابع: قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الزخرف: ١٧].

الكلام في اسوداد الوجه في هذه الآية الكريمة هو الكلام نفسه في الموضع الرابع، وقد بينتُ هناك أن اسوداد الوجه هو تغيره؛ لأن المبشرين بالإناث لا تتحول ألوان وجوههم إلى السواد.



الخاتمة

الحمد لله على الابتداء، والحمد لله على الانتهاء، والصلاة والسلام على خير الأنبياء، وآله الأتقياء؛ أما بعدُ:

فبعدَ معاشتي لهذا البحث: مفهوم الألوان في القرآن الكريم عند المفسرين أسجل في خاتمته من النتائج ما يلي:

(١) أن الألوان منها ما هو واضح المعنى لا يحتاج إلى بيان، ومنها ما يشوبه غموض يحتاج إلى بيان يزيل الغموض، ويرفع الالتباس.

(٢) أن الألوان المختلف فيها بين المفسرين ستة؛ وهي: الأخضر، والأزرق، والأصفر، والمدهام، والمُنكدر، والورد؛ وأما الألوان المتفق عليها بين المفسرين فأربعة؛ وهي: الأبيض، والأحمر، والأخضر، والأسود.

(٣) أن الأخضر هو اللون يعرف في وقتنا الحاضر باللون البني.

(٤) أن الورد هو اللون الذي يعرف في زماننا الحاضر باللون البرتقالي، وليس هو اللون الوردي.

(٥) أن المدهام هو اللون الأخضر الغامق.

(٦) أن اللون الأصفر في القرآن الكريم على معناه المعروف.

(٧) أن من الألوان ما قد يخفى أنه من الألوان عند كثير من الناس؛ فيحتاج إلى بيان كالأخضر، والمدهام.

(٨) أن من الألوان ما احتفظ باسمه إلى وقتنا الحاضر كالأبيض، والأحمر؛ ومنها ما تغير اسمه كالورد.

(٩) أنه لا يجوز الخروج عن المعنى اللغوي الأصلي لاسم أي لون من الألوان إلا بدليل من النقل، أو العقل.

(١٠) أن أكثر الألوان ورودًا في كتاب الله هو اللون الأبيض حيث بلغ مع مشتقاته أحد عشر موضعًا.

وأما التوصيات التي ظهرت لي فهي ما يلي :

(١) أوصي بتأليفٍ يربط المسميات الحديثة للألوان بالمسميات القديمة عند العرب.

(٢) أوصي بتأليفٍ معجمٍ مصور للألوان.

(٣) أوصي بجمع النصوص التي وردت في كلام العرب التي فيها بيان للألوان؛ سواء كانت تلك النصوص شعراً، أم نثراً.

وفي ختام هذه الخاتمة أستغفر الله أن أكون قد فسرْتُ كلامه على غير مراده.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



المصادر والمراجع

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت ٩٨٢ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٢. إعراب القرآن لأحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨ هـ)، تحقيق زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط ٢، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
٣. الأعلام لخير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١٥، ٢٠٠٢ م.
٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل لعبد الله بن عمر البضاوي (ت ٦٨٥ هـ)، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١.
٥. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لإسماعيل باشا بن محمد البغدادي (ت ١٣٣٩ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٦. البحر المحيط لمحمد بن يوسف المعروف بأبي حيان (ت ٧٤٥ هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.
٧. البعث والنشور لأحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق محمد السعيد ابن بسيوني الإياني، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
٨. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لعبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
٩. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي

- (ت ٨١٧هـ)، تحقيق محمد المصري، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
١٠. التفسير البسيط لعلي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق مجموعة من الباحثين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ط ١، ١٤٣٠هـ.
١١. تفسير عبد الرزاق لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)، تحقيق محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
١٢. تفسير غريب القرآن لعبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
١٣. تفسير القرآن لمنصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت ٤٨٩هـ)، المجلد الأول والثاني من تحقيق ياسر بن إبراهيم، ومن المجلد الثالث إلى المجلد السادس من تحقيق غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
١٤. تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، السعودية، الرياض، ط ٢، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
١٥. تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
١٦. تفسير مقاتل بن سليمان، لمقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠هـ)، دراسة وتحقيق عبد الله محمود شحاتة، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

١٧. تفسير يحيى بن سلام (ت ٢٠٠ هـ)، تحقيق هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.
١٨. التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي (ت ٧٤١ هـ)، دار الكتاب العربي، لبنان، ط ٤، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
١٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦ هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط ١، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.
٢٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر، القاهرة، ط ١، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.
٢١. الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.
٢٢. جمهرة اللغة لمحمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١ هـ)، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٧ م.
٢٣. درج الدرر في تفسير الآي والسور لعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، حقق المجلد الأول وليد بن أحمد بن صالح الحسين وشاركه إياد عبد اللطيف القيسي في بقية المجلدات، مجلة الحكمة، بريطانيا، ط ١، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
٢٤. الدر المنثور في التفسير المأثور لعبد الرحمن بن الكمال السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين، مركز هجر، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

٢٥. رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الرّازق بن رزق الله الرّسّعني (ت ٦٦١هـ)، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسد، مكة ط ١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

٢٦. روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الخلوقي البروسوي (ت ١١٢٧هـ)، تصحيح حافظ محمد خير، وأحمد رفعت، المطبعة العثمانية، إستانبول، ١٩٢٨م.

٢٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٢٨. زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

٢٩. سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد بن ماجه القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٣٠. سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، سورية، ط ١، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٣١. سير أعلام النبلاء لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ١١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

٣٢. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط وحققه وعلق عليه محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م - ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٣٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٩٠ م.
٣٤. صفة الجنة لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ)، دراسة وتحقيق علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، دار المأمون للتراث، دمشق، ط ٢، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
٣٥. ضعيف سنن ابن ماجه لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠ هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
٣٦. طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدرنه وي، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
٣٧. طبقات المفسرين لعبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م.
٣٨. طبقات المفسرين لمحمد بن علي بن أحمد الداودي (ت ٩٤٥ هـ)، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
٣٩. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.
٤٠. العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ)، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، دار ومكتبة الهلال، الطبعة والتاريخ (بدون).
٤١. غاية النهاية في طبقات القراء لمحمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الشهير بابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ)، عنى بنشره، ج - برجستراسر.

٤٢. غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة الكرمانى، تحقيق شمران العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة، مؤسسة علوم القرآن بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
٤٣. الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي، مصر.
٤٤. القطع والائتناف لأحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، ط ١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
٤٥. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ضبط وتوثيق الداني بن منير آل زهوي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
٤٦. الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق جمع من الباحثين، دار التفسير، جدة، السعودية، ط ١، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.
٤٧. الكنى والأسماء لمحمد بن أحمد بن حماد الدولابي (ت ٣١٠هـ) تحقيق أبي قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
٤٨. لباب التأويل في معاني التنزيل لعلي بن محمد الخازن (ت ٧٤١هـ)، صححه عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
٤٩. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت.

٥٠. مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ)، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مصر.
٥١. مجالس ثعلب لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١ هـ)، شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ط ٢.
٥٢. المجالسة وجواهر العلم لأحمد بن مروان الدينوري (ت ٣٣٣ هـ)، تحقيق مشهور آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية، البحرين، دار ابن حزم، لبنان، ط ١، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.
٥٣. المحرر الوجيز لعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢ هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.
٥٤. المحكم والمحيط الأعظم لعلي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.
٥٥. مدارك التنزيل وحقائق التأويل لعبد الله بن أحمد النسفي (ت ٧٠١ هـ)، حققه وخرج أحاديثه يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.
٥٦. مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ)، تحقيق ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث، دمشق، ط ٢.
٥٧. المصنف لابن أبي شيبه عبد الله بن محمد بن أبي شيبه الكوفي (ت ٢٣٥ هـ)، تحقيق سعد بن ناصر الشثري، دار كنوز إشبيلية، الرياض، ط ١، ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م.
٥٨. معالم التنزيل للحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ هـ)، حققه محمد عبد الله

- النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، ط ٤، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
٥٩. معاني القرآن لأحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق محمد علي الصابوني، طبع جامعة أم القرى، السعودية، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م - ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.
٦٠. معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
٦١. معجم الأدباء لياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
٦٢. معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
٦٣. مفاتيح الغيب لمحمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
٦٤. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٦٥. نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق إبراهيم السمراي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط ٣، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
٦٦. نكت القرآن الدالة على البيان لمحمد بن علي القصّاب (المتوفى: نحو ٣٦٠هـ)، حققه أكثر من باحث، دار القيم، السعودية، دار ابن عفان، مصر، ط ١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
٦٧. النكت والعيون لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، راجعه

وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٦٨. الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ)، تحقيق مجموعة من الباحثين، جامعة الشارقة، الإمارات، ط ١، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.

٦٩. الوافي بالوفيات لخليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.

٧٠. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعلي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨ هـ)، تحقيق صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

٧١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١ هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان.

٧٢. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لعبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ)، شرح وتحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.



استدراكات

ابن الهائم على السجستاني

في كتابه: "التبيان في تفسير غريب القرآن"

إعداد

د. يزيد بن عبد اللطيف الصالح الخليف

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بقسم الدراسات الإسلامية

كلية الشريعة والقانون — جامعة الجوف

ملخص البحث

تناول هذا البحث دراسة استدراكات ابن الهائم في كتابه: "التبيان في تفسير غريب القرآن" على السجستاني في كتابه: "نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن" من خلال التعريف بابن الهائم والسجستاني وكتايبهما، وذكر صيغ ابن الهائم في الاستدراك، وأبرز معالم منهجه في ذلك، ثم حصر الاستدراكات ودراستها بذكر أقوال العلماء وأدلتهم، ثم الترجيح بالدليل، ومن ثم الوصول إلى صحة استدراك ابن الهائم من عدمه.

وتأتي أهمية هذا البحث من كونه يكشف عن منهج إمام من أئمة التفسير واللغة في الاستدراك، ما له الأثر في تقوية ملكة النظر في الأقوال والترجيح بينها.

وقد خلص هذا البحث إلى أبرز النتائج من أهمها: أن ابن الهائم من العلماء الأعلام الذين لهم باع كبير في اللغة وعلومها، كان له الأثر في بيان الغريب واشتقاقه، وأن استدراكات ابن الهائم على السجستاني انحصرت في عشرة استدراكات، كان الصواب في أغلبها مع ما ذهب إليه ابن الهائم.

كلمات مفتاحية: ابن الهائم، السجستاني، استدراكات، التبيان، نزهة القلوب



المقدمة

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحابه أجمعين، وبعد:

فقد زحرت المكتبة الإسلامية بالكثير من المؤلفات التي عنيت ببيان كلام الله تعالى والكشف عن معانيه، فلا تكاد تجد عالماً من علماء الإسلام إلا وله مؤلف أو أكثر في التفسير وعلوم القرآن.

وقد توارثوا العلم بينهم، وأخذ المتأخر عن المتقدم، ونقل اللاحق قول السابق، حتى توافرت العلوم، وكثرة المؤلفات وتنوعت، فمن مقل ومن مكثر، ومن شارح ومن مختصر.

ولما كان اختلاف الفهوم من طبيعة الخلق -تبعاً لكثير من المعطيات-؛ كان لزاماً أن يكون هناك اختلاف في فهم الخطاب الشرعي، ولذا كان للمتأخر رأي مخالف لبعض ما ينقله عن المتقدمين، يستدرك به عليه، فيبين غامضه تارة، ويصلح خطأه تارة، وينبه على غلطه تارة أخرى، وقد يوفق للحق، وقد يكون الحق في قول من سبق، والمعصوم من عصمه الله.

وقد اهتم الباحثون بهذا النوع من الدراسات، وذلك بجمع استدراكات العلماء ودراساتها، وإبراز مناهجهم فيها.

وتأتي أهمية هذه الدراسات من كونها تكشف عن المناهج التي سار فيها العلماء في استدراكهم، وحصرها ودراساتها ومقارنة أقوال العلماء فيها والترجيح، مما يقوي ملكة النظر في أقوال العلماء وأدلتهم، علاوة على تعلقه بكتاب الله، وشرف العلم بشرف متعلقه.

وفي هذا جاء كتاب "التبيان في تفسير غريب القرآن" للشهاب الدين أحمد بن محمد بن عماد المعروف بابن الهائم (ت ٨١٥هـ) ترتيباً لكتاب "نزهة القلوب في

تفسير غريب القرآن" لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني (ت ٣٣٠هـ)، وقد زاد في بعض المواضع شرحا وبيانا، فكان لامحالة أن يكون له رأي في بعض ما ذهب إليه السجستاني، فاستدركه وبين رأيه فيه. ولذا عزمت على جمع هذه الاستدراكات ودراستها، مجتهدا في بيان القول الصحيح، فكان هذا البحث بعنوان: "استدراكات ابن الهائم على السجستاني في كتابه "التبيان في تفسير غريب القرآن"، راجيا من الله تعالى العون والتوفيق.

مشكلة البحث:

وتكمن مشكلة البحث في خفاء العلاقة بين الكتابين من حيث الموافقة والاستدراك، وخفاء منهجه في الاستدراك، مع عدم معرفة الاستدراكات التي استدرك بها ابن الهائم على السجستاني، ومدى موافقته للصواب فيها.

أهداف البحث:

- يهدف هذا البحث إلى حل إشكالية البحث من خلال ما يأتي:
- الكشف عن العلاقة الدقيقة بين الكتابين، وبيان نسبة الموافقة بينهما.
 - استنباط منهج ابن الهائم في الاستدراك، وألفاظه التي استعملها.
 - حصر الاستدراكات التي استدرك بها ابن الهائم على السجستاني، ودراستها والترجيح.

حدود البحث:

فأما حدود البحث فهي الاستدراكات التي وردت في كتاب "التبيان في تفسير غريب القرآن" لابن الهائم على السجستاني في كتابه "نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن".

منهج البحث وأجراءاته:

وأما منهجه فقد سلك في المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي، وذلك بجمع

الاستدراكات التي ذكرها ابن الهائم على السجستاني في كتابه "التبيان في تفسير غريب القرآن"، ودراسة هذه الاستدراكات ومناقشتها وتحليلها ونقدها وبيان الراجع فيها.

وأما الاجراءات العملية فعلى النحو الآتي:

• حصرت جميع استدراكات ابن الهائم على السجستاني في كتابه "التبيان في تفسير غريب القرآن"، ذكرت نص السجستاني ثم أعقبته باستدراك ابن الهائم في كل مسألة.

- قدمت قول السجستاني في عرض الأقوال مراعاة لتسلسل الاستدراك.
- درست كل استدراك من خلال أقوال العلماء في كل مسألة على حدة، مع ذكر الراجع بدليله، وبيان صحة استدراك ابن الهائم من عدمه.
- عزوت الآيات القرآنية الواردة في البحث بذكر السورة ورقم الآية في المتن.
- خرّجت الأحاديث والآثار من مظانها، مع ذكر درجتها قدر المستطاع.
- طلبا للاختصار، فقد اكتفيت بذكر وفاة الأعلام عَقَبَ ورودها في المتن.
- عزوت الأقوال والنقول إلى أصحابها وفق قواعد العزو والتوثيق العلمية.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة:
المقدمة: وقد اشتملت على أهمية البحث، ومشكلته، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه واجراءاته، وخطته، والدراسات السابقة.

التمهيد: وقد اشتمل على منشأ الاستدراكات ومعناها.

المبحث الأول: الدراسة النظرية لاستدراكات ابن الهائم على السجستاني.

المطلب الأول: السجستاني وكتابه "نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن".

أولاً: التعريف بالسجستاني.

- ثانياً: التعريف بكتاب: "نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن".
- المطلب الثاني: ابن الهائم وكتابه "التبيان في تفسير غريب القرآن".
- أولاً: التعريف بابن الهائم.
- ثانياً: التعريف بكتاب: التبيان في تفسير غريب القرآن.
- المطلب الثالث: الاستدراكات عند ابن الهائم.
- أولاً: صيغ الاستدراك عند ابن الهائم.
- ثانياً: منهج ابن الهائم في الاستدراكات.
- المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية لاستدراكات ابن الهائم على السجستاني.
- المطلب الأول: استدراك ابن الهائم عند قوله تعالى: ﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾.
- المطلب الثاني: استدراك ابن الهائم عند قوله تعالى: ﴿أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾.
- المطلب الثالث: استدراك ابن الهائم عند قوله تعالى: ﴿مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ﴾.
- المطلب الرابع: استدراك ابن الهائم عند قوله تعالى: ﴿مَهْمَا تَأْتَا﴾.
- المطلب الخامس: استدراك ابن الهائم عند قوله تعالى: ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾.
- المطلب السادس: استدراك ابن الهائم عند قوله تعالى: ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾.
- المطلب السابع: استدراك ابن الهائم عند قوله تعالى: ﴿وَاللَّجَمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾.
- المطلب الثامن: استدراك ابن الهائم عند قوله تعالى: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ﴾.
- المطلب التاسع: استدراك ابن الهائم عند قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.
- الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

الدراسات السابقة:

كثرت الأبحاث في استدراكات العلماء، وقلما تجد مفسراً إلا ودُرست استدراكاته، والذي يعنينا هنا هو موضوع البحث وهو استدراكات ابن الهائم وما يتعلق بها.

وبالنظر في قواعد البيانات ومحركات البحث على الشبكة العنكبوتية وفهارس المكتبات، ظهر لي بعض الدراسات المتعلقة بهذا البحث، إلا إنها ليست خاصة باستدراكات ابن الهائم، ولا مناقشتها ودراستها.

ولتفصيل ذلك؛ فإن الدراسات التي سبقت -حسب علمي- هي على النحو الآتي:

• "التبيان في تفسير غريب القرآن" لابن الهائم، تحقيق: عبد القادر محمد أحمد، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في جامعة أم درمان بالسودان عام ٢٠٠١م.

هذا الكتاب هو أصل كتابنا، قام الباحث بتحقيقه وقد قسمه إلى قسمين: الأول: وشمل الدراسة، وقد بدأها بالحديث عن علم غريب القرآن، تعريفه وما يتعلق به، ثم الحديث عن السجستاني والتعريف به وبكتابه: "نزهة القلوب"، ثم الحديث عن ابن الهائم والتعريف به وبكتابه: "التبيان في غريب القرآن". ثم القسم الثاني: وشمل تحقيق نص الكتاب كاملاً.

وهذه الدراسة وإن كانت أصل دراستنا؛ إلا أن الباحث لم يذكر استدراكات ابن الهائم إلا ذكراً يسيراً دون دراسة في معرض الحديث عن منهج ابن الهائم، فقد أشار إلى الاستدراك الأول من هذا البحث كمثال على بيان ابن الهائم لدرجة الأحاديث، دون دراسة له^(١). كذلك الإشارة إلى الاستدراك الرابع (مهما) كمثال لنقد ابن الهائم للسجستاني دون دراسته^(٢).

ومن هنا يتبين مفارقة هذه الرسالة لهذا البحث، حيث ارتكز على حصر الاستدراكات ودراستها وبيان الصحيح فيها.

(١) انظر: التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، أحمد بن محمد (٥٨١٥هـ)، تحقيق عبد القادر محمد

أحمد، أم درمان الإسلامية، السودان، رسالة دكتوراه، ٢٠٠١م، ص ١١٩.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ١٢٠.

• "التبيان في تفسير غريب القرآن" لابن الهائم، تحقيق: د. ضاحي عبد الباقي محمد، من منشورات دار الغرب الإسلامي عام ٢٠٠٣ م.

قدم الباحث بدراسة مختصرة عن ابن الهائم وكتابه، ثم عرف مختصراً بالسجستاني وكتابه، ثم منهج ابن الهائم في كتابه، ثم أعقبه بكامل نص الكتاب محققاً. وهذا الكتاب وإن كان أصل الدراسة؛ إلا أنه لم يُشرُ ألبتة إلى استدراكات ابن الهائم، ويتبين به مفارقه لهذا البحث؛ حيث ارتكز على حصر الاستدراكات ودراستها، وإن وافقه في دراسة المؤلفين؛ إلا إنها من ضرورات البحث.

• التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم، دراسة في التطور الدلالي، لصبري محمد القلشي، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة في جامعة الأزهر، العدد ٢٦، الجزء ٢، لعام ٢٠٠٦ م.

بدأ الباحث دراسته بالتعريف بابن الهائم، ثم بالمراد بالتطور الدلالي، ثم الحديث عن توسيع الدلالة وتعميمها، ثم الحديث عن تضيقها وتخصيصها، ثم الحديث عن انتقالها.

ومفارقة هذه الدراسة لبحثنا ظاهرة، فإنها ركزت على التطور الدلالي عند ابن الهائم، دون النظر إلى تعلق هذا الكتاب بكتاب السجستاني، بل لم يكن كتاب نزهة القلوب مرجعاً لهذا البحث، وهذا البحث كان في استدراكات ابن الهائم على السجستاني.

• ابن الهائم وجهوده في علم النحو واللغة، لنواف بن جزاء الحارثي، بحث منشور في مجلة العقيق، العدد ٦١، ٦٢، المجلد ٣١، لعام ٢٠٠٧ م.

بدأه مؤلفه بالتعريف بابن الهائم، ثم دراسة كتبه ومناهجها، وذكر منها كتاب التبيان، وقد أشار فيه إلى الاستدراك الرابع (مهما)^(١) إشارة سريعة لبيان معلم من

(١) انظر: ابن الهائم وجهوده في علم النحو واللغة، الحارثي، نواف بن جزاء، بحث منشور في مجلة العقيق، العدد ٦١، ٦٢، المجلد ٣١، لعام ٢٠٠٧ م، ص ١٢٦.

معالم منهجه، وهو التعليق على كلام السجستاني، فلم يحصر الاستدراكات ولم يدرسها ويبين صوابها من عدمه، وارتكز بحثنا على حصر الاستدراكات ودراستها والترجيح بينها.

ومن هنا تبين لنا مفارقة هذا البحث للدراسات السابقة، وأنها تهدف إلى حصر استدراكات ابن الهائم واستنباط منهجه فيها، ودراستها وبيان الراجح فيها. ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة الجوف ممثلة بعمادة البحث العلمي على دعم هذا البحث ضمن مشاريع الأبحاث المدعومة بالرقم ٤٠ / ١٥٢، والله أسأل أن يوفقنا للسداد والرشاد وحسن العمل، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



التمهيد

توافر العلماء على التأليف في التفسير قديما وحديثا، منهم من ألف ابتداء كما هو الحال في تفاسير المتقدمين مجاهد (ت ١٠٤ هـ) ومقاتل (ت ١٥٠ هـ)، ومنهم من اختصر تفسيراً لأحد العلماء؛ كما فعل ابن أبي زمنين (ت ٣٩٩ هـ) مع تفسير يحيى ابن سلام (ت ٢٠٠ هـ)، ومنهم من صنع حاشية وشرحا لتفسير مختصر؛ كما فعل البارزي (ت ٧٣٨ هـ) في كتابه "البستان في علوم القرآن" مع الواحدي (ت ٤٦٨ هـ) في "الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز"، ومنهم من أعاد ترتيبا؛ كما صنع ابن الهائم (ت ٨١٥ هـ) في كتابه "التبيان في تفسير غريب القرآن" مع السجستاني (ت ٣٣٠ هـ) في كتابه "نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن".

ولما كان لكل فهم يخصه -وفق مقومات وأسباب-؛ كان للاحق رأي في بعض ما يذهب إليه السابق، فيكمل نقصه ويصلح خلله، ويستدرك عليه خطأه. من هنا ظهرت دراسات تعنى بجمع هذه الاستدراكات ودراساتها وبيان مناهج العلماء فيها، واستعراض أقوالهم وأدلتهم ومناقشتها والترجيح بينها.

معنى الاستدراك:

قال الجرجاني (ت ٨١٦ هـ): "الاستدراك: في اللغة طلب تدارك السامع، وفي الاصطلاح: رفع توهم تولّد من كلام سابق"^(١)، وفي المعجم الوسيط^(٢): "(استدرك) ما فات تداركه، والشّيء بالشّيء تداركه به، وعليه القول؛ أصلح خطأه، أو أكمل نقصه، أو أزال عنه لبسا".

وعليه فإن استدراك المفسر على آخر يكون برفع توهم يقع في كلامه، أو إصلاح

(١) التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد (٨١٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ، ص ٢١.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، دار الدعوة، د. ط، د. ت، ١ / ٢٨١.

خطئه، أو إكمال نقصه، أو إزالة لبسه.

ولا يلزم من استدراك المتأخر على المتقدم صحة استدراكه وسلامته، فربما كان الحق مع المتقدم -لا سيما مع انتشار أصحاب الأهواء في العصور المتأخرة-، ومن هنا جاءت هذه الدراسات؛ لاستنباط مناهج العلماء في الاستدراكات، ودراستها والترجيح، ومنها هذه الدراسة التي ستعرض -بإذن الله تعالى- لاستدراكات ابن الهائم على السجستاني في كتابه "التبيان في تفسير غريب القرآن"، والله المستعان وعليه التكلان.



المبحث الأول

الدراسة النظرية لاستدراكات ابن الهائم على السجستاني

المطلب الأول: السجستاني وكتابه "نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن":

أولاً: التعريف بالسجستاني:

هو أبو بكر محمد بن عَزِيزِ السجستاني^(١). وقد اختلف في اسم أبيه اختلافا كثيرا هل هو: عَزِيزُ الزاي، أم عَزِيزُ الرءاء؟، ولا تكاد تجد ترجمة له إلا ويذكر فيها هذا الخلاف، حتى طغى عليها، وبناء عليه فقد اختلفت نسبته إلى العَزِيزِي، أو العَزِيرِي. تتلمذ على يد أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري المقرئ النحوي الحافظ (ت ٣٢٨هـ)^(٢)، وقد عرض عليه كتابه، فصححه له وأصلح مواضع منه مدة تأليفه خمس عشرة سنة^(٣).

(١) انظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، الأنباري، عبد الرحمن بن محمد (٥٧٧هـ)، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء/الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ، ص ٢٣١، وإكمال الإكمال، ابن نقطة، محمد بن عبد الغني (٦٢٩هـ)، تحقيق د. عبد القيوم عبد ريب النبي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ٤/١٦٣، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، محمد بن أحمد (٧٤٨هـ)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ، ١١/٤٥٦، والوفاء بالوفيات، الصفدي، خليل بن أيبك (٧٤٦هـ)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، د.ط، ١٤٢٠هـ، ٤/٧٠، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، لبنان، د.ط، ١/١٧١، وطبقات المفسرين، الداوودي، محمد بن علي (٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ٢/١٩٥، والأعلام، الزركلي، خير الدين بن محمود (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م، ٦/٢٦٨.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١١/٤٨٩، وبغية الوعاة، السيوطي، ١/٢١٢.

(٣) انظر: طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (٥٢٦هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت، ٢/٦٩-٧٣، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ١١/٤٨٩، والوفاء بالوفيات، الصفدي، ٤/٧١.

وقد برز من تلاميذه ثلاثة كلهم رَووا عنه هذا الكتاب^(١)، وهم:

١. أبو عبد الله عبيد الله بن محمد ابن بطة العكبري، الإمام الفقيه الحنبلي،
(ت ٣٨٧هـ)^(٢).

٢. أبو عمرو عثمان بن أحمد بن سمعان المجاشي البغدادي المقرئ، (ت
٣٦٧هـ)^(٣).

٣. أبو أحمد عبد الله بن الحسين السامري البغدادي، شيخ القراء،
(ت ٣٨٦هـ)^(٤).

أما مؤلفاته: فهذا الكتاب الذي هو أصل كتاب البيان لابن الهائم، وقد سماه:
"نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن".

وكتاب آخر بعنوان: "معرفة اشتقاق أسماء نطق بها القرآن وجاءت بها السنن
والأخبار"، ذكر محققه/ سليمان بن حمد الصقري أن جميع المصادر لم تذكر هذا
الكتاب، إلا أن بعضها أشار إليه، ورجح المحقق أن يكون هو هذا الكتاب^(٥).
كان عالما متقنا متواضعا، شهد له العلماء بالفضل والخير وإتقان التأليف
وضبطه^(٦).

(١) انظر: برنامج التجيبي، التجيبي، القاسم بن يوسف (٥٧٣٠هـ)، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية
للكتاب، ليبيا/ تونس، د. ط، ١٩٨١م، ص ٤٧، وبغية الوعاة، السيوطي، ١/ ١٧١، وطبقات
المفسرين، الداودي، ٢/ ١٩٦.

(٢) انظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ١٩/ ٢٧١.

(٣) انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، محمد بن أحمد (٥٧٤٨هـ)، تحقيق د. بشار
عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ٨/ ٢٦٩.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٢/ ٤٥٥.

(٥) انظر: معرفة اشتقاق أسماء نطق بها القرآن وجاءت بها السنن والأخبار وتأويل ألفاظ مستعملة،
السجستاني، محمد بن عزيز، تحقيق سليمان بن حمد الصقري، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين،
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٥هـ. ص ٢٠، ٢١.

(٦) انظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، الأنباري، ص ٢٣١، وبرنامج التجيبي، التجيبي، ص ٤٧، وسير
أعلام النبلاء، الذهبي، ١٢/ ٤٥٥، وبغية الوعاة، السيوطي، ١/ ١٧١.

توفي - رحمه الله - سنة ثلاثمائة وثلاثين للهجرة^(١).

ثانياً: التعريف بكتاب: "نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن":

ذكرت جميع المصادر التي ترجمت للسجستاني أن له مصنفًا في غريب القرآن، وقد نص بعضها على أن اسمه (نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن)^(٢)، واكتفى أكثرها بذكر موضوعه وأن له مصنفًا في غريب القرآن^(٣).

ألفه في خمس عشرة سنة، يراجعه ويزيد فيه، ويعرضه على شيخه ابن الأنباري، فيصلحه له ويصوبه^(٤)، وقد كثرت نسخه الخطية حتى بلغت ٩٩ نسخة منتشرة في أصقاع المعمورة^(٥).

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٤٥٦/١١، والوافي بالوفيات، الصفدي، ٧٠، ٧١، وبغية الوعاة، السيوطي، ١٧١/١، وطبقات المفسرين، الداوودي، ١٩٦/٢.

(٢) انظر: فهرسة ابن خير الإشبيلي، الإشبيلي، محمد بن خير (٥٥٧٥)، تحقيق محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩/١٩٩٨ م، ص ٩٤، وبرنامج التجيبي، التجيبي، ص ٤٦.

(٣) انظر: الإكمال في رفع الارياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ابن ماكولا، علي بن هبة الله (٤٧٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١/١٩٩٠ م، ٧/٥، والمنتخب من معجم شيوخ السمعاني، السمعاني، عبد الكريم بن محمد (٥٦٢هـ)، تحقيق موفق عبدالله، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ص ٨١١، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، الأنباري، ص ٢٣١، وإكمال الإكمال، ابن نقطة، ٤/١٦٢، وتاريخ إربل، ابن المستوفي، المبارك بن أحمد (٦٣٧هـ)، تحقيق سامي الصقار، دار الرشيد للنشر، العراق، د. ط، ١٩٨٠ م، ١/٤٠١، وتاريخ الإسلام، الذهبي، ٧/٦١٥، والوافي بالوفيات، الصفدي، ١٩/٢٧١، وتوضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، ابن ناصر الدين، محمد بن عبدالله (٨٤٢هـ)، تحقيق محمد العقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م، ٦/٢٧١، وبغية الوعاة، السيوطي، ١٧١/١.

(٤) انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي، ٧/٦١٥، والوافي بالوفيات، الصفدي، ١٩/٢٧١، وبغية الوعاة، السيوطي، ١٧١/١، وطبقات المفسرين، الداوودي، ١٩٦/٢.

(٥) انظر: نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، السجستاني، محمد بن عزيز (٣٣٠هـ)، تحقيق د. يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ص ٣٣.

وقد ابتكر منهجا جديدا في تصنيف هذا المعجم، حيث رتب الألفاظ الغريبة على طريقة التصنيف الألفبائي مع تجريد أوله من أل التعريف أو لام التعليل أو حروف العطف، وإبقاء الكلمة على هيئتها، كل حرف يقسمه إلى ثلاثة أبواب، المفتوح ثم المضموم ثم المكسور، يسير في ترتيب الكلمات داخل الباب في أول ورود له على ترتيب المصحف، وربما خالف طريقته التي التزمها، مما يوهم الباحث في كتابه أن هذه الكلمة غير موجودة، مع أنه فسرها في موضع آخر، بل ربما وضعها في باب من أبواب الحرف بناء على قراءة من القراءات.

نقل فيه عن الكسائي (ت ١٨٩هـ)، وعن ثعلب (ت ٢٩١هـ)، وعن أبي عمرو (ت ٣٤٤هـ) المعروف بغلام ثعلب، وعن الفراء (ت ٢٠٧هـ)، وعن أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ)، وعن الزجاج (ت ٣١١هـ).

المطلب الثاني ابن الهائم وكتابه "التبيان في تفسير غريب القرآن"

أولاً: التعريف بابن الهائم:

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي القرافي المصري ثم المقدسي الشافعي، شهاب الدين المعروف بابن الهائم، ولد سنة ٧٥٣ هـ، وقيل: ٧٥٦ هـ^(١).

فأما القرافي؛ فنسبة إلى القرافة الصغرى أحد أحياء القاهرة^(٢)، وأما المصري؛ فنسبة إلى مصر بلد مولده ونشأت^(٣)، وأما المقدسي؛ فنسبة إلى بيت المقدس انتقل إليها وفيها توفي^(٤)، أما الشافعي؛ فنسبة إلى مذهبه وإليه انتهت مشيخة الشافعية بالقدس^(٥).

وسمع من الجمال الأميوطي (ت ٧٧٩ هـ)، وتفقه على سراج الدين البلقيني (ت ٨٠٥ هـ)^(٦).

(١) انظر ترجمته في: إنباء الغمر بأبناء العمر، ابن حجر، أحمد بن علي (٨٥٢ هـ)، تحقيق د. حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، د. ط، ١٣٨٩ هـ، ٢ / ٥٢٥، وطبقات الشافعية، ابن قاضي شهبه، أبوبكر بن أحمد (٨٥١ هـ)، تحقيق د. الحافظ عبدالعليم خان، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ، ٤ / ١٧، ١٨، وبهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين، الغزي، محمد بن أحمد (٨٦٤ هـ)، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ، ص ١٤٢، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (٩٠٢ هـ)، دار ومكتبة الحياة، بيروت، د. ط، د. ت، ١٥٧ / ٢، ١٥٨، وطبقات المفسرين، الداوودي، ١ / ٨٢، ٨٤، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكاني، محمد بن علي (١٢٠٥ هـ)، دار المعرفة، بيروت، د. ط، ١ / ١١٧، ١١٨.

(٢) انظر: طبقات المفسرين، الداوودي، ١ / ٨٣.

(٣) انظر: إنباء الغمر بأبناء العمر، ابن حجر، ٢ / ٥٢٥، والبدر الطالع، الشوكاني، ١ / ١١٧.

(٤) انظر: المراجع السابقة.

(٥) انظر: بهجة الناظرين، الغزي، ص ١٤٢، والبدر الطالع، الشوكاني، ١ / ١١٧.

(٦) انظر: الضوء اللامع، السخاوي، ٢ / ١٥٧، والبدر الطالع، الشوكاني، ١ / ١١٧.

وعليه تخرج علماء بيت المقدس بعده، منهم: ابنه محمد الذي كان نادرة عصره، فأثكله واحتسبه وصبر، ومنهم: ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) لقيه ببيت المقدس وأفاد منه^(١).

له تأليف كثيرة سارت بها الركبان منها: التبيان في تفسير غريب القرآن - وهو كتابنا -، وترغيب الرائض في علم الفرائض، مختصر تلخيص ابن البناء المسمي بالحاوي، نظم قواعد الإعراب لابن هشام المسمي بـ "تحفة الطلاب" شرحها^(٢)، وغيرها كثير.

أثنى العلماء عليه كثيراً، قال فيه أبو البركات الغزي (ت ٨٦٤هـ): "الإمام العلامة المتفنن في العلوم الشرعية وشيخ الشافعية بالقدس... وكان له - رحمه الله - محاسن كثيرة وعنده ديانة متينة، فجمع على علمه وفضله ودينه،... وكان أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر"^(٣).

وقال فيه السخاوي (ت ٩٠٢هـ): "كان خيرا مهابا معظما قواما بالحق علامة في الفقه وفرائضه والحساب وأنواعه والنحو وإعرابه وغير ذلك"^(٤). توفي - رحمه الله - ببيت المقدس سنة ٨١٥هـ^(٥).

ثانياً: التعريف بكتاب: التبيان في تفسير غريب القرآن:

نص ابن الهائم في مقدمته على تسميته، قال: "وسميته: التبيان في تفسير غريب القرآن"^(٦).

(١) انظر: بهجة الناظرين، الغزي، ص ١٤٢، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، ٢ / ١٥٨.

(٢) انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، ٢ / ١٥٨، والبدر الطالع، الشوكاني، ١ / ١١٨.

(٣) بهجة الناظرين، الغزي، ص ١٤٢.

(٤) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، ٢ / ١٥٧.

(٥) انظر: بهجة الناظرين، الغزي، ص ١٤٢، وطبقات الشافعية، ابن قاضي شهاب، ٤ / ١٧.

(٦) التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، أحمد بن محمد (٨١٥هـ)، تحقيق ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ص ٤٣.

وسبب تأليفه له: إعادة ترتيب كتاب الإمام السجستاني "نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن"، مع الزيادة والتبيين، غايته في ذلك تسهيل مطالعته وتتميم فائدته، وتيسير الوصول إلى معنى الغريب، مع الحرص على إبقاء عبارة السجستاني في الأعم الأغلب.

وقد رتب ابن الهائم كتابه وفق ترتيب المصحف، فقد جعل الأصل في ذلك كتاب السجستاني، فيأخذ اللفظة الغريبة وفق ترتيبها في السورة ثم السورة التي بعدها على ترتيب المصحف، بغض النظر عن ترتيب السجستاني المبني على الألفبائي، ثم يزيد ما يراه متمما للفائدة، قال: "فأريت أن أجمع ما تفرق من غريب كل سورة فيما هو كالفصل، مع زيادة أشياء في بعض المواضع على الأصل؛ لتسهيل مطالعته، وتتم فائدته"^(١)، ويميز هذه الزيادة بعلامة (ز ٥)^(٢)، قال: "والمزيد وإن ارتبط بالأصل في العبارة؛ فيكفيه للتمييز بينهما زاي ودائرة"^(٣).

وقد ذكر ابن الهائم ألفاظا لم يوردها السجستاني في كتابه، بناء على ما قصده في بيان الغريب، والغرابة أمر نسبي، فما لم يكن غريبا في زمان قد يكون غريبا في آخر، وربما ظهر لدى عالم معنى لم يظهر لآخر.

وهذه الزيادات - في الأعم الأغلب - إكمال لبيان الغريب، سواء بيان الكلمة القرآنية، أم بيان كلام السجستاني، وربما كانت لمخالفته - وهو قليل جدا -، فيتعقبه بصيغة من صيغ التعقب والاستدراك.

أما مصادره فكثيرة، تنوعت في التفسير واللغة والحديث والفقه، نص على

(١) المرجع السابق.

(٢) يشير بحرف الزاي إلى الزيادة، وبالدارة الفصل بين الكلامين، وقد درج العلماء سابقا على استعمالها في الفصل بين الكلامين وبين الحديثين، قال السيوطي: "ينبغي أن يجعل بين كل حديثين دائرة، نقل ذلك عن جماعات من المتقدمين"، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ)، تحقيق نظر بن محمد الفاريابي، دار طيبة، د. ط، د. ت، ١ / ٥٠٢.

(٣) التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، ص ٤٣.

بعضها، وأبرزها: العين للخليل (ت ١٧٠هـ)، والزاهر في معاني الكلمات التي يستعملها الناس للأنباري (ت ٣٢٨هـ)، وتهذيب اللغة للأزهري (ت ٣٧٠هـ)، والتذكرة لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، وسر صناعة الإعراب لابن جني (ت ٣٩٢هـ) والصحاح للجوهري (ت ٣٩٣هـ)، ومجمل اللغة لابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، وديوان الأدب للفارابي (ت ٣٩٩هـ)، والوسيط للغزالي (ت ٥٠٥هـ)، والكشاف للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، والروضة للنووي (ت ٦٧٦هـ)، والتدريب للبلقيني (ت ٧٢٤هـ)، والغرر المرضية لابنه محمد (ت ٧٩٨هـ)، وشرح البخاري والقاموس المحيط للفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، والتعليق على الحاوي الصغير وشرح الكفاية في الفرائض للمؤلف نفسه، وشرح الأربعين النووية للمؤلف نفسه، وغيرها مما لم يصرح به كثير، يفيد موسوعيته، وكثرة علومه وتفننه، مما أكسب هذا السفر أهمية وسعة بيان في اختصار.

المطلب الثالث: الاستدراكات عند ابن الهائم

أولاً: صيغ الاستدراك عند ابن الهائم:

تعددت عبارات ابن الهائم في استدراكه على السجستاني، وقد أتت -على سبيل الحصر- على النحو الآتي:

١. (فيه نظر) وقد ورد استعمالها في موضعين باختلاف متعلقها، الأول: حديثي، قال: "وفي صحة الحديث نظر"^(١)، والثاني: تفسيري، قال: "وفي تفسير الخطبة بما ذكر نظر"^(٢).

٢. (ينبغي) استعمالها مرة واحدة على سبيل بيان الأكمل، قال: "ينبغي أن تقول كتاب الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لتمييز بذلك عن المنزل على موسى وعيسى وغيرهما"^(٣).

٣. (الصحيح) وقد استخدمها مرتين في نفس الموضع؛ لتشعب الاستدراك إلى مسألتين، قال في بيان معنى كلمة (مهما): "والصحيح أنها بسيطة لا مركبة من (ما) الشرطية و(ما) الزائدة -كما قال-، ولا من (مه) و(ما) الشرطية خلافاً لمن زعم ذلك، والصحيح أن (مهما) اسم خلافاً للسهيلي"^(٤).

٤. (فيه تساهل) وقد استعمالها في نفس الموضع السابق لبيان تجوّز السجستاني في الإطلاق، وأن التحقيق عدم صحته، قال: "وتعبير العزيزي بحروف الجزاء فيه تساهل"^(٥).

٥. (ويشكل عليه) استعمالها مرة واحدة، وذلك بالإيراد على تفسير

(١) التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، ص ٥٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١١١.

(٣) المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٤) المرجع السابق، ص ١٦٩.

(٥) المرجع السابق، ص ١٦٩.

السجستاني، قال: "ويشكل عليه قوله تعالى: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١]"^(١).

٦. نفي المانع، وقد استعملها مرة واحدة في نفي المانع من إرادة المعنى الذي دلت عليه الآية، قال: "وليس فيه شيء من الامتناع عن المراد به"^(٢).

٧. (وهو الظاهر) واستعملها مرة واحدة أيضا، قال في بيان المراد برحلة الشتاء والصيف: "المشهور العكس وهو الظاهر"^(٣).

٨. إيراد أمثلة زائدة على حصر السجستاني، وقد رود في موضعين بين السجستاني الامتناع في غيرها، فأورد ابن الهائم ما يدل على عدم صحة هذا الحصر، قال السجستاني في الموضع الأول: "وَلَيْسَ فِي النُّعُوتِ فَعْلَى"^(٤)، فاستدرك ابن الهائم بقوله: "يقال: رجل كيصى: أي يأكل وحده، فهذا فعلى وهو صفة"^(٥)، وقال في الموضع الثاني: "ولم تبدل من المَفْتُوحَةِ إِلَّا فِي حَرْفَيْنِ: (أحد)، وامرأة (أناة)"^(٦)، فاستدرك ابن الهائم بقوله: "وزاد أبو الفتح في (سر الصناعة) (أجما) في (وجم) ... و(أسماء) في (وسماء)، وأحسب أن السخاوي زاد على ذلك في مختصر سر الصناعة"^(٧).

ثانياً: منهج ابن الهائم في الاستدراكات:

استدرك ابن الهائم على السجستاني في عشرة مواضع، منها ما كان صريحاً في الاستدراك ومنها ما هو إيماء إليه، وأبرز معالم منهجه في ذلك على النحو الآتي:

(١) التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، ص ٢١٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٠٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٥٢.

(٤) نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، السجستاني، ص ٣١٥.

(٥) التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، ص ٣٠٤.

(٦) نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، السجستاني، ص ٨٨.

(٧) التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، ص ٣٥٤-٣٥٥.

- على طريقة أصل الكتاب فقد جاءت تعليقات ابن الهائم مختصرة، ومن هنا فإن استدراكاته أيضا كانت مختصرة بعيدة عن التطويل وسرد الأدلة، ويظهر هذا فيما سيأتي في الاستدراكات في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى.
- تنوعت استدراكات ابن الهائم فمن جانب يبين خطأ القول، كقوله: "وفي صحة الحديث نظر" ^(١)، وقوله: "وتعبير العزيزي بحروف الجزاء فيه تساهل" ^(٢)، ومن جانب آخر يبين صحة ما ذهب إليه، كقوله: "والصحيح أنها بسيطة لا مركبة... " ^(٣)، وقوله: "المشهور العكس وهو الظاهر" ^(٤)، ولعله - والله أعلم - قصد بصيغ تضعيف القول حين لا يكون الخلاف قويا، أو أن لا يرد خلاف أصلا، فمثلا تضعيفه لإرادة التزويج بالخطبة؛ لم يقل به أحد، فقصد إلى تضعيف هذا القول أو التعبير عنه. ثم إنه يستعمل صيغ تصحيح ما ذهب إليه حال وجود خلاف، فهو بهذا يختار قولاً من الأقوال ويصححه.
- يؤخذ عليه استدراكه بالتضعيف لما حقه البيان، كاستدراكه تفسير السجستاني للخطبة بالتزويج ^(٥)، ذلك أنه لم يقل أحد بأن الخطبة في العقد وقوع عقد النكاح، وإنما طلبه بالتعريض به، فكان الأولى أن يبين قصده وأنه عبر عنه بغايته.
- ربما أورد آية مستدركا بها، فعند بيان السجستاني لمعنى الأساور وأنها من الذهب خاصة قال: "ويشكل عليه قوله تعالى: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١]" ^(٦).
- تجلت براعته اللغوية، وهذا ظاهر في زياداته على كلام السجستاني في الكتاب

(١) التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، ص ٥٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٩.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦٩.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٥٢.

(٥) انظر: ص ٢٣ من هذا البحث.

(٦) التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، ص ٢١٨.

عامة، وفي الاستدراكات بشكل خاص، ولذا فإن غالب استدراكاته كانت لغوية، ومن ذلك قوله في معنى (مهما): "والصحيح أنها بسيطة لا مركبة من (ما) الشرطية و(ما) الزائدة - كما قال -، ولا من (مه) و(ما) الشرطية خلافا لمن زعم ذلك، والصحيح أن (مهما) اسم خلافا للسّهيلي"^(١).

هذه هي أبرز معالم منهجه في الاستدراك، وإن كان قليلا إلا أنه يدل على سعة علمه ودقة لحظه، والله تعالى أعلم.



(١) المرجع السابق، ص ١٦٩.

المبحث الثاني

الدراسة التطبيقية لاستدراكات ابن الهائم على السجستاني

المطلب الأول: استدراك ابن الهائم عند قوله تعالى: ﴿وَرَعَدُ﴾ [البقرة: ١٩]

• قال السجستاني: "رعد: رُوي عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: ((إن الله عز وجل ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق، ويضحك أحسن الضحك، فمنطقه الرعد، وضحكه البرق))" ^(١).

• قال ابن الهائم بعد أن أورد نص كلام السجستاني: "وفي صحة الحديث نظر" ^(٢).

تحرير الاستدراك ودراسته:

أورد السجستاني الحديث مستشهدا به على معنى الرعد والبرق، وأن الرعد هو منطق السحاب، وأن البرق هو ضحكه.

وظاهر عبارة ابن الهائم رد الحديث بالإشارة إلى ضعفه، قصد من ذلك بيان درجة الحديث وليس تقوية معنى الرعد والبرق أو تضعيفه، بدليل أنه ذكر في زيادته أنه جمع الأقوال في معنى الرعد والبرق في موضع آخر، قال: "وللمفسرين في مسمى الرعد أقوال بلغت سبعة، وفي مسمى البرق بلغت ستة، وقد بيّنتها في موضع آخر" ^(٣)، ولم يذكرها ولم يرجح فيما بينها، فتبين أن المقصد هو بيان درجة الحديث.

والحديث رواه أحمد (ت ٢٤١هـ) في مسنده قال: "حدثنا يزيد" ^(٤)، أخبرنا

(١) نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، السجستاني، ص ٢٤١، ٢٤٢.

(٢) التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، ص ٥٤.

(٣) المرجع السابق.

(٤) يزيد بن هارون بن زاذان السلمي، توفي سنة ٢٠٦هـ، قال ابن حجر: "ثقة متقن عابد"، تقريب التهذيب، ابن حجر، أحمد بن علي (٨٥٢هـ)، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦/١٩٨٦ م، ص ٦٠٦.

إبراهيم بن سعد^(١)، أخبرني أبي^(٢)، قال: كنت جالسا إلى جنب حميد بن عبد الرحمن^(٣) في المسجد، فمر شيخ جميل من بني غفار وفي أذنيه صمم، أو قال: وقر، أرسل إليه حميد، فلما أقبل قال: يا ابن أخي، أوسع له فيما بيني وبينك، فإنه قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حتى جلس فيما بيني وبينه، فقال له حميد: حدثني بالحديث الذي حدثتني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الشيخ: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله ينشئ السحاب، فينطق أحسن المنطق، ويضحك أحسن الضحك".

والحديث أخرجه الطحاوي (ت ٣٢١هـ) في "شرح مشكل الآثار"^(٤)، والعقيلي (ت ٣٢٢هـ) في "الضعفاء"^(٥)، والآجري (ت ٣٦٠هـ) في "الشرعية"^(٦)، والبيهقي (ت ٤٥٨هـ) في "الأسماء والصفات"^(٧)، من طرق عن إبراهيم بن سعد به. وبدراسة سنده تبين أن رجاله كلهم ثقات، قال الهيثمي (ت ٨٠٧هـ): "رجاله رجال الصحيح"^(٨)، وقد اتصل سنده وليس فيه إلا جهالة الصحابي ولا تضر جهالة

-
- (١) هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، توفي سنة ١٨٣هـ، وقيل: بعدها، قال ابن حجر: "ثقة حجة تُكَلَّم فيه بلا قاذح"، المرجع السابق، ص ٨٩.
- (٢) هو سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، توفي سنة ١٢٥هـ، وقيل: بعدها، قال ابن حجر: "كان ثقة فاضلا عابدا"، المرجع السابق، ص ٢٣٠.
- (٣) هو حميد بن عبد الرحمن بن عوف، توفي سنة ١٠٥هـ، قال ابن حجر: "ثقة"، المرجع السابق، ص ١٨٢.
- (٤) انظر: شرح مشكل الآثار، الطحاوي، أحمد بن محمد (٣٢١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ١٣/ ٢١٧.
- (٥) انظر: الضعفاء الكبير، العقيلي، محمد بن عمرو (٣٢٢هـ)، تحقيق عبدالمعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ١/ ٣٥.
- (٦) انظر: الشريعة، الآجري، محمد بن الحسين (٣٦٠هـ)، تحقيق د. عبدالله الدميحي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ٢/ ١٠٦٦.
- (٧) انظر: الأسماء والصفات، البيهقي، أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ)، تحقيق عبدالله الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ٢/ ٤١٣.
- (٨) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، علي بن أبي بكر (٨٠٧هـ)، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، د. ط، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ٢/ ٢١٦.

الصحابه، قال الألباني (ت ١٤٢٠ هـ): "قلت: وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، وجهالة الصحابي لا تضر"^(١).

ولم أقف على من أشار إلى ضعفه إلا ابن الهائم.

الخلاصة: أن الحديث صحيح، وأن استدراك ابن الهائم ليس في محله، ولعله لم يقف على الحديث في مظانه، على أن إطلاق الحكم يفيد ضعفه وليس عدم الوقوف عليه، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: استدراك ابن الهائم عند قوله تعالى: ﴿أُنزِلَ فِيهِ

الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]

• قال السجستاني: "قرآن: اسم كتاب الله جل وعز خاصة، لا يُسمى به غيره"^(٢).

• قال ابن الهائم بعده: "ينبغي أن تقول كتاب الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لتمييز ذلك عن المنزل على موسى وعيسى وغيرهما"^(٣).

تحرير الاستدراك ودراسته:

عرّف السجستاني (القرآن) بذكر بعض قيود التعريف فاقصر في تعريفه على أنه (كتاب الله جل وعز)، واستدرك ابن الهائم بما ينبغي أن ينص عليه في التعريف حتى لا يدخل فيه غيره من الكتب السماوية، وذلك بتقييده: بما نزل على محمد ﷺ.

ومعلوم أن التعريف له قيود جامعة لصفات المعرف، مانعة لدخول غيره فيه، وقد اختلفت عبارات العلماء من الأصوليين والفقهائ والمتكلمين واللغويين في

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، محمد ناصر الدين (١٤٢٠ هـ)، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، د.ت، ٢٢٩ / ٤.

(٢) نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، السجستاني، ص ٣٨٠.

(٣) التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، ص ١٠٣.

تعريف القرآن، وغالب تعريفاتهم متقاربة في ألفاظها، ينقلها بعضهم عن بعض، مع زيادة في بعض القيود ونقص، ومنشأ هذا الاختلاف في اعتبار بعض الخصائص قيوداً، أو زيادة بيان لقيد بقيد آخر، ذلك أن للقرآن خصائص كثيرة اختص بها، فاقتصر بعضهم على ذكر خصيصة لا يذكرها الآخر، إضافة إلى أن بيان مسمى جزئي ينطبق على ذلك الجزء وعلى غيره يصعب تمييزه إلا معهوداً في الذهن أو مشاراً إليه، يقول د. محمد عبدالله دراز - رحمه الله - (ت ١٣٧٧ هـ): "لما كان القرآن بهذا المعنى الأسمى جزئياً حقيقياً؛ كان من المتعذر تحديده بالتعارف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص، وذلك شأن كل الجزئيات الحقيقية، لا يمكن تحديدها بهذا الوجه؛ لأنه يقبل الانطباق على كل ما يفرض مماثلاً له في ذلك الوصف ذهنياً وإن لم يوجد في الواقع فلا يكون مميزاً له عن جميع ما عداه، فلا يكون حدّاً صحيحاً. وإنما يحدد الجزئي بالإشارة إليه حاضراً في الحس، أو معهوداً في الذهن، فإذا أردت تعريف القرآن تعريفاً تحديدياً فلا سبيل لذلك إلا بأن تشير إليه مكتوباً في المصحف أو مقروءاً باللسان، فنقول: هو ما بين هاتين الدفتين، أو تقول: هو (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ... إلى: من الجنة والناس). أما ما ذكره العلماء من تعريفه بالأجناس والفصول كما تعرف الحقائق الكلية؛ فإنما أرادوا به تقريب معناه وتمييزه عن بعض ما عداه مما قد يشاركه في الاسم ولو توهموا؛ ذلك أن سائر كتب الله تعالى والأحاديث القدسية وبعض الأحاديث النبوية تشارك القرآن في كونها وحياً إلهياً، فربما ظن ظان أنها تشاركه في اسم القرآن أيضاً، فأرادوا بيان اختصاص الاسم به ببيان صفاته التي امتاز بها عن تلك الأنواع"^(١).

فتعددت التعريفات لهذه الاعتبارات، وقد بسط القول فيها في كتب علوم القرآن^(٢) بما يغني عن إعادته هنا، والذي يهمنا هو هل استدراك ابن الهائم على

(١) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، دراز، محمد بن عبدالله (١٣٧٧ هـ)، اعتنى به أحمد فضيلة، دار القلم، د. ط، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م. ص ٤٣،

(٢) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، محمد عبدالعظيم (١٣٦٧ هـ)، مكتبة عيسى الحلبي،

السجستاني في محله؟ وهل سلم ابن الهائم من الاستدراك عليه بهذا الاستدراك؟
لاشك أن استدراك ابن الهائم فيه زيادة بيان بما يخصص المعرف، إلا أن استدراكه لا يسلم من الاستدراك، فإنه قد أغفل قيوداً في التعريف تخرج غير القرآن، فتعريفه لم يخرج الأحاديث القدسية والكثير من الأحاديث النبوية، لكونها وحياً من عند الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، فيحتاج زيادة قيد في التعريف وهو: التعبد بتلاوته، ليخرج بذلك قراءات الآحاد والأحاديث القدسية.

ولعل السجستاني قصد إلى بيان اختصاص اسم القرآن بهذا الكتاب المعهود، فأراد ألا يسمى القرآن إلا به، ولم يقصد إلى تعريف معناه وبيان قيوده الحاصرة لتعريفه، والله أعلم.

ولذا يغلب على الظن أن الاستدراك ليس في محله، حيث لم يقصد السجستاني تعريف معنى القرآن، وإنما اختصاص المكتوب في المصاحف المعهود بهذا الاسم، والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث: استدراك ابن الهائم عند قوله تعالى: ﴿مِنْ خُطْبَةٍ

النِّسَاءِ﴾ [البقرة: ٢٣٥]

- قال السجستاني: "خطبة: تزويج"^(١).
- قال ابن الهائم بعده: "وقيل: التعريض: تضمين الكلام دلالة على شيء ليس فيه ذكر له، نحو: ما أقبح البخل، يعرض بأنه بخيل. وفي تفسير الخطبة بما ذكر نظر،

الطبعة الثالثة، د.ت، ١/ ١٥-٢١، ودراسات في علوم القرآن، إسماعيل، محمد بكر (١٤٢٦ هـ)، دار المنار، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩ م، وعلوم القرآن الكريم، عتر، نور الدين محمد، مطبعة الصباح، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م، ودراسات في علوم القرآن، الرومي، فهد بن عبدالرحمن، الطبعة الثانية عشرة، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م.
(١) نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، السجستاني، ص ٢١٤.

بل الخطبة: طلب النكاح، أي: خطاب في العقد، عقد النكاح^(١).

تحرير الاستدراك ودراسته:

بين السجستاني الخطبة بأنها: تزويج، واستدرك ابن الهائم على هذا البيان بأن فيه نظير، وأن الخطبة طلب للتزويج، وليست تزويجا، فإن الخطبة خطاب وليست فعلاً. فتحصل أن الاستدراك يتلخص في التزويج أو طلبه. وقد اختلف العلماء في المراد بالخطبة على قولين: الأول: أن المراد بالخطبة التزويج، وهذا ظاهر كلام السجستاني، وتابعه السيوطي^(٢).

الثاني: أن المراد بالخطبة طلب النكاح والتماسه، ثم اختلفوا في اشتقاقه على قولين:

فذهب قوم إلى أن خطبة على وزن فعلة، كجلسة وقعدة، مشتق من الخطب، وهو الحاجة، تقول: ما خطبك؟ أي: ما حاجتك وما شأنك، فقولهم: خطب فلان فلانة، أي: سألتها حاجة وشأنا في نفسها، ومن قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِرُ﴾ [طه: ٩٥]، أي: ما حاجتك، وهو ظاهر كلام الفراء (ت ٢٠٧هـ) الطبري (ت ٣١٠هـ)^(٣).

وقال آخرون: إن اشتقاقه من الخطاب الذي هو الكلام، لأن طالبه خاطب في عقد النكاح متكلم فيه، نقله الواحدي (ت ٤٦٨هـ)^(٤).

(١) التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، ص ١١١.

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ٢ / ١٦٧.

(٣) تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، الطبري، محمد بن جرير (٣١٠هـ)، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ٥ / ١٠٢.

(٤) التفسير البسيط، الواحدي، علي بن أحمد (٤٦٨هـ)، ١٥ رسالة دكتوراه، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ، ٤ / ٢٧٠.

وقريب منه قول الأخفش (ت ٢١٥ هـ): "الخطبة الذَّكر" ^(١)، ومعناه: ذكرٌ يستدعى به عقد النكاح، مأخوذ من الخطاب، وهو توجيه الكلام. والذي يظهر أن القولين المتفرغين عن القول الثاني متقاربان، - وإن كان بينهما معنى دقيق -، فالخطبة بالمعنى الأول هو طلب والتماس وسؤال للحاجة التي في النفس، والثاني خطاب وتكلم بما يحقق الغاية التي في النفس، فعاد الكلام إلى أنهما خطاب وسؤال. أما القول الأول فلم يقصد منه التزويج الذي هو الفعل، وإنما عبر عنه بغايته، وهذا سائغ في العربية، ولعله قصد إلى التخصيص مع الاختصار، وأن المقصود هنا ما كان من قبيل التزويج، وليس الخطبة من قبيل الوعظ، فكان هذا أثرا من آثار اختصار السجستاني في كتابه، بدليل أن السيوطي (ت ٩١١) في موطن آخر بين أن المقصود بالخطبة طلب الخاطب وكلامه، فلعل ابن الهائم فهم كلام السجستاني على غير وجهه، فكان الاستدراك، والأولى أن يبينه بما يزيل إشكاله دون إفادة المخالفة، والله تعالى أعلم.

المطلب الرابع: استدراك ابن الهائم عند قوله تعالى: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا﴾ [الأعراف: ١٣٢].

- قال السجستاني: "مهما تأتينا به من آية: أي ما تأتينا به. وحروف الجزاء توصل ب (ما)، كَقَوْلِكَ: إِنْ مَا تَأْتِنَا، وَمَتَى مَا تَأْتِنَا، فوصلت (ما) ب (ما) فَصَارَتْ (مَا مَا) فاستثقل اللَّفْظُ بِهِ فَأَبْدَلْتُ أَلْفَ [مَا] الْأُولَى هَاءً، فَقِيلَ (مهما)" ^(٢).
- قال ابن الهائم بعده: "والصحيح أنها بسيطة لا مركبة من (ما) الشرطية و(ما) الزائدة - كما قال -، ولا من (مه) و(ما) الشرطية خلافا لمن زعم ذلك، والصحيح

(١) معاني القرآن، الأخفش، سعيد بن مسعدة (٢١٥ هـ)، تحقيق د. هدى قراة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م، ١ / ١٩٠.

(٢) نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، السجستاني، ص ٤١٦.

أن (مهما) اسم خلافا للسهيلي^(١)، وتعبير العزيزي^(٢) بحروف الجزاء فيه تساهل، فإن أدوات الشرط كلها أسماء إلا (إن) باتفاق، و (إذ ما) على الأصح^(٣).

تحرير الاستدراك ودراسته:

ذكر السجستاني أن (مهما) مركبة من (ما) الجزائية -أو الشرطية-، و(ما) الزائدة المؤكدة، وبين ذلك بأن حروف الجزاء ومنها (ما) توصل بـ (ما) المؤكدة أو الزائدة، فتحصل أن (مهما) مركبة، وأنها حرف من حروف الجزاء. وتعقب ابن الهائم بأن (مهما) بسيطة وليست مركبة، وأنها اسم من أسماء الشرط وليست بحرف، وأن أدوات الشرط كلها أسماء. فهل هي بسيطة أم مركبة؟ وهل هي حرف أم اسم؟ اختلف العلماء في (مهما) هل هي بسيطة أم مركبة على قولين: القول الأول: أن (مهما) مركبة، ثم اختلف القائلون بتركيبها: فمنهم من قال إنها مركبة من (ما) الشرطية و(ما) الزائدة ضمت إليها تأكيداً، فأبدلت الألف الأولى هاء استثقالا لتكرار المتجانسين، فصارت (مهما). وإليه ذهب الخليل (ت ١٧٠هـ)^(٤) وأتباعه من البصريين^(٥)، وهو

(١) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، عالم بالعربية والقراءات، ألف: التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، توفي سنة ٥٨١هـ، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، أحمد بن محمد (٦٨١هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ٧، ١٩٩٤م، ٣/ ١٤٣، والوافي بالوفيات، الصفدي، ١٨ / ١٠٠.

(٢) يقصد السجستاني، نسبة إلى أبيه عزيز.

(٣) التيبان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، ص ١٦٩.

(٤) انظر: العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٧٠هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار الهلال، د. ط، د. ت، ٣ / ٣٥٨.

(٥) انظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان، ٤ / ١٨٦٣، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (٧٥٦هـ)، تحقيق د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، د. ط، د. ت، ٥ / ٤٣١، والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد (٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٨٥هـ، ١ / ٥٠٦.

قول السجستاني.

واستدلوا بأنه ليس شيء من حروف الجزاء إلا وتزاد فيها (ما)، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَثَقَّفَتْهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٧]، فالأصل: إن تثقفهم^(١).

ومنهم من قال إنها مركبة من (مه) اسم الفعل التي للزجر مع (ما) الشرطية، ومع التركيب هُجر معنى اسم الفعل، أو أنهما منفصلان كأنهم قالوا: (مه)، ثم قالوا: (ما) تأتينا به).

وإليه ذهب الكسائي (ت ١٨٩ هـ) والأخفش (ت ٢١٥ هـ) والبغداديون^(٢)، وجوزه سيويه (ت ١٨٠ هـ)^(٣).

والدليل على ذلك بأن أكثر استعمالها في مقام النهي والزجر^(٤).

القول الثاني: أن (مه) بسيطة وليست مركبة، وبه قال أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ)^(٥)، وابن هشام (ت ٧٦١ هـ)^(٦) والفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)^(٧)، وهو قول جمهور علماء العربية^(٨)، وهو قول ابن الهائم.

(١) انظر: العين، الفراهيدي، ٣/ ٣٥٨.

(٢) انظر: انظر: ارتشاف الضرب، أبو حيان، ٤/ ١٨٦٣، والدر المصون، السمين الحلبي، ٥/ ٤٣١، والسراج المنير، الخطيب الشربيني، ١/ ٥٠٦.

(٣) انظر: الكتاب، سيويه، عمرو بن عثمان (١٨٠ هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ٣/ ٦٠.

(٤) انظر: جامع الدروس العربية، الغلاييني، مصطفى محمد (١٣٦٤ هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الثامنة والعشرون، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م، ٢/ ١٨٧.

(٥) انظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان، محمد بن يوسف (٧٤٥ هـ)، تحقيق رجب عثمان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م، ٤/ ١٨٦٣.

(٦) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام، عبدالله بن يوسف (٧٦١ هـ)، تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥ م ص ٤٣٦.

(٧) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (٨١٧ هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م، ص ١٣٥٤.

(٨) انظر: العذب النور من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (١٣٩٣ هـ)، تحقيق خالد السبت، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤٢٦ هـ، ٤/ ١١٠.

واستدلوا لذلك بأن التركيب خلاف الأصل، ولا يصار إليه إلا بدليل، ولا دليل على أنها مركبة في الأصل، وكذلك فإنه لم يُنطق بهذا الأصل المركب في موضع من المواضع، فدل على أن دعوى التركيب ضعيفة لا حجة لها، فصار القول ببساطتها هو الأسلم^(١).

وبالنظر في هذه الأقوال وأدلتها، يظهر قوة حجة من قال بأنها بسيطة وليست مركبة لذات الدليل، فإن الأصل عدم التركيب، ولا يصار عنه إلا بدليل، ولا دليل، ويؤيده إنه لم يوجد مركبا لا بصيغة (ما ما) ولا (مه ما).

فأما دليل من قال بأن أصلها (ما) الشرطية و(ما) المؤكدة؛ فلا يقوى للاحتجاج، فإن قبول حروف الجزاء لدخول (ما) لا يقطع بأن أصلها (ما) الشرطية، بدليل أنها لما ترد في موطن من المواطن (ما ما)، مع ورود غيرها من أدوات الشرط بدون (ما)، كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]، على أن (مه ما) مختلف فيها هل هي اسم أم حرف؟ على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

وأما دليل من قال بأنه أصله (مه) اسم الفعل، و(ما) الشرطية؛ فلا حجة فيه، فغلبة مجيئها للنهي والزجر، لا يعطي حكما كلياً، بل إن الحكم الكلي ينخرم بتخلف بعض أفرادها، على أن الغلبة هنا غير مسلّمة.

فتبين رجحان القول الثاني، من أن البساطة أسلم، على أن اتفاق قداما اللغويين من البصريين والكوفيين على تركيبها، -مع استقرار أن التركيب يحتاج إلى دليل- يثير في النفس شيء، فإنهم أقرب إلى عصور الاحتجاج باللغة، وأكثر علما بها، والله تعالى أعلم.

(١) انظر: شرح المفصل، ابن يعيش، يعيش بن علي (٦٤٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ٤ / ٢٦٦، ونواهد الأبتكار وشوارد الأفكار (حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي)، السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ)، ٣ رسائل دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٥م، ٣ / ٤٤٠، والسراج المنير، الخطيب الشربيني، ١ / ٥٠٦.

ثم إن العلماء اختلفوا هل (مهما) حرف أم اسم على قولين:
 القول الأول: أنها حرف، وهو قول السهيلي (ت ٥٨١ هـ)، وابن يسعون
 (ت ٥٤٢ هـ)^(١)، وهو ظاهر كلام الأخفش (ت ٢١٥ هـ)^(٢) والسجستاني.
 واستدلوا لذلك بأنها حرف بمعنى (إن)، بدليل قول زهير بن أبي سلمى:
 وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ ... وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تَعْلَمُ^(٣)
 فهي بمعنى (إن) بدليل أنها لا محل لها من الإعراب^(٤).
 ولأنها أفادت معنى الشرط فيما بعدها، والغالب في إفادة المعاني إنما هي
 الحروف^(٥).

القول الثاني: أنها اسم وهو قول جمهور اللغويين^(٦)، وهو قول ابن الهائم.
 واستدلوا على اسميتها بعود الضمير عليها، ولا يعود الضمير إلا على الاسم،
 فالهاء في قوله: (به) عائد عليها، فدل على أن (مهما) اسم.
 والراجح - والله أعلم - أنها اسم، لقوة دليل القائلين به، وأما دليل من قال بأنها
 حرف من كونها لا محل لها من الإعراب، فيجاب عنه: بأن هذا غير مسلم، فإما أن
 تكون مبتدأ وما بعدها خبر، أو أنها خبر لتكن.

(١) انظر: شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام، عبدالله بن يوسف (٧٦١ هـ)، تحقيق محمد محيي الدين، القاهرة، الطبعة الحادية عشرة، ١٣٨٣ هـ، ص ٣٧، وشرح التصريح على التوضيح، الوقاد، خالد بن عبدالله (٩٠٥ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م، ٢ / ٣٩٨.

(٢) انظر: معاني القرآن، الأخفش، ١ / ٣٣٥.

(٣) انظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني (٦٠٩ م)، المكتبة الشاملة المكية، ١ / ٦.

(٤) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، ص ٤٣٥.

(٥) انظر: شرح المفصل، ابن يعيش، ٤ / ٢٦٦.

(٦) انظر: شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام، ص ٣٧، وارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان، ٤ / ١٨٦٣، وشرح التصريح على التوضيح، الوقاد، ٢ / ٣٩٨.

وما ذكروه من الغالب في إفادة المعاني، فلا حجة فيه، فقد خرج حكمها من الغالب بدلالة عود الضمير عليها.

فتبين رجحان القول الثاني، لقوة دليله وسلامته من المعارضة، وللجواب على دليل القول الأول، والله أعلم.

ومن هنا يتبين لنا صحة استدراك ابن الهائم على السجستاني في كون (مهما) بسيطة وليست مركبة، وأنها اسم وليست بحرف، على أن عبارة ابن الهائم تفيد مقارنة عبارة السجستاني لرأي الجمهور في كونها اسم، حيث قال: (وتعير العزيري بحروف الجزاء فيه تساهل)، فكأنه فهم أن السجستاني لم يقصد إلى حافية (مهما) وإنما أراد بيان وصل (ما) بأدوات الجزاء، وربما حمل عليه كلام الأخفش أيضا، والله أعلم.

المطلب الخامس استدراك ابن الهائم عند قوله تعالى: ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الكهف: ٣١]

• قال السجستاني: "أساور: جمع أسورة، وأسورة جمع سوار، وسوار وهو الذي يلبس في الذراع من ذهب، فإن كان من فضة فهو قلب، وجمعه قلبه" (١).
• قال ابن الهائم: "ويشكل عليه قوله تعالى: ﴿وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١]" (٢).

تحرير الاستدراك ودراسته:

في معرض بيان معنى السوار بين السجستاني أن ما يلبس في الذراع إنما يسمى سوارا إذا كان مصنوعا من ذهب خاصة، فإذا كان من فضة فيسمى قلبا.
وقد أورد ابن الهائم على هذا التخصيص استشكلالا، وهو تسميتها بالأساور مع

(١) نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، السجستاني، ص ٦٨.

(٢) التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، ص ٢١٨.

كونها من الفضة في آية الإنسان، فأشكل على هذا التقسيم.
 فهل الأساور تسمى أساور إذا كانت من ذهب، وقُلْبُ إذا كانت من الفضة؟ أما
 أنها أساور سواء كانت من الذهب أو الفضة؟
 اختلف العلماء في الأساور هل تسمى بذلك سواء كانت مصنوعة من الذهب أو
 من الفضة، أو غيرها؟ أو أن الأساور ما كان من الذهب خاصة على قولين:
 القول الأول: أن الأساور ما أحاط بالمعصم من الحلبي إذا كان مصنوعاً من
 الذهب، فإن كان مصنوعاً من الفضة فهو القُلْبُ، وهو قول السجستاني وابن هشام
 (ت ٥٧٧هـ)^(١) وأبي حيان (ت ٧٤٥هـ)^(٢) والعيني (ت ٨٥٥هـ)^(٣).
 واستدلوا بقوله تعالى: ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الكهف: ٣١]، فسمى الأساور
 بالذهب.

القول الثاني: أن الأساور ما أحاط بمعصم اليد سواء كان من ذهب أو من فضة
 أو غيرهما، نقله الأزهرى (ت ٣٧٠هـ) عن الزجاج (ت ٣١١هـ)^(٤)، وهو قول ابن
 حجر (ت ٨٥٢هـ) وأوهم من فرق بينهما^(٥)، وهو ظاهر اختيار ابن الهائم.
 واستدلوا بقوله تعالى: ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الكهف: ٣١]، مع قوله تعالى:
 ﴿أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١]، فسمّاها أساور وهي من ذهب في آية الكهف،
 وكذلك سمّاها أساور وهي من فضة في آية الإنسان، فتسمتها بهما دليل على أن

(١) انظر: شرح الفصيح، اللخمي، ابن هشام (٥٧٧هـ)، تحقيق د. مهدي عبيد، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ، ص ١٤٠.

(٢) انظر: تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان، محمد بن يوسف (٧٤٥هـ)، تحقيق سمير المجذوب، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ص ١٦٤.

(٣) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، محمود بن أحمد (٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د. ت، ٢٤ / ١٥٠.

(٤) انظر: تهذيب اللغة، الأزهرى، محمد بن أحمد (٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م، ١٣ / ٣٧.

(٥) انظر: فتح الباري، ابن حجر، أحمد بن علي (٨٥٢هـ)، دار المعرفة، بيروت، د. ط، ١٣٧٩ هـ، ٨ / ٩٠.

الأساور تسمى أساور سواء كانت من الذهب أو من الفضة.

والراجح هو القول الثاني لقوة دليله بنص الكتاب، فتسميتها أساور وهي من ذهب في آية الكهف، وكذا من فضة في آية الإنسان دليل على صلاحية هذا الاسم للمسمى بنوعيه الذهب والفضة إذا أحاط بمعصم اليد، قال ابن سيده (ت ٤٥٨هـ): "الجَبارة" ^(١) والأسوار يَكُونان من الذَّهَب والْفِضَّة ^(٢).

وغاية ما يفيد القول الأول صلاحية تعدد الأسماء لمسمى واحد، فما يحيط بمعصم اليد يسمى سوار ويمسى قُلب وكذا يسمى مسكة، وعلى هذا جرى بيانه عند أهل اللغة، قال الأزهري (ت ٣٧٠هـ): "والقُلب من الأسورة: مَا كَانَ قَلْدًا وَاحِدًا" ^(٣).

ويؤيده أن القُلب يطلق على الذهب والفضة أيضا، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في يد عائشة قُلبين ملوين من ذهب فقال: "ألقيهما عنك واجعلي قُلبين من فضة وصفريها بزعفران" ^(٤)، فسماهما قُلبين ذهباً كانا أو فضة.

وعلى هذا يتبين صحة استدراك ابن الهائم على السجستاني، وأن الأسوار يطلق

(١) الجبارة: هي ما يحيط بعضد المرأة من الحلي، انظر: جمهرة اللغة، ابن دريد، محمد بن الحسن (٣٢١هـ)، تحقيق رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، ٢ / ١١٩٦.

(٢) المخصص، ابن سيده، علي بن إسماعيل (٤٥٨هـ)، تحقيق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ١ / ٣٧٢.

(٣) تهذيب اللغة، الأزهري، ٩ / ١٤٤، وانظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر، د. ط، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ٥ / ١٧، وأساس البلاغة، الزمخشري، محمود بن عمرو (٥٣٨هـ)، تحقيق محمود باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ٢ / ٩٦.

(٤) أخرجه السرقسطي، قاسم بن ثابت (٣٠٢هـ)، في الدلائل في غريب الحديث، (تحقيق د. محمد القناص، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) برقم ٦٣٦، ٣ / ١١٥١، قال الألباني، (محمد ناصر الدين (١٤٢٠هـ)، في آداب الزفاف في السنة المطهرة، دار السلام، د. ط، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م)، ص ٢٣٣: "سنده صحيح".

على ما أحاط بمعصم اليد سواء كان من الذهب أو الفضة، مع صحة إطلاق القلب عليهما أيضاً، ولعل السجستاني أراد بيان الغالب في الإطلاق، والله تعالى أعلم.

المطلب السادس: استدراك ابن الهائم عند قوله تعالى: ﴿قَسَمَةٌ

ضِيْزَى﴾ [النجم: ٢٢]

• قال السجستاني: "ضِيْزَى: نَاقِصَةٌ. وَيُقَالُ: جَائِزَةٌ يُقَالُ: ضَاوَهُ حَقَّهُ، إِذَا نَقَصَهُ، وَضَاوُ فِي الْحَكْمِ إِذَا جَارَ. وَضِيْزَى وَزَنَهُ فُعْلَى فَكَسَرَتِ الضَّادُ لِلْيَاءِ، وَلَيْسَ فِي النُّعُوتِ فُعْلَى"^(١).

• قال ابن الهائم بعده: "يقال: رجل كيصى: أي يأكل وحده، فهذا فُعْلَى وهو صفة. اللهم إلا أن يدعى فيه مثل ضِيْزَى وأن أصله فُعْلَى فيحتمل"^(٢).

تحرير الاستدراك ودراسته:

بين السجستاني أن كلمة (ضِيْزَى) على وزن (فُعْلَى) كسرت الضاد فيها لمناسبة الياء بعدها، فالكسر ليس أصلياً، وإنما للمناسبة، وأعقب بيانه بأن النعوت في العربية لا تأتي على وزن (فُعْلَى).

وتعقبه ابن الهائم: بانخراص القاعدة التي نقلها من أن النعوت لا تأتي على وزن (فُعْلَى) بوجود ذلك في كلمات أخرى، وهي نعوت، ومثل لذلك بكلمة (كِيْصَى)، ثم احتمل اعتراضاً قد يرد عليه؛ بأن مثل كلمة (كِيْصَى) كمثال كلمة (ضِيْزَى)، من أنها في الأصل مضمومة وكسرت لمناسبة الياء، وألمح بالجواب على هذا الاعتراض بأنها دعوى لا دليل عليها.

فهل النعوت في اللغة العربية لا تأتي على وزن (فُعْلَى) بالكسر، أم أنها تأتي وهي نادرة؟

(١) نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، السجستاني، ص ٣١٥.

(٢) التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، ص ٣٠٤.

اختلف علماء اللغة في ذلك على قولين:

القول الأول: أن النعوت في اللغة العربية لا تأتي على وزن (فعلٍ) بالكسر، وأن ما وجد منها كما في كلمة (ضيزي) فالأصل فيها (فُعِلِي)، كُسرت الفاء لئلا تنقلب الياء واوًا، وهو قول سيبويه (ت ١٨٠ هـ)^(١) وجماهير اللغويين^(٢)، بل حكى الإجماع عليه أبو إسحاق الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ) كما نقله عنه الواحدي (ت ٤٦٨ هـ)، وهو اختيار السجستاني.

واستدلوا بأنه ليس في كلام العرب صفات على وزن (فعلٍ) بالكسر، وإنما هو من أبنية الأسماء كـ (الشَّعْرَى)، وإنما كسروا الضمة لتصحح الياء، كما فعلوا في (بَيَّضَ)، وأصلها (بُيَّضَ).

وإنما قلبوا الحركة ولم يقلبوا الياء واوًا—مثل: طوبى—؛ للفرق بين الاسم والصفة، حيث إن الاسم أخف من الصفة، فالصفة في معنى الفعل، والأفعال أثقل من الأسماء، والواو أثقل من الياء، فخصوا القلب بالاسم ولم يكن في الصفة لئلا تزداد ثقلًا^(٣)، مع أمن اللبس، لتقرر امتناع هذا الوزن في الصفات^(٤). فتحصل من

(١) انظر: الكتاب، سيبويه، ٤ / ٣٦٤.

(٢) انظر: معاني القرآن، الفراء، يحيى بن زياد (٢٠٧ هـ)، تحقيق أحمد النجاشي وآخرون، دار المصرية للتأليف، مصر، الطبعة الأولى، د.ت، ٣ / ٩٨، وغريب القرآن، ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (٢٧٦ هـ)، تحقيق أحمد صقر، دار الكتب العلمية، د.ط، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، ص ٤٢٨، وليس في كلام العرب، ابن خالويه، الحسين بن أحمد (٣٧٠ هـ)، تحقيق أحمد عبدالغفور، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م، ص ٢٥٦، وتفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، محمد بن عبدالله (٣٩٩ هـ)، تحقيق حسين عكاشة ومحمد الكنز، دار الفاروق الحديثية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م، ٤ / ٣٠٩، والكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، أحمد بن إبراهيم (٤٢٧ هـ)، تحقيق د. صلاح باعثمان وآخرون، دار التفسير، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م، ٢٥ / ١٢٧.

(٣) انظر: شرح المفصل، ابن يعيش، ٥ / ٤٧٥.

(٤) انظر: شرح التصريف، الثماني، عمر بن ثابت (٤٤٢ هـ)، تحقيق د. إبراهيم البعيمي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م، ص ٥٣٥.

ذلك امتناعه لعدم وروده في كلام العرب، وأن ما حصل مع هذه الكلمة هو الابدال خشية الثقل.

القول الثاني: أن النعوت قد تأتي على وزن (فعلٍ) بالكسر، وأنها نادرة الوقوع، وأشار إلى صحته الخليل (ت ١٧٠ هـ)^(١)، وقول الأخفش (ت ٢١٥ هـ)^(٢)، وحكي عن ثعلب (ت ٢٩١ هـ)^(٣)، وقال به ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ)^(٤)، وإليه مال ابن الهائم. استدلوا بقراءة ابن كثير (ت ١٢٠ هـ): (ضئزئ)^(٥)، ولو كان أصله (فعلٍ) بالضم لكان أصله (ضوزئ) ولم يرد، فهو من ضأزه يضأزه ضئزئ^(٦).

وأجابوا عن دليل القول الأول: بأن حجتهم عدم وروده عن العرب، أما وقد وجدته هذه الكلمة فهو دليل وروده عندهم، كيف وقد وجد غيرها، فقد حكي عن ثعلب (ت ٢٩١ هـ): "رجل (كيسئ) إذا يأكل وحده، وقد كاص طعامه إذا أكله وحده"^(٧)، والألف فيه للإلحاق، فدل على أنها تأتي (فعلٍ) بالكسر^(٨).

ونقل عنهم أيضا: "امرأة (حيكئ) وهي التي تحيك في مشيها، أي: تحرّك

(١) قال في العين، الفراهيدي، ٧ / ٢١١: "ولو قيل: بُنيت على فَعْلَى لم يكن خطأ".

(٢) انظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان، ١ / ١٩٠.

(٣) انظر: المخصص، ابن سيدة، ٥ / ٦١.

(٤) انظر: المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك)، الشاطبي، إبراهيم بن موسى (٧٩٠ هـ)، معهد البحوث بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م، ٩ / ١٧٨.

(٥) انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، محمد بن محمد (٨٣٣ هـ)، تحقيق علي الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، د. ط، د. ت، ١ / ٣٩٥، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، البناء، أحمد بن محمد (١١١٧ هـ)، تحقيق أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م، ص: ٥٢٢.

(٦) انظر: التفسير البسيط، الواحدي، ٢١ / ٤٧، وشرح درة الغواص في أوهام الخواص، الخفاجي، أحمد ابن محمد (١٠٦٩ هـ)، تحقيق عبد الحفيظ فرغلي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م، ص ٢٠٧.

(٧) انظر: التفسير البسيط، الواحدي، ٢١ / ٤٧.

(٨) انظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان، ١ / ١٩١.

منكبيها"^(١)، وغيرها، ودعوى أن يقال فيها ما قيل في (ضيزي) لا تصح؛ إذ الأمر يفضي إلى الدور، فيُمتنع القول بصحة (فعلى) نعتاً؛ لعدم وروده عن العرب، ويمتنع أصالة ما ورد عن العرب؛ لأنه مبدل عن الأصل، فإن كان الأصل هو وروده عن العرب؛ فقد ورد - وإن كان نادراً -، وإن كان مبدلاً فيحتاج إلى دليل ولا دليل. فتحصل من ذلك صحة ورود هذا الوزن نعتاً - وإن كان قليلاً -، وهو ما ذهب إليه ابن الهائم، والله تعالى أعلم.

المطلب السابع: استدراك ابن الهائم عند قوله: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦].

- قال السجستاني: "النَّجْمُ وَالشَّجَرُ يسجدان: فالنجم ما نجم من الأرض، أي: طلع ولم يكن على ساق كالعشب والبقول. وَالشَّجَرُ ما قام على ساق، وسجودهما أنَّهما يستقبلان الشمس إذا طلعت ثم يميلان معها حتى ينكسر الفيء، والسُّجُود في جميع المَوَات الاستسلام والانقياد لما سخر له"^(٢).
- قال ابن الهائم بعده: "وليس فيه شيء من الامتناع عن المراد به"^(٣).

تحرير الاستدراك ودراسته:

في معرض بيان السجستاني لمعنى النجم والشجر، تطرق لبيان معنى سجودهما، وأنه سجود حقيقة حسي متمثل في استقبالهما للشمس ثم يميلان معها حتى ينكسر الفيء، ثم أعقبه ببيان سجود الموات (الجمادات) بأنه الاستسلام والانقياد لما سخر له. فكانه بهذا فرق سجود الكائنات الحية وبين سجود الجمادات، فالكائنات الحية

(١) شرح المفصل، ابن يعيش، ٥ / ٤٧٥.

(٢) نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، السجستاني، ص ٤٦٨-٤٦٩.

(٣) التيبان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، ص ٣٠٧.

لها سجود حسيّ يخصصها بالصورة المعروفة، أما الموات (الجمادات) فإن سجودها معنوي مجازي متمثل في الاستسلام والانقياد لما سُخر له.

ثم إن ابن الهائم استدرك على السجستاني هذا، حيث أشار إلى أنه ليس في الآية -أو في القرآن- ما يدل على امتناع إرادة معنى السجود حقيقة، فغاية ما فيه اثبات السجود لما لا يعقل سواء في هذه الآية أو في غيرها كآية الرعد: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا لَهُمْ بِالْعُذُورِ وَالْأَصَابِلِ﴾ [الرعد: ١٥]، وآية النحل: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٤٩] وغيرها.

فهل سجود ما لا يعقل -ومنه النجم والشجر- حقيقة أم مجاز؟ وهل هو حسي أم معنوي؟

اختلف العلماء في ذلك على قولين:

القول الأول: أن سجود النجم والشجر سجود معنوي، شبه انقيادها بانقياد الساجد لخالقه، واستعمل فيه لفظ السجود على سبيل المجاز^(١)، وهو حاصل ما ذهب إليه السجستاني.

ثم اختلفت عبارة أصحاب هذا القول في بيان معنى هذا الانقياد ونوعه، فقال ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)^(٢) وأبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ)^(٣): إنه الانقياد لله تعالى والاستسلام والخضوع له^(٤)، من قولك: سجد البعير إذا طأطأ رأسه ليُركب،

(١) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد (١٣٣٢ هـ)، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ، ٩ / ١٠١.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (٢٧٦ هـ)، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت، ص ٢٣٦.

(٣) انظر: إعراب القرآن، النحاس، أحمد بن محمد (٣٣٨ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ، ٤ / ٢٠٤.

(٤) انظر: تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، الرازي، محمد بن عمر (٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي، =

وسجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل، ويقال: اسجد لقرْدِ السوء في زمانه، أي: اخضع له، واحتجوا بقول الشاعر:

بِحَيْشٍ تَضِلُّ الْبُلُقُ فِي حَجَرَاتِهِ... تَرَى الْأَكْمَ فِيهِ سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ^(١)
حَجَرَاتُهُ، أي: جوانبه، يريد أن حوافر الخيل قد قلعت الأكم ووطئتها حتى خشعت وانخفضت^(٢).

فهو استدلال بالمعنى اللغوي على أن المراد بالسجود هو الخضوع والاستسلام.

وقال أبو مسلم الاصفهاني (ت ٣٢٢هـ): "هو بيان أثر الصنعة فيه والخضوع الذي يدل على أنه مخلوق"^(٣).

وقال القشيري (ت ٤٦٥هـ): "سجود دلالة على إثبات الصانع بنعت استحقاقه للجلال"^(٤).

وقال بعضهم أنه: الانقياد لما سُخِرا له، وأنهما لا يمتنعان من هذا التسخير،

بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ، ٢٠ / ٢١٥، وتفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، القرطبي، محمد بن أحمد (٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم إطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، ١٧ / ١٥٤، وتفسير ابن جزي (التسهيل لعلوم التنزيل)، ابن جزي، محمد بن أحمد (٧٤١هـ)، تحقيق د. عبدالله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ٢ / ٣٢٧، وتفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود، محمد بن محمد (٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د. ت، ٨ / ١٧٧.

(١) بيت لزيد الخليل (ت ١٠هـ)، وهو من الطويل، انظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (٥٠٢هـ)، دار الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ١ / ١٥٩.

(٢) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص ٢٣٦.

(٣) نقله في تفسير الماوردي (النكت والعيون)، الماوردي، علي بن محمد (٤٥٠هـ)، تحقيق السيد عبدالمقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت، ٥ / ٤٢٤.

(٤) تفسير القشيري (لطائف الإشارات)، القشيري، عبدالكريم بن هوازن (٤٦٥هـ)، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة، د. ت، ٣ / ٥٠٤.

تشبيهها لهما بحال الساجدين المنقادين^(١).

ومرجع هذه الأقوال إلى أن السجود استعمل استعمالاً مجازياً يفيد أن الله تعالى خلق في هذه المخلوقات دلالات كثيرة على أنه موجودها وخالقها، منقاداً إليه خاضعة له، وأنه المستحق للعبادة سبحانه^(٢).

القول الثاني: أنه سجود حسي حقيقة^(٣)، ولكنهم اختلفوا في كيفيته:

فقال الفراء (ت ٢٠٧ هـ): "أنهما يستقبلان الشمس إذا طلعت، ثمَّ يميلان معها حتَّى ينكسر النفيء"^(٤).

وقال الزجاج (ت ٣١١ هـ): "سجودهما دوران الظل معهما كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلُّهُ، عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ [النحل: ٤٨]"^(٥).

(١) حكاة السمعاني (تفسير السمعاني، السمعاني، منصور بن محمد (٤٨٩ هـ)، تحقيق ياسر إبراهيم، وغنيم عباس، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ، ٣٢٣ / ٥، والمخشي في (تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل)، الزمخشري، محمود بن عمرو (٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ، ٤ / ٤٤٣.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (١٣٩٣ هـ)، الدار التونسية، تونس، د. ط، ١٩٨٤ هـ، ٢٧ / ٢٣٧.

(٣) انظر: معاني القرآن، الفراء، ١١٢ / ٣، وتفسير الطبري، الطبري، ١٣ / ٢٢، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج، إبراهيم بن السري (٣١١ هـ)، تحقيق عبدالجليل عبده، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ٩٦ / ٥، وتفسير الماوردي، الماوردي، ٥ / ٤٢٤، والتفسير البسيط، الواحدي، ١٣٧ / ٢١، وتفسير السمعاني، السمعاني، ٣٢٣ / ٥، وتفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، ابن عطية، عبدالحق بن غالب (٥٤٢ هـ)، تحقيق عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ، ٢٢٤ / ٥، وتفسير العز بن عبدالسلام، لعز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام (٦٦٠ هـ)، تحقيق د. عبدالله الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م، ٢٦٢ / ٣، وتفسير القرطبي، القرطبي، ١٧ / ١٥٤، وتفسير العثيمين، العثيمين، الحجرات - الحديد، ص ٣٠٣.

(٤) معاني القرآن، الفراء، ١١٢ / ٣.

(٥) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٩٦ / ٥.

وقال سعيد بن جبير (ت ٩٥ هـ): معنى سجود النجم والشجر أنه سجود أظلالهما، رواه الطبري (ت ٣١٠ هـ)^(١)، وهو قول الضحاك (ت ١٠٢ هـ)^(٢)، فهذه الأظلال واقعة على الأرض، تشبه في شكلها شكل الساجدين، فلذلك أطلق عليها هذا اللفظ^(٣).

وقال بعضهم: إن النجم والشجر رؤوسهم على الأرض وهي الجذور وأرجلها في الهواء وهي الأغصان والفروع، فهما في حالة سجود دائمة، نقله الرازي (ت ٦٠٦ هـ)^(٤).

وقال بعضهم: أن سجود النجم أقوله - على القول بأنه النجم المعروف وليس النبات الذي لا ساق له -، وسجود الشجر إمكان الاجتناء من ثماره، حكاه الماوردي (ت ٤٥٠ هـ)^(٥).

وقال السمعاني (ت ٤٨٩ هـ): "إن سجود الموات ثابت بنص الكتاب، هو على ما أراد الله تعالى، والعلم بحقيقته موكل إليه، وهو مذهب أهل السنة"^(٦)، وهو مفهوم استدراك ابن الهائم، واختاره ابن عثيمين في تفسيره^(٧)، واستدلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿تَسْبُحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فالتسبيح حقيقة واقع من هذه الجمادات، إلا إن كيفية غير معلومة؛ فكذا سجود، واقع حقيقة، لكنه غير معلوم الكيفية، فأمره إلى

(١) تفسير الطبري، الطبري، ٢٢ / ١٣.

(٢) انظر: تفسير القرطبي، القرطبي، ١٧ / ١٥٤.

(٣) انظر: تفسير الرازي، الرازي، ٢٠ / ٢١٦.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٢٩ / ٣٤١.

(٥) انظر: تفسير الماوردي، الماوردي، ٥ / ٤٢٤.

(٦) تفسير السمعاني، السمعاني، ٥ / ٣٢٣.

(٧) تفسير العثيمين، العثيمين، محمد بن صالح (١٤٢٠ هـ)، دار الثريا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م، الحجرات - الحديد، ص: ٣٠٣.

الله تعالى، كما قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ١٨].
وحاصل هذه الأقوال أن السجود يقع حقيقة بصورة محسوسة، لكنهم اختلفوا في كيفيةها.

والذي يظهر أن الراجع قول من قال إن السجود يقع حقيقة، قد أثبتته الله في كتابه ولكن كيفية غير معلومة كما قال تعالى في التيسيح: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، وهذا الذي تدل عليه الأدلة.

فأما القول الأول فالسجود فيه استعارة على التجوز، وهذا تغليب للمعنى اللغوي، وفيه ترك للمعنى الشرعي وهو إثبات السجود، وقد توافرت الآيات على إثباته، وكما أنا لا نعلم كيفية تسبيح الكائنات مع وقوع التيسيح منها؛ فذلك السجود، نشبه مع إيكال معرفة كيفية إلى الله، كما بينه الله تعالى.

وأما القول الثاني القاضي بإثبات السجود حقيقة بصورة محسوسة، فاختلاف أصحابه في كيفية مع عدم الدليل؛ دليل على أنه ليس شيء من هذه الصور مثبتة، وأما احتجاج الزجاج (ت ٣١١ هـ) بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ [النحل: ٤٨]، ففيه إثبات سجود ما خلق الله مع لفت الأنظار إلى تفيؤ ظلاله عن اليمين والشمال، وعلى القول بسجود الظلال، فكيف يكون سجود ما لا ظلال له كالمختفي في باطن الأرض؟

فيبقى المصير إلى شبهها في النظم القرآني، وهي قضية التيسيح، فيثبت كما أثبتته الله، وكيفية إليه سبحانه.

وعلى هذا فإن استدراك ابن الهائم في محله من أن السجود مراد حقيقة، وإن لم يفصل في المراد به، والله تعالى أعلم.

المطلب الثامن: استدراك ابن الهائم عند قوله تعالى: ﴿لَا يَلْفُ قَرِيْشٍ﴾ [قریش: ١].

- قال السجستاني: "وَكَاَنَتْ لَهُمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ رَحْلَتَانِ: رَحْلَةُ الشَّاءِ إِلَى الشَّامِ، وَرَحْلَةُ الصَّيْفِ إِلَى الْيَمَنِ"^(١).
- قال ابن الهائم بعده: "المشهور العكس وهو الظاهر، وقيل غير ذلك"^(٢).

تحرير الاستدراك ودراسته:

بعد أن بين السجستاني معنى كلمة (إيلاف)، وأنها تعني إلف قريش لرحلتي الشتاء والصيف؛ أعقب ذلك ببيان جهة الرحلتين وأن رحلة الشتاء إلى الشام، ورحلة الصيف إلى اليمن.

واستدرك ابن الهائم على هذا بأن المشهور عند العلماء أن رحلة الشتاء إلى اليمن، وأن رحلة الصيف إلى الشام، ورجحه بقوله: "وهو الظاهر".

وقد اختلف العلماء في المراد بالرحلتين على ستة أقوال:

القول الأول: أن لقريش رحلتين، رحلة في الشتاء إلى الشام، وفي الصيف إلى اليمن، وإليه ذهب مقاتل والزجاج^(٣)، وهو قول السجستاني.

قالوا: بأن ساحل البحر أدفأ، فإذا كان الصيف تركوا طريق الشام والبحر من أجل الحر وأخذوا إلى اليمن.

القول الثاني: أن رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام، وهذا هو القول المشهور^(٤)، وهو قول جمهور المفسرين^(١)، وبه قال ابن عباس في رواية

(١) نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، السجستاني، ص ٥٠٠.

(٢) التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، ص ٣٥٢.

(٣) انظر: التفسير البسيط، الواحدي، ٢٤ / ٣٤٧.

(٤) انظر: تفسير الرازي، الرازي، ٣٢ / ٢٩٧، وانظر: تفسير الطبري، الطبري، ٢٤ / ٦٢٢، والكشف والبيان، الثعلبي، ٣٠ / ٣١٨، وتفسير الماوردي، الماوردي، ٦ / ٣٤٧، وتفسير القشيري، القشيري،

عطاء^(٢)، وابن زيد والكلبي^(٣)، ورجحه ابن الهائم.

وعلى أصحاب هذا القول بأنه أظهر للنعمة، حيث إن بلاد اليمن في الشتاء تكون أدفأ، وأكثر في المحاصيل الزراعية، وبلاد الشام في الصيف تكون أبرد وتكثر فيها الفواكه، فيمتارون من هذه في وقتها ومن هذه في وقتها، فيتجرون وتحصل لهم المكاسب الكثيرة والفوائد الكبيرة^(٤).

القول الثالث: أن الرحلتين كانتا إلى الشام، فمن الشام أرض باردة، ومنها أرض حارة، فكانوا يرحلون في الشتاء إلى الحارة، وفي الصيف إلى الباردة، وهو قول أبي صالح^(٥) وعكرمة^(٦).

القول الرابع: كانت لقريش أربع رحل، رحلة إلى الشام وأخرى إلى الحبشة، وثالثة إلى اليمن، ورابعة إلى فارس، وبه قال النقاش (ت ٣٥٢ هـ)، ومال أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) إلى تأييده، حيث قال -بعد أن ذكر قول النقاش ورد ابن عطية (ت ٥٤٢ هـ) له-: "ولا ينبغي أن يرد، فإن أصحاب الإيلاف كانوا أربعة إخوة وهم

٣/ ٧٧١، والتفسير البسيط، الواحدي، ٢٤/ ٣٤٦، وتفسير السمعاني، السمعاني، ٦/ ٢٨٦، وتفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، البغوي، الحسين بن مسعود (٥١٠ هـ)، تحقيق عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ، ٥/ ٣١٠، والكشاف، الزمخشري، ٤/ ٨٠١، والمححر الوجيز، ابن عطية، ٥/ ٥٢٥، وتفسير ابن جزي، ابن جزي، ٢/ ٥١٤، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (٧٥٦ هـ)، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م، ٢/ ٣٦٧.

(١) انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ١/ ٦١، وزاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (٥٩٧ هـ)، تحقيق عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ، ٤/ ٤٩٤.

(٢) انظر: تفسير الرازي، الرازي، ٣٢/ ٢٩٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري، الطبري، ٢٤/ ٦٢٢.

(٤) انظر: تفسير العثيمين، العثيمين، جزء عم، ص ٣٢١.

(٥) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي، ٣٠/ ٣١٨، والمححر الوجيز، ابن عطية، ٥/ ٥٢٥.

(٦) انظر: تفسير الماوردي، الماوردي، ٦/ ٣٤٧.

- بنو عبد مناف هاشم، ... فتكون رحلة هنا اسم جنس يصلح للواحد ولأكثر^(١).
- القول الخامس:** أنهم كانوا يشتون بمكة لدفتها، ويصيفون بالطائف لهوائها وبرادها، فيرحلون في الشتاء إلى مكة، ويرحلون في الصيف إلى الطائف، فهذه رحلة الشتاء والصيف، وهو قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير^(٢).
- القول السادس:** أن المراد رحلة الناس إلى أهل مكة، فرحلة الشتاء والصيف في عمرة رجب والحج في ذي الحجة، فأحدهما في الشتاء والأخرى في الصيف، فكان الناس يأتون إلى مكة فيهما فيجد أهل مكة حاجتهم ويحصل لهم النفع^(٣).
- والراجع هو القول الثاني، -وهو قول الجمهور- وذلك لقوة تعليله وسلامته من المعارضة، فإن رحلة قريش معلومة مشهورة في الجاهلية والإسلام^(٤)، وظهور المنّة بحصول النفع، وذلك بقضاء الحاجة وقت وفرتها في بلد الرحلة، وهذا حاصل في الشتاء من اليمن، وفي الصيف من الشام، ويُستأنس له بما روي عن ابن عباس عن أبيه عن جده قال: (خرجت إلى اليمن في رحلة الشتاء)^(٥).
- فأما القول الأول؛ فيشكل عليه أن الشام كلها بلاد باردة في الشتاء، وأن خيراتها وثمراتها في فصل الصيف أكثر وأظهر، كما أن اليمن في الشتاء أدفأ وخيراتها وثمراتها في الصيف أكثر وأوفر، ومعلوم أن الرحلة للتجارة، والتاجر يتحين وقت وفرة
-
- (١) البحر المحيط في التفسير (١٠ / ٥٤٩)
- (٢) انظر: تفسير الطبري، الطبري، ٢٤ / ٦٢٣، وزاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ٤ / ٤٩٤، وتفسير القرطبي، القرطبي، ٢٠ / ٢٠٦.
- (٣) انظر: تفسير الرازي، الرازي، ٣٢ / ٢٩٧، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، محمد سيد، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، د.ت، ١٥ / ٥١٥.
- (٤) انظر: فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي (١٢٥٠ هـ)، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ، ٥ / ٦٠٩.
- (٥) انظر: معجم ابن الأعرابي، ابن الأعرابي، أحمد بن محمد (٣٤٠ هـ)، تحقيق عبد المحسن الحسيني، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م، ٢ / ٧٥٨، وفي سنده عبد العزيز بن عمران، قال ابن حجر: "متروك"، تقريب التهذيب، ابن حجر، ص ٣٥٨.

الخيرات ليتزود بما يحقق له مكاسبه وفوائده.

وأما القول الثالث؛ فإن تخصيص الرحلة شتاء وصيفا بالشام مخالف لما عُلم من حال قريش، فإنهم كانوا يرددون بينهما، ويؤيده ما ذكر أنفا عن ابن عباس عن أبيه عن جده من أنه كان يرحل إلى اليمن في رحلة الشتاء.

وأما القول الرابع؛ فإن الأصل أن الرُّحْل اثنتان، فقد ذكر أهل السير أن أول من سنَّ الرحلتين لقريش هو هاشم^(١)، وسبب ذلك أن هاشما كان سيد قومه، فشكوا إليه الجوع، فقام فيهم خطيباً، فقال: (إنكم أجديتم جدباً تفلون فيه وتذلون، وأنتم أهل حرم الله وأشرف ولد آدم والناس لكم تبع، قالوا: نحن تبع لك فليس عليك منا خلاف، فجمع كل بني أب على الرحلتين، في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام للتجارات، فما ربح الغني قسمه بينه وبين الفقير، حتى كان فقيرهم كغنيهم، فجاء الإسلام وهم على ذلك، فلم يكن في العرب بنو أب أكثر مالا ولا أعز من قريش^(٢)، ثم إن بنيه تفرقوا في رحلهم في الأمصار إلى فارس والحبشة واليمن والشام، فالأصل أنهما رحلتان في الشتاء والصيف، وهي المشهورة في الجاهلية والإسلام، وهذا لا ينافي أن تكون هناك رُحْل أخرى في غير الشتاء الصيف ولغير الشام واليمن، ولكن ليست المقصودة بهذه الآية، والله أعلم.

وأما القول الخامس؛ فجمهور العلماء على أن الرحلة للتجارة والكسب، وهو المعلوم من حال قريش - كما سبق -، فإذا كان للاصطياف في الطائف، والإشتاء في مكة فلم يحصل المقصود - وإن كان في هذا منة أيضاً -، إلا أن سبب الرحلة هو الفقر والمخمصة التي حصلت لهم في هذا الوادي، وقد زالت بسبب ارتحالهم وتكسبهم.

(١) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (٥٩٧ هـ)، تحقيق محمد ومصطفى عبدالقادر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، ٢ / ٢١٠، ومراة الجنان وعبرة اليقظان، الياضي، عبدالله بن أسعد (٧٦٨ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م، ٣ / ١٧٧.

(٢) تفسير الرازي، الرازي، ٣٢ / ٢٩٧.

وأما القول السادس؛ فإنه يجاب عليه بما سبق من اشتهاار الرحلة للكسب والتجارة، ولو كان المقصود ارتحال الناس إلى مكة؛ فلا معنى لتخصيصها برحل الشتاء والصيف، فالعمرة في أي وقت، والحج يتغير بتغير الفصول في الأزمان، وإن كان في ارتحال الناس إلى مكة للحج والعمرة وما يصحبها من جلب التجارة والأرزاق منة وتفضل، كما قال تبارك وتعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمْكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [القصص: ٥٧]، إلا أن المقصود بالآية هو ارتحالهم من مكة للتجارة، والله تعالى أعلم.

وعلى هذا فإن القول الرابع هو القول الثاني، وهو الذي رجحه ابن الهائم، ومنه يظهر صحة استدراكه، والله تعالى أعلم.

المطلب التاسع: استدراك ابن الهائم عند قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

• قال السجستاني: "أحد: بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وأصل (أحد) (وحد)، فأبدلت الهمزة من الواو المَفْتُوحَة، كما أبدلت من المضمومة في قولهم: (وَجَوْه) و(أَجَوْه)، ومن الْمَكْسُورَة في قولهم: (وشاح) و(إشاح). ولم تبدل من المَفْتُوحَة إِلَّا في حرفين: (أحد)، وامرأة (أناة)، وأصلها (وناة) من الونى وهُوَ الفتور"^(١).

• قال ابن الهائم بعده: "قلت: هكذا قال ابن الأنباري، وزاد أبو الفتح في (سر الصناعة) (أجما) في (وجم) واحد (الآجام)، وهي علامات وأبنية يهتدى بها في الصَّحاري، و(أسماء) في (وسماء)، وأحسب أن السخاوي زاد على ذلك في (مختصر سر الصناعة)، لكنه ليس عندي الآن، وبالجملة فهو إبدال متفق على شدوذه"^(٢).

(١) نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، السجستاني، ص ٨٨.

(٢) التيبان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، ص ٣٥٤ - ٣٥٥.

تحرير الاستدراك ودراسته:

بعد أن بين السجستاني اشتقاق كلمة (أحد)؛ بين أن الهمزة لا تبدل من الواو المفتوحة إلا في كلمتين: (أحد) و(أناة).

واستدرك ابن الهائم بأن ما قاله السجستاني هو قول ابن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) أيضاً، ثم أعقبه بما يفيد عدم صحة هذا الحصر، فأورد عن أبي الفتح ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) مما أصله الواو المفتوحة: كلمة (أجما) وكلمة (أسماء)، وعن السخاوي (ت ٦٤٣ هـ) ما يفيد الزيادة، ولكنه علل عدم ذكره لهذه الزيادة بعدم وجود الكتاب عنده أثناء تأليفه، إلا أنه بعد البحث لم أجد في ترجمة السخاوي ولا في كتب فهارس المؤلفات أن للسخاوي اختصاراً على (سر صناعة الإعراب لابن جني)، فلعله وهم من النساخ، أو أنه غير علم الدين السخاوي، وعلى أي حال فلم أقف أيضاً على اختصار لكتاب (سر صناعة الإعراب لابن جني)، والله تعالى أعلم. فهل إبدال الهمزة من الواو المفتوحة منحصر في الكلمتين، أو أنه وقع في غيرهما؟

وقبل الإجابة عن هذا السؤال، فإنه يجدر الإشارة إلى أن العلماء اتفقوا على أن هذا الإبدال شاذ ولم يقع إلا نادراً، قال أبو عثمان المازني (ت ٢٤٧ هـ): "فإذا كانت الواو أولاً وكانت مفتوحة، فليس فيها إبدال إلا أن يشذ الشيء، فيجيء على غير القياس"^(١)، وقال أبو القاسم الثماني (ت ٤٤٢ هـ): "ولكنه قد شذ من المفتوحة حريفات همزت في أول الكلمة كلمات معدودة"^(٢)، وقال العكبري (ت ٦١٦ هـ): "فإن كانت مفتوحة لم تقلب همزة إلا أن يُنقل ذلك؛ لخفة الفتحة وأن الواو المفتوحة أخف من الهمزة"^(٣)، فإن الأصل عدم إبدالها، وشذ من هذا الأصل

(١) المنصف شرح كتاب التصريف، ابن جني، عثمان بن جني (٣٩٢ هـ)، دار إحياء التراث القديم، الطبعة الأولى، ١٣٧٣ هـ، ص ٢٣١.

(٢) شرح التصريف، الثماني، ص ٣٢٩.

(٣) اللباب في علل البناء والإعراب، العكبري، عبد الله بن الحسين (٦١٦ هـ)، تحقيق د. عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ٢ / ٢٩٢.

كلمات قليلة نُقلت سماعاً ولا يقاس عليها، فهل هذه الكلمات منحصرة في كلمتين (أحد) و(أناة)؟ أم أنهما أكثر؟

قال بالأول السجستاني، وأن إبدال الواو المفتوحة همزةً منحصر في كلمتين، هما (أحد) و(أناة)، تبع في ذلك أبو بكر ابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ)^(١)، ونسبه ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) إلى سيويه (ت ١٨٠هـ)^(٢)، وحجتهم في ذلك أن الواو المفتوحة أخف من الهمزة، فلا تقلب إلا ما نُقل سماعاً، ولم يُسمع إلا في هاتين الكلمتين^(٣). وذهب الأكثرون إلى أنها - على شذوذها وقتلتها - ليست منحصرة في هاتين الكلمتين، وإنما ورد في كلامهم غيرها فمناها:

- (أسماء) أصلها (وسماء)، من الوسامة والحسن^(٤).
- (أجم) أصلها (وجم)، واحد آجام، وهي الأبنية والعلامات التي يهتدى بها^(٥).
- حكى المرزبان (ت ٣٦٨هـ) عن بعضهم (أَخَذَ) أصلها (وَحَذَ)^(٦).
- حكى أبو الفتح ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في الفعل (أَقَّتَ) أصله (وَقَّتَ)^(٧).
- وقال ابن سيده (ت ٤٥٨هـ): "وَكَلَّتْ أَسْنَانُهُ وَكَلاَّ، وَأَكَلَتْ أَكلاَّ"^(٨).
- وحكى الرضي (ت ٦٨٦هـ) عن بعض النحاة أن أصل (أَخَذَ) (وَحَذَ)

(١) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي، ١٠ / ٣٣٤، ومشكل إعراب القرآن، مكّي، مكّي بن أبي طالب (٤٣٧هـ)، تحقيق د. حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ، ٢ / ٨٥٣.

(٢) انظر المخصص، ابن سيده، ١ / ١٣١.

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن، مكّي، ٢ / ٨٥٣.

(٤) انظر: المخصص، ابن سيده، ٥ / ٢٩، وشرح المفصل، ابن يعيش، ١ / ٣٨٢، واللباب في علل البناء والإعراب، العكبري، ٢ / ٢٩٣، وغيرها.

(٥) انظر: الكتاب، سيويه، ٤ / ٣٣١، وسر صناعة الإعراب، ابن جني، عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ٢ / ٢٤٣.

(٦) شرح كتاب سيويه، المرزبان، الحسن بن عبد الله (٣٦٨هـ)، تحقيق أحمد مهدي وعلي سيد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨هـ، ٢ / ٨٨.

(٧) سر صناعة الإعراب، ابن جني، ٢ / ٢٤٣.

(٨) المخصص، ابن سيده، ١ / ١٣١.

بدلالة: (اتخذ)^(١).

- وقال ابن منظور (ت ٧١١ هـ): "أَبَّخَهُ: لَامَهُ وَعَدَلَهُ، لُغَةً فِي وَبَّخَهُ"^(٢).
فهذه وغيرها مسموعة عن العرب، فدلّت على أن إبدال الواو المفتوحة ليس منحصرًا في كلمة (أحد) و(أناة)، وهذا ظاهر اختيار ابن الهائم.
والذي يظهر هو صحة تعقب ابن الهائم، ذلك أن ورود هذه الكلمات منها ما هو عن متقدمي أهل اللغة -كسيبويه-، مع اتفاقهم على ندرة هذا الإبدال وشدوذه، وأن ما وقع منها إنما هو سماع لا يقاس عليه، فهذا يدل على عدم حصر هذا الإبدال في الكلمتين، والله تعالى أعلم.



(١) انظر: شرح شافية ابن الحاجب، الإستراباذي، محمد بن الحسن الرضي (٦٨٦ هـ)، تحقيق محمد نور وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م، ٣ / ٧٩.
(٢) لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ، ٣ / ٣.

الخاتمة

وبعد حمد الله على نعمه، خلصت إلى عدد من النتائج والتوصيات،
فمن أهم النتائج:

- أن منشأ الاستدراك إما اختلاف العلماء في قضية فيكون لسابق رأي، ويكون للاحق رأي يخالفه، أو فهم اللاحق كلام السابق على غير وجهه.
- أن الاستدراك يكون بإصلاح خطأ أو إكمال نقص أو إزالة لبس، ولا يلزم منه صحة الاستدراك، فقد يكون الحق مع المتقدم.
- علو مكانة الإمامين السجستاني وابن الهائم العلمية، وتفننهما في التأليف وضبطه، وبراعتهم وميلهما اللغوي ما كان له الأثر في أغلب الاستدراكات.
- توافق الكتابين، فمع استيعابهما لكتاب الله تعالى إلا أن الاستدراكات قليلة جدا، حيث بلغت عشرة استدراكات، ولذا كان اختيار ابن الهائم لكتاب السجستاني، على كثرة كتب الغريب.
- ظهرت دقته ابن الهائم العلمية، فقد كان الراجح في أغلب الاستدراكات مع ما ذهب إليه.

- أن صيغ الاستدراك عند ابن الهائم جاءت وفق منهج واضح، يستعمل صيغ التضعيف لما ليس له خلاف، أو الخلاف فيه ضعيف، كقوله: (فيه نظر)، (ينبغي)، (فيه تساهل)، (يشكل عليه)، ويستعمل صيغ الترجيح فيما كان الخلاف فيه قويا، كقوله: (والصحيح)، و(وهو الظاهر).

وأما التوصيات، فأبرزها:

- الاهتمام بهذا النوع من الدراسات، وهو وإن كان داخلا في التفسير المقارن إلا أن البحث عن الاستدراكات ومناهجها يضيف جانبا قويا من جوانب اللحظ والتدقيق، مع ما يصحبه من معرفة طرائق العلماء في التعامل مع سابقهم، ولعل

أغلب كتب التفسير دُرست، إلا أن كتب علم الغريب وعلوم القرآن ما زالت.

- كذلك التوصية بدراسة تطور التفسير من خلال الاستدراكات، وذلك بالقصد إلى قضية تفسيرية معينة، وتدرس من خلال الاستدراكات بين المتقدمين والمتأخرين، وتطور المعنى بناء على ذلك.

هذا، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين.



المصادر والمراجع

١. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، البناء، أحمد بن محمد (١١١٧هـ)، تحقيق أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٢. آداب الزفاف في السنة المطهرة، الألباني، محمد ناصر الدين (١٤٢٠هـ)، دار السلام، د. ط، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٣. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان، محمد بن يوسف (٧٤٥هـ)، تحقيق رجب عثمان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
٤. أساس البلاغة، الزمخشري، محمود بن عمرو (٥٣٨هـ)، تحقيق محمود باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٥. الأسماء والصفات، البيهقي، أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ)، تحقيق عبد الله الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
٦. إعراب القرآن، النحاس، أحمد بن محمد (٣٣٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٧. الأعلام، الزركلي، خير الدين بن محمود (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.
٨. إكمال الإكمال، ابن نقطة، محمد بن عبد الغني (٦٢٩هـ)، تحقيق د. عبد القيوم عبد ريب النبي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
٩. الإكمال في رفع الارياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ابن ماكولا، علي بن هبة الله (٤٧٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

١٠. إنباء الغمر بأبناء العمر، ابن حجر، أحمد بن علي (٨٥٢هـ)، تحقيق د. حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، د. ط، ١٣٨٩هـ.
١١. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكاني، محمد بن علي (١٢٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، د. ط، د. ت.
١٢. برنامج التجيبي، التجيبي، القاسم بن يوسف (٧٣٠هـ)، تحقيق عبدالحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا/ تونس، د. ط، ١٩٨١م.
١٣. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، لبنان، د. ط، د. ت.
١٤. بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين، الغزي، محمد بن أحمد (٨٦٤هـ)، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
١٥. تاريخ إربل، ابن المستوفي، المبارك بن أحمد (٦٣٧هـ)، تحقيق سامي الصقار، وزارة الثقافة والإعلام/ دار الرشيد للنشر، العراق، د. ط، ١٩٨٠م.
١٦. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، محمد بن أحمد (٧٤٨هـ)، تحقيق د. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
١٧. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ)، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت.
١٨. التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، أحمد بن محمد (٨١٥هـ)، تحقيق ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
١٩. التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، أحمد بن محمد (٨١٥هـ)، تحقيق عبد القادر محمد أحمد، أم درمان الإسلامية، السودان، رسالة دكتوراه، ٢٠٠١م.
٢٠. تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان، محمد بن يوسف (٧٤٥هـ)،

- تحقيق سمير المجذوب، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
٢١. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ)، تحقيق نظر بن محمد الفاريابي، دار طيبة، د. ط، د. ت.
٢٢. التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (١٣٩٣هـ)، الدار التونسية، تونس، د. ط، ١٩٨٤هـ.
٢٣. التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد (٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢٤. التفسير البسيط، الواحدي، علي بن أحمد (٤٦٨هـ)، ١٥ رسالة دكتوراه، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
٢٥. تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، البغوي، الحسين بن مسعود (٥١٠هـ)، تحقيق عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٢٦. تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، الثعلبي، أحمد بن إبراهيم (٤٢٧هـ)، تحقيق د. صلاح باعثمان وآخرون، دار التفسير، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.
٢٧. تفسير ابن جزى (التسهيل لعلوم التنزيل)، ابن جزى، محمد بن أحمد (٧٤١هـ)، تحقيق د. عبدالله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
٢٨. تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، الرازي، محمد بن عمر (٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
٢٩. تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل)، الزمخشري، محمود بن عمرو (٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٣٠. تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود، محمد بن محمد (٩٨٢ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
٣١. تفسير السمعاني، السمعاني، منصور بن محمد (٤٨٩ هـ)، تحقيق ياسر إبراهيم، وغنيم عباس، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.
٣٢. تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، الطبري، محمد بن جرير (٣١٠ هـ)، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.
٣٣. تفسير العثيمين، العثيمين، محمد بن صالح (١٤٢٠ هـ)، دار الثريا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.
٣٤. تفسير العز بن عبد السلام، لعز الدين عبدالعزيز بن عبد السلام (٦٦٠ هـ)، تحقيق د. عبدالله الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.
٣٥. تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، ابن عطية، عبدالحق بن غالب (٥٤٢ هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
٣٦. تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، محمد بن عبدالله (٣٩٩ هـ)، تحقيق حسين عكاشة ومحمد الكنز، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.
٣٧. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، القرطبي، محمد بن أحمد (٦٧١ هـ)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم إطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.
٣٨. تفسير القشيري (لطائف الإشارات)، القشيري، عبدالكريم بن هوازن (٤٦٥ هـ)، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة، د.ت.

٣٩. تفسير الماوردي (النكت والعيون)، الماوردي، علي بن محمد (٤٥٠هـ)، تحقيق السيد عبدالمقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
٤٠. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، محمد سيد، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، د.ت.
٤١. تقرير التهذيب، ابن حجر، أحمد بن علي (٨٥٢هـ)، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٤٢. تهذيب اللغة، الأزهرى، محمد بن أحمد (٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٤٣. توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله (٨٤٢هـ)، تحقيق محمد العقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
٤٤. جامع الدروس العربية، الغلاييني، مصطفى محمد (١٣٦٤هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الثامنة والعشرون، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
٤٥. جمهرة اللغة، ابن دريد، محمد بن الحسن (٣٢١هـ)، تحقيق رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
٤٦. دراسات في علوم القرآن، الرومي، فهد بن عبدالرحمن، الطبعة الثانية عشرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٤٧. دراسات في علوم القرآن، إسماعيل، محمد بكر (١٤٢٦هـ)، دار المنار، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
٤٨. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (٧٥٦هـ)، تحقيق د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، د.ط، د.ت.
٤٩. الدلائل في غريب الحديث، السرقسطي، قاسم بن ثابت (٣٠٢هـ)، تحقيق د. محمد القناص، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٥٠. ديوان زهير بن أبي سلمى، زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني (٦٠٩م)، المكتبة الشاملة المكية.
٥١. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (٥٩٧هـ)، تحقيق عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٥٢. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد (٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٨٥هـ.
٥٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، محمد ناصر الدين (١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، د.ت.
٥٤. سير أعلام النبلاء، الذهبي، محمد بن أحمد (٧٤٨هـ)، دار الحديث، القاهرة، د.ط، ١٤٢٧هـ.
٥٥. شرح التصريح على التوضيح، الوقاد، خالد بن عبد الله (٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
٥٦. شرح التصريف، الثمانيني، عمر بن ثابت (٤٤٢هـ)، تحقيق د. إبراهيم البعيمي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
٥٧. شرح درة الغواص في أوهام الخواص، الخفاجي، أحمد بن محمد (١٠٦٩هـ)، تحقيق عبد الحفيظ فرغلي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
٥٨. شرح شافية ابن الحاجب، الإستراباذي، محمد بن الحسن الرضي (٦٨٦هـ)، تحقيق محمد نور وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
٥٩. شرح الفصيح، اللخمي، ابن هشام (٥٧٧هـ)، تحقيق د. مهدي عبيد، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

٦٠. شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام، عبدالله بن يوسف (٧٦١هـ)، تحقيق محمد محيي الدين، القاهرة، الطبعة الحادية عشرة، ١٣٨٣هـ.
٦١. شرح كتاب سيبويه، المرزبان، الحسن بن عبدالله (٣٦٨هـ)، تحقيق أحمد مهدي وعلي سيد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨هـ.
٦٢. شرح مشكل الآثار، الطحاوي، أحمد بن محمد (٣٢١هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
٦٣. شرح المفصل، ابن يعيش، يعيش بن علي (٦٤٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
٦٤. الشريعة، الآجري، محمد بن الحسين (٣٦٠هـ)، تحقيق د. عبدالله الدميحي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٦٥. الضعفاء الكبير، العقيلي، محمد بن عمرو (٣٢٢هـ)، تحقيق عبدالمعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
٦٦. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (٩٠٢هـ)، دار ومكتبة الحياة، بيروت، د. ط، د. ت.
٦٧. طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (٥٢٦هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، د. ط، د. ت.
٦٨. طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد (٨٥١هـ)، تحقيق د. الحافظ عبدالعليم خان، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
٦٩. طبقات المفسرين، الداودي، محمد بن علي (٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت.
٧٠. العُدْبُ النَّمِيرُ من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (١٣٩٣هـ)، تحقيق خالد السبت، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.

٧١. علوم القرآن الكريم، عتر، نور الدين محمد، مطبعة الصباح، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
٧٢. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (٧٥٦ هـ)، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
٧٣. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، محمود بن أحمد (٨٥٥ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
٧٤. العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٧٠ هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار الهلال، د.ط، د.ت.
٧٥. غريب القرآن، ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (٢٧٦ هـ)، تحقيق أحمد صقر، دار الكتب العلمية، د.ط، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.
٧٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، أحمد بن علي (٨٥٢ هـ)، دار المعرفة، بيروت، د.ط، ١٣٧٩ هـ.
٧٧. فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي (١٢٥٠ هـ)، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
٧٨. فهرسة ابن خير الإشبيلي، الإشبيلي، محمد بن خير (٥٧٥ هـ)، تحقيق محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.
٧٩. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (٨١٧ هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
٨٠. الكتاب، سيبويه، عمرو بن عثمان (١٨٠ هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
٨١. اللباب في علل البناء والإعراب، العكبري، عبد الله بن الحسين (٦١٦ هـ)، تحقيق د. عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.

٨٢. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
٨٣. ليس في كلام العرب، ابن خالويه، الحسين بن أحمد (٣٧٠هـ)، تحقيق أحمد عبدالغفور، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٨٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، علي بن أبي بكر (٨٠٧هـ)، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، د.ط، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
٨٥. محاسن التأويل، القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد (١٣٣٢هـ)، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٨٦. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، الحسين ابن محمد (٥٠٢هـ)، دار الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٨٧. المخصص، ابن سيدة، علي بن إسماعيل (٤٥٨هـ)، تحقيق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
٨٨. مرآة الجنان وعبرة اليقظان، اليافعي، عبدالله بن أسعد (٧٦٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٨٩. مشكل إعراب القرآن، مكي، مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ)، تحقيق د. حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.
٩٠. معاني القرآن، الفراء، يحيى بن زياد (٢٠٧هـ)، تحقيق أحمد النجاشي وآخرون، دار المصرية للتأليف، مصر، الطبعة الأولى، د.ت.
٩١. معاني القرآن، الأخفش، سعيد بن مسعدة (٢١٥هـ)، تحقيق د. هدى قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
٩٢. معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، إبراهيم بن السري (٣١١هـ)، تحقيق عبدالجليل عبده، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٩٣. معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٩٤. معجم ابن الأعرابي، ابن الأعرابي، أحمد بن محمد (٣٤٠ هـ)، تحقيق عبدالمحسن الحسيني، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.
٩٥. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس (٣٩٥ هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر، د. ط، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
٩٦. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، دار الدعوة، د. ط، د. ت.
٩٧. معرفة اشتقاق أسماء نطق بها القرآن وجاءت بها السنن والأخبار وتأويل ألفاظ مستعملة، السجستاني، محمد بن عزيز، تحقيق سليمان بن حمد الصقري، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٥ هـ.
٩٨. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، عبدالله بن يوسف (٧٦١ هـ)، تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥ م.
٩٩. المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك)، الشاطبي، إبراهيم بن موسى (٧٩٠ هـ)، معهد البحوث بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.
١٠٠. مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، محمد عبدالعظيم (١٣٦٧ هـ)، مكتبة عيسى الحلبي، الطبعة الثالثة، د. ت.
١٠١. المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، السمعاني، عبدالكريم بن محمد (٥٦٢ هـ)، تحقيق موفق عبدالله، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.
١٠٢. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (٥٩٧ هـ)، تحقيق محمد ومصطفى عبدالقادر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.

١٠٣. المنصف شرح كتاب التصريف، ابن جنبي، عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، دار إحياء التراث القديم، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ.
١٠٤. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، دراز، محمد بن عبدالله (١٣٧٧هـ)، اعتنى به أحمد فضيلة، دار القلم، د.ط، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
١٠٥. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، محمد بن محمد (٨٣٣هـ)، تحقيق علي الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، د.ط، د.ت.
١٠٦. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، الأنباري، عبد الرحمن بن محمد (٥٧٧هـ)، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء/الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
١٠٧. نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، السجستاني، محمد بن عزيز (٣٣٠هـ)، تحقيق د. يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
١٠٨. نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار (حاشية السيوطي على تفسير البضاوي)، السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ)، ٣ رسائل دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٥م.
١٠٩. ابن الهائم وجهوده في علم النحو واللغة، الحارثي، نواف بن جزاء، بحث منشور في مجلة العقيق، العدد ٦١، ٦٢، المجلد ٣١، لعام ٢٠٠٧م.
١١٠. الوافي بالوفيات، الصفدي، خليل بن أيبك (٧٤٦هـ)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركبي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، د.ط، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
١١١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، أحمد بن محمد (٦٨١هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٩٤م.



تعليم المرأة في القرآن الكريم

إعداد

د. عبدالله بن محمد الرشود

أستاذ أصول التربية المشارك بكلية التربية

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث

عنوان البحث: تعليم المرأة في القرآن الكريم.

هدف البحث: يهدف هذا البحث إلى استقصاء الأدلة القرآنية الدالة على فضل تعليم المرأة، واستنباط دلالاتها التربوية، بالإضافة إلى استقراء الأساليب التربوية في تعليمها، وإبراز أهم مجالات تعليم المرأة الواردة في القرآن الكريم. واستخدم الباحث المنهج الاستنباطي والمنهج الاستقرائي، وتوصل إلى عدد من النتائج أهمها مايلي:

- دلت آيات القرآن الكريم على فضل تعليم المرأة وأجر من يقوم به.
- تنوعت أساليب القرآن الكريم في الحث على تعليم المرأة، ومنها الأساليب التالية: التعليم المباشر، وحث النساء على التعلم والتعليم، وأمر الله للنبي ﷺ بتعليم النساء، وحث الرجال على تعليم نسائهم، وتعليم المرأة من خلال الإجابة عن أسئلة النساء وأسئلة الرجال المتعلقة بهن، وتعليم النساء من خلال توجيه الرجال وتعليمهم أمورًا ترتبط بعلاقتهم بالنساء، وتعليم النساء من خلال المواقف الحادثة، والثناء على المؤمنين الذين قاموا بتعليم ورعاية من تحت أيديهم من البنات والنساء، بالإضافة إلى أسلوب ضرب الأمثال.
- تعددت مجالات تعليم المرأة في القرآن الكريم؛ ومن تلك المجالات: العقيدة وأصول العبادات، بيان بعض المحرمات الشرعية، العلاقات الزوجية، تربية الأولاد وتعليمهم، القيم الأخلاقية والعلاقة مع الرجال الأجانب.
- الكلمات الدالة: التعليم، المرأة، تعليم المرأة، التربية، التربية الإسلامية، التعليم في القرآن الكريم.



مقدمة للتعريف بالبحث

تمهيد:

خلق الله تعالى الخلق وبيّن لهم ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات، وبأدائهم لهذه الواجبات، وحصولهم على هذه الحقوق تتحقق لهم السعادتان الدنيوية والأخروية، ورتب لهم كيف يحصلون على حقوقهم، وكيف يؤدّون واجباتهم، فشرع لهم الشرائع وأنزل إليهم الكتب لتبين لهم ما يجب عليهم لحق ربهم سبحانه وتعالى، وفيما بينهم من الحقوق والواجبات، وأفضل هذه الشرائع وأكملها الدين الإسلامي، حيث جاء بمنهج متكامل؛ يضمن لكل أفراد أداء الحقوق وعمل الواجبات التي كفلتها لهم النصوص الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن أهم الحقوق وأعظمها أثراً على غيرها حقهم في التعليم؛ لأحكام الدين والشريعة والعلوم المستحبة والعلوم المباحة، حيث تضافرت النصوص الشرعية بتقرير هذا الحق والحث على تطبيقه، وبيان فضل من اتصفوا به من العلماء والمعلمين والمتعلمين، يستوى في ذلك الذكر والأنثى من أبناء المجتمع المسلم، كما تنوعت الأساليب التي تضمنتها تلك النصوص لتقرير هذا الحق والحث عليه، وبيان المجالات العقدية والتعبدية والأخلاقية التي تضمنتها الشريعة الإسلامية، وجاءت النصوص بالحث على تعلمها، والعمل بها، مما يلزم الباحثين البحث فيها وإظهارها للمستفيدين، ومن هنا جاء هذا البحث ليؤصل لجانب من هذا الموضوع، ويبرز حق المرأة المسلمة فيه، ويركز على تعليم المرأة في القرآن الكريم، من خلال استنباط الدلالات التربوية من آياته، في فضل تعلمها وتعليمها، والأساليب التربوية لتحقيق هذا الحق العظيم، ومجالاته العقدية والتعبدية والقيمية والاجتماعية، والاستشهاد لها مما ورد في كتب التفاسير المعتمدة عند أهل العلم.

أسئلة البحث:

يسعى هذا البحث للإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ١- ما الأدلة القرآنية على فضل تعليم المرأة؟ وما دلالاتها التربوية؟
- ٢- ما أهم أساليب تعليم المرأة الواردة في القرآن الكريم؟
- ٣- ما أهم مجالات تعليم المرأة في القرآن الكريم؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- ١- استقصاء الأدلة القرآنية الدالة على فضل تعليم المرأة، واستنباط دلالاتها التربوية.
- ٢- استقراء أهم الأساليب التربوية لتعليم المرأة الواردة في القرآن الكريم.
- ٣- إبراز أهم المجالات التربوية لتعليم المرأة الواردة في القرآن الكريم.

أهمية البحث:

تتضح أهمية البحث من خلال ما يأتي:

- تناوله لأحد الحقوق المدنية التي حظيت به المرأة في الإسلام، وهو حقها في التعليم.
- ارتباطه بأهم مصادر التربية الإسلامية، وهو القرآن الكريم.
- أنه دراسة تأصيلية لأحد الموضوعات التربوية المتعلقة بمادة وكيفية تعليم المرأة المسلمة.

حدود البحث الموضوعية:

تناول البحث دراسة الآيات القرآنية الدالة على فضل تعليم المرأة، واستنباط دلالاتها التربوية، بالإضافة إلى استقراء أهم الأساليب القرآنية في تعليمها، وأبرز

المجالات التربوية مما ورد الخطاب فيها موجَّهاً للمرأة بصيغة مباشرة أو غير مباشرة أو أكد علماء التفسير على دخولها فيه.

منهج البحث:

استخدم الباحث لإجراء هذا البحث اثنين من أهم مناهج البحث العلمي في الدراسات القرآنية والدراسات التربوية، وهما المنهج الاستنباطي والمنهج الاستقرائي، حيث قام باستقصاء الأدلة القرآنية التي رأى أن لها دلالة على فضل تعليم المرأة، واستنبط منها دلالاتها التربوية، مستشهداً على ذلك بأقوال وآراء المفسرين، كما قام بتتبع الآيات القرآنية التي فيها الإشارة الصريحة أو الضمنية على توجيه النساء وتعليمهن، واستقرأ الأساليب التربوية التي وردت بها تلك التوجيهات والتعليمات الربانية، والمجالات التي تضمنتها.



الفصل الأول الإطار النظري والدراسات السابقة

أولاً - الإطار النظري:

وفيه سيلقي الباحث الضوء على صيغ الخطاب الشرعي في القرآن الكريم الموجه للمرأة، وسيتناوله في مبحثين:
المبحث الأول: صيغ خطاب الشارع في النصوص الشرعية الدالة على تعليم المرأة.
المبحث الثاني دلالة الأمر في النصوص الشرعية.

المبحث الأول: صيغ خطاب الشارع في النصوص الشرعية

ورد في القرآن الكريم آيات كريمة تدل على التعليم؛ وبعضها له دلالة على تعليم المرأة خاصة، وهذه النصوص التي وردت من الشارع الحكيم في القرآن الكريم؛ منها ما جاء موجهاً للنبي ﷺ، ومنها ما جاء بصيغة المفرد، ومنها ما جاء بصيغة الجمع، ووجه الخطاب فيه للمؤمنين، أو للناس، أو بواو الجمع، أو بمن العاقل، أو بصيغ المذكر، أو بصيغ المذكر والمؤنث، فهل هذه الصيغ تشمل المرأة كما تشمل الرجل؟ ومتى يكون الخطاب خاصاً بالرجل؟ ومتى يكون خاصاً بالمرأة؟ ومتى يكون الخطاب خاصاً بمن ووجه له الخطاب؟ ومتى يكون عاماً للجنس؟، كما أن بعض النصوص قد جاءت بلفظ عام، وهي لبيان سؤال أو حدث خاص، فهل يُعمَّم الخطاب لكل حدث مماثل أو يختص بالحكم بما جاء النص لبيانه؟، هذه المسائل قد تكلم فيها علماء أصول الفقه، وقرروا فيها ما يرونه من الحق، وسيعرض الباحث في السطور التالية مختصراً لما قرره العلماء في ذلك حسب المسائل الآتية:

المسألة الأولى: الخطاب القرآني الموجّه للنبي ﷺ هل هو خاصٌّ به أو عامٌّ لجميع أُمته؟:

النص الوارد في القرآن الكريم، الموجّه للنبي ﷺ، كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ﴾، و﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ﴾، الأصل أنه يعم جميع الأمة، إلا إذا دلّ دليلٌ على خصوصيته للرسول ﷺ، لقوله ﷺ في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين»^(١)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "جمهور علماء الأمة على أن الله إذا أمره بأمر أو نهاه عن شيء كانت أمته أسوة له في ذلك، ما لم يقدّم دليل على اختصاصه بذلك"^(٢)، ويقول الإمام الطوفي: "ما ثبت في حقه - يعني: النبي ﷺ - من الأحكام، أو خوطب به من الكلام نحو ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ﴾ [المزمل: ١]، و﴿يَأْتِيهَا الْمَدَنِيُّ﴾ [المدثر: ١]، تناول أمته، أي: ثبت في حقهم منه ما ثبت في حقه، ... ما لم يقدّم دليل مخصّص، للنبي ﷺ بما ثبت في حقه، كوجوب السواك والضحى والوتر، أو بما خوطب به نحو: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ إلى قوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، إلى أن قال: وحاصل الكلام: أنه إن قام دليل مخصص؛ اختص الحكم بما دل عليه الدليل؛ وإلا كان الحكم بما ثبت في حقه ﷺ، أو خوطب به هو أو بعض الصحابة؛ عامًّا لجميع المكلفين"^(٣).

(١) أخرجه مسلم في المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، مسلم، بن الحجاج، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم ١٠١٥.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، أحمد (٦٦١هـ)، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، المملكة العربية السعودية، د.ت، ٣٢٢/٢٢.

(٣) شرح مختصر الروضة، الطوفي، نجم الدين سليمان، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤١٩هـ، ٤١١/٢-٤١٢.

المسألة الثانية: الخطاب الموجه لنساء النبي ﷺ هل يشمل جميع النساء؟:

المتقرر عند علماء الأصول أن الخطاب الموجه إلى واحد من المسلمين أو إلى فئة منهم؛ عامٌ لجميع المسلمين إلا إذا دلّ دليل على التخصيص، ويقرر هذا الإمام الطوفي بقوله السابق والإمام الشوكاني بقوله: "وقد ثبت عن الصحابة فمن بعدهم الاستدلال بأقضيته الخاصة بالواحد أو الجماعة المخصوصة على ثبوت مثل ذلك لسائر الأمة"^(١).

المسألة الثالثة: دخول النساء في الخطاب مع الرجال:

الخطاب التشريعي الموجه للذكور والإناث في القرآن الكريم والسنة النبوية؛ إما أن يأتي بلفظٍ يختصّ بأحدهما دون الآخر، مثل: لفظي الذكر والأنثى، أو الرجل والمرأة، أو الرجال والنساء، وإما أن يأتي بلفظ جمعٍ يشملهم بأصل الوضع، مثل: الناس والإنس والبشر والأهل، وإما أن يأتي بصيغة المفرد المذكر المعرف بـأل أو بالإضافة، مثل: المسلم وأحدكم، وإما أن يأتي بلفظ (مَنْ) و(مَا)، وإما يأتي بصيغة جمعٍ تظهر فيها علامة تذكير أو تأنيث، مثل: المسلمين والمسلمات، أو بصيغة فعلٍ مقرون بواو الجماعة أو نون النسوة، مثل: افعلوا وافعلن، ولكل صيغة من هذه الصيغ رأيٌ لعلماء الأصول، فمنها ما اتفق العلماء على دخول النساء مع الرجال في صيغة الخطاب، ومنها ما اتفقوا على عدم دخولهن، ومنها ما اختلفوا فيه، وبيانها كالآتي:

القسم الأول: صيغ الخطاب التي اتفق العلماء على دخول النساء مع الرجال فيها:

وهي الصيغ التي جاءت بلفظ جمعٍ يشملهم بأصل الوضع ولم تظهر فيه علامة التذكير والتأنيث، مثل: الناس والإنس والبشر وأهل، ويلحق بهذا القسم، أدوات الشرط كـ(مَنْ)، فهذه الصيغ تشمل الذكور والإناث بأصل الوضع، يقول الإمام

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، محمد بن علي، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، ١٤١٩ هـ، ١/٣٢٥.

الطوفي: "ويدخل النساء في خطاب الناس، وما لا مخصّص لأحد القبيلين، -يعني: الرجال والنساء- فيه كأدوات الشرط، نحو: مَنْ رَأَيْتَ فَأَكْرَمَهُ، فإنه يتناول النساء، دون ما يَخُصُّ غيرهنّ كالرجال والذكور، فإنه لا يتناولهنّ؛ لأنهن لسن رجالاً ولا ذكوراً"^(١)، ويؤكد ذلك الإمام ابن تيمية بقوله: "فالدلالة على المؤنث، متوجهة بلا تردد من صيغة: مَنْ وأهل والناس، ونحو ذلك"^(٢)، ويقول الإمام الشوكاني: "ما يعم الفريقين بوضعه، وليس لعلامة التذكير والتأنيث فيه مدخل كالناس، والإنس، والبشر فيدخل فيه كل منهما بالإجماع"^(٣).

القسم الثاني: صيغ الخطاب التي اتفق العلماء على عدم دخول أحدهما مع الآخر فيها:

وهي الصيغ التي جاءت بلفظ يختص بأحدهما دون الآخر، مثل: لفظي الذكر والأنثى أو الرجل والمرأة أو الرجال والنساء، فهذه الألفاظ تختص بكل جنس على حدة، وهذا ما قرره الإمام الطوفي بقوله: "ويدخل النساء في خطاب الناس، ... فإنه يتناول النساء، دون ما يَخُصُّ غيرهنّ كالرجال والذكور، فإنه لا يتناولهنّ، لأنهن لسن رجالاً ولا ذكوراً"^(٤).

القسم الثالث: صيغ الخطاب التي اختلف العلماء على دخول النساء مع الرجال فيها، ونوع الاختلاف: وهي الصيغ التي جاءت بصيغة جمع تظهر فيها علامة تذكير أو تأنيث، مثل: المسلمين والمسلمات، أو بصيغة فعل مقرون بواو الجماعة أو نون النسوة، مثل: افعلوا وافعلن، فهذه الصيغ تشمل الذكور والإناث، وما ذكر من خلاف في عدم دخول النساء في هذه الألفاظ فهو في دخول النساء في اللفظ اللغوي، وبالتالي فهو

(١) شرح مختصر الروضة، الطوفي، ٢/ ٤١٥.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٦/ ٤٣٩.

(٣) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، ١/ ٣١٨.

(٤) شرح مختصر الروضة، الطوفي، ٢/ ٤١٥.

خلاف لفظي؛ يقول العلامة ابن عاشور في بيان الحق في دخول النساء مع الرجال في هذه الصيغة: "صرّح علماء الأمة بأن خطاب القرآن بصيغة التذكير يشمل النساء، ولا تحتاج العبارات من الكتاب والسنة في إجراء أحكام الشريعة على النساء إلى تغيير الخطاب من تذكير إلى تأنيث ولا عكس ذلك، وفي صحيح البخاري عن عبادة بن الصامت قال: كنّا عند النبي ﷺ فقال: «أتبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، وقرأ آية النساء»^(١)، والأصل في الأفعال الصادرة من رسول الله ﷺ أنها مشروعة للأمة حتى يدل دليل على الخصوصية"^(٢). ويقصد ﷺ بآية النساء الآية التي فيها بيعة النساء وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ...﴾ [الممتحنة: ١٢].

ومما يلحق بهذا القسم ما جاء بصيغة المفرد المذكر المعرّف بآل أو بالإضافة، مثل: المسلم وأحدكم، يقول زيدان: "المفرد المذكر المعرّف بآل التعريف -إذا لم يكن للعهد، أو المعرف بالإضافة- هو من صيغ العموم، وألفاظه تشمل الإناث، فإذا وردت هذه الصيغة في خطابات الشارع الحكيم شملت المكلفين: الرجال والنساء"^(٣).

وعليه فإن حقيقة الخلاف في هذا القسم عند التحقيق ترجع -كما يذكر الجيزاني- إلى اللفظ، إذ الجميع متفقون على دخول النساء في عموم الأحكام الشرعية، ما لم يرد في ذلك تخصيص، إلا أن البعض جعل دخولهنّ مستفاداً من لغة العرب، لكونها تغلب المذكر على المؤنث في الخطاب، والبعض الآخر جعل دخولهنّ مستفاداً من عرف الشارع، ومن الأدلة الدالة على استواء الفريقين في الأحكام^(٤).

(١) أخرجه البخاري في الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، شرح وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، دار طوق النجاة، ١٤٢٢ هـ، كتاب التفسير، سورة الممتحنة، باب ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ﴾ [الممتحنة: ١٢] حديث رقم ٤٨٩٤.

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية، بن عاشور، محمد الطاهر، تحقيق ودراسة: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، الأردن، ط ٢، ١٤٢١ هـ، ص ٣٣٠-٣٣١.

(٣) حقوق وواجبات المرأة في الإسلام، زيدان، عبد الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢٥ هـ، ص ٤٥.

(٤) معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، الجيزاني، محمد بن حسين، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٦ هـ، ص ٤٢٤-٤٢٥.

المبحث الثاني: دلالة الأمر في النصوص الشرعية

وفيه مسائل، منها:

المسألة الأولى: هل الأمر الشرعي يقتضي الوجوب؟

وصورة المسألة أنه عند ورود الآية القرآنية الكريمة، وفيها أمرٌ للمسلم بفعل أمرٍ ما، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ...﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فهل الأمر ﴿فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ يقتضي وجوب الالتزام به، أو أنه على سبيل الاستحباب؟ قال الإمام الشوكاني: "اختلف أهل العلم في صيغة (افعل) وما في معناها، هل هي حقيقة في الوجوب، أو فيه مع غيره، أو في غيره؟ فذهب الجمهور إلى أنها حقيقة في الوجوب فقط، قال الرازي: وهو الحق، وذكر الجويني أنه مذهب الشافعي"^(١)، وقال أيضًا: "وإذا تقرر لك هذا عرفت أن الراجح ما ذهب إليه القائلون بأنها حقيقة في الوجوب، فلا تكون لغيره من المعاني إلا بقرينة لما ذكرناه من الأدلة، وأما باعتبار ما ورد في الشرع، وما ورد من حمل أهله للصيغ المطلقة من الأوامر على الوجوب ففيما ذكرناه سابقًا ما يغني عن التطويل، ولم يأت من خالف هذا بشيء يعتد به أصلاً"^(٢).

المسألة الثانية: هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب؟

إذا ورد النص الشرعي لسبب معين كحادثة وقعت لشخص أو أكثر، فنزلت فيه آية من القرآن الكريم، أو ورد فيه حديث من النبي ﷺ، فهل يصح الاستدلال بهذا النص على كل واقعة أو حادث مماثل أم يقتصر الاستدلال على الواقعة التي هي سبب ورود النص؟ المتأمل في كتب أصول الفقه في أغلب المذاهب الفقهية؛ يجد أن العبرة عند

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، ١/ ٢٤٧.

(٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، ١/ ٢٥٣.

علماء الأصول بعموم اللفظ الوارد لا بخصوص السبب الحادث، فيستدل بهذا النصّ على الحدث الواقع، وكلّ حدثٍ آخر مماثل له، يقول الإمام الطوفي: الاعتبار فيما ورد على سببٍ خاصٍ بعمومه، لا بخصوص السبب، ... واستدلّ على قوله هذا من وجهين: أحدهما: أن الحجة في لفظ الشارع لا في سببه، وإذا كان الأمر كذلك وجب مراعاة اللفظ عمومًا وخصوصًا كما لو ورد ابتداءً على غير سبب، الوجه الثاني: أن أكثر أحكام الشرع العامة وردت لأسباب خاصة، كورود حكم الظهار في أوس بن الصامت، وحكم اللعان في شأن هلال بن أمية، فلو كان السبب الخاص يقتضي اختصاص العام به لما عمّت هذه الأحكام، لكنه باطل بالإجماع^(١)، وعند تقرير الشوكاني على ورود العام على سبب خاص قال: "وقد أطلق جماعة من أهل الأصول أن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وحكوا ذلك إجماعًا كما رواه الزركشي في (البحر)"^(٢).

التعليق على الإطار النظري للدراسة:

مما سبق بيانه من هذه المسائل الأصولية؛ يستخلص الباحث المنطلقات التالية:

- الآيات القرآنية التي وردت في مجال تعليم المرأة، وجاءت موجهة للنبي ﷺ الأصل فيها أن الخطاب عامٌ لجميع الأمة، فأتمته تبعٌ له ويدخلون معه في الخطاب، ويكتسبون الحكم الشرعي المتضمن فيها، إلا إذا دلّ دليلٌ على خصوصيته للرسول ﷺ، وهذا باتفاق علماء الأصول كما قرر ذلك الإمام الشنقيطي رحمه الله^(٣).

- الآيات القرآنية التي وردت في مجال تعليم المرأة، وكانت موجهة لنساء النبي ﷺ، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فالآية وإن كان

(١) شرح مختصر الروضة، الطوفي، ٢/ ٥٠١-٥٠٤.

(٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، ١/ ٣٣٢.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ، ٨/ ٢٠٨-٢٠٩.

ظاهرها أنها خاصة بأمهات المؤمنين إلا أنها عامّة في المعنى فتشمل جميع النساء، إذ المتقرر عند علماء الأصول أن الخطاب الموجّه إلى واحد من المسلمين أو إلى فئة منهم؛ فإنه عامٌ لجميع المسلمين إلا إذا دلّ دليل على التخصيص.

- صيغ الخطاب التي جاءت بلفظ جمعٍ يشمل الرجال والنساء، بأصل الوضع ولم تظهر فيه علامة التذكير والتأنيث، مثل: الناس وأهل، كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، ويلحق بها أدوات الشرط ك(مَنْ)، فهذه الصيغ تشمل الذكور والإناث بأصل الوضع، وقد اتفق الأصوليون على أن الجمع الذي لم تظهر فيه علامة التذكير والتأنيث يعمّ النوعين؛ فالنساء يدخلن في الخطاب كما يدخل الرجال، أما الصيغ التي جاءت بلفظٍ يختصّ بأحدهما دون الآخر، مثل: لفظي الذكر والأنثى أو الرجل والمرأة أو الرجال والنساء، فهذه الألفاظ تختص بكل جنس على حدة، والصيغ التي جاءت بصيغة جمعٍ تظهر فيها علامة تذكير أو تأنيث، مثل: المسلمين والمسلمات، كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] أو بصيغة فعلٍ مقرون بواو الجماعة أو نون النسوة، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، فهذه الصيغ تشمل الذكور والإناث؛ إذ الجميع متفقون على دخول النساء في عموم الأحكام الشرعية، ما لم يرد في ذلك تخصيص.

- الأمر العام في النصوص الشرعية الموجّه للمرأة، والموجّه لها في عبادتها أو سلوكها، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]، فهذا الأمر يدل على الوجوب كما ذهب إلى هذا القول جمهور العلماء.

- الآيات التي نزلت لتعليم المرأة حكماً من الأحكام الشرعية أو لتعليمها والرجل سواء، وكانت نازلة لأسباب خاصة؛ مثل آيات الظهار وآيات اللعان، فالاعتبار فيها بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما قرره علماء الأصول، وحكوا

ذلك إجماعاً"^(١).

وبناءً على هذا فالآيات التي سوف يتناولها الباحث بالدراسة والاستنباط، مما لها دلالة منطوقة أو مفهومة على تعليم المرأة، إما ببيان فضله، أو بالتوجيه إلى أحد المجالات التي ينبغي أن تدركها المرأة المسلمة، وتعمل بها، سوف تتم دراستها من خلال هذه المنطلقات الأصولية التي بينها علماء أصول الفقه، وقرروا فيها ما يروونه من الحق.

ثانياً - الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات التأصيلية والميدانية، التي تناولت المرأة في تعليمها، أو تربيته، أو حقوقها، أو واجباتها الاجتماعية، وأهم ما اطلع عليه الباحث من الدراسات التربوية التي تناولت تعليم المرأة مايلي:

- دراسة باحارث (٢٠١٠م) عنوانها: تعليم الفتاة - أهميته الفردية والجماعية وأهدافه الخاصة والعامة - دراسة نظرية في ضوء التراث التربوي الإسلامي، وهدفت هذه الدراسة إلى الوقوف على أهمية تعليم الفتاة بالنسبة لمجموع الأمة، ودوره في بناء المجتمع المسلم، وأهميته في بناء شخصية الفتاة المسلمة، بالإضافة إلى التعرف على الأهداف العامة لتعليم الفتاة من الجهة الاجتماعية، والأهداف الخاصة لتعليمها من جهة تكوينها، واستخدم الباحث لتحقيق أهداف الدراسة المنهج الوصفي والمنهج التاريخي.

وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، من أهمها أن التعليم في الإسلام حقٌّ مشاعٌ لكل إنسان ذكراً كان أو أنثى، بل هو فرض عين في تعلم العلوم الضرورية، التي لا يعذر المسلم بجهلها وفرض كفاية في تعلم العلوم النافعة الأخرى، وأن التعليم يحقق للفتيات مصلحة مباشرة لهن، في بناء شخصياتهن، وحفظ عقولهن،

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، ١/ ٣٣٢.

كما يحقق مصالح كبرى للمجتمع والأمة بأسرها، وأن هناك علاقة قوية بين الانحرافات الفكرية والسلوكية التي يقع فيها بعض الفتيات وبين الجهل والأمية وضعف المستوى التعليمي عندهن، وأن تراث الأمة الإسلامية يحوي منهجاً تربوياً متكاملًا لإعداد الفتاة المسلمة إعدادًا يخدم بناء شخصيتها، ويخدم بناء المجتمع على أسس علمية صحيحة.

- دراسة باحارث (١٤٣٣هـ) عنوانها: معالم نظام تعليم الفتاة في ضوء التراث التربوي الإسلامي، وهدفت هذه الدراسة إلى التعرف على طبيعة معالم نظام تعليم الفتاة في التراث التربوي الإسلامي، والإفادة منه في الواقع التربوي، والعمل على وضع تصور مبدئي عام له في ضوء تراث الأمة الثقافي والتربوي، بالإضافة إلى السعي في التوفيق بين نظام التعليم وبين حاجات الفتيات الفطرية والأسرية وخصوصيتهن الاجتماعية، واستخدام الباحث المنهج الوصفي، والمنهج التاريخي، والمنهج الاستقرائي.

وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، من أهمها أن نظام الإسلام التربوي يؤكد من خلال أساليب السلف الصالح وتطبيقاتهم؛ حق الإنسان في التعلم، ذكرًا كان أم أنثى بحيث تصل المعرفة للجميع دون عوائق، وأن نظام تعليم الفتاة في ضوء التراث التربوي الإسلامي يقوم على ثلاثة معالم: الأول أنه نظام تعليم معرفي يفصل بين المعرفة العلمية وسوق العمل المهني، والثاني أنه يراعي طبيعة قدرات الفتاة الذاتية، ومهامها الاجتماعية، والثالث أنه نظام يمنع الاختلاط بين الجنسين في دور العلم.

- دراسة سميرة باجابر (١٤٢٢هـ) وعنوانها: مبادئ تربية المرأة المسلمة في ضوء الأحاديث النبوية المتعلقة بالنساء في الصحيحين وآثارها التربوية، وهدفت هذه الدراسة إلى استنباط أهم المبادئ في تربية المرأة المسلمة، في ضوء أحاديث الصحيحين المتعلقة بالجوانب التعبدية والأخلاقية والاجتماعية، وإبراز آثارها التربوية في حياة المرأة المسلمة ومجالات تطبيقها، وتوصلت الدراسة إلى عدد من

النتائج، من أهمها: أن الأحاديث النبوية تضمنت كثيراً من المبادئ التربوية التي تسهم في تربية المرأة المسلمة، وكشفت عن أهمية متابعة المربي لمن يربيهم؛ لترسيخ ما تعلموه، وليسهل تطبيقه عليهم، وأنها أرست مبادئ وقواعد الحياة الزوجية التعبدية والأخلاقية والاجتماعية التي ينبغي أن تتحلى بها المرأة.

- دراسة الحازمي (١٤٢٤هـ)، بعنوان: تربية المرأة عند ابن الجوزي ومدى الاستفادة منها في الواقع التربوي المعاصر، وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على آراء الإمام ابن الجوزي رحمه الله في أهداف ومصادر وأساليب تربية المرأة، والتعرف على مجالات تربية المرأة عنده، وتوضيح مدى الاستفادة من رؤيته التربوية لتربية المرأة في الواقع المعاصر.

واستخدم الباحث المنهج التاريخي، وتوصل إلى عدد من النتائج من أهمها: أن ابن الجوزي رحمه الله قد اعتمد في آرائه التربوية لتربية المرأة على القرآن الكريم، والسنة النبوية، وهدى السلف الصالح بشكل واسع، كما استعان بتجربته وخبرته في الحياة مما يجعل آراءه محل احترام وتقدير، وأن المنهج الصحيح لتكوين شخصية المرأة المسلمة هو المنهج المتكامل، الذي يراعي جوانب الروح والجسد ويراعي طبيعتها، وأن ميدان تربية المرأة في العصر الحديث يحتاج إلى تكاتف الجهود بين جميع المؤسسات التربوية حتى تؤدي التربية ثمارها المرجوة منها.

التعليق على الدراسات السابقة:

هذه الدراسات لها أهميتها في مجال تربية المرأة وتعليمها، وقد اتفقت دراستان منها مع هذا البحث في موضوع تعليم المرأة، ودرستان تناولت تربية المرأة، بيد أنه لم يتناول أيُّ منها تعليم المرأة في القرآن الكريم بشكل مستقل، وإن كانت استدلّت ببعض الآيات في بعض المواضع، فدراسة باحارث (٢٠١٠م) تناولت تعليم الفتاة من خلال بيان أهميته الفردية والجماعية، وأهدافه الخاصة والعامة، ودراسة

باحارث (١٤٣٣هـ) بحثت معالم نظام تعليم الفتاة في ضوء التراث التربوي الإسلامي، ودراسة سميرة باجابر (١٤٢٢هـ) حاولت استخلاص أهم مبادئ تربية المرأة المسلمة في ضوء الأحاديث النبوية المتعلقة بالنساء في الصحيحين وآثارها التربوية، ودراسة الحازمي (١٤٢٤هـ)، تناولت تربية المرأة عند ابن الجوزي ومدى الاستفادة منها في الواقع التربوي المعاصر، وكل هذه الدراسات تختلف عن هذا البحث في كونه ينطلق من آيات القرآن الكريم وشروحات المفسرين، في جميع المسائل والقضايا التربوية والتعليمية التي تناولها البحث، ولم يطلع الباحث على أي دراسة مستقلة عن فضل تعليم المرأة ومجالاته، وأساليبه، في القرآن الكريم، وهذا ما سيضيفه هذا البحث بإذن الله للمكتبة التربوية.



الفصل الثاني

الآيات القرآنية الدالة على فضل تعليم المرأة، ودلالاتها التربوية

وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تبين فضل العلم والتعليم، وسوف يقتصر الباحث في هذا الفصل على الآيات التي أشارت في لفظها أو تضمنه معناها بشكل مباشر أو غير مباشر أو أشار مفسروها في تفسيرها إلى تعليم النساء، مع بيان بعض الدلالات التربوية لها، ومن تلك النصوص والفضائل ما يأتي:

- أن تعليم المرأة ورعايتها سبب لدخول الجنة، وأن من علمها ورعى أمانة الله فيها، يستحق كرامة الله له، فيكون من الوارثين للفردوس الأعلى الخالدين فيه، يقول سبحانه في ذكر بعض صفات المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾، وقال بعدها: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٨-١٢] ويقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾، وقال بعدها: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَّمُونَ﴾، [المعارج: ٣٢]، يقول العلامة السعدي رحمه الله بعد ذكره لهذه الآية: "الأولاد - من البنين والبنات - أمانات عند الوالدين، عليهم القيام بحفظ هذه الأمانات، وكفّهم عن جميع المضار والمفاسد، وتعليمهم العلوم النافعة، وأخذهم بالأخلاق الفاضلة، بشر الذين يرثون أولادهم تربية صالحة بالخير والثواب والانتفاع، وحذر الذين يهملونهم بالضرر العاجل والآجل والضياع"^(١)، ويقول الشيخ الراجحي: أولادك أولى الناس ببرك، وأحقهم بمعروفك، فإنهم أمانات جعلهم الله تعالى عندك، ووصاك بتربيتهم تربية صالحة لأبدانهم وقلوبهم، وكل ما تفعله معهم من هذه الأمور دقيقها وجليلها

(١) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٥ هـ، ص ٦٧.

فإنه من أداء الواجب^(١). ويقول العلامة الشنقيطي: قوله: ﴿رُعُونَ﴾ جمع تصحيحٍ للراعي، وهو القائم على الشيء، بحفظ أو إصلاح^(٢)، وقال ابن الجوزي ﴿رُعُونَ﴾: حافظون، قال الزجاج: وأصل الرعي في اللغة: القيام على إصلاح ما يتولاه الراعي من كل شيء^(٣).

- ومما ورد في فضل تعليم المرأة والرجل لأنفسهم ولأهلهم - من البنين والبنات - العلوم النافعة وتأديبهم بآدابها؛ لتحقيق وقايتها من النار، قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَوْلًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ...﴾ [الآية] [التحريم: ٦]، ففي هذه الآية الكريمة توجيه للمؤمنين من الرجال والنساء أن يتعلموا دين الله، ويعملوا بأوامره ونواهيه، ويُعلِّموا أهلهم وأولادهم من البنين والبنات ذلك؛ حتى لا يتعرضوا هم وأزواجهم وأولادهم لعقوبة الله تعالى، ويستحقوا دخول نارٍ وقودها الناس والحجارة، فالمرأة المسلمة داخلة في التوجيه القرآني ﴿قَوْلًا أَنفُسُهُمْ﴾، لكونها من الذين آمنوا، كما أنها داخلة في مضمون ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾، فهي بهذا الدخول يشملها الأمر بالوقاية عالمية ومتعلمة، قال الإمام القرطبي رحمته: في الآية الأمر بوقاية الإنسان نفسه وأهله النار^(٤)، وروى الطبري قول ابن عباس رضي الله عنه في ﴿قَوْلًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾: أي اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، ومروا أهلכם بالذكر، ينجيكم الله من النار^(٥)، وعلى قراءة ﴿قَوْلًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلُوكُمْ نَارًا﴾، يكون المعنى: أن الأهل - ذكوراً

(١) فصول في التربية، الراجحي، عبدالعزيز بن عبدالله، مركز عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي للاستشارات والدراسات التربوية والتعليمية، الرياض، ١٤٣٦هـ، ص ٤١.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ٥/ ٣٢٠.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ، ٣/ ٢٥٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن والمبني لما تضمنته من السنة وآي الفرقان، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تحقيق: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ، ٢١/ ٩٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان في تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري، الطبري، أبو جعفر محمد بن

وإنّا - مطالبون بوقاية أنفسهم النار، كما ذكر ذلك القرطبي والسيوطي عن الضحاك قال: معناه قوا أنفسكم، وأهلوكم فليقوا أنفسهم ناراً^(١).

- ومن النصوص القرآنية الدالة على فضل تعلم الرجال والنساء كتاب الله تعالى، وتعليمهم له؛ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، فهذه الآية الكريمة — وإن جاءت في معرض قصة بني إسرائيل — فإن العبرة بعموم لفظها لا بخصوص سببها، ففيها وصف الله طائفة من المؤمنين من الرجال والنساء بأنهم مصلحون؛ صلحوا في أنفسهم وسعوا للإصلاح غيرهم، فوعدهم الله بأنه لا يضيع أجرهم، فبأي شيء وصلوا إلى هذه المنزلة والمكانة العالية؟ ذكر الله أنهم تمسكوا بكتاب الله تعالى، وعملوا بأوامره ونواهيه جميعاً، وأكثروا قراءته وتمسك به علماً وعملاً، ثم خص من هذه الأوامر إقامتهم للصلاة إظهاراً لعظمتها ومكانتها في الدين، ولم يكتفوا بذلك بل علّموا الناس كتاب الله، ودعّوهم للعمل بما فيه، ومسكّوهم به، فهذا استحقوا وصف الإصلاح، فكل ذكر وأثنى من المؤمنين حافظاً على صلاته، وتمسك بكتاب ربه، وعلم الناس أوامر الله ونواهيه الواردة في كتابه، ودعاهم للتمسك بها، فهو من المصلحين الذين وعدهم الله بأنه لن يضيع أجورهم في الدنيا والآخرة؛ نظير صلاحهم وإصلاحهم لغيرهم، قال الإمام ابن جزيّ في تفسيره: "﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾" أقام ذكر المصلحين مقام الضمير، لأن المصلحين هم الذين يؤمسون بالكتاب^(٢)، وقال السعدي في تفسيره لهذه الآية: "وإنما العقلاء حقيقة من وصفهم الله بقوله:

جرير، تحقيق: محمود شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ٢٣/٤٩١.

(١) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، القرطبي، ٩٢/٢١، والسيوطي في الدر المنثور، السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الناشر: دار الفكر، بيروت، ٨/٢٢٥.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزيّ، أبو القاسم محمد بن أحمد، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤١٦ هـ، ١/٣١١.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ عِلْمَهُمْ لَأَزِيدُنَّهُمْ شَرَفًا وَغَنًّا غَيْرَ ذَلِيلٍ وَلَا مَكْنُوتٍ﴾ أي: يتمسكون به علمًا وعملاً، فيعلمون ما فيه من الأحكام والأخبار التي علمها أشرف العلوم، ويعملون بما فيها من الأوامر التي هي قرة العيون وسرور القلوب، وأفراح الأرواح، وصلاح الدنيا والآخرة، ومن أعظم ما يجب التمسك به من المأمورات إقامة الصلاة ظاهراً وباطناً، ولهذا خصها الله بالذكر لفضلها، وشرفها، وكونها ميزان الإيمان، وإقامتها داعية لإقامة غيرها من العبادات، ولما كان عملهم كله إصلاحاً، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ في أقوالهم وأعمالهم ونياتهم، مصلحين لأنفسهم ولغيرهم، وهذه الآية وما أشبهها دلت على أن الله بعث رسله -عليهم الصلاة والسلام- بالصالح لا بالفساد، وبالمنافع لا بالمضار، وأنهم بعثوا بصالح الدارين، فكل من كان أصلح كان أقرب إلى اتباعهم^(١).

- ومن النصوص القرآنية العامة الدالة على فضل العلماء من الرجال والنساء، وأنهم أرفع درجات ممن ليسوا بعلماء، قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، ففي هذه الآية الكريمة دلالة على رفع مكانة أهل العلم؛ من الرجال والنساء على من ليسوا كذلك، درجات في مكانتهم عند الله وعند خلقه، بل إن مكانة المرأة العالمة أرفع قدراً من الرجل الجاهل، قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "ويرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات، إذا عملوا بما أمروا به"^(٢)، وقال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ أي: في الثواب في الآخرة وفي الكرامة في الدنيا، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن، والعالم على من ليس

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ، ص ٣٠٧.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تحقيق: محمود شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ٢٣/٢٤٦.

بعالم، وقيل: أراد بالذين أوتوا العلم: الذين قرؤوا القرآن، قلت (القرطبي): والعموم أوقع في المسألة وأولى بمعنى الآية، فيُرفع المؤمن بإيمانه أولاً ثم بعلمه ثانياً^(١)، ويشير العلامة ابن عاشور إلى أن تنكير درجات جاء للإشارة إلى أنواعها من درجات الدنيا ودرجات الآخرة^(٢).



(١) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، القرطبي، ٢٠/٣١٩-٣٢٠.
(٢) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المسمى: التحرير والتنوير، بن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ٢٨/٤٠.

لَطِيفًا خَيْرًا ﴿[الأحزاب: ٣٤]﴾، فهذه الآية الكريمة تضمنت التوجيه لنساء ﷺ، ونساء المؤمنين تبعن لهن في ذلك، وبخاصة من نشأن في بيوت علم وفضل، ومن تهيأت لهن فرصة الالتحاق بمدارس العلم ودور القرآن الكريم، فأمرهن الله بأن يتعلمن ويستفدن مما يتلى في بيوتهن من آيات الله، وما يسمعهن من رسول الله ﷺ، ويُعلمن غيرهن ما سمعنه وتعلمنه من السنة النبوية الشريفة، يقول الإمام القرطبي رحمه الله في معنى الآية الكريمة: "لفظ الذكر يحتمل ثلاثة معان: أحدها: أي اذكرن موضع النعمة، إذ صيركن الله في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة، الثاني: اذكرن آيات الله واقدرن قدرها، وفكرن فيها حتى تكون منكن على بال لتتعظن بمواعظ الله تعالى، ومن كان هذا حاله ينبغي أن تحسن أفعاله، الثالث: اذكرن بمعنى احفظن واقرأن وألزمه الألسنة، فكأنه يقول: احفظن أوامر الله تعالى ونواهيه، وذلك هو الذي يتلى في بيوتكن من آيات الله، فأمر الله سبحانه وتعالى أن يخبرن بما ينزل من القرآن في بيوتهن، وما يرين من أفعال النبي عليه الصلاة والسلام، ويسمعن من أقواله حتى يُبلغن ذلك إلى الناس، فيعملوا ويقتدوا، وهذا يدل على جواز قبول خبر الواحد من الرجال والنساء في الدين"^(١)، ويقول الطاهر بن عاشور في ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَيْرًا﴾: "لما ضمن الله لهن العظمة أمرهن بالتحلي بأسبابها، والتلمي من آثارها، والتزود من علم الشريعة، بدراسة القرآن ليجمع ذلك اهتداءهن في أنفسهن ازديادًا في الكمال والعلم، وإرشادهن الأمة إلى ما فيه صلاح لها من علم النبي ﷺ، ... ولم يزل أصحاب الرسول ﷺ والتابعون بعدهم يرجعون إلى أمهات المؤمنين في كثير من أحكام النساء، ومن أحكام الرجل مع أهله"^(٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، القرطبي، ١٧/١٤٨.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٢/١٨-١٩.

- ومن الآيات الدالة على وجوب التعليم على الجنسين قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، ففي هذه الآية وردت لفظة ﴿أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، ولفظة (الناس)، وهما من الألفاظ العامة للجنسين، كما سبق أن بين الباحث تقرير العلماء في ذلك، فهذه الآية من الآيات العامة الدالة على توجيه الله تعالى لمن آتاه الله علماً من الرجال والنساء أن يبلغه للناس ولا يكتمه عنهم، ويُعلم مَنْ لا يعلم منهم، ويتأكد الوجوب على مَنْ سئل إذا كان عالماً أن يجيب من سألته إذا كان يعلم منه الاستفتاء والاسترشاد، ومما يؤكد دلالة هذه الآية على وجوب تبين العلم ونشره؛ قول قتادة رحمه الله: هذا ميثاق أخذ الله على أهل العلم، فمَنْ علم شيئاً فليُعلمه^(١)، ومَنْ في قول قتادة رحمه الله للعاقل فتشمل الرجال والنساء، وقال ابن كثير: "على العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح"^(٢)، وقال ابن عطية في تفسيره: "قال جمهور من العلماء: الآية عامة في كل مَنْ علّمه الله علماً، وعلماء هذه الأمة داخلون في هذا الميثاق"^(٣). وقال الشيخ السعدي: "الميثاق هو العهد الثقيل المؤكد، وهذا الميثاق أخذ الله تعالى على كل من أعطاه الله الكتب وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتمهم ذلك، ويبخل عليهم به، خصوصاً إذا سألوه، أو وقع ما يوجب ذلك، فإن كل من عنده علم يجب عليه في تلك الحال أن يبينه، ويوضح الحق من الباطل، فأما الموفقون، فقاموا بهذا أتم القيام، وعلموا الناس مما علمهم الله، ابتغاء مرضاة ربهم، وشفقة على الخلق، وخوفاً من إثم الكتمان"^(٤).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان في تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري، الطبري، ٧/ ٤٦١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ١٤١٩هـ، ٢/ ١٥٩.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ، ١/ ٥٥١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، ص ١٦٠.

- ومن الصيغ غير المباشرة في حث النساء على التعلم: حثهن على ما يلزم منه التعلم، مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد جاء الأمر بهما في أكثر من آية قرآنية وحديث نبوي، ومما يدل على مشاركة المرأة للرجل في هذا الواجب قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾ [التوبة: ٧١]، يقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله: "في هذه الآية دليل على أن وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليست خاصة بالرجال، بل حتى النساء عليهن أن يأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر، ولكن في حقول النساء، ... إذا رأت المرأة منكراً تنهى عنه، وإذا رأت تفريطاً في واجب تأمر به؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل مؤمن ومؤمنة".^(١)

وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يمكن أن يتم بوجهه الشرعي إلا إذا كان عن علم بما يأمر به وبما ينهى عنه؛ فالأمر بهما أمر بلازمهما وهو العلم بهما.

الأسلوب الثالث: أَمَرُ اللَّهِ تَعَالَى لِلنَّبِيِّ ﷺ بتعليم النساء بعض الأحكام والآداب الشرعية:

وردت في القرآن الكريم عدة آيات جاء الأمر فيها للنبي ﷺ بتعليم وتوجيه نسائه ونساء المؤمنين بعضاً من الأحكام والآداب الشرعية، ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]، ففي هذه الآية الكريمة جاء الأمر من الله تعالى لنبيه ﷺ أن يأمر نساءه من الزوجات والبنات، ونساء المؤمنين، بالحجاب، ويعلمهن كيفيته: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ﴾، كما يعلمهن الحكمة من هذا التشريع الإلهي والأمر الرباني: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾، قال العلامة ابن سعد رحمه الله: "هذه الآية التي تسمى آية الحجاب، فأمر الله نبيه أن يأمر النساء عموماً، ويبدأ بزواجه وبناته، لأنهن أكد من غيرهن، ولأن الأمر لغيره ينبغي

(١) شرح رياض الصالحين، العثيمين، محمد بن صالح، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦ هـ، ٢/ ٤١١.

أن يبدأ بأهله قبل غيرهم، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾^(١).
 - ومن الأوامر القرآنية للنبي ﷺ في تعليم المرأة وتوجيهها، قوله تعالى: ﴿وَقُلْ
 لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ
 بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ...﴾ [النور: ٣١]، قال الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية:
 "خصَّ الله سبحانه وتعالى الإناث هنا بالخطاب على طريق التأكيد؛ فإن قوله: ﴿قُلْ
 لِلْمُؤْمِنَاتِ﴾ (في الآية السابقة لهذه الآية) يكفي، لأنه قولٌ عامٌ يتناول الذكر والأنثى
 من المؤمنين، حسب كل خطاب عام في القرآن... فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن
 يأمر المؤمنين والمؤمنات بغض الأبصار عما لا يحل، فلا يحل للرجل أن ينظر إلى
 المرأة ولا المرأة إلى الرجل، فإن علاقتها به كعلاقته بها، وقصدها منه كقصده
 منها"^(٢)، وهذه الآية يتأكد التوجيه القرآني لكل مسلمة أن عليها أن تغض بصرها
 وتحفظ فرجها عما لا يحل لها، ولا تظهر ما يكون سبباً لافتتان الرجال بها أو
 طمعهم فيها، من جسدها أو الزينة التي تتحلّى بها، إلا ما ظهر منها بحكم الضرورة،
 أو ظهر من غير قصد منها، قال ابن عطية في تفسيره: "ويظهر لي في محكم ألفاظ
 الآية أن المرأة مأمورة بأن لا تبدي، وأن تجتهد في الإخفاء لكل ما هو زينة، ووقع
 الاستثناء في كل ما غلبها فظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه أو إصلاح شأن
 ونحو ذلك، فما ظهر على هذا الوجه فهو المعفو عنه"^(٣)، وخصّه العلامة السعدي
 بالثياب الظاهرة، التي جرت العادة بلبسها إذا لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الفتنة
 بها"^(٤)، ثم بينت الآية الكريمة كيف يكون حجاب المرأة الشرعي الذي ينبغي أن
 رقتلتزم به في تحجبها عن الرجال الأجانب؛ وذلك بأن تشدّ خمارها من فوق
 رأسها إلى صدرها وتستتر به ما بينهما.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، ص ٦٧٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٠٩/١٥.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ١٧٨/٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، ص ٥٦٦.

الأسلوب الرابع: حث الرجال على تعليم نسائهم وأهليهم وبناتهم:

من الأساليب القرآنية في تعليم المرأة المسلمة؛ توجيه الأولياء بتعليم أهليهم، من الزوجات والبنات وغيرهم، ما يجب عليهم من أمور دينهم ودنياهم، وينجيهم من عذاب الله وسخطه ومقتته، مما يكون فيه نجاتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ...﴾ [الآية: ٦٠]، ومعنى الأهل كما يذكر الألوسي في روح المعاني: "ما يشمل الزوجة والولد والعبد والأمة، واستدل بالآية على أنه يجب على الرجل تعلم ما يجب من الفرائض، وتعليمه لهؤلاء"^(١)، ويقول ابن كثير: "أي: تأمر نفسك وأهلك من زوجة وولد وإخوان وقراة وإماء وعبيد بطاعة الله، وتنهي نفسك وجميع من تعول عن معصية الله تعالى، وتعلمهم وتؤدبهم، وأن تقوم عليهم بأمر الله، وتأمرهم به وتساعدهم عليه"^(٢)، والمعنى كما يقول ابن جرير الطبري رحمه الله: وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يَتَّقُونَ به أنفسهم من النار، وروى ابن جرير الطبري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ قال: "علموهم، وأدبواهم، وعن مجاهد قال: اتقوا الله، وأوصوا أهليكم بتقوى الله، وعن قتادة قال: يقيمهم أن يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصيته، وأن يقوم عليه بأمر الله يأمرهم به ويساعدهم عليه، فإذا رأيت الله معصية ردعتهم عنها، وزجرتهم عنها"^(٣)، وقال الإمام القرطبي: "في الآية مسألة واحدة وهي الأمر بوقاية الإنسان نفسه وأهله النار، ... فعلى الرجل أن يصلح نفسه بالطاعة، ويصلح أهله إصلاح الراعي للرعية، ثم استشهد بقول بعض العلماء: لما قال: (قوا أنفسكم) دخل فيه الأولاد، لأن الولد

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، شهاب الدين محمود، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ، ١٤ / ٣٥١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨ / ١٨٩.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره، الطبري، ٢٣ / ٤٩١-٤٩٢.

بعض منه، فيعلمه الحلال والحرام، ويجنبه المعاصي والآثام، إلى غير ذلك من الأحكام، وقال الكيا: فعلينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير، وما لا يستغنى عنه من الأدب"^(١)، وقال القشيري في تفسيره لقوله جل ذكره: «قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ» "أي: فقهوهم، وأدبوهم، وادعوهم إلى طاعة الله، وامنعوهم عن استحقاق العقوبة بإرشادهم وتعليمهم، ودلت الآية: على وجوب الأمر بالمعروف في الدين للأقرب فالأقرب، وقيل: أظهروا من أنفسكم العبادات ليتعلموا منكم، ويعتادوا كعادتكم، ويقال: دلّوهم على السنّة والجماعة، ويقال: علّموهم الأخلاق الحسان، ويقال: مروهم بقبول النصيحة"^(٢)، وقال السعدي رحمه الله في الرياض الناضرة بعد ذكره لهذه الآية: "وذلك بالقيام التام في تربيتهم في دينهم وأخلاقهم ودنياهم"^(٣)، وبين الشيخ الراجحي معنى وقاية النفس والأهل بقوله: "وقايتها تكون بإلزامها أمر الله امتثالاً ونهيه اجتناباً؛ وتأديب الأولاد والأهل وتعليمهم وإجبارهم على أمر الله عز وجل، فكما أنك إذا أطعمتهم وكسوتهم وقمت بتربية أبدانهم فأنت قائم بالحق مأجور، فكذلك -بل أعظم من ذلك- إذا قمت بتربية قلوبهم وأرواحهم بالعلوم النافعة والمعارف الصادقة والتوجيه للأخلاق الحميدة والتحذير من الأخلاق الرذيلة، فهذه الآداب الحسنة خيرٌ للأولاد حالاً ومالاً من إعطائهم الذهب والفضة وأنواع المتاع الدنيوي"^(٤).

- ومن الآيات التي تضمنت توجيه الرجال لتعليم النساء قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦]، ولفظة اليتامى في هذه الآية تشمل الذكور والإناث، وقد استقصت الباحثنان إيمان الطويرش ومها

(١) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، القرطبي، ٩٢/٢١ - ٩٤.

(٢) لطائف الإشارات، (تفسير القشيري)، القشيري، عبدالكريم بن هوازن بن عبدالمملك، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الثالثة، ٦٠٧/٣.

(٣) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، السعدي، ص ٦٧.

(٤) فصول في التربية، الراجحي، ص ٤١.

المانع آراء الفقهاء في هذه المسألة، وبيننا أن جمهور العلماء يرون أنه لا فرق بين الجارية والغلام في دفع المال لهما متى بلغا وكانا رشيدين، وأن المرأة كالرجل في انفكاك الحجر عنها بالبلوغ وإيناس الرشد منها^(١)، يقول الإمام الشافعي رحمه الله: "ولا يختلف أحد من أهل العلم علمته أن الرجل والمرأة إذا صار كل واحد منهما إلى أن يجمع البلوغ والرشد، سواء في دفع أموالهما إليهم"^(٢)، وبناءً على هذا الشمول جاء الأمر الرباني في هذه الآية الكريمة باختبار اليتامى من الذكور والإناث في كيفية التكسب وحفظ المال، وهذا يستلزم تعليمهم مهارات البيع والشراء وحفظ المال والادخار، حتى إذا اطمأن الولي إلى رشدهم ونضجهم وقدرتهم على حفظ أموالهم وتنميتها دفعها لهم، يقول ابن سعدي رحمه الله: "الله أمرنا أن نعلم الجهال والسفهاء كيفية حفظ الأموال، وكيفية التكسب فيها واستحصال منافعتها، قال تعالى: ﴿وَابْتَالُوا أَلْيَنَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ ءَاسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾، فأمرنا أن نعلمهم ونختبرهم فيما يليق بأحوالهم، فإذا مهرروا في هذا العلم وأبصرنا رشدهم دفعنا إليهم أموالهم"^(٣).

الأسلوب الخامس: تعليم المرأة من خلال الإجابة عن أسئلة النساء وأسئلة الرجال المتعلقة بهن:

فقد ورد في القرآن الكريم عددٌ من الآيات تجيب عن أسئلة بعض النساء، أو تجيب عن بعض أسئلة الرجال المتعلقة بقضايا تخص نساءهم.

- ومن أسئلة النساء سؤال أم سلمة عن الهجرة، فقد أخرج الحاكم: عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله، لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء؟ فأنزل الله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ

(١) الخطاب الفقهي المتعلق بالمرأة أصوله وأبعاده، إيمان الطويرش، ومها المانع، تكوين للدراسات والأبحاث، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٦ هـ، ص ٢٤-٢٥.

(٢) الأم، الشافعي، محمد بن إدريس، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٣ هـ، ٢١٦/٣.

(٣) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، السعدي، ص ٧٢-٧٣.

بَعْضُ... ﴿[آل عمران: ١٩٥]﴾^(١)، ومعنى الآية كما قال السعدي رحمه الله: "أي: أجاب الله دعاءهم، دعاء العبادة ودعاء الطلب، وقال: إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى، فالجميع سيلقون ثواب أعمالهم كاملاً موفراً، ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أي: كلكم على حد سواء في الثواب والعقاب"^(٢)، وهذا من كمال العدل الإلهي في مساواة المرأة بالرجل في الثواب والأجر على الأعمال الصالحة، ويؤكد ذلك الإمام الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب بقوله: "وأما قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْثَى﴾ فالمعنى: أنه لا تفاوت في الإجابة، وفي الثواب بين الذكر والأنثى، إذا كانا جميعاً في التمسك بالطاعة على السوية، وهذا يدل على أن الفضل في باب الدين بالأعمال، لا بسائر صفات العاملين، لأن كون بعضهم ذكراً أو أنثى، أو من نسب خسيس أو شريف لا تأثير له في هذا الباب، ومثله قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]، أما قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أي: بعضكم شبه بعض في استحقاق الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية، فكيف يمكن إدخال التفاوت فيه؟"^(٣).

- كما أن القرآن الكريم قد أفاض في كثير من الآيات بتعليم النساء أحكام دينهن، وما يجب لهن وما يجب عليهن، بل وأوضح للرجال كثيراً من القضايا والأحكام التي أشكلت عليهم في أمرهن، مما لهم علاقة به؛ كأمر الميراث، والتزوج من اليتيمات اللاتي لهن ميراث، فقال سبحانه: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبْنَ أَنْ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، ٣٢٨/٢، برقم ٣١٧٤، وقال «هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: على شرط البخاري.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ١٦٢.

(٣) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ، ٩/٤٧٠.

تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿النساء: ١٢٧﴾، روى البخاري عن الزهري، قال: كان عروة بن الزبير، يحدث أنه سأل عائشة رضي الله عنها: ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣]، قالت: هي اليتيمة في حجر وليها، فيرغب في جمالها ومالها، ويريد أن يتزوجها بأدنى من سنة نساها، فنهوا عن نكاحهن، إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق، وأمروا بنكاح من سواهن من النساء، قالت عائشة: ثم استفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ [النساء: ١٢٧]، قالت: "فبين الله في هذه الآية: أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال، ومال رغبوا في نكاحها، ولم يلحقوها بسنتها بإكمال الصداق، فإذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء"، قال: فكما يتركونها حين يرغبون عنها، فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها، إلا أن يقسطوا لها الأوفى من الصداق ويعطوها حقها" ^(١)، قال القرطبي: "نزلت بسبب سؤال قوم من الصحابة عن أمر النساء، وأحكامهن في الميراث وغير ذلك، فأمر الله نبيه ﷺ أن يقول لهن: الله يفتيكن فيهن، أي: يبين لكم حكم ما سألتن عنه" ^(٢).

- ومن الأمثلة كذلك على نزول بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالمرأة ونزلت جواباً لسؤال من الرجال، قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره: "يعني تعالى

(١) أخرجه البخاري في الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، البخاري، كتاب التفسير، سورة النساء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأْتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ ^(٢) وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴿النساء: ٢-٣﴾، حديث رقم ٢٧٦٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، القرطبي، ١٥٩/٧-١٦٠.

ذكره بقوله: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾، أي: ويسألك -يا محمد- أصحابك عن الحيض ... وإنما كان القوم سألوا رسول الله ﷺ عن الحيض، لأنهم كانوا قبل بيان الله لهم ... لا يسكنون حائضاً في بيت، ولا يؤاكلونهنَّ في إناء ولا يشاربونهن، فعرفهم الله بهذه الآية، أن الذي عليهم في أيام حيض نسائهم: أن يجتنبوا جماعهن فقط، دون ما عدا ذلك من مضاجعتهن ومؤاكلتهن ومشاربتهن ... ويعني تعالى ذكره بقوله: ﴿أَذَى فَاَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾، فاعتزلوا جماع النساء ونكاحهن في محيضهن^(١)، فمن هذه الآية الكريمة التي جاءت إجابة لسؤال الصحابة رضوان الله عليهم، علم الله تعالى نساء الصحابة كما علم رجالهم بعض الأحكام المتعلقة بالحيض، من مثل: جواز مساكنة الحائض ومؤاكلتها ومشاربتها، وأن ما يجتنب معها هو الجماع فقط، أخرج النسائي عن أنس، قال: كانت اليهود إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها، ولم يشاربوها، ولم يجامعوها في البيوت، فأنزل الله تعالى ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَاَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] قال: رسول الله ﷺ: «افعلوا كل شيء إلا الجماع»^(٢)، ولهذا كانت إجابة عائشة رضي الله عنها لما سألها مسروق رضي الله عنه ما يحل للرجل من امرأته إذا كانت حائضاً؟ قالت: «كل شيء إلا الجماع»^(٣)، كما أن المرأة المسلمة مطالبة بمعرفة فقه هذه الآية، وما يجب عليها وقت حيضها، وما تجتنب، كما أن عليها معرفة أحكام الغسل من الحيض، حتى إن بعض العلماء الذين أوجبوا الكفارة على من جامع زوجته وهي

(١) تفسير الطبري، الطبري، ٣/ ٣٧٢-٣٧٥.

(٢) خرجه النسائي في السنن الكبرى، النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ، ٢٢٨/٨، رقم ٩٠٤٩.

(٣) أخرجه الدارمي في مسنده المعروف بـ(سنن الدارمي)، الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ، ٦٩٥/١، رقم ١٠٧٩، وقال المحقق: إسناده صحيح.

حائض، أوجبها كذلك على المرأة، ولو لم يكن العلم بذلك واجباً عليها؛ لما وجبت عليها الكفارة عند بعض العلماء، خلافاً للجمهور الذين أوجبوا عليهما الاستغفار والتوبة فقط؛ لفعلهما ما أكد العلماء على تحريمه، كما ذكر ذلك ابن كثير رحمته في تفسير هذه الآية^(١)، وفي كلا القولين من وجوب التوبة والكفارة أو التوبة والاستغفار فقط، دليل على وجوب معرفة المرأة بهذه الأحكام الواردة في هذه الآية الكريمة.

الأسلوب السادس: تعليم النساء من خلال توجيه الرجال وتعليمهم أموراً ترتبط بعلاقتهم بالنساء:

وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم توجه الخطاب فيها للرجال من الأزواج والآباء، وتتضمن في دلائلها تعليم النساء بعضاً من أحكام دينهن وأخلاقهن، ومنها ما يلي:

- من التوجيهات الربانية الموجهة للرجال، ولها علاقة بالنساء مما يجب أن تعلمها المرأة، وتفقه مسؤوليتها الشرعية فيه؛ ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ففي هذه الآية الكريمة، عدد من التوجيهات الربانية العامة للمؤمنين، منها ماله علاقة بأزواجه عليهم السلام، وهو خاص بهن، ومنها ما هو لأزواجه -رضوان الله عليهن- ونساء المسلمين جميعاً، فمن النوع الأول: قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾، فهذه الآية الكريمة حرمت على المؤمنين الزواج بزوجات النبي عليه السلام الباقيات في عصمته بعد وفاته عليه السلام، كما تتضمن تعليم نسائه عدم القبول بالزواج من أي إنسان كان، حفاظاً على مكانة النبي عليه السلام، قال ابن كثير رحمته: "اجتمع العلماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله عليه السلام من أزواجه، أنه يحرم على غيره تزويجها من بعده؛ لأنهن أزواجه في

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ٤٤٠.

الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين،... فأما من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل بها، فما نعلم في حلها لغيره نزعاً، والله أعلم^(١).

وبناءً على هذه الآية فلا يجوز لأحد من المؤمنين أن يتقدم للزواج من أي من أمهات المؤمنين، كما لا يجوز لهن الموافقة على ذلك، لو تقدم أحد لهن جاهلاً بالحكم أو عالماً.

ومن النوع الثاني وهو التوجيهات القرآنية للمؤمنين، مما له علاقة بزواجه رضوان الله عليهن ونساء المسلمين جميعاً؛ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾، ففي هذه الآية الكريمة الأمر بوضع الحجاب بين الرجال والنساء، عند طلب حاجة أو سؤال متاع أو استفسار علمي، وبيان العلة لهذا الأمر وهو طهارة قلوب المؤمنين والمؤمنات، مما يحدثه الشيطان في قلوبهم، نتيجة رؤية بعضهم لبعض، وقد روى ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره عن قتادة قوله في ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ قال: "بلغنا أنهن أمرن بالحجاب عند ذلك"^(٢).

فدل ذلك على أن الآية - مع أنها موجهة للرجال - تتضمن أحكاماً وأوامر شرعية للنساء المسلمات، ومن أهمها الأمر بالحجاب الشرعي، ومن المقرر شرعاً أن الأمر بالشيء أمر بلازمه وهو العلم به، إذا لا يلتزم بالحجاب الشرعي كما أراد الله تعالى من لا يعرف حكمه وطبيعته وضوابطه الشرعية وكيفية الالتزام به.

ثم بين الطبري رحمه الله معنى قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ بقوله: "يقول تعالى ذكره: سؤالكم إياهن المتاع إذا سألتموهن ذلك من وراء حجاب، أظهر لقلوبكم وقلوبهن من عوارض العين فيها، التي تعرض في صدور الرجال من أمر النساء، وفي صدور النساء من أمر الرجال، وأحرى من ألا يكون للشيطان عليكم

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٠٣/٦.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره، ٣١٣/٢٠.

وعليهن سبيل" (١).

- ومن التوجيهات الربانية الموجّهة للرجال، ولها علاقة بالنساء مما يجب أن تعلمها المرأة، وتفقه مسؤوليتها الشرعية فيه؛ ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ...﴾ الآيات إلى قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿[النساء: ٢٢-٢٤]، في هذه الآيات العظيمة وجه الله تعالى الرجال وبين لهم بعض النساء اللاتي يحرم عليهم نكاحهن تحريمًا مؤبدًا، من المحارم بالنسب أو الرضاع، وزوجات الأب، وزوجة الابن، وأم الزوجة وبنتها، وأختها مع بقائها في عصمتها، ومن في عصمة زوج آخر، قال ابن كثير رحمته: يُحرّم الله تعالى زوجات الآباء تكريمًا لهم، وإعظامًا واحترامًا أن توطأ من بعده، حتى إنها لتحرم على الابن بمجرد العقد عليها، وهذا أمرٌ مجمع عليه (٢)، وروى الطبري في سبب نزولها عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله إلا امرأة الأب، والجمع بين الأختين، فنزلت الآية (٣)، وروى ابن أبي حاتم عن رجل من الأنصار قال: توفي أبو قيس -يعني: ابن الأسلت- وكان من صالحى الأنصار، فخطب ابنه قيس امرأته، فقالت: إنما أعدك ولدًا وأنت من صالحى قومك، ولكن آتى رسول الله ﷺ فأستأمره، فأنت رسول الله ﷺ فقالت: إن أبا قيس توفي، فقال: «خيرًا»، ثم قالت: إن ابنه قيسًا خطبني وهو من صالحى قومه، وإنما كنت أعده ولدًا، فما ترى؟ فقال لها: «ارجعي إلى بيتك»، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ الآية (٤)، فنزول هذه الآية وإن كان الخطاب فيها موجّهًا للرجال، إلا أنها

(١) تفسير الطبري، الطبري، ٢٠/ ٣١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ينظر: ابن كثير، ٢/ ٢١٤.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره، ٨/ ١٣٢ - ١٣٣، برقم ٨٩٣٨.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩ هـ، ٣/ ٩٠٩ برقم ٥٠٧٣.

جاءت إجابة لسؤال المرأة، فبهذا يُعلم أن المرأة يجب عليها معرفة من الذين لا يجوز لها نكاحهم من الرجال، كما يجب عليها أن تسأل إذا شكّت في قرابة أحد، وخاصة في المحارم من الرضاع، وأن تُخبر من يجهل تلك القربات من الرجال والنساء، ولا يجوز لها أن تكتم شيئاً من ذلك.

- ومن التوجيهات الربانية الموجّهة للرجال، ولها علاقة بالنساء مما يجب أن تعلمها المرأة، وتفقه مسؤوليتها الشرعية فيه؛ ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، قال ابن كثير رحمته: "هذا أمر من الله تعالى للنساء اللاتي يتوفى عنهن أزواجهن: أن يعتددن أربعة أشهر وعشر ليال، وهذا الحكم يشمل الزوجات المدخول بهن وغير المدخول بهن بالإجماع، ... ويستفاد من قوله: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، وجوب الإحداد على المتوفى عنها زوجها مدة عدتها"^(١)، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "إذا طلقت المرأة أو مات عنها زوجها، فإذا انقضت عدتها، فلا جناح عليها أن تتزين وتتصنع وتعرض للتزويج، فذلك المعروف"^(٢).

فيُلاحظ من الآية شمولها لعدد من الأحكام المختصة بالنساء، التي يجب أن تعلمها المرأة المسلمة، كمدة عدة المتوفى عنها زوجها، ووجوب إحدادها عليه، وجواز استخدامها من أدوات الزينة وحليها ما يدعو الرجال إلى خطبتها، وكل هذه الأحكام جاءت في الآية التي توجّه الخطاب في صدرها إلى الرجال لعلاقتهم بهذه الأحكام، وتوجيههم في آخرها إلى عدم منع النساء من البقاء في بيوتهن مدة العدة، وكذلك عدم منعهن من أن يعلن ما يجذب الخطاب إليهن للزواج بهن بالطرق الصحيحة المعروفة الموافقة للشرع.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ٤٨٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، تفسير القرآن العظيم، ٢/ ٤٣٧ برقم ٢٣٢١.

الأسلوب السابع: تعليم النساء من خلال المواقف الحادثة:

والمقصود بالمواقف الحادثة: الأحداث العامة التي تحصل في بيئة المتربي والمتعلم أو المواقف التي يتعرض لها في حياته اليومية، وهي كثيرة، فالحياة كما يذكر الغبان (١٤٢١ هـ) "أحداث ومواقف متتالية، والأحداث لها عواملها وأسبابها، ولها كذلك نتائجها ومخرجاتها، وفي كل حدث أو موقف يكمن درس ينبغي أن نعيه، والتربية بالأحداث والمواقف الواقعية من أهم أساليب التربية الإسلامية"^(١)، ومقصود الباحث بها هنا: المواقف والأحداث التي حصلت لبعض المؤمنات في العهد النبوي، ومن ذلك:

- حادثة الإفك، وما تبع تلك الحادثة من نزول آيات تتلى إلى يوم الدين، تحمل براءة الصديقة بنت الصديق، زوج رسول الله ﷺ، مما رماها به المنافقون، وعرض بها في ذلك بعض المسلمين، حيث تضمنت تلك الآيات توجيه المؤمنين والمؤمنات بعض الأحكام والآداب الشرعية، ومنها: أنه ينبغي للمؤمنين إذا سمعوا إفكاً مماثلاً أن يظنوا بإخوانهم وأخواتهم خيراً، وأن يرفضوه ولا يصدقوه، ويقولوا هذا إفك مبين، امثالاً لقوله سبحانه: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢]، قال البغوي رحمه الله في تفسيره: قوله عز وجل: ﴿لَوْلَا﴾ هـلا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ﴾ بإخوانهم ﴿خَيْرًا﴾ قال الحسن: بأهل دينهم لأن المؤمنين كنفس واحدة^(٢).

- حادثة اتهام هلال بن أمية لزوجته بالزنا، وليس عنده شهود، فأنزل الله آيات

(١) خصائص التربية الإسلامية وأساليبها، الغبان، محروس أحمد إبراهيم، محرر في كتاب: أصول التربية الإسلامية، (٧١-٨٨)، ط ٢، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، (١٤٢١ هـ).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، تحقيق: محمد النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ٢٣/٦.

الملاعنة^(١)، وفيها علّم الله تعالى المرأة: ماذا تعمل في حالة ملاعنة زوجها لها، حتى يُدْرَأَ عنها حد الزنا، فقال سبحانه: ﴿وَيَذَرُهَا عَنِ الْعَذَابِ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٨) وَلَخَسَّةٌ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿[النور: ٨-٩].

الأسلوب الثامن: الثناء على المؤمنين الذين قاموا بتعليم ورعاية من تحت أيديهم من البنات والنساء:

المتأمل في آيات القرآن الكريم يجد الثناء من الله تعالى للمؤمنين، من الرجال والنساء الذين قاموا بتربية من أوتمنوا عليه، من الأطفال والنساء، وتعليمهم ما أوجب الله عليهم من أحكام الدين وشرائعه، يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، وذكر من صفاتهم: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾، قال السعدي رحمه الله بعد ذكره لهذه الآية: الأولاد أمانات عند الوالدين، عليهم القيام بحفظ هذه الأمانات، وكفهم عن جميع المضار والمفاسد، وتعليمهم العلوم النافعة، وأخذهم بالأخلاق الفاضلة^(٢). وقال القاسمي في محاسن التأويل: "﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾ أي: قائمون عليها بحفظها وإصلاحها، والآية تحتل العموم في كل ما أوتمنوا عليه وعوهدوا، من جهة الله تعالى ومن جهة الخلق، والخصوص فيما حملوه من أمانات الناس وعوهدهم"^(٣).

الأسلوب التاسع: ضرب الأمثال للمرأة بنساء مؤمنات ونساء كافرات، وتعليمها مآل كل منهن:

من أهم الأساليب القرآنية في تعليم المرأة المسلمة سبيل الرشاد وتحذيرها من

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، تفسير القرآن العظيم، ٢/ ٢٥٣٣ برقم ١٤١٨٢.

(٢) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، السعدي، ص ٦٧.

(٣) تفسير محاسن التأويل، القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ، ٧/ ٢٨٣.

سُبل الغواية، عرض بعض النماذج التي سبقت في كل طريق، ففي طريق الهداية والرشاد والصلاح والتقوى ضرب الله أمثلة صالحة للمؤمنات؛ لتقتدي بها، فذكر الله من سير المؤمنات الكاملات مريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم عليهما السلام، وأبرز بعضاً من أجل أعمالهن الصالحة، كما ذكر سبحانه في موضع آخر بلقيس مثلاً للمرأة الملكة التي اعترفت بذنبها، وببطلان دينها، فتركته، واتبعت طريق الهداية والصلاح مع نبي الله سليمان عليه السلام، كما ذكر سبحانه من أمثلة من سار على طريق الغواية والضلال امرأتى نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام، وسوف يستعرض الباحث في السطور التالية ما ذكره الله في كل منهن، فقال سبحانه:

- ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاسِيَةِ ۚ﴾ ^(١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ^(١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا الْوَقُوفُ ^(١٢) [التحریم: ١٠-١٢]، يقول ابن جرير الطبري رحمته الله: "يقول تعالى ذكره: وضرب الله مثلاً للذين صدقوا الله ووحدوه، امرأة فرعون التي آمنت بالله ووحدته، وصدقت رسوله موسى، وهي تحت عدو من أعداء الله كافر، فلم يضرها كفر زوجها، إذ كانت مؤمنة بالله، وكان من قضاء الله في خلقه ألا تزور وزر أخرى، وأن لكل نفس ما كسبت، إذ قالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾، فاستجاب الله لها فبنى لها بيتاً في الجنة...، وقوله: ﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ تقول: وأنقذني من عذاب فرعون، ومن أن أعمل عمله، وذلك كفره بالله، وقوله: ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ تقول: وأخلصني وأنقذني من عمل القوم الكافرين بك، ومن عذابهم" ^(١)، وعن قتادة، قوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ وكان أعنى أهل الأرض على الله، وأبعده من الله، فوالله ما ضرّ امرأته كفر زوجها

(١) تفسير الطبري، الطبري، ٢٣/٤٩٩-٥٠٠.

حين أطاعت ربها، لتعلموا أن الله حَكَمٌ عدل، لا يؤاخذ عبده إلا بذنبه^(١)، وعند السعدي: "فوصفها الله بالإيمان والتضرع لربها، وسؤالها لربها أجل المطالب، وهو دخول الجنة، ومجاورة الرب الكريم، وسؤالها أن ينجيها الله من فتنة فرعون وأعماله الخبيثة، ومن فتنة كل ظالم، فاستجاب الله لها، فعاشت في إيمان كامل، وثبات تام، ونجاة من الفتن"^(٢).

قال الزمخشري في الكشف في دعاء امرأة فرعون: "وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء إليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل: من سير الصالحين وسنن الأنبياء والمرسلين"^(٣)، وقال ابن كثير رحمه الله: "وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم"^(٤).

وعن مريم عليها السلام، قال السعدي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ مِنْهُ﴾: "وهذا وصف لها بالعلم والمعرفة، فإن التصديق بكلمات الله، يشمل كلماته الدينية والقدرية، والتصديق بكتبه، يقتضي معرفة ما به يحصل التصديق، ولا يكون ذلك إلا بالعلم والعمل، ولهذا قال: ﴿وَكُنْتِ مِنَ الْقَائِمِينَ﴾ أي: المطيعين لله، المداومين على طاعته بخشية وخشوع، وهذا وصف لها بكمال العمل، فإنها عليها السلام صديقة، والصديقية: هي كمال العلم والعمل"^(٥)، وقال ابن عاشور: "المراد بالقائمين: المكثرون من العبادة، والمعنى: أنها كانت سليمة قوم صالحين، أي: فجاءت على طريقة أصولها في الخير والعفاف"^(٦).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره، ٢٣/ ٥٠٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، ص ٨٧٤.

(٣) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ، ٤/ ٥٧٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/ ١٩٣.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، ص ٨٧٤.

(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٨/ ٣٧٨.

- وعن بلقيس ذكر الله - سبحانه وتعالى - قصتها مع سليمان عليه السلام في سورة النمل، وفي آخر القصة، ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

قال الطاهر بن عاشور: "بهرها ما رأت من آيات علمت منها أن سليمان صادق فيما دعاها إليه، وأنه مؤيد من الله تعالى، وعلمت أن دينها ودين قومها باطل، فاعترفت بأنها ظلمت نفسها في اتباع الضلال بعبادة الشمس، وهذه درجة أولى في الاعتقاد وهو درجة التخلية، ثم صعدت إلى الدرجة التي فوقها، وهي درجة التحلي بالإيمان الحق، فقالت: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فاعترفت بأن الله هو رب جميع الموجودات، وهذا مقام التوحيد، ... ثم قال: ومكان العبرة منها الاتعاظ بحال هذه الملكة، إذ لم يصدها علو شأنها وعظمة سلطانها مع ما أوتيته من سلامة الفطرة وذكاء العقل عن أن تنظر في دلائل صدق الداعي إلى التوحيد، وتوقن بفساد الشرك، وتعترف بالوحدانية لله، فما يكون إصرار المشركين على شركهم بعد أن جاءهم الهدى الإسلامي إلا لسخافة أحلامهم، أو لعمائيتهم عن الحق وتمسكهم بالباطل وتصلبهم فيه"^(١)، وأشار القرآن الكريم إلى السبب الرئيس الذي جعل بلقيس تعبد غير الله، فقال سبحانه: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [النمل: ٤٣]، قال البغوي في تفسيره قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ هذا استئناف، أخبر الله تعالى أنها كانت من قوم يعبدون الشمس، فنشأت بينهم ولم تعرف إلا عبادة الشمس"^(٢)، وفي هذا دليل على أثر البيئة في تربية الأبناء والبنات، إن كانت البيئة خيرة خرجت نتائج التربية خيرة وصالحة، وإلا كانت النتائج غير ذلك.

إن ضرب الأمثلة للمتربي ببعض القدوات وإظهارها له، وبيان ما تتميز به من

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٩/٢٧٦-٢٧٧.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، البغوي، ٦/١٦٧.

صفات وسمات إيمانية وعلمية؛ له أهمية بالغة في صلاحه وتقليده لها، وذلك "لكونه موافقاً لفطرة الناس في حب التقليد والمحاكاة، وأنه لا يحتاج لمزيد من الجهد أو الشرح، ويضاف على ذلك أنه سلوك عملي تطبيقي فيكون تأثيره أبلغ، وعادة ما يسبق الاقتداء المحبة للمقتدى به، ثم الإعجاب به أو ببعض سلوكياته، ثم تأتي المرحلة الأخيرة وهي الاقتداء به"^(١).



(١) الأساس في التربية الإسلامية، الدوسري، راشد بن ظافر، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٣٩هـ، ص ١٥٢.

الفصل الثالث

مجالات تعليم المرأة في القرآن الكريم

تضمنت آيات القرآن العزيز تعليم المرأة المسلمة كثيراً من أحكام دينها ودنياها، مما يجب أن تعرفه المرأة من واجبات دينها ومستحباته، فعلاً وتركاً، في مجالات العقيدة والشرعية والعبادات والأخلاق، وما يرتبط بعلاقتها بغيرها من الأزواج والأولاد وغيرهم، وسوف يلقي الباحث الضوء على بعض من هذه المجالات.

أولاً: مجال العقيدة والعبادات الشرعية:

اهتم القرآن الكريم بتعليم المرأة المسلمة العقيدة والمسائل المتعلقة بعباداتها، من خلال كثير من الآيات القرآنية العامة الموجهة لعموم المؤمنين من الرجال والنساء، وخصّ المرأة بمزيد تعليم وبيان لبعض القضايا العقدية الخاصة بهن، أو التي وردت في ثنايا الآيات الموجهة إليهن، ومن الآيات الموجهة إلى النساء خاصّة ما يأتي:

- قول الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، في هذه الآيات ورد تقرير عدد من المسائل العقدية والشرعية، التي وُجّه الخطاب فيها لنساء النبي ﷺ، ونساء المؤمنين تبع لهنّ في ذلك، كما قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآيات: "هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي ﷺ، ونساء الأمة تبع لهن في ذلك"^(١)، ومن هذه المسائل العقدية والشرعية:

- الأمر بطاعة الله ورسوله، إذ هي أساس التوحيد، وأصل الإسلام والإيمان، وبدونها لا يتحقق شيء من ذلك، قال ابن كثير رحمه الله: ﴿وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ "وهذا من

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦/ ٣٦٣.

باب عطف العام على الخاص^(١)، فطاعة الله ورسوله عامة يدخل فيها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

- نهي المؤمنات عن التخلق بأخلاق أهل الجاهلية وأعمالهم، وبين سبحانه أن من أعمالهم التبرج والسفور فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَبْرَجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾، ومعناها كما روى ابن جرير الطبري عن قتادة رحمه الله قال: أي إذا خرجتن من بيوتكن، قال: كانت لهن مشية وتكسر وتغنج، يعني بذلك: الجاهلية الأولى، فنهاهن الله عن ذلك، وقيل إن التبرج هو إظهار الزينة، وإبراز المرأة محاسنها للرجال^(٢)، وهذه من القضايا المهمة التي ينبغي أن تهتم بها المرأة المسلمة، ولا سيما في هذه الأزمنة التي كثر فيها تبرج الجاهلية الأولى، بدعوى الانفتاح والتطور وحرية المرأة، مما يؤكد على الأم الالتزام به، "وتعويد البنات على الستر والحجاب، وعندما يشبن يكون من السهل عليهن الالتزام بالحجاب الكامل، كما أمرنا الله عز وجل"^(٣).

- كذلك من التوجيهات الربانية في هذه الآية الكريمة للمرأة المسلمة: الأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وهما أعظم الواجبات العملية في دين الإسلام، بعد النطق بالشهادتين، ووجوب أدائهما يتضمن وجوب تعلم كيفيةهما، وأحكامهما الشرعية، قال ابن كثير رحمه الله: "قوله: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، نهاهن أولاً عن الشر ثم أمرهن بالخير، من إقامة الصلاة - وهي: عبادة الله وحده، لا شريك له - وإيتاء الزكاة، وهي: الإحسان إلى المخلوقين"^(٤).

- قول الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُثَلَّى فِي يُوتِيَكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦/ ٣٦٤.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره، ٢٠/ ٢٥٩-٢٦٠.

(٣) وصايا إسلامية في أدب الذرية، عبد الكافي، إسماعيل عبدالفتاح، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٥هـ، ص ٢٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦/ ٣٦٤.

كَانَ لَطِيفًا خَيْرًا ﴿[الأحزاب: ٣٤]﴾، في هذه الآية الكريمة توجيه ربّاني لأمهات المؤمنين بأن يشكرن الله تعالى على أن جعل بيوتهنّ عامرة بما يتلى فيهنّ من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وعليهنّ أن يعملن بهذه النصوص وما تضمنته من علوم عقدية وشرعية وتوجيهات أخلاقية، وأن يبلغنها لغيرهنّ من المؤمنين، قال الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره لأزواج نبيه محمد ﷺ: واذكرن نعمة الله عليكم؛ بأن جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة، فاشكرن الله على ذلك، واحمدنه عليه، وعني بقوله: ﴿وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾: واذكرن ما يقرأ في بيوتكن من آيات كتاب الله والحكمة، ويعني بالحكمة: ما أوحى إلى رسول الله ﷺ من أحكام دين الله، ولم ينزل به قرآن، وذلك السنة"^(١)، وقال ابن كثير رحمه الله: "أي: اعملن بما ينزل الله على رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة"^(٢).

ثانيًا: في بيان بعض المحرمات التي يجب على المرأة المسلمة عدم اقتراف شيء منها:

أخرج الشيخان^(٣) عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢]، وقد تضمنت هذه الآية، بعض الشروط التي طلب الله تعالى من الرسول ﷺ أن يشرطها عليهن في مبايعتهن، وهذه الشروط

(١) تفسير الطبري، الطبري، ٢٠ / ٢٦٧-٢٦٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦ / ٣٧١.

(٣) البخاري في الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠] برقم ٤٨٩١، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب كيفية بيعه النساء، برقم ١٨٦٦.

هي: عدم الإشراك بالله تعالى، وعدم السرقة والزنا وقتل الأولاد بالوَأَد أو الإجهاض، يقول القرطبي (ولا يقتلن أولادهن) أي لا يئدن الموءودات ولا يسقطن الأجنة^(١)، وألا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن، وعدم المعصية للرسول ﷺ فيما أمرهن به من معروف ونهاهن عنه من منكر، يقول الإمام الماوردي "كانت بيعته لهن تعريفاً لهن بما عليهن من حقوق الله تعالى وحقوق أزواجهن لأنهن دخلن في الشرع ولم يعرفن حكمه فيهنه لهن"^(٢).

ثالثاً في مجال العلاقات الزوجية:

من أهم عوامل استقرار المجتمع المسلم وازدهاره، استقرار الأسرة ممثلة بالزوجين؛ ولذا اهتم القرآن الكريم بتعليمهما الأحكام الشرعية التي يحتاجونها في الحياة الزوجية، بدءاً بالخطبة، ومن ثمّ النكاح، وما يترتب عليه من حقوق كل منهما على الآخر، وانتهاءً بأحكام الإحداد، والتوارث، وعدة المتوفى عنها زوجها، أو الطلاق والخلع والملاعة، لمن لم يكتب الله لهما الاستمرار في الحياة الزوجية، ومن الأحكام التي علمها القرآن الكريم للمرأة المسلمة منفردة أو مع زوجها، ما يأتي:

- قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتَسْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْتُمْ سَتَذْكُرُوهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ. وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، ففي هذه الآية الكريمة عددٌ من التوجيهات الربانية الموجّهة للرجال، ولها علاقة بالنساء، مما يجب أن تعلمها المرأة، وتفقه مسؤوليتها الشرعية فيه، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾، فهذا الجزء من الآية يشير إلى تحريم مواعدة الرجل للمرأة المتوفى عنها زوجها سراً دون علم وليها وحضوره،

(١) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، القرطبي، ٢٠ / ٤٢٥.

(٢) النكت والعيون، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البغدادي، المحقق: السيد ابن عبدالمقصود بن عبدالحكيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٥ / ٥٢٤.

قال ابن عطية رحمته في تفسيره: "أجمعت الأمة على أن الكلام مع المعتدة بما هو نص في تزويجها وتنبه عليه، لا يجوز، وكذلك أجمعت على أن الكلام معها بما هو رفق، وذكر جماع، أو تحريض عليه، لا يجوز، وجوز ما عدا ذلك" ^(١)، وفي حال طلب الرجل ذلك من المرأة، فيحرم عليها الموافقة على طلبه، وكما أن التحريم يترتب عليه الإثم على الرجل في حال طلب ذلك، فكذلك على المرأة التي وافقت على طلب ملاقاته سراً وموافقتها على الزواج منه، أو إعطائه العهد على ذلك، وإذا كانت المرأة جاهلة بهذه الأحكام، فقد تقع في الحرام وهي لا تعلم، أو تمتنع عما أحله الله لها معتقدة تحريمه.

ومن التوجيهات القرآنية في هذه الآية الكريمة كذلك؛ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَزَّمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ ^(٢) فالآية تشير إلى تحريم عقد النكاح قبل انتهاء عدة المرأة المتوفى عنها، ويترتب على التحريم الإثم لكل من علم بعدم انتهاء العدة، وأول من يعلم ذلك هي صاحبة الشأن المتوفى عنها، يقول ابن كثير رحمته: "وقد أجمع العلماء على أنه لا يصح العقد في العدة" ^(٣)، وعن عقوبة المرأة الموافقة على عقد النكاح عليها وهي في العدة؛ ما ذكره القرطبي: أن طليحة الأسدية كانت تحت رُشيد الثقفي فطلقها فنكحت في عدتها، فضربها عمر بن الخطاب، وضرب زوجها بالمخفقة (الدرة) ضربات وفرق بينهما، يريد على وجه العقوبة؛ لما ارتكبه من المحذور، وهو النكاح في العدة ^(٣).

وبناءً على أقوال أهل العلم في هذه المسائل وما شابهها؛ فإنه يجب على المرأة المسلمة أن تعلم هذه الأحكام الشرعية المرتبطة بأحوالها الاجتماعية، من زواج وطلاق وعدة ونحوها، حتى لا تفعل حراماً أو يُغرر بها من رجال لهم في ذلك أغراض دنيوية، من ولي أو خاطب ونحوهم، كما يجب عليها سؤال أهل العلم عن

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ١/ ٣١٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ٤٨٤.

(٣) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، ٤/ ١٥٥-١٥٦.

كل ما أشكل عليها في ذلك.

- ومن الآيات الكريمة التي جاءت لتعليم المرأة أحد حقوقها الزوجية، والمرتبطة بمجال علاقتها مع زوجها، آية الصداق، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتَيْنِ نَحْلَةً فَإِنَّ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْئًا مَرِيئًا﴾ [النساء: ٤]، قال الطبري رحمه الله: "يعني بذلك تعالى ذكره: وأعطوا النساء مهورهن عطية واجبة، وفريضة لازمة"، وروى نحوه عن قتادة وغيره^(١).

فهذه الآية الكريمة تدل على أن الصداق ملك للمرأة، يجب تسميته لها أثناء العقد، وتسليمه لها قبل الدخول بها إلا أن يتفقا على تأجيله أو بعضه، ولا يجوز لوليها ولا لزوجها أكل شيء منه، إلا بموافقتها، وبطيب نفس منها، يقول القرطبي رحمه الله: هذه الآية تدل على وجوب الصداق للمرأة، وهو مُجمَع عليه ولا خلاف فيه، ... وأجمع العلماء أيضًا أنه لا حدّ لكثيره، واختلفوا في قليله، ... قال أبو عبيد: ولا تكون النحلة إلا مسماة معلومة^(٢)، وبهذا يفهم أن المرأة يجب أن تعلم أن الصداق ملك لها، ولا يجوز لوليها أو زوجها أن يأخذ شيئًا منه إلا برضاها، وبطيب نفس منها، فهذا من التوجيهات الربانية الموجّهة للأزواج، والمبيّنة لأحد حقوق النساء عليهم، فوجب على المرأة أن تعلمه، وتفقه حقّها الشرعي فيه.

- ومن تعليم القرآن الكريم للمرأة المسلمة مما له ارتباط بعلاقتها مع زوجها، تعليمها كيف يمكن أن تحافظ على بقائها في عصمة زوجها إن خافت منه نشوزًا أو إعراضًا أو طلاقًا، فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨]، فهذه الآية الكريمة بيّنت أن المرأة إن خافت أن يطلقها زوجها؛ فإن بإمكانها أن تتنازل له عن بعض حقوقها، ومن أمثلة تنازلهن: أن

(١) تفسير الطبري، الطبري، ٧/ ٥٥٢-٥٥٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، القرطبي، ٦/ ٤٤-٤٥.

تتنازل عن ليلتها أو التقليل من حصتها في المبيت عندها، أو أن تقوم بالنفقة على نفسها، أو تتكفل بدفع كراء منزلها، ونحو ذلك، ثم أعلمهن سبحانه وطمأنهن أنهن إن تطلقن من أزواجهن فسوف يغنيهن الله من سعته وفضله، وقد يكون في ذلك خير لهن، وهذا من حكمة الله وفضله عليهن، ثم وجه الرجال للإحسان لنسائهم وتقوى الله فيهن، ورد في تفسير مجاهد عن علي عليه السلام قال: «هو الرجل يكون عنده امرأتان فتكون إحدهما قد عجزت، أو تكون دميمة، فيريد فراقها، فتصالحه على أن يكون عندها ليلة، وعند الأخرى ليلي، ولا يفارقها، فما طابت به نفسها فلا بأس به، فإن رجعت سوى بينهما»^(١).

- ومن الآيات الكريمة التي جاءت لتعليم المرأة أحد حقوقها الزوجية أثناء الطلاق، والمرتبطة بمجال علاقتها مع زوجها، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَكَذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]، فهذه الآية الكريمة موجهة للنبي صلى الله عليه وسلم وهي شاملة له ولأمته من بعده، قال العلامة ابن عاشور رحمته الله: "فضمير الجمع في قوله: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ وما بعده من الضمائر مثله، مراد بها هو وأمته، وتوجيه الخطاب إليه؛ لأنه المبلغ للناس، وإمام أمته وقادتهم والمنفذ لأحكام الله فيهم فيما بينهم من المعاملات، فالتقدير: إذا طلقتم أيها المسلمون"^(٢).

وقد تضمنت الآية نهي الأزواج عن إخراج نسائهم من البيوت بعد طلاقهن طلاقاً رجعيّاً، كما تضمنت نهي النساء من خروجهن من بيوتهن أو طلب الخروج ابتداءً، لما في بقاءهن في بيوت أزواجهن من المصالح العظيمة، لرأب الصدع

(١) تفسير مجاهد، مجاهد، المكي، أبو الحجاج مجاهد بن جبر، تحقيق: د. محمد عبدالسلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ١٤١٠ هـ، ص ٢٩٤.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٨ / ٢٩٤.

العارض في العلاقة الزوجية، يقول العلامة ابن عاشور رحمته الله: "وجملة ﴿وَلَا يَخْرُجَنَّ﴾، نهي لهنّ عن الخروج؛ فإن المطلق قد يخرجها فترغب المطلقة في الخروج لأنها تستثقل البقاء في بيت زالت عنه سيادتها، فنهاهن الله عن الخروج، فإذا كان البيت مكثرى سكنته المطلقة وكراؤه على المطلق، وإذا انتهى أمد كرائه فعلى المطلق تجديده إلى انتهاء عدة المطلقة"^(١).

رابعاً: في مجال تربية الأولاد وتعليمهم:

وجّه الله تعالى الأمهات كما وجّه الآباء بتربية أولادهم من الأبناء والبنات وتعليمهم في آيات كثيرة، وسيشير الباحث إلى أربع آيات كريمات، دلت بمضمونها أو بمفهومها على الأمر بتعليم البنات والأبناء تعليماً عاماً، لكل ما فيه خيرهم وصلاحهم، أو تعليماً خاصاً لبعض الأحكام الشرعية أو الآداب المرعية، وهذه الآيات هي:

- الآية الأولى وفيها تعليم المرأة بعض الأحكام المتعلقة برضاع أولادهم إذا كنّ مطلقات من آبائهم، أو كانوا متوفين قبل ولادتهم أو في فترة رضاع أطفالهم، ومن هذه الأحكام ما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ... الآية﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فالآية الكريمة دلت على أن أقصى مدة الرضاع المعتبرة ستان كاملتان، لينعم الطفل بغذاء طبيعي نافع ومتكامل في شهوره الأولى وهو الأفضل والأكمل له، وليست هذه المدة فرضاً واجباً، فلألم أن تقل عنه وأن تزيد، ولكل من الزيادة والنقص مخاطر على الطفل أو على الأم، ومن الأحكام أيضاً أن رضاع المرأة ليس بواجب عليها، ولكنها أحق به من غيرها من

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٨ / ٢٩٩.

المرضعات، وأن على المولود له من الآباء أو الأولياء نفقة وكسوة الأمهات مدة الإرضاع كاملة، قال الحجاوي: "وعلى الأب أن يسترضع لولده ويؤدي الأجرة، ولا يمنع أمه إرضاعه ولا يلزمها إلا لضرورة، كخوف تلفه ولها طلب أجرة المثل، ولو أرضعه غيرها مجاناً بائناً كانت أو تحته"^(١). كما وجهت الآية الكريمة المرأة ألا تمتنع من إرضاع ولدها إضراراً بوالده في حال طلاقها منه، وكذلك الآباء لا يجوز لهم منع الأمهات من إرضاع أطفالهن إضراراً بهن إذا كنَّ يرغبن بذلك، قال الإمام الطبري: يعني تعالى ذكره بذلك: النساء اللواتي بنَّ من أزواجهن، ولهن أولاد قد ولدنهم من أزواجهن قبل بينوتنهن منهم أنهن أحق برضاعهم من غيرهم، وليس ذلك بإيجاب من الله تعالى ذكره عليهن رضاعهم، فكان معلوماً بذلك أن قوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، دلالة على مبلغ غاية الرضاع التي متى اختلف الوالدان في رضاع المولود بعده، جعل حداً يفصل به بينهما، لا دلالة على أن فرضاً على الوالدات رضاع أولادهن^(٢).

- الآية الثانية في تعليم الأولاد والأهل الأحكام الشرعية وتربيتهم عليها، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، فالخطاب في هذه الآية الكريمة موجّه للنساء كما هو للرجال، فهم مخاطبون جميعاً بوقاية النفس، ووقاية الأهل من النار، وتكون الوقاية كما ذكر المفسرون من الصحابة ومن بعدهم بالتأديب والتعليم، فيعلمونهم ما يجب عليهم فعله وتركه، ويتابعونهم في الفعل والترك ترغيباً وترهيباً، حتى يتعودوا فعل الخير ويجتنبوا فعل الشر، روى ابن جرير الطبري وغيره قول علي عليه السلام في تفسيره للآية، أنه قال: علموهم وأدبوهم^(٣)، وروى الإمام

(١) زاد المستقنع في اختصار المقنع، الحجاوي، أبو النجا موسى بن أحمد بن موسى، تحقيق: عبدالرحمن ابن علي بن محمد العسّكر، الناشر: دار الوطن للنشر - الرياض، ٢٠٥.

(٢) تفسير الطبري، الطبري، ٣٠ / ٥.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره، ٤٩١ / ٣٢.

القرطبي رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير هذه الآية: قوا أنفسكم، وأمروا أهليكم بالذكر والدعاء^(١).

- الآية الثالثة في تعليم الأولاد والخدم الاستئذان عند الدخول على أهليهم وتربيتهم عليها، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَفْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَبَيْنَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْدَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوْفُوتٍ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٨﴾ وإذا بلغ الأطفال منكم الحُلُمَ فَلْيَسْتَفْذِنُوا كَمَا اسْتَفْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [النور: ٥٨-٥٩]، في هاتين الآيتين أمر من الله تعالى للمؤمنين من الرجال والنساء، بألا يدخل عليهم أحد من أطفالهم أو مواليهم، إلا بعد أن يستأذنوا بالدخول، وخاصة في بعض الأوقات التي تكون مظنة للراحة والتخفف من الثياب، وهذا الأمر يستلزم منه أن يقوم المؤمنون بتعليم أبنائهم وبناتهم وخدمهم آداب الاستئذان، ويعودوهم عليه، قال الزمخشري: "ومعنى الآية أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن، إلا في العورات الثلاث، فإذا اعتاد الأطفال ذلك، ثم خرجوا عن حدّ الطفولة، وجب أن يفطموا عن تلك العادة، ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات، كما الرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن"^(٢)، وقال السعدي رحمه الله في تفسيره: "في هاتين الآيتين فوائد منها: أن السيد وولي الصغير مخاطبان بتعليم عبيدهم ومن تحت ولايتهم من الأولاد العلم والآداب الشرعية؛ لأن الله وجه الخطاب إليهم، ولا يمكن ذلك إلا بالتعليم والتأديب"^(٣)، وبيّن الإمام الرازي بعض المسائل المتعلقة بهذه الآية فقال: قال القاضي: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَفْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، وإن كان

(١) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، ٩٢/٢١.

(٢) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ٢٥٤/٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، ص ٥٧٤.

ظاهره الرجال فالمراد به الرجال والنساء؛ لأن التذكير يغلب على التأنيث، فإذا لم يميز فيدخل تحتها الكل، فهذا الحكم لما ثبت في الرجال فثبوتها في النساء بطريق الأولى، كما أننا نثبت حرمة الضرب بالقياس الجلي على حرمة التأفيف^(١)، وروى الطبري عن أبي عبد الرحمن في قوله: ﴿لَسْتَ تَدْرِكُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ قال: هي في الرجال والنساء يستأذنون على كل حال بالليل والنهار^(٢).

- الآية الرابعة في تعليم الأيتام ذكورا وإناثا حسن إدارة المال وكيفية التكسب فيه والأحكام الشرعية المتعلقة به وتربيتهم عليها، حيث وجه الله تعالى أولياءهم، ألا يسلموا لهم أموالهم التي ورثوها، حتى يعلموهم ويدربوهم على حسن إدارة المال وكيفية التكسب فيه، ومن ثم يختبروهم فيه، فإن رأوا منهم رشداً وسداداً وحسن تصرف وإلا فلا يعطوهم أموالهم، خشية أن يهدروها فيما لا فائدة منه، يقول تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الَّذِينَ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ أَهَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦]، واليتيم في هذه الآية يشمل الذكر والأنثى، كما سبق أن بين الباحث ذلك في الأسلوب الرابع من أساليب تعليم المرأة، ويدخل في حكم الأيتام جميع الذين تربوا عند غير أبيهم من القربات وغيرهم، كما يدخل في التعليم والتربية على حسن إدارة المال الأبناء والبنات وذلك بطريق الأولى.

خامساً: في مجال القيم الأخلاقية والعلاقة مع الرجال الأجانب:

أكد القرآن الكريم في آياته كثيراً على تعليم المرأة المسلمة جوانب متعددة من القيم الأخلاقية والفضائل التي تكفل للمرأة تميزاً في حياتها، وسموها في أخلاقها، وعفة في سلوكياتها، وحفظاً لسمعتها، وصيانة لعرضها، ومن تلك الآيات ما يأتي:

- الآية الأولى قول الله تعالى: ﴿يَسَاءَ الَّذِي لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْتُنَّ فَلَا

(١) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، الرازي، ٢٤/ ٤١٥-٤١٨.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره، ١٩/ ٢١١.

تَخَضَّعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٣﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ
الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿[الأحزاب: ٣٢-٣٣]﴾، قال ابن كثير رحمه الله في
تفسيره: هذه آداب، أمر الله تعالى بها نساء النبي ﷺ، ونساء الأمة تبع لهن في ذلك،
فقال مخاطبًا لنساء النبي ﷺ: ﴿فَلَا تَخَضَّعْنَ بِالْقَوْلِ﴾، قال السدي: "لا ترفثن بالقول" ^(١)،
ويعني بذلك: تزيين الكلام إذا خاطبن الرجال؛ ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾، قال ابن زيد: قولاً
جميلاً حسناً معروفاً في الخير ^(٢)، ومعنى هذا كما ذكر ابن كثير: أنها تخاطب
الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم، أي: لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب
زوجها، وقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ أي: الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة، ومن
الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه، كما قال رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا إماء
الله مساجد الله، ولكن ليخرجن وهن تفلات»، وفي رواية: «وبيوتهن خير لهن» ^(٣) ^(٤).

- الآية الثانية قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا
يُذْهِبْنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ
آبَائِهِنَّ ... الآية﴾ [النور: ٣١]، تضمنت هذه الآية عدداً من التوجيهات الربانية
للمؤمنات، ومن أظهرها: غُضُّ البصر، وحفظ الفرج، وعدم إبداء الزينة للرجال
الأجانب، ثم وجههنَّ سبحانه لكيفية الحجاب وتغطية الزينة، بقوله سبحانه:
﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، حتى لا يرى الرجال الأجانب منها هذه الزينة، فيفتتنوا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، ٩/ ٣١٣٠ برقم ١٧٦٦٧.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره، ٢٠/ ٢٥٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦/ ٣٦٣-٣٦٤.

(٤) أخرجه أبو داود في السنن، أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط
ومحمد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ، ١/ ٤٢٣، برقم ٥٦٥ وقال المحقق:
صحيح لغيره، والزيادة أخرجه أبو داود برقم ٥٦٧، وقال الألباني صحيح، وأخرجها الحاكم في
المستدرک برقم ٧٥٥، وقال الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين"، ووافقه الذهبي.

بها، قال الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية: "أمر الله سبحانه وتعالى النساء بألا يبدن زينتهن للناظرين، إلا ما استثناه من الناظرين في باقي الآية حذراً من الافتتان"^(١)، ولأهمية الحجاب في حفظ المرأة وعفتها، وعدم افتتان الرجال بها، ينبغي للوالدين كما يذكر الشتوت تعويد بناتهم عليه منذ الصغر، لتغرس هذه الفضيلة في شعور البنت وضميرها، وينبت الحجاب في لحمها ودمها، فتعتاد عليه ولا تستطيع خلعه فيما بعد، وينقل قول الصابوني: بأن على المسلم أن يعود بناته منذ العاشرة ارتداء الحجاب الشرعي، حتى لا يصعب عليهن بعد ارتدائه، قياساً على أمر الصلاة^(٢).

- الآية الثالثة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]، في هذه الآية الكريمة توجيه رباني للمؤمنين والمؤمنات، بعدم السخرية بالغير والاستهزاء بهم والتنازع بالألقاب بينهم، وتعليم لهم بأن المستهزئ به قد يكون عند الله خيراً من المستهزئ، ثم أعلمهم تعالى أن من لم يترك السخرية بالآخرين ونبزهم، ويتب من ذلك، فهو عند الله من الظالمين، قال أبو حيان: "هذه الآية والتي بعدها تأديب للأمة لما كان فيه أهل الجاهلية من هذه الأوصاف الذميمة التي وقع النهي عنها"^(٣)، والمعنى كما قال البيضاوي في أنوار التنزيل: "أي: لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض؛ إذ قد يكون المسخور منه خيراً عند الله من الساخر، ... واختيار الجمع لأن السخرية

(١) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، القرطبي، ١٥/٢١٢.

(٢) دور البيت في تربية الطفل المسلم، الشتوت، خالد أحمد (١٤١٥ هـ)، ط ٥، مطابع الرشيد، المدينة المنورة.

(٣) البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف بن حيان، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ، ٩/٥١٦.

تغلب في المجامع"^(١)، قال ابن كثير رحمته: "ينهى تعالى عن السخرية بالناس وهو احتقارهم والاستهزاء بهم ... والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم، وهذا حرام؛ فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدراً عند الله تعالى، وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له"^(٢).

- الآية الرابعة قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٣٠]، في هذه الآية وصفت النسوة تخرش المرأة بالرجل بأنه ضلال مبين، قال الإمام الطبري: "قلن: إنا لنرى امرأة العزيز في مراودتها فتاها عن نفسه، وغلبة حبه عليها لفي خطأ من الفعل، وجور عن قصد السبيل مبين، لمن تأمله وعلمه أنه ضلال وخطأ غير صواب ولا سداد"^(٣)، وقال السمعاني: "أي: في خطأ ظاهر، ويقال: في ضلال مبين، يعني: أنها تركت ما يكون عليه أمثالها من الستر والعفاف"^(٤)، وقال ابن القيم رحمه الله: "هذا الكلام متضمن لوجوه من المكر، أحدها: قولهن: امرأة العزيز تُراوِدُ فتاها ولم يسموها باسمها، بل ذكروها بالوصف الذي ينادي عليها بقبيح فعلها بكونها ذات بعل، فصدور الفاحشة من ذات الزوج أقبح من صدورها ممن لا زوج لها، ... (ومنها): أن في ضمن هذا أنه أعف منها وأبر، وأوفى، حيث كانت هي المراودة الطالبة، وهو الممتنع، عفاً وكرماً وحياءً، وهذا غاية الذم لها، ... (ومنها): قولهن إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، أي إنا لنستقبح منها ذلك غاية الاستقباح، فنسب الاستقباح إليهن ومن شأنهن مساعدة بعضهن بعضاً على الهوى، ولا يكدن يرين ذلك قبيحاً، كما يساعد الرجال بعضهم

(١) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ، ١٣٦/٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٥١/٧.

(٣) تفسير الطبري، الطبري، ٦٨/١٦.

(٤) تفسير القرآن، السمعاني، منصور بن محمد، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ، ٢٥/٣.

بعضاً على ذلك، فحيث استقبحن منها ذلك كان هذا دليلاً على أنه من أقبح الأمور، وأنه مما لا ينبغي أن تُساعد عليه، ولا يحسن معاونتها عليه" (١).

- الآية الخامسة قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سَقَىٰ حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝٢٤ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ آتِي يَدْعُوكَ لِجَزْءٍ مِّنْ مَّا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ ۝٢٥﴾ [القصص: ٢٣-٢٥]، في هذه الآيات الكريمات نموذج للمرأة المسلمة الملتزمة بأخلاقياتها وعفتها، ويتجلى ذلك في موضعين:

الموضع الأول: في قول المرأتين: ﴿لَا سَقَىٰ حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾، فالمرأتان وقفتا في منأى عن الناس والرجال الموجودين عند مورد الماء، لسقي مواشيهم، ثم اعتذرا بأن أباهما شيخ كبير لا يقوى على المجيء لسقاية الماشية، وإلا لما جاءا إلى مكان يوجد فيه الرجال، قال النسفي: "كَبِيرٌ" في حاله أو في السن، لا يقدر على رعي الغنم، أبدأت إليه عذرهما في توليها السقي بأنفسهما" (٢).

والموضع الثاني: في وصف المرأة التي جاءت لموسى لتنقل له دعوة أبيها له بالحضور؛ ليجزيه أجر سقائه لهما، ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ آتِي يَدْعُوكَ﴾، فوصفها الله أنها جاءت تمشي على استحياء، فقالت له: ﴿إِنَّكِ آتِي يَدْعُوكَ﴾، فالدعوة من الأب وليست منها، والمعنى كما قال الطاهر بن عاشور: أنها مستحية في مشيها، أي: تمشي غير متبخترة ولا متثنية ولا مظهرة زينة، والاستحياء مبالغة في

(١) تفسير القرآن الكريم (التفسير القيم)، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤١٠ هـ، ص ٣٢٧-٣٢٨.

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بدوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ٦٣٦/٢.

الحياء مثل الاستجابة^(١)، وقال ابن كثير رحمته: ﴿تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ﴾ أي: مشي الحرائر، وقولها: ﴿إِنِّي أَدْعُوكَ لِجَزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ هذا تأدب في العبارة لم تطلبه طلباً مطلقاً لثلا يوهم ريبة، بل قالت: إن أبي يدعوك لثيبك ويكافئك على سقيك لغنمنا^(٢).

وكل هذا الوصف البديع لهذه الحادثة العابرة، وما تضمنته من توجيهٍ وتقرير، يُعَلِّمُ المرأة المسلمة ما يجب أن تكون عليه إذا احتاجت للخروج من البيت، من الابتعاد عن مخالطة الرجال، والتدثر بالحياء، أما إذا لم تكن هناك حاجة للخروج، أو يوجد من الرجال مَنْ يقوم بالحاجة للخروج عنها، فإن بقاءها في بيتها أستر لها، وأحفظ لدينها وعفافها.



(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢/ ١٠٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦/ ٢٠٥.

الخاتمة

في ختام هذا البحث الذي تم بعون الله تعالى وفضله، وتناول فيه الباحث أحد الموضوعات التربوية المهمة، وهو موضوع تعليم المرأة، وبيان ما ورد في فضله من أجرٍ وثناءٍ رباني كريم، من خلال آيات القرآن العظيم، وأهم المجالات العقدية والتشريعية والأخلاقية التي عني القرآن الكريم بتعليمها للمرأة، ومحاولة الباحث استقراء هذه الآيات الكريمة وتحديد أهم الأساليب القرآنية التي وردت بها آيات فضل تعليم المرأة ومجالاته، سيعرض الباحث في السطور التالية أهم ما توصل إليه من نتائج.

نتائج البحث:

- دلت آيات القرآن الكريم على فضل تعليم المرأة وأجر من يقوم به.
- تنوعت أساليب القرآن الكريم في الحث على تعليم المرأة، ومنها:
 - التعليم المباشر لبعض الأحكام الشرعية أو الآداب الخاصة بالنساء.
 - حث النساء على التعلم والتعليم.
 - أمّر الله للنبي ﷺ بتعليم النساء بعض الأحكام والآداب الشرعية.
 - حث الرجال على تعليم نسائهم وأهليهم وبناتهم.
 - تعليم المرأة من خلال الإجابة عن أسئلة النساء وأسئلة الرجال المتعلقة بهن.
 - تعليم النساء من خلال توجيه الرجال وتعليمهم أمورًا ترتبط بعلاقتهم بالنساء.
- الأسلوب السابع: تعليم النساء من خلال المواقف الحادثة.
- الثناء على المؤمنين الذين قاموا بتعليم ورعاية من تحت أيديهم من البنات والنساء.
- ضرب الأمثال للمرأة بنساء مؤمنات ونساء كافرات وتعليمها مآل كل منهن.

- تعددت مجالات تعليم المرأة في القرآن الكريم؛ لتشمل كل ما يهتمها من أمور دينها ودنياها، فبالإضافة إلى التشريعات العامة التي تشمل كل مسلم ومسلمة، تأتي بعض التشريعات التي تخص المرأة، ومن تلك المجالات:

- أولاً: مجال العقيدة وأصول العبادات الشرعية.

ومن المسائل العقدية والشرعية التي وردت لتعليم المرأة:

• الأمر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ.

• الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

- ثانياً: في بيان بعض المحرمات التي يجب على المرأة المسلمة عدم اقتراف شيء منها.

- ثالثاً: مجال العلاقات الزوجية، ومن المسائل المتعلقة به:

• تعليمها تحريم عقد النكاح قبل انتهاء عدة المرأة المتوفى عنها.

• تعليمها تحريم مواعدة الرجل للمرأة المتوفى عنها زوجها سرّاً دون علم وليها وحضوره.

• تعليمها أن الصداق ملك للمرأة.

• تعليمها كيف تتصرف في قضايا خاصة.

• تعليم النساء عدم خروجهن من بيوتهن أو طلب الخروج ابتداءً، مدة الطلاق الرجعي.

- رابعاً في مجال تربية الأولاد وتعليمهم:

• تعريفها ببعض الأحكام المتعلقة برضاها لأولادها.

• تعليمها ضرورة العمل على وقاية نفسها، وأهلها من النار، وذلك بالعلم والتأديب.

• تعليم أبنائهم وبناتهم وخدمهم آداب الاستئذان، ويعودونهم عليه.

• تعليم اليتيمة وتدريبها على حسن إدارة المال، وكيفية التكسب فيه.

- خامساً مجال القيم والعلاقات مع الرجال الأجانب.
- تعليمهن كيفية الخطاب مع الرجال الأجانب، وألا يكون فيه خضوع في القول.
- تعليمها وجوب غَضِّ البصر، وحفظ الفرج، وعدم إبداء الزينة إلا لمحارمها.
- تعليمها كيفية الحجاب وتغطية الزينة.
- تعليمها عدم السخرية بالمؤمنات واحتقار أحد منهن.
- تعليمها أن تحرش المرأة بالرجل ضلال مبين.
- تعليم المرأة ما يجب أن تكون عليه إذا احتاجت للخروج من البيت، من الابتعاد عن مخالطة الرجال، والتدثر بالحياء، وضرب لذلك نماذج حية من نساء صالحات للاقتداء بهن. أما إذا لم تكن هناك حاجة للخروج فإن بقاءها في بيتها أستر لها، وأحفظ لدينها وعفافها.

التوصيات:

- بناءً على نتائج البحث؛ يقدم الباحث التوصيات التالية:
- ضرورة اهتمام جميع مؤسسات المجتمع، بالمرأة في مختلف مراحلها العمرية، وإعطائها حقوقها كاملة، ومن أهم حقوقها حقها في التعليم والتربية، وإتاحة الفرصة لها لممارسة دورها التربوي والتعليمي لبنات جنسها.
 - وجوب تهيئة الفرص من قبل المؤسسات التربوية لتعليم المرأة المسلمة ما ينفعها من علوم ومهارات لتتمكن من أداء واجباتها الشرعية والحياتية، والتركيز على المجالات التي وردت العناية بها في القرآن الكريم.
 - أهمية الاستفادة من الأساليب القرآنية في تعليم المرأة، وتطبيقها في المؤسسات التربوية.
 - أهمية تأصيل البحوث المرتبطة بالمرأة وحقوقها من مصادر التربية الإسلامية، حتى لا يلتبس الباطل بالحق، والتأكيد على دور الباحثين التربويين في هذا التأصيل.



المصادر والمراجع

١. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، محمد بن علي، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٤١٩هـ.
٢. الأساس في التربية الإسلامية، الدوسري، راشد بن ظافر، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٣٩هـ.
٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.
٤. الأم، الشافعي، محمد بن إدريس، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٣هـ.
٥. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٦. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المسمى: التحرير والتنوير، بن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
٧. تربية المرأة عند ابن الجوزي ومدى الاستفادة منها في الواقع التربوي المعاصر، الحازمي، محمد عبدالله حسين، رسالة ماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة، غير منشورة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ.
٨. التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤١٦هـ.
٩. تعليم الفتاة - أهميته الفردية والجماعية وأهدافه الخاصة والعامة - دراسة نظرية في ضوء التراث التربوي الإسلامي، باحارث، عدنان حسن، مجلة القراءة

- والمعرفة، العدد (١٠٦)، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠١٠ م.
١٠. تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر الشيرازي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨ هـ.
١١. تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩ هـ.
١٢. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ١٤١٩ هـ.
١٣. تفسير القرآن الكريم (التفسير القيم)، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤١٠ هـ.
١٤. تفسير القرآن، السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزي، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨ هـ.
١٥. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ.
١٦. تفسير مجاهد، مجاهد، المكي، أبو الحجاج مجاهد بن جبر، تحقيق: د. محمد عبدالسلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ١٤١٠ هـ.
١٧. تفسير محاسن التأويل، القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ.

١٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ.
١٩. جامع البيان في تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تحقيق: محمود شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ.
٢٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، شرح وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
٢١. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تحقيق: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ.
٢٢. حقوق وواجبات المرأة في الإسلام، زيدان، عبدالكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ.
٢٣. خصائص التربية الإسلامية وأساليبها، الغبان، محروس أحمد إبراهيم، محرر في كتاب: أصول التربية الإسلامية، (٧١-٨٨)، ط ٢، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢١هـ.
٢٤. الخطاب الفقهي المتعلق بالمرأة أصوله وأبعاده، الطويرش، إيمان والمانع، مها، تكوين للدراسات والأبحاث، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٦هـ.
٢٥. الدر المنثور، السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الناشر: دار الفكر، بيروت.
٢٦. دور البيت في تربية الطفل المسلم، الشتوت، خالد أحمد (١٤١٥هـ)، ط ٥، مطابع الرشيد، المدينة المنورة.

٢٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، شهاب الدين محمود، تحقيق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.
٢٨. الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٥ هـ.
٢٩. زاد المستقنع في اختصار المقنع، الحجاوي، أبو النجا موسى بن أحمد بن موسى، تحقيق: عبدالرحمن بن علي بن محمد العسكر، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض.
٣٠. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٢ هـ.
٣١. سنن أبي داود، أبوداود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ.
٣٢. السنن الكبرى، النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، تحقيق حسن عبدالمنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١ هـ.
٣٣. شرح رياض الصالحين، العثيمين، محمد بن صالح، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦ هـ.
٣٤. شرح مختصر الروضة، الطوفي، نجم الدين سليمان، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمنعم التركي، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤١٩ هـ.
٣٥. فصول في التربية، الراجحي، عبدالعزيز بن عبدالله، مركز عبدالعزيز بن عبدالله

- الراجحي للاستشارات والدراسات التربوية والتعليمية، الرياض، ١٤٣٦ هـ.
٣٦. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ.
٣٧. لطائف الإشارات، (تفسير القشيري)، القشيري، عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الثالثة.
٣٨. مبادئ تربية المرأة المسلمة في ضوء الأحاديث النبوية المتعلقة بالنساء في الصحيحين وآثارها التربوية، باجابر، سميرة بنت سالم بن عبدالله، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢ هـ.
٣٩. مجموع الفتاوى، ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، جمع وترتيب: عبدالرحمن ابن محمد بن قاسم وابنه محمد، إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، المملكة العربية السعودية، د.ت.
٤٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢ هـ.
٤١. مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، النسفي، أبو البركات عبد الله ابن أحمد، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بدوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٤٢. المستدرك على الصحيحين، الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ.
٤٣. مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤١٢ هـ.

- ٤٤ . المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم، بن الحجاج، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- ٤٥ . معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، الجيزاني، محمد بن حسين، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٦ هـ.
- ٤٦ . معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٤، ١٤١٧ هـ.
- ٤٧ . معالم نظام تعليم الفتاة في ضوء التراث التربوي الإسلامي، باحارث، عدنان حسن، منشور ضمن أبحاث للمؤلف في تعليم الفتاة المسلمة في ضوء التربية الإسلامية، دار الصمعي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٣ هـ.
- ٤٨ . مقاصد الشريعة الإسلامية، بن عاشور، محمد الطاهر، تحقيق ودراسة: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، الأردن، ط ٢، ١٤٢١ هـ.
- ٤٩ . النكت والعيون، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البغدادي، المحقق: السيد بن عبدالمقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٥٠ . وصايا إسلامية في أدب الذرية، عبد الكافي، إسماعيل عبدالفتاح، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٥ هـ.



تأكيد الشيء بما يشبه ضده وأثره في تفسير القرآن الكريم (دراسة تحليلية تطبيقية)

إعداد

د. محسن بن حامد المطيري

الأستاذ المشارك في قسم الدراسات القرآنية

جامعة الملك سعود

ملخص البحث

تناول هذا البحث بالدراسة والتحليل الآيات القرآنية التي أطلق عليها المفسرون المصطلح البلاغي "تأكيد الشيء بما يشبه ضده" والإطلاقات المتعلقة به مثل تأكيد المدح أو الذم بما يشبه ضدهما. وقد أراد الباحث من خلال بحثه تحقيق الأهداف التالية:

أولاً: حصر المواضيع في القرآن التي قيل فيها بهذا الأسلوب البلاغي.

ثانياً: دراسة هذه الأساليب ومعرفة موافقتها لكلام المفسرين من السلف والمحققين، وأثرها في التفسير.

ثالثاً: إبراز التفاسير المعنوية بهذا الأسلوب البلاغي.

وخلص الباحث إلى النتائج التالية:

- ١- أثر علم البلاغة في بيان القرآن الكريم ودفع مشكلاته واعتماد المفسرين عليه، ومن ذلك أسلوب تأكيد الشيء بما يشبه ضده.
- ٢- أكثر التفاسير تصريحاً بهذا الأسلوب: ابن عاشور والآلوسي مع الحواشي على الكشاف والبيضاوي: مثل الطيبي والشهاب الخفاجي، وشيخ زاده، والقونوي، وأشار إليه بالشاهد الشعري المعروف دون التصريح الزمخشري والبيضاوي والرازي وغيرهم.
- ٣- درست في البحث أربعاً وأربعين آية قرآنية، ظهر من خلال البحث أن عدداً من الأمثلة القرآنية لا تدخل في المدح والذم بما يشبه ضدهما، وإنما هي من تأكيد الشيء بما يشبه ضده: فكانت الأمثلة المتعلقة بتأكيد الشيء بما يشبه ضده: ست عشرة آية، والمدح بما يشبه الذم: ثماني آيات، والذم بما يشبه المدح: تسع عشرة آية قرآنية، فيما لم يصح إطلاق الأسلوب على آيتين قرآنتين.
- ٤- ظهر من خلال البحث أن أربعاً من الأمثلة التطبيقية في هذا الأسلوب

البلاغي لم تتضمن استثناء ولا استدراكا، وقد صح إطلاق هذا الأسلوب البلاغي عليه وهذا يدل على أن هذا القيد غالب وليس مطردا، خلافا لمن يقصر تعريفه على الاستثناء والاستدراك.

الكلمات المفتاحية: تأكيد الشيء بما يشبه ضده، المدح بما يشبه الذم، الذم بما يشبه المدح، الاستثناء.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

فإن من العلوم ذات الأثر في فهم القرآن وتدبره، وتكشف عن كثير من إعجاز القرآن البياني علم البلاغة، وهو من أصول وأدوات المفسر التي يُجمع أصحاب علوم القرآن على أهميتها لكل طالب لكتاب الله تعالى.

ومن هذه الأبواب التي اعتنى بها علماء البلاغة في كتبهم وظهرت تطبيقاتها من خلال كتب المفسرين: نوع من أنواع البديع وهو باب: تأكيد الشيء بما يشبه ضده. وسوف أعرض لأمثلته في هذا البحث من خلال كتب المفسرين، وأحاول الوصول لجميع تطبيقاته والنظر والمقارنة بين كتب التفسير، وأبين من خلال ذلك أثره البلاغي على التفسير، ودفعه في بعض الأحيان لبعض الإشكالات الواردة.

أهمية الموضوع:

إن أسلوب تأكيد الشيء بما يشبه ضده من أنواع البديع التي قد تكررت في القرآن الكريم، وظهرت اصطلاحاً بشكل ظاهر من خلال كلام بعض المفسرين، وكثيراً ما يقع في مواضع الآيات المتوهم إشكالها، فيكون دفع الإشكال من خلال هذا الأسلوب، ولعدم وجود دراسة تتبع مواضعه في القرآن فقد بذلت جهدي في الوصول لمواضعه في كتب المفسرين والوصول لموافقه لهذا الأسلوب أو مخالفته.

أهداف البحث:

- ١ - حصر مواضع الأسلوب البلاغي: تأكيد الشيء بما يشبه ضده في القرآن الكريم من خلال التفاسير.
- ٢ - دراسة هذه المواضع من خلال النظر في أقوال السلف وأقوال محققي

المفسرين، ومن خلال القواعد والأصول التفسيرية المعروفة.

٣- معرفة أكثر المفسرين عناية بهذا الأسلوب البلاغي، وإبراز المنهجية المتبعة عند المفسرين في عرض هذه الأساليب البلاغية.

الدراسات السابقة:

بعد التتبع والبحث وقفت على دراسة واحدة بعنوان: تأكيد المدح والذم بما يشبه ضدهما في القرآن الكريم (دراسة تحليلية بلاغية)، وهو بحث محكم للدكتور: حسن علي العبيدي، في قسم اللغة العربية في جامعة الأنبار، ومقدمة في مجلة جامعة الأنبار-العدد العاشر، ودرس من خلالها بعض الأمثلة التطبيقية لم تتجاوز فيها عشر صفحات، وبقية البحث دراسة نظرية، فيما سيكون بحثي تطبيقياً أتبع فيه جميع المواضع التي قيل فيها بهذا الأسلوب البلاغي في القرآن الكريم مع النظر في أقوال السلف وتتبع أقوال المفسرين.

منهج البحث:

أعتمد في البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، وأقوم بتتبع المواضع التي قيل فيها بهذا الأسلوب البلاغي تأكيد الشيء بما يشبه ضده وذلك على ترتيب سور القرآن الكريم، ثم أقوم بتحليل الآية المرادة من خلال المقارنة بأقوال السلف وكتب المفسرين لمعرفة صواب القول فيها وعدمه، وبيان الوجه البلاغي في القول بهذا الأسلوب، والغرض البياني والفائدة منه سواء كان في بيان المعنى أو دفع الإشكال ونحو ذلك.

خطة البحث:

جعلت البحث في مقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته. ويتضمن البحث بحثين: نظري وتطبيقي:

المبحث الأول: تعريف تأكيد الشيء بما يشبه ضده، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: تعريفه لغة واصطلاحاً.
المطلب الثاني: أهم إطلاقاته وأنواعه عند البلاغيين.
المبحث الثاني: الأمثلة التطبيقية لجميع الأمثلة الواردة في القرآن.
ثم الخاتمة وتتضمن: النتائج والتوصيات ثم الفهارس.
راجيا من الله تعالى التوفيق والسداد في القول والعمل، وأن تكون الدراسة من
العلم النافع.



المبحث الأول

تعريف تأكيد الشيء بما يشبه ضده

المطلب الأول: تعريف تأكيد الشيء بما يشبه ضده لغة واصطلاحاً:

تعريفه لغة: أصل المصدر: تأكيد، من الفعل الثلاثي: (وكد)، يقال: وكّد العقد والعهد: أوثقه، والهمز فيه لغة، قال الجوهري: (وكّدْتُ العهدَ والسرَّجَ تأكيداً، وأكّدتَه تأكيداً بمعنى، وبالواو أفصح).^(١) وأما تعريف الضد لغة: كل شيء ضادّ شيئاً ليغلبه، تقول: ضد الشيء وضديده، ضددت فلاناً ضداً، أي: غلبته وخصمته، ويقال: ضادني فلان إذا خالفني، والسواد ضد البياض والليل ضد النهار.^(٢)

تعريفه اصطلاحاً: يلاحظ في التعريفات التي تعرضت لهذا المصطلح اقتصرها على تعريف تأكيد المدح بما يشبه الذم أو العكس، لغلبة هذين النوعين على الأمثلة الواردة عند المتقدمين، قال التفتازاني: (النظر في هذه التسمية على الأعم الأغلب، وإلا فقد يكون ذلك في غير المدح والذم.. وليس: تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه).^(٣) وأكثر المتقدمين من البلاغيين يبنون التعريف على أحد النوعين، وهما تأكيد المدح بما يشبه الذم، أو تأكيد الذم بما يشبه المدح، وقد عرّفه القزويني بقوله: (أن يُستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها، أو يُثبت لشيء صفة مدح، ويُعقّب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له)^(٤). وعرّفه الدكتور أحمد مطلوب فقال: (بناء حكم معنوي موهم خلاف المقصود ثم الاستثناء منه بما يثبت

(١) الصحاح للجوهري: (٥٥٣/٢)، وانظر: لسان العرب: (٤٦٦/٣).

(٢) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: (٣١٣/١١)، وانظر: لسان العرب: (٢٦٤/٣).

(٣) المطول للتفتازاني: (٨٨/٤)، وانظر: التحرير والتنوير لابن عاشور في سائر تفسيره، والبلاغة العربية، لعبد الرحمن حبنكة الميداني: (٣٩٢/٢)، دراسات منهجية في علم البديع، د. الشحات أبو ستيت: (١٨٦).

(٤) تلخيص المفتاح للقزويني: (٣٨٠)، وانظر: شروح التلخيص: (٣٨٦-٣٨٩)، معجم المصطلحات البلاغية، د. أحمد مطلوب: (١٢-٩/٢).

غرض المتكلم).^(١) ورغم التعريف بقيد الاستثناء والاستدراك إلا أن ذلك هو الأعم الأغلب، وليس على سبيل الاطراد، ومن أمثلة عدم وجود الاستثناء والاستدراك في الشعر قول ابن الرومي: خير ما فيهم ولا خير فيهم... أنهم غير مؤثمي المغتاب^(٢)

المطلب الثاني: أهم إطلاقاته وأنواعه عند البلاغيين:

لقد مر هذا المصطلح البلاغي بعدة مراحل، وتباينت إطلاقات العلماء عليه إلى مرحلة متأخرة من نشأة علم البلاغة، ويعد ابن المعتز من أوائل من أشار إليه، وأطلق عليه اسم أبرز أنواعه وهو تأكيد المدح بما يشبه الذم،^(٣) واقتصر عليه، وتبعه على هذه التسمية: السكاكي والقزويني والسبكي إلا أنهم أضافوا لونا آخر إليه، وهو تأكيد الذم بما يشبه المدح، وتوسعوا في المصطلح وأنواعه، وجمع أبو علي الحاتمي بين مصطلح النحويين والبلاغيين فأطلق عليه الاستثناء وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وسماه أبو هلال العسكري وابن رشيق الاستثناء، ووسمه ابن منقذ بالرجوع والاستثناء، وصنفه العلوي تحت مصطلح التوجيه، ثم أردفه بذكر النوعين في المدح والذم.^(٤)

وممن أطلق عليه تأكيد الشيء بما يشبه ضده أو نقيضه: التفتازاني وابن عاشور وغيرهما،^(٥) وقد اخترت هذا الاصطلاح لشموله أنواعه كلها، ولوجود أمثلة قرآنية

(١) البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب: (٤٤٦).

(٢) ديوان ابن الرومي: (١/١٨٩)، وستأتي عدة أمثلة قرآنية على مثل هذا النمط في عدم وجود الاستثناء والاستدراك.

(٣) انظر: البديع لابن المعتز: (٣٨)، وانظر تفصيله وتاريخه في معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب: (٩/١٢-١٢).

(٤) انظر: مفتاح العلوم للسكاكي: (٢٠٢)، الايضاح، للقزويني: (٥٢٤)، عروس الأفراح للسبكي: (٣٩٦/٤)، حلية المحاضرة، للحاتمي: (١٠)، الصناعتين للعسكري: (٤٠٨)، العمدة لابن رشيق القيرواني: (٤٨/٢)، البديع في نقد الشعر، لابن منقذ: (١٢٠)، الطراز ليحيى العلوي: (٣/٧٤).

(٥) انظر: المطول للتفتازاني: (٤/٨٨)، وقد كرره ابن عاشور في تفسيره كثير بهذا المصطلح، وذكره أيضا =

كثيرة تخرج عن نوعي المدح والذم.

هذه مقدمة مختصرة حول مصطلحات المتقدمين والمعاصرين لهذا المصطلح البلاغي، ويلحظ عدم استقرار المصطلح وإطلاق بعضهم نوعاً من أنواعه عليه، فيما وسمه بعضهم بمصطلح يشمل النوعين، وسيتبين لنا من الأمثلة القرآنية وجود عدد من الأمثلة قد خرجت عن هذين النوعين كما ذكر ذلك التفتازاني وغيره، ومما يستدعي الذكر في تاريخ هذا المصطلح ما ذكره ابن أبي الإصبع المصري في ندرة أمثلة هذا النوع القرآنية إذ قال: (وهذا الباب.. في غاية العزة في القرآن، ولهذا لم أجد منه إلا آية واحدة تحيلت على تأويل تدخل به في هذا الباب).^(١)

وأما أقسام هذا المصطلح فسأعرضها باختصار لتوافرها، ولكثرة من طرقها من البلاغيين:

القسم الأول: تأكيد المدح بما يشبه الذم: وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها، نحو قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۖ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٥ - ٢٦] استثنى السلام من اللغو والتأثيم مع كونه ضداً له ونقيضاً فكان ذلك مؤكداً لانتفاء اللغو والتأثيم، فالتأكيد في هذا النوع من وجهين:

الوجه الأول: أنه كدعوى الشيء ببينة؛ فأثبت شيئاً من العيب على تقدير أن السلام من اللغو والتأثيم، وذلك محال؛ فهو في المعنى تعليق بالمحال.

الألوسي والشهاب الخفاجي مع ذكرهم للمصطلح المشهور في المدح والذم، والميداني في البلاغة العربية: (٣٩٢/٢)، والشحات في كتابه البديع: (١٨٤).

(١) بديع القرآن لابن أبي الإصبع المصري: (٤٩)، وانظر: الإتقان للسيوطي: (١٧٤٩/٥)، الزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي: (٢١٤/٦)، وقد تكون ندرة الأمثلة لتقدمه وعدم اشتهاها، مع اقتصاره على نوع واحد وهو المدح بما يشبه الذم، وعدد هذا النوع من خلال بحثي في كتب التفسير كانت ثمانية أمثلة فقط.

الوجه الثاني: أن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلاً، فإذا نطق المتكلم بـ "إلا" أو نحوها توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن ما يأتي بعدها مُخَرَج مما قبلها، فيكون شيء من صفة الذم ثابتاً، وهذا ذم، فإذا أتت بعدها صفة مدح تأكد المدح؛ لكونه مدحاً على مدح، ومن أشهر أمثلته في الشعر قول النابغة الذبياني: وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ^(١)

أي: إن كان فلول السيف من قراع الكتائب من قبيل العيب، فأثبت شيئاً من العيب على تقدير أن فلول السيف منه ثم أعقبها بالمدح لأن الوصف كناية عن الشجاعة.

النوع الثاني: أن يثبت لشيء صفة مدح ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له، ومن أمثلته قول النابغة الجعدي: فَتَيَّ كُمُلْتُ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ ... جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا^(٢)

فأثبت له صفة مدح وأعقبها باستثناء تضمن صفة مدح أخرى، والأصل في الاستثناء في هذا النوع أن يكون منقطعاً لأن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه.

النوع الثالث: من صور تأكيد المدح بما يشبه الذم أن يأتي الاستثناء فيه مفرغاً^(٣)؛ ويكون العامل مما فيه معنى الذم، والمستثنى مما فيه معنى المدح، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ [الأعراف: ١٢٦] أي: وما تعيب منا إلا أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الإيمان بآيات الله.

القسم الثاني: تأكيد الذم بما يشبه المدح: وهو نوعان:

النوع الأول: أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها

(١) ديوان النابغة: (٦٠)، والفلول: الكسر في حد السيف، وقراع الكتائب أي: من مضاربة الجيوش. المطول للتفتازاني: (٨٨).

(٢) نسبه في حماسة الخالدين للنابغة الجعدي: (٤٥).

(٣) الاستثناء المفرغ: ما حذف من جملته المستثنى منه، وورد بصيغة النفي، النحو الوافي، لعباس حسن: (٣١٧/٢).

فيها؛ ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠] فإن إطلاق الحجة على الذين ظلموا دم في صورة مدح^(١).

النوع الثاني: أن يُثبت للشيء صفة دم ويعقب بأداة استثناء تليها صفة دم أخرى له؛ كقولك: فلان فاسق إلا أنه جاهل، وفي كل ما ذكرت من الاستثناء يجري مثله الاستدراك، ومن أمثلته في تأكيد المدح بما يشبه الذم قول بديع الدين الهمداني: هو البدر إلا أنه البحر زاهر * * * سوى أنه الضرغام لكنه الوبل^(٢)

وذكر التفتازاني مثالا لتأكيد الشيء بما يشبه ضده خارج عن هذين الضربين وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]، وسترده أمثلة أخرى مماثلة أثناء البحث.

ويحسن هنا أن نذكر أن بديع هذا الأسلوب في الخلافة والطرافة، واشتماله على عنصر المفاجأة والمباغطة الذي يثير الانتباه، ويوقظ الحس^(٣)، ومن ها هنا قيل: إن أشد آية في القرآن على الكافرين اشتملت على هذا الأسلوب وهو المفاجأة بخلاف ما كان يتوقعه الكفار بعد الاستثناء من تخفيف العذاب، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبا: ٣٠].

وسياقي مزيد أغراض ولفات ولطائف أثناء الدراسة التطبيقية لهذا الأسلوب العربي البديع.



(١) انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي: (١١٣/١)، وانظر: حاشية الطيبي على الكشاف: (٣/١٦١)، خزانة الأدب للبغدادي: (٣/٣٢٨).

(٢) انظر هذه الأنواع وأمثلتها: الطراز للعلوي: (٣/٧٤)، المطول للتفتازاني: (٤/٨٨-٩٥)، بغية الإيضاح للصعدي: (٤/٥١)، والبيت في ديوان بديع الدين الهمداني: (١١٩).

(٣) انظر: بغية الإيضاح للصعدي: (٤/٦٢٣)، دراسات منهجية في البديع للشحات محمد: (١٨٧).

المبحث الثاني

الأمثلة التطبيقية لجميع الأمثلة الواردة في القرآن

الآية الأولى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِكَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠] هذه الآية وردت في شأن تحويل القبلة، ومحااجة أهل الكتاب في ذلك النبي عليه الصلاة والسلام، وقد ذكر المفسرون في هذا الأسلوب البلاغي قولين، وهما متفرعان على معنى الآية:

الأول: أن الاستثناء متصل، وأن المراد بالحجة مطلق الاحتجاج سواء كانت بحق أو باطل، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ١٦] فأطلق عليها وصف الحجة ثم نعتها بالبطلان، والمراد بالناس العموم من اليهود وكفار قريش والمستثنى هم الظالمون منهم بدليل قوله بعدها: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾، فدل على أنه من جنسهم، وقد رجح اتصال الاستثناء الطبري وابن عطية وابن تيمية وابن القيم،^(١) قال ابن القيم: (سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: ليس الاستثناء بمنقطع بل هو متصل على بابه، وإنما أوجب لهم أن حكموا بانقطاعه حيث ظنوا أن الحجة ههنا المراد بها: الحجة الصحيحة الحق، والحجة في كتاب الله يراد بها نوعان: أحدهما: الحجة الحق الصحيحة ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣].. ويراد بها مطلق الاحتجاج بحق أو باطل كقوله: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٠].. وإذا كانت الحجة اسما لما يحتج به من الحق أو باطل صح استثناء حجة الظالمين من قوله: ﴿لِكَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ وهذا في غاية التحقيق).^(٢)

(١) انظر: تفسير الطبري: (٣/ ٢٠١)، المحرر الوجيز، لابن عطية: (١/ ٢٢٥)، بدائع الفوائد لابن القيم: (٤/ ١٧٣).

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم: (٤/ ١٧٣).

القول الثاني: أن الاستثناء هنا منقطع وتكون الحجة بمعنى الدليل والبرهان، فيراد بالاستثناء معنى الاستدراك ويكون بمعنى: (لكن)، ورجح هذا القول الزجاج والفراء والأصفهاني^(١)، ويكون منقطعاً لأن المستثنى وهو الظلم في الاحتجاج ولا يعد من جنس المستثنى منه وهو الحجة والدليل والبرهان، وأصحاب هذا القول ذهبوا إلى أنه من تأكيد الشيء بما يشبه ضده، قال الخفاجي: (وهو استثناء منقطع أيضاً لكنه من تأكيد الشيء بضده وإثباته بنفيه، قال الزجاج: تقول: مالك عليّ حجة إلا الظلم أي: مالك عليّ حجة ألبتة، ولكنك تظلمني، ومعناه: إن تكن لهم حجة فهي الظلم، والظلم لا يمكن أن يكون حجة فحجتهم غير ممكنة فهو إثبات بطريق البرهان).^(٢)

وعلى هذا القول فهو من تأكيد الذم بما يشبه المدح، وأشار إلى ذلك بوصفهم بالذين ظلموا، فهو من التعليل بذكر الوصف كما في دلالة التنبيه والإيماء. ومثار الخلاف هو: هل الحجة هي الاحتجاج والخصومة أو الدليل والبرهان الصحيح؟ فإن كان الأول، فهو استثناء منقطع، وإن كان الثاني، فهو استثناء متصل.^(٣) ولعل الأقرب من القولين: أن الحجة تطلق على الدليل والبرهان ومطلق الاحتجاج بالباطل كما ورد ذلك في القرآن في آيات كثيرة، والمحااجة هي أن يورد كل واحد منهم على صاحبه حجة، وهذا يقتضي أن الذي يورده المبتل أيضاً يسمى بالحجة، ولأن الحجة اشتقاقها من حجّه، إذا علا عليه فكل كلام يقصد به غلبة الغير فهو حجة، وإذا ثبت أن الشبهة قد تسمى حجة كان الاستثناء متصلاً، والأصل في

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج: (٢٢٧/١)، معاني القرآن للفراء: (٨٩/١)، مفردات القرآن للأصفهاني: (٢١٩).

(٢) حاشية الشهاب الخفاجي: (٢٥٦/٢)، وكلام الزجاج في معاني القرآن: (٢٢٧/١)، وانظر: تفسير الرازي: (١٢٠/٤)، حاشية الطيبي: (١٦١/٣)، البحر المحيط لأبي حيان: (٤٢/٢)، تفسير أبي السعود: (١٧٨/١).

(٣) انظر: البحر المحيط: (٤٢/٢).

الاستثناء الاتصال ولا يصار إلى الانقطاع مع إمكان القول بالأصل، وتكون الحجة من القدر المشترك الذي يطلق على الحجة الصحيحة والباطلة وكلاهما معنى حقيقي، فلا يصح بناء عليه إطلاق هذا الأسلوب البلاغي على هذه الآية، والله أعلم.^(١)

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغِصُّوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧]

وهو أمر الله لعباده المؤمنين بالإنفاق من الطيب من الأموال وتجنب الرديء الذي لن تقبلوه إلا أن تتغاضوا مكرهين عليه، وقد اختلف المفسرون في هذه الآية والأسلوب على قولين:

القول الأول: أن الله أمر عباده المؤمنين بالإنفاق من الطيب من الأموال وتجنب الرديء منها الذي لن تقبلوه إلا أن تتغاضوا مكرهين عليه، وعلى هذا القول عامة السلف والمفسرين: علي بن أبي طالب وابن عباس والبراء بن عازب ومجاهد ورجحه الطبري والزمخشري وابن عطية^(٢)، والمراد بالخبيث: الرديء من الطعام، ومثل له بعض السلف بالحشف من التمر، والمستثنى منه هو قبوله وأخذه، والمستثنى هو: التساهل وغض الطرف عن حقكم بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه من قولك: أغمض فلان عن بعض حقه، إذا غَضَّ بصره، والمراد: فلا تفعلوا مع الله ما لا ترضونه لأنفسكم، والاستثناء على هذا القول من المتصل، فلا يصح على ذلك حمله على هذا الأسلوب البلاغي من تأكيد الشيء بما يشبه ضده.

القول الثاني: أنه أمر من الله للمؤمنين بالكسب الحلال واجتناب الخبيث وهو الحرام في كسبه، فلا تقصده تنفق منه، فإن الله عز وجل لا يقبل إلا طيبا، وهو قول

(١) انظر: تفسير الرازي: (٤/ ١٢٠)، تفسير البحر المحيط: (٢/ ٤٢).

(٢) تفسير الطبري: (٥/ ٥٦٣)، الكشف: (١/ ٣١٥)، المحرر الوجيز: (١/ ٣٦٢)، تفسير الرازي: (٧/ ٥٥).

ابن زيد من السلف ورجحه ابن عاشور، وذكره بعض المفسرين تجوزاً^(١) فيحمل المعنى على الحقيقة الشرعية في الطيب من الطعام وهو الحل في الكسب ونحوه. والمراد بالإغماض هنا: من أغمض الرجل إذا أتى غامضاً من الأمر فلا يقدم عليه إلا على وقوع في الحرام، فيكون الكلام منصرفاً إلى غرض ثان وهو النهي عن أخذ المال الخبيث والمعنى: لا تأخذه، وتحريم أخذ المال المعلوم حرمته على من هو بيده ولا يحل انتقاله إلى غيره، ويكون الاستثناء على ذلك منقطعاً، وهذا من جعل النفي بمعنى النهي فهو خبر بمعنى الإنشاء فهو على ذلك من الأسلوب البلاغي: تأكيد الذم بما يشبه المدح، أي: لا تأخذه إلا إذا تغاضيتم عن النهي وتجاهلتموه ووقعتم في الحرام بأخذه، وهو مقتض لتحریم الفعل بل المبالغة في التحريم والذم على ذلك.^(٢)

واحتج الطبري على رد هذا القول بمخالفته لاتفاق أهل التأويل، ورده ابن عطية لمخالفته لسياق الآية مع تصحيحه لمعناه في نفسه،^(٣) والذي يصحح قول ابن زيد أنه اعتمد الحقيقة الشرعية في معنى الطيب والخبيث من المال، وأما قول الجمهور فقد اعتمد على الحقيقة اللغوية والقاعدة: أن حمل الألفاظ على الحقيقة الشرعية أولى من الحقيقة اللغوية.

والذي يظهر صحة القولين وعدم التعارض بينهما فتحمل الآية على المعنيين، والقاعدة: أنه متى أمكن حمل الآية على عدة معاني فهو أولى من حملها على أحدها دون الآخر، وكلاهما قول معتبر وسياق الآية والجمهور يعضدان القول الأول، وقاعدة الحمل على الحقيقة الشرعية يقوي القول الثاني، فيصح على ذلك حمل هذه الآية على هذا الأسلوب البلاغي، وبديع بلاغته: في المفاجأة والمباغلة في الذم

(١) قول ابن زيد في تفسير الطبري: (٥/ ٥٦٤)، وانظر: التحرير والتنوير: (٣/ ٥٨).

(٢) انظر: المحرر الوجيز: (١/ ٣٦٣)، التحرير والتنوير: (٣/ ٥٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري: (٥/ ٥٦٤)، المحرر الوجيز: (١/ ٣٦٢).

لصاحب هذه الأوصاف خلاف ما كان يتوقع السامع بالاستثناء الوارد فيه من المدح، إذ بين الله تعالى تحريم الاكتساب والإنفاق من المال الحرام ثم استثنى من ذلك من أغمض أي: أتى غامضاً من الأمر وتجاهل الحرام فقبل الحصول عليه من الحرام فوق جمعه من الحرام فجمع السوأيتين، وهذه الصورة البلاغية فيها توبيخ شديد، وإظهار لمدي تساهل صاحبها في الوقوع في الحرام تلو الحرام بلا مبالاة أو نظر للعواقب وأحكام الشريعة فكان تأكيداً للذم بما يشبه المدح.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]

اختلف المفسرون في هذه الآية والاستثناء وفي وقوع الأسلوب البلاغي فيها على عدة أقوال:

الأول: أنها نزلت في قوم كانوا يخلفون آباءهم على نسائهم، فجاء الإسلام بتحريم ذلك وعفا عما كان منهم في الجاهلية، وتكون (ما) بمعنى الاسم الموصول، أي: لا تنكحوا الذي نكحه آبائكم من النساء وهو ما كان شائعاً عند أهل الجاهلية، وهذا قول عامة السلف: ابن عباس وقتادة وعطاء ورجحه الزمخشري وابن العربي والبيضاوي.^(١)

الثاني: لا تنكحوا كما نكح آبائكم من عقودهم الفاسدة، فيكون المراد: فعل الآباء وطرقهم في النكاح من الشغار ونحوه من أنكحة الجاهلية، وتكون (ما) على هذا القول مصدرية.^(٢)

والأقرب من القولين قول جمهور الصحابة ودل عليه سبب النزول، قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يحرمون ما يحرم إلا امرأة الأب، والجمع بين الأختين،

(١) انظر: تفسير الطبري: (١٣٣/٨)، الكشف: (٤٩٣/١)، أحكام القرآن لابن العربي: (١/٤٧٥)، أنوار التنزيل، للبيضاوي: (٦٧/٢)، أضواء البيان للشنقيطي: (١/٢٣٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري: (١٣٨/٨).

فأنزل الله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾^(١)، ويدل على ترجيحه أنه تعقب النهي بالذم البالغ المتتابع ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٢) [النساء: ٢٢]؛ وهذا دليل على أنه انتهى إلى غاية القبح، وذلك هو خُلْفُ الأبناء على حلائل الآباء.^(٣) وبناء على هذا القول الراجح اختلف المفسرون في المراد بالاستثناء بما قد سلف على أقوال، وسبب الإشكال: أن النهي ورد في المستقبل والاستثناء جاء على سبيل الماضي فكيف يستثنى منه؟.

القول الأول: إلا نكاحا قد سلف فتعين أن هذا النكاح صار محرما، فيكون الاستثناء في قوله: (إلا ما قد سلف) مؤولا إذ ما قد سلف كيف يستثنى من النهي عن فعله وهو قد حصل، فتعين أن الاستثناء يرجع إلى ما يقتضيه النهي من الإثم، أي: لا إثم عليكم فيما قد سلف، وكأنه قيل: وتستحقون العقاب بنكاح ما نكح آبائكم إلا ما قد سلف، ويكون المراد بالاستثناء ما يستلزم النهي من الإثم دون ذات الحكم فيحمل الاستثناء على المعنى دون اللفظ، وقد ذهب إلى هذا الرازي وابن عثيمين، وقد نوقش بأن هذا الأمر معلوم في الشرع، وأن ما مضى لن يلحقهم فيه إثم لأن الحكم الشرعي لم يقرر بعد فلا يحتاج إلى استثناء من التحريم.^(٤)

القول الثاني: لكن ما قد سلف فدعوه فإنكم لا تؤاخذون به ولا تلامون لأن الإسلام يجب ما قبله، ويكون من الاستثناء المنقطع، ويكون المراعى في الاستثناء هو اللفظ دون المعنى، ويخرج بذلك من إشكال استثناء الماضي من المستقبل، وقد رجحه ابن العربي وابن القيم والشنقيطي،^(٥) قال ابن القيم: (لما نهى سبحانه عن نكاح

(١) أخرجه الطبري: (١٣٣/٨).

(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي: (٤٧٥/١).

(٣) انظر: تفسير الرازي: (٢١/١٠) تفسير ابن عثيمين: سورة النساء: (١٦٧/١).

(٤) انظر: أحكام القرآن لابن العربي: (٤٧٥/١)، بدائع الفوائد، لابن القيم: (٩٤٢/٣)، أضواء البيان للشنقيطي: (٢٣٠/١).

منكوحات الآباء أفاد أن وطأهن بعد التحريم لا يكون نكاحا، بل لا يكون إلا سفاحا فلا يترتب عليه أحكام النكاح من لحوق النسب بل الولد فيه يكون ولد زنية، وليس هذا حكم ما سلف قبل التحريم فإن النسب لاحق فأفاد الاستثناء فائدة جليلة وهي أن ولد من نكح ما نكح أبوه قبل التحريم ثابت النسب وليس ولد زنا).^(١)

القول الثالث: أن المراد هو المبالغة في التحريم، أي: إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك محال، لأن المراد: إلا من مات من نساء الآباء البائدة، والغرض: المبالغة في التحريم وسد باب الإباحة بالكلية لما فيه من تعليق الشيء بالمحال والمعلق على المحال محال، كأنه يوهم أنه يرخص لهم بعضه، فيجد السامع ما رخص له متعذرا فيتأكد النهي والتحريم فهو من تأكيد الشيء بما يشبه ضده، ويكون عندئذ من الاستثناء المتصل وقد ذهب إلى هذا الزمخشري والطيبى وأبو السعود.^(٢)

والأوجه من الأقوال هما القولان الثاني والثالث ولا تعارض بينهما، فالقول الثاني أفادنا حكما شرعيا في ثبوت النسب لمن حصل منه النكاح في الجاهلية، والقول الثالث أفادنا في تشنيع هذا الصنيع بهذا الأسلوب البلاغي، ولعدم وجود إيراد قوي عليهما فيما الاعتراض قوي وظاهر على القول الأول إذ كيف يرفع الله عنه الإثم بالاستثناء في أمر وقع قبل التكليف، فإن ذلك من بدهيات الشرع، ولا يستدعي الذكر، ومما يرجح القولان أيضا سياق الآيات فيما بعدها فإنها واردة في بيان المحرمات وتشنيع نكاح منكوحات الأب الذي كان شائعا في الجاهلية، فناسب ذلك القولان، فيصح إطلاق هذا الأسلوب البلاغي على هذه الآية وذلك على القول الثالث، وغرضه المبالغة في التحريم واستحالة وقوعه لتعليقه بأمر محال مع

(١) بدائع الفوائد: (٣/ ٩٤٢).

(٢) انظر: الكشف: (١/ ٤٩٣)، حاشية الطيبى: (٤/ ٤٨٩)، تفسير أبي السعود: (٢/ ١٥٩)، الدر المصون للسمين الحلبي: (٣/ ٦٣٧)، حاشية محيي الدين زاده على البيضاوي: (٢/ ٢١).

تشنيع هذا النكاح المحرم.

الآية الرابعة والخامسة: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعَيْنَا لَيًّا بِالْسُنَنِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦] ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ فُلُونَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥] اختلف السلف والمفسرون في هذا الأسلوب الذي تكرر في القرآن ومعناه المراد على قولين:

القول الأول: هو أن الوصف ب(قليلا) يعود إلى صفة مصدر محذوف وهو الإيمان أي: إلا إيماناً قليلاً لا يعتد به وبناء عليه اختلفوا في توجيه مقدار الإيمان الحاصل لديهم، على معنيين:

الأول: أي: إلا إيماناً قليلاً لا يعتد به لأنهم كفروا بمحمد ﷺ وشريعته فالإيمان بمعنى التصديق لا الإيمان الشرعي، وقد كان اليهود يصدقون بوحدانية الله وبالبعث، ويكفرون بمحمد ﷺ ونبوته، فصدقوا ببعض وذلك هو القليل من إيمانهم وكذبوا ببعض وذلك هو الكثير الذي أخبر الله عنهم أنهم يكفرون به، وصدق عليهم ذلك الوصف الذي ذكره الله، وقد ذهب إلى هذا القول والتوجيه: قتادة في أحد قوله ومقاتل بن سليمان ورجحه الطبري والزمخشري والبيضاوي والقرطبي.^(١)

الثاني: أن المراد بالقليل المستثنى من الإيمان النفي مطلقاً، والمراد: أنهم لا يؤمنون إلا إيماناً معدوماً أي: إن كان المعدوم إيماناً فهم يحدثون شيئاً من الإيمان فهو من التعليق بالمحال، كقول تأبط شراً:

(١) انظر: تفسير الطبري: (٤٣٩/٨)، تفسير مقاتل بن سليمان: (٣٧٦/١)، الكشف: (٥١٨/١)، تفسير القرطبي: (٢٤٤/٥).

قَلِيلُ التَّشْكِيِّ لِلْمُهْمِّ يُصِيبُهُ * كَثِيرُ الْهَوَى شَتَّى النَوَى وَالْمَسَالِكِ^(١)

أي: منعدم التشكي، فأطلق القلة على النفي المطلق، وقد روى الكسائي عن العرب قولهم: مررت ببلاد قل ما تنبت إلا الكراث والبصل، يعني: ما تنبت شيئاً غير الكراث والبصل، فيطلقون القلة ويريدون بها العدم مطلقاً.^(٢)

ويكون المراد على هذا التوجيه من الأسلوب البلاغي: تأكيد الشيء بما يشبه ضده، فتعليق قلة الإيمان بالمعدوم ضرب من التعليق بالمحال، وهو نوع مفاجأة ومباغطة للسامع خلاف ما يعتقد من النفي والمدح لهم فهو من تأكيد الذم بما يشبه المدح، واستعمال القلة في العدم لعدم الاعتداد به ودخوله بقلته طريق الفناء.^(٣)

وقد اعترض أبو حيان أن إطلاق القلة على المنعدم صحيح في لغة العرب، لكن هذا التركيب الاستثنائي ليس من تراكيبه، فلا يصح أن تنفي ثم توجب ويصير الإيجاب بعد النفي يدل على النفي، لأن الاستثناء على هذا التقدير، يكون لغواً لا فائدة فيه، فأى فائدة في استثناء مثبت يراد به الانتفاء المفهوم من الجملة السابقة، وأجيب إن المنقول في الشاهد الشعري وأيضاً عن الفراء والكسائي والطبري وأكثر المفسرين خلاف ذلك، ولم يحتج أبو حيان بنقل عن أحد من أئمة اللغة المتقدمين أو شاهد لغوي على ما ذكره.^(٤)

القول الثاني: أن استثناء القلة يعود على ضمير الفاعلين من قوله: (فلا يؤمنون)

(١) ديوانه: (١٥١).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء: (١/ ٥٩)، تفسير الطبري: (٢/ ٣٣٠)، الكشف: (١/ ٥١٨)، حاشية الشهاب الخفاجي: (٣/ ١٤٤) التحرير والتنوير: (٥/ ٧٧).

(٣) انظر: التحرير والتنوير: (٥/ ٧٧)، قال ابن عاشور في ملحظ عقدي: (وهو من تأكيد الشيء بما يشبه ضده إذ الإيمان لا يقبل القلة والكثرة، فالقليل من الإيمان عدم، فهو كفر)، وهذا قول الأشاعرة، ومنهج أهل السنة أن الإيمان يزيد وينقص، وقد حكى الإجماع على ذلك: أبو الحسن الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر: (٢٧٢)، وابن بطة في الإبانة: (٢/ ٨٣٢).

(٤) انظر: البحر المحيط: (٣/ ٦٦٥)، وانظر الجواب عنه في معاني القرآن للفراء: (١/ ٥٩)، تفسير الطبري: (٢/ ٣٣٠).

أو المفعولين من اللعن والطبع، ويكون المعنى: استثناء من الفاعل في: (فلا يؤمنون)، أي: إلا قليلاً فآمنوا كعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، وغيرهما، أو استثناء من ضمير المفعول اللعن والطبع أي: إلا قليلاً لم يلعنهم ولم يطبع على قلوبهم فآمنوا، وهذا أحد قولَي قتادة وذكره الزمخشري والرازي وغيرهم احتمالاً ضمن الأقوال.^(١)

والقول الأول هو قول أكثر المفسرين وهو الأوفق لسياق الآية إذ الآية جاءت في سياق الذم لهم ولأفعالهم وذكر فيها وصف اللعن والطبع لهم، وقد ضعف القول الثاني: الطبري وابن عطية ومكي بن أبي طالب والقرطبي لأن اللعن بكفرهم والطبع على قلوبهم لا يوافق الاستثناء بعد ذلك، وكلا التوجيهين قريب من الصواب إما لوجود شيء من الإيمان بالبعث والأنبياء السابقين فيكون من إنصاف القرآن في وصفهم، أو يكون من إطلاق الأسلوب البلاغي تأكيد الذم بما يشبه ضده، وذلك لأن الآية جاءت في سياق اللعن والطبع والذم لهم ولأفعالهم فكان الأليق الزيادة في ذمهم لأن كفرهم بالنبي عليه الصلاة والسلام مع علمهم بوصفه هو كفر بسائر الأنبياء فكان إيمانهم كالمنعوم وجاءت الآية بما يليق بهم من تأكيد ذمهم بدم خلاف ما كانوا يتوهمون من النفي والمدح.

الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۖ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ١٦٨ - ١٦٩]

للمفسرين في هذه الآية والاستثناء قولان:

القول الأول: أن الله لم يكن ليغفر لهؤلاء الذين كفروا وظلموا فيوفقهم لطريق من طرق الخير التي ينالون بها ثواب الله، ويصلون بها إلى الجنة ولكنه يخذلهم عن ذلك

(١) أخرجه ابن أبي حاتم: (١١٠٩/٤)، وانظر: مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب: (٢٣٨/١)، تفسير الرازي: (٩٥/١٠)، الدر المصون للسمين الحلبي: (٦٩٩/٣).

حتى يسلكوا طريق جهنم، والطريق هنا: مجاز عن الإسلام والهداية، وطريق جهنم مجاز عن الكفر والضلال، فالهداية هداية التوفيق والإلهام، ويكون الاستثناء على ذلك منقطعاً لأن المستثنى طريق جهنم وهو الكفر ليس من جنس المستثنى منه وهو طريق الجنة والإيمان، وهذا قول مقاتل بن سليمان والطبري والواحدي وابن كثير.^(١)

القول الثاني: أن المراد بالطريق العموم فيشمل طريقي الإيمان والجنة والكفر والنار فلا تتعلق الهداية بالدلالة والإرشاد ويكون التعبير بالهداية على هذا القول من التهكم بالكفار، والاستثناء متصل لأن طريق جهنم أحد نوعي الطرق فذكر الطريقتين ثم استثنى جهنم للكافرين، وقد اختار هذا القول ابن عطية والعكبري.^(٢) والأقرب هو القول الأول وذلك لموافقته لظاهر الآية وسياقها، إذ الآية تتحدث عن خذلان الله تعالى وعدم توفيقه للكفار الظالمين وصدده لهم عن طرق الخير والإيمان بسبب توغّلهم في الكفر والظلم فكانت سبباً للغشاة على أعينهم فكان ذلك عقوبة لهم جزاء وفاقاً، وحملها على طريقي الإيمان والكفر مخالف لظاهر الآية ولسياقها إذ وصفهم بالكفر يمنع من حمل النفي في الهداية على طريق الكفر، ويكون الاستثناء على ذلك منقطعاً.

وفي هذا الاستثناء في الآية تأكيد الشيء بما يشبه ضده: لأن الكلام مسوق للإنذار، والاستثناء فيه رائحة إطماع بالرحمة والهداية للكفار، فيتوهمون أن ما بعدها مخرج مما قبلها، فإذا سمع المترقب منهم أن المستثنى طريق جهنم تبين أنه من قبيل التأييس والإنذار ومضاعفة الوعيد، وفيه مفاجأة ومباغطة للسامع خلاف ما توقعه من الرجاء في التوفيق للهداية والتخفيف من التهديد فأظهر الحقائق وأثار

(١) انظر: تفسير مقاتل: (١/ ٤٢٤)، تفسير الطبري: (٩/ ٤١١)، البسيط للواحدي: (٧/ ٢٠١)، تفسير ابن كثير: (٢/ ٤٧٦).

(٢) انظر: المحرر الوجيز: (٢/ ١٣٨)، التبيان في إعراب القرآن، للعكبري: (١/ ٤١١)، الكشف: (١/ ٥٩٢).

النفوس وأيقظها إلى مدى غضب الله على أصحاب الكفر تحذيرا من صنعهم.^(١)

الآية السابعة والثامنة والتاسعة: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَن ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَإِنَّا أَكْثَرُ فَنَسِفُونَ﴾ [المائدة: ٥٩] وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَن ءَامَنَّا بِآيَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّتَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَقْمُوا مِنْهُم إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]

أوردت هذه الآيات الثلاث في سياق واحد لتشابهها في الأسلوب البلاغي المراد بحثه. ففي الآية الأولى يأمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام، أن يسأل أهل الكتاب على سبيل الإنكار والتعجب هل تكرهون منا وتعيون علينا، إلا أن صدقنا وأقررنا بالله، وآمنا بما أنزل إلينا من عند الله من الكتاب، وجاءت الآية الثانية في سياق موقف السحرة مع فرعون عندما هددهم بالقتل والعذاب قالوا له: ما تنكر منا، يا فرعون، وما تعيب علينا، إلا من أجل أن آمنا بحجج ربنا وبراهينه التي ساقها على يد موسى، ووردت الآية الثالثة في قصة عذاب أهل الأخدود، قيل: إنهم نصارى نجران مع ذي نواس اليهودي، وقيل: إن الكفار أهل أوثان، وقيل: إنه من الحبشة، والمراد: أنه لم ينكر هؤلاء الكفار الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات بالنار في شيء إلا من أجل أنهم آمنوا بالله.^(٢)

وقد أشار عامة المفسرين بأن الآيات الثلاث تضمنت أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم^(٣)، والاستثناء مفرغ لأن المستثنى منه يتضمن عموم الأحوال، أي: لا

(١) انظر: التحرير والتنوير: (٤٨/٦)، التفسير المحرر، الدرر السنية، خالد السبت وأحمد الخطيب، (٧٦٧/٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري: (٣٤٣/٢٤)، موسوعة التفسير بالمأثور: (٢٣/٨٨-٩٨).

(٣) انظر: تفسير البضاوي: (٣٠١/٥)، البحر المحيط لأبي حيان: (١٤٢/٥)، غرائب القرآن للنيسابوري: (٣٠٢/٣)، النيسابوري: (٣٠٢/٣)، حاشية الشهاب الخفاجي: (٢٩٩/٦)، (٣٤٢/٨)، والقونوي على البضاوي: (٤٧٣/٦)، والآلوسي: (٢٨/٥).

تعيون علينا من شيء إلا الإيمان، قال الزمخشري: (وما تعيب منا إلا ما هو أصل المناقب والمفاخر كلها، وهو الإيمان).^(١)

وقد وردت الآية الأولى على سبيل الاستفهام الإنكاري التعجبي وهو أبلغ في إفادة النفي والتوبيخ من مجرد الخبر، وفيه تلوين للخطاب لما ورد فيها من المدح والذم، فالاستفهام الإنكاري دل عليه الاستثناء، والاستفهام التعجبي دل عليه أن مفعولات (تقومون) من الإيمان بالله والرسول والكتب السابقة كلها محامد لا تستحق العيب والبغض والكرهية، أي: ألا تجدون شيئاً تعيبونه غير هذه الصفات؟ وهو استفهام مجازي لأنه لا ينتظر الجواب من اليهود.

وجمال هذا الأسلوب البلاغي بلوغه الغاية في المدح والذم مع جمعه بأقصر عبارة بين الشاء العظيم على المؤمنين والذم الشديد لليهود، وذلك في وصفه المؤمنين بالإيمان واليهود بالفسق، وهو ما يمكن الجواب به على سبب عطف قوله: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ على إيمان المؤمنين مع كون فسق اليهود ليس مما يعيبونه على المؤمنين فيظهر أن العطف على ظاهره "ويكون الكلام تهكماً، أي: تنقمون منا أننا آمنّا كإيمانكم وصدقنا رسلكم وكتبكم، وذلك نقمه عجيب وأنا آمنّا بما أنزل إلينا وذلك لا يهكم، وتنقمون منا أن أكثركم فاسقون، أي: ونحن صالحون، أي: هذا نقم حسد، أي: ونحن لا نملك لكم أن تكونوا صالحين، فظهرت قرينة التهكم فصار في الاستفهام إنكاراً فتعجباً فتهكماً، تولد بعضها عن بعض وكلها متولدة من استعمال الاستفهام في مجازاته أو في معان كناية".^(٢)

أو تكون نقمتكم لا اعتقادنا أنكم فاسقون، فتكون من باب حذف المضاف.^(٣)

(١) الكشف: (١٤٢/٢)، والبيت في ديوان النابغة الذبياني: (٦٠).

(٢) التحرير والتنوير: (٢٤٥/٦)، وانظر: المحرر الوجيز: (٢١٠/٢)، الكشف: (٦٥٠/١)، تفسير ابن عثيمين لسورة المائدة: (٧٧/٢).

(٣) انظر: تفسير الرازي: (٣٨٩/١٢)، حاشية الطيبي: (٤٠٥/٥)، حاشية القونوي: (١٨٦/٢٠)، حاشية شيخ زاده: (٦٤٢/٤)، روح المعاني: (٣٠٠/١٥)، التحرير والتنوير: (٢٤٤/٣).

وفي هذا الأسلوب تحقير لأهل الكتاب وبيان لدخائلهم وحقائق نفوسهم في سبب عدائهم الحقيقي للمؤمنين، وحقدهم الذي وصل إلى درجة النقمة وهي أشد البغضاء للمؤمنين، مع ضعف حججهم وزيفها في سبب النقمة، وفي ضمن ذلك المدح للمؤمنين على إيمانهم وثباتهم وإعلانهم ذلك على طريقة الإنكار والتعجب من حال اليهود، وذلك الثناء والمدح تحصل من تأكيد المدح بما يشبه الذم. وخالف ابن عاشور في آيتي الأعراف والبروج وذهب إلى أن الآية ليست من تأكيد الشيء بما يشبه ضده، لأن الإيمان كان في الواقع مما ينقمه فرعون وأهل الأوثان عليهم، ومع كون هذا القول مخالف لجماهير المفسرين، فقد تعقب القانوني هذا القول بقوله: (وهذا غريب جدا لأن النظم ليس حكاية لكلام الكفرة بل هو من عند الله تعالى بلا نقل.. فالإيمان بالله ليس مما يعاب حاشاه عن ذلك لكنه أراد تأكيد مدح المؤمنين بما يشبه الذم).^(١)

الآية العاشرة: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشِرَ الْجَنَّةِ فَدِ اسْتَكْرْتُمْ مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أُولِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: ١٢٨]

هذا الاستثناء في هذه الآية من المشكلات لارتباطه بمسألة عقديّة وهي مسألة فناء النار، وقد اختلف المفسرون في معنى الآية وتوجيه هذا الاستثناء على أقوال:

القول الأول: أن المراد من شاء الله عدم خلوده في النار من أهل الكبائر من الموحدين، فيكون (ما) هنا بمعنى الاسم الموصول (من)، ويكون الخطاب على هذا القول في الدنيا وليس الآخرة، قال ابن عباس: الاستثناء يرجع إلى قوم سبق في علم الله أنهم يسلمون فيخرجون من النار، كأنه لما أخبرهم أنه يقال للكفار: (النار مثواكم)، استثنى لهم من يمكن أن يؤمن ممن يرونه يومئذ كافرا، وهذا قول عدد من السلف خالد بن معدان والحسن والضحاك وقتادة، واستدلوا بعموم الأحاديث في

(١) حاشية القانوني: (١٨٦/٢٠)، وانظر: التحرير والتنوير: (٥٦/٩)، وهذا على قول أنهم كانوا أهل أوثان.

خروج الموحدين من النار، ورجح هذا القول ابن عطية وأبو حيان وابن كثير والشنقيطي^(١)، وقد أوجب بأنه مخالف لسياق الآية فهو خطاب للكفار الذين هم أولياء للشيطان وقد يكون منهم بعض الموحدين لكنها لزما ارتبطت ببعض الكفار فلا يصح حينئذ قصر المشيئة على المسلمين، ثم إن الخطاب في الآخرة وليس في الدنيا، كما هو ظاهر الآية وسياقها.^(٢)

الثاني: أن المدة التي استثناهما ما بين بعثهم من قبورهم إلى حسابهم وقد اختاره الطبري والزجاج والنحاس،^(٣) وقد أوجب أن هذه المدة قد سبقت الخلود في النار فلا معنى لاستثنائها ولا يصح استثناء المعدوم من الموجود.^(٤)

القول الثالث: أن المراد بالاستثناء الأوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار إلى عذاب الزمهرير، فيكون قوله: (إلا ما شاء الله) من أشد الوعيد، مع تهكم بهم لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه إطماع، والاستثناء على هذا في أحوال تصريفهم في العذاب أو تركهم على حالهم الأولى فهو من تأكيد الشيء بما يشبه ضده، وهو اختيار الزمخشري والطبري وابن عاشور.^(٥)

القول الرابع: هم القائلون بفناء النار، وأن الاستثناء عام للمسلمين والكفار المخلدين، ونقل ذلك عن عدد من الصحابة منهم عمر بن الخطاب^(٦) وابن

(١) انظر: تفسير البغوي: (١٠٨/٢)، المحرر الوجيز: (٣٤٥/٢)، البحر المحيط: (٤/٦٤٥)، دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي: (١٩٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (١٩٢/١٦).

(٣) انظر: تفسير الطبري: (١١٧/١٢)، معاني القرآن للزجاج: (٢/٢٣٦)، معاني القرآن للنحاس: (٢/٢٩١).

(٤) انظر: مباحث التفسير للسمعاني: (١٣٠)، مجموع الفتاوى: (١٩٢/١٦).

(٥) انظر: الكشاف: (٦٦/٢)، حاشية الطبري: (٢٤٦/٦)، التحرير والتنوير: (٧٢/٨).

(٦) عزى ابن القيم أثر عمر إلى عبد بن حميد في تفسيره، وذكر سنده وصححه، وأطال في نسبة القول إلى عدد من الصحابة والتابعين، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، انظر: حادي الأرواح لابن القيم: (٧٣٤-٧٤٢)، الدر المنثور للسيوطي: (٤/٤٧٨)، وضعفه الصنعاني والألباني للانقطاع بين الحسن البصري وعمر، ومرسلات الحسن من أضعف المراسيل. انظر: رفع الأستار لإبطال أدلة =

مسعود^(١) وأبو هريرة^(٢)، وهذا القول فيه نظر، وقد حكى عدد من العلماء الإجماع على دوام النار منهم الرازيان أبو حاتم وأبو زرعة واللالكائي والعكبري وابن حزم^(٣)، وأما الآثار الواردة عن الصحابة فقد ضعف الصنعاني أسانيدھا في مؤلف عن فناء النار، والصحيح منها غير صريح، والنصوص الشرعية ظاهرة في خلود الكفار في النار ودوامها وخروج المسلمين منها، وهذا القول لا يفرق بينهما، قال عليه الصلاة والسلام: (أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم فأما هم إماتة حتى إذا كانوا فحما، أذن بالشفاعة).^(٤) وهو نص في المسألة لا يجوز مخالفته، وقد أطال الشنقيطي في ذكر الأدلة على بطلان هذا القول بما لا يدع شكاً في ذلك.^(٥)

والذي يظهر أن القول الأول أقرب الأقوال لموافقته للنصوص في إخراج الموحدين من النار، وأما الجواب عنه أن ذلك متعلق بالكفار المخلدين فقط فلا دليل عليه، بل قد يشمل أيضاً الموحدين غير المخلدين، وتدل عليه الأدلة العامة في خروج الموحدين وخلود الكفار، وقول الزمخشري له حظ كبير من النظر والصواب

=

القائلين بفناء النار، للصنعاني: تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني: (٦٥-٦٧).

(١) أخرج أثر ابن مسعود الطبري في تفسيره: (٤٨٤/١٥)، ولم يذكر الطبري سنده بل قال: (حدثت عن ابن المسيب.. فهو أثر منقطع، وضعفه الصنعاني والألباني رفع الأستار: (٧٥)).
(٢) وأخرج أثر أبي هريرة إسحاق بن راهويه في مسائل حرب: (٤٢٩)، وصححه الألباني، ولفظه: (ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد)، قال عبيد الله بن معاذ أحد رواة الأثر: كان أصحابنا يقولون عن قول أبي هريرة: يعني: به الموحدين، فهذا تفسير للأثر من أحد الرواة لتقرر ذلك عندهم في دوام النار وعدم فنائها. رفع الأستار: (٧٥).

(٣) انظر: أصول اعتقاد أهل السنة لللالكائي: (١/١٩٩)، الإبانة للعكبري: (٢٠٨)، الدرر فيما يجب اعتقاده لابن حزم: (٢٧)، تلبس الجهمية، لابن تيمية: (١/٥٨١).

(٤) انظر: رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، للصنعاني، وحقق الكتاب الشيخ ناصر الألباني وحكم على الآثار بالضعف أيضاً أو عدم الصراحة في المسألة، والحديث رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين، برقم: (١٨٥).

(٥) انظر: دفع إيهام الاضطراب: (٢٠٠).

لقلة الاعتراض عليه ولموافقته لسياق الآية، ولأن الآية من خطاب الآخرة وليس الدنيا، وولاية الشيطان لا تكون إلا للكفار المخلدين دون أهل الإيمان، ويكون المراد بالاستثناء: التهكم بهم والإطماع ثم التأييس فيكون من تأكيد الشيء بما يشبه ضده، وهو من أشد الوعيد والتحذير إذ أطمعهم في زوال العذاب ثم نقلهم إلى أحوال أخرى من العذاب، على طريقة المباغطة لهم والمفاجأة بخلاف ما كانوا يظنون وكان ذلك على سبيل التهكم بهم والسخرية.

الآية الحادية عشرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

هذه الآية مما تتكرر كثيرا في كتب المفسرين حتى غدت مثلا مرسلا في التعليق بالمحال، وتأكيد الشيء بما يشبه ضده، والمعنى: أن الكفار لا يدخلون الجنة حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو الجمل الكبير فيما هو مثل في الضيق وهو ثقب الإبرة، وذلك لا يكون فالمراد تأكيد النفي أو تأييده.^(١)

ويكاد يتفق المفسرون أن هذا الأسلوب من تأكيد الشيء بما يشبه ضده فهو من التعليق بالمحال، فجسم الجمل أعظم الأجسام وثقب الإبرة أضيق المنافذ فكان ولوج الجمل في ذلك الثقب الضيق محالا فلما وقف الله تعالى دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط وكان هذا شرطا محالا وثبت في العقول أن الموقوف على المحال محال فوجب أن يكون دخولهم الجنة مأیوسا منه قطعاً.^(٢)

وهو نفي مغيا بمستحيل فقد جعل لانتفاء دخولهم الجنة امتدادا مستمرا، إذ جعل غايته شيئا مستحيلا، وهو أن يلج الجمل في سم الخياط، وضرب المثل بهذا أبلغ في قطع طمعهم وتأييسهم من إرسال الكلام وإطلاقه في النفي، والعرب تضرب

(١) انظر: تفسير الطبري: (١٢/٤٢٤-٤٣٤)، تفسير الرازي: (١٤/٢٤٠).

(٢) انظر: الكشف: (١/٤٩٣)، تفسير الرازي: (١٤/٢٤٠)، تفسير الماوردي: (٢/٢٢٣)، البحر المحيط: (٥/٥١)، الدر المصون: (٣/٦٣٧)، التحرير والتنوير: (٨/١٢٧).

هذا للمبالغة ، قال الشاعر:

إِذَا شَابَ الْغُرَابُ أَتَيْتُ أَهْلِي * وَصَارَ الْقَارُ كَالْبَلْبَنِ الْحَلِيبِ^(١)

والأسلوب ورد بطريق الإطماع ثم التأييس فقد نفى دخول الكفار الجنة أو أن تفتح لهم أبواب السماء عند موتهم، ثم علقه بحرف الغاية (حتى) فتوهموا استثناء الدخول ولو بعد زمان من دخول الجنة، ثم أردفه بأمر يعلم العقلاء استحالتة وهو دخول الجمل إلى ثقب الإبرة فكان نوعاً من التهكم بهم، وعلموا بذلك التعليق المحال أن دخولهم الجنة محال.

الآية الثانية عشرة: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خَلْلَكُمْ يَبْغُوكُمْ أَلْفَنَةً وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧] تبين هذه الآية في صفات المنافقين وأثرهم السيء في القتال مع المسلمين فبين الله أنه لو خرج هؤلاء المنافقون لم يزيدوكم بخروجهم فيكم إلا فساداً ومكراً وإرجافاً واختلافاً.^(٢)

وقد اختلف المفسرون في الاستثناء في قوله: ﴿مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ هل هو من الاستثناء المتصل أو المنقطع؟ وبناء عليه اختلفوا هل هو من أسلوب تأكيد الشيء بما يشبه ضده، وذلك على قولين:

القول الأول: أن الاستثناء في قوله: (إِلَّا خَبَالًا) من غير جنس المستثنى منه، فهو من الاستثناء المنقطع، وهذا قول من قدر أنه لم يكن في عسكر رسول الله ﷺ خبالاً لعدم وجود المنافقين، فيزيد المنافقون فيه، فكأن المعنى: ما زادوكم خيراً لكن فساداً وضرراً فيكون الاستثناء بمعنى الاستدراك، وهذا القول قدمه ابن عطية.^(٣)

القول الثاني: أن الاستثناء هنا مفرغ لأن المستثنى منه غير مذكور، وإذا لم يذكر وقع

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء في قصة ولم يذكر قائله: (٢٨٩/٧)، وانظر: الماوردي: (٢/٢٢٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري: (٢٧٨/١٤)، البحر المحيط: (٤٢٩/٥).

(٣) انظر: المحرر الوجيز: (٤٠/٣).

الاستثناء من أعم العام الذي هو الشيء الذي يعم الخير والشر، فيكون الاستثناء متصلاً لأن العسكر في غزوة تبوك كان فيهم المنافقون ولهم لا محالة خبال فلو خرج هؤلاء لزد الخبال والفساد، ويكون المعنى: لو خرج فيكم هؤلاء المنافقون ما زادوكم شيئاً إلا فساداً وضرراً، وقد رجح هذا القول الزمخشري والبيضاوي والرازي والسمين الحلبي والخفاجي وأبو السعود وصرح ابن عاشور أنه على هذا القول والاستثناء من تأكيد الشيء بما يشبه ضده إذ قال: (ما زادوكم قوة أو شيئاً مما تفيد زيادته في الغزو نصراً على العدو، ثم استثنى من المفعول المحذوف الخبال على طريقة التهكم بتأكيد الشيء بما يشبه ضده فإن الخبال في الحرب بعض من عدم الزيادة في قوة الجيش، بل هو أشدّ عدماً للزيادة، ولكنه ادعى أنه من نوع الزيادة في فوائد الحرب، وأنه يجب استثناءه من ذلك النفي، على طريقة التهكم).^(١)

والأقرب من القولين هو القول الثاني لأن الاستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه، كقولك: ما زادوكم خيراً إلا خبالاً، والجيش كان فيهم المؤمن والمنافق، ففيهم الخير والشر، والمستثنى منه في هذا الكلام غير المذكور، وإذا لم يذكر وقع الاستثناء من أعم العام الذي هو الشيء، فكان استثناء متصلاً، لأنّ الخبال بعض أعم العام، كأنه قيل: ما زادوكم شيئاً إلا خبالاً، وقد ورد في سبب نزولها أنّ النبي عليه الصلاة والسلام لما خرج، ضرب عسكره على الثنية، وخرج عبد الله بن أبيّ، ف ضرب عسكره على أسفل من ذلك فلما سار عليه الصلاة والسلام تخلف ابن أبيّ فيمن تخلف من المنافقين، فنزلت الآية.^(٢) فدل على خروج المنافقين مع المؤمنين ثم انسحابهم بعد ذلك، وبذلك فإن الأقرب أنه من الاستثناء المتصل لاقتضاء المعنى ذلك الاستثناء، وهو من تأكيد الذم بما يشبه المدح ففي

(١) التحرير والتنوير: (١٠/٢١٦)، وانظر: الكشاف: (٢/٢٧٦)، تفسير البيضاوي: (٣/٨٣)، تفسير الرازي: (١٦/٦٣)، الدر المصون للسمين الحلبي: (٦/٥٩)، حاشية الشهاب الخفاجي: (٤/٧١)، تفسير أبي السعود: (٣/٣٣٠).

(٢) تفسير الطبري: (١٤/٢٨٠).

هذا الأسلوب تأكيد من جهة أنه كدعوى الشيء بينة إذ عُلِقَ نقيض المدعى وهو خروجهم للنصرة بالمحال وهو كون الخبال من النصرة، والمعلق بالمحال محال فزيادة قوتكم بخروجهم محال، وبيان ذلك أن المؤمنين كانوا يتمنون رفقتهم وعدم تخلفهم لنصرتهم فأنبأهم الله خبراً غيبياً طمأن قلوبهم بطريق القصر والتأكيد بأن قتالهم معهم وخروجهم لن يزيدهم إلا فساداً ووهناً، ويتضمن ذلك ذماً للمنافقين بما يشبه المدح لهم فإن ذكر الزيادة عند نعت خروجهم مع المؤمنين كان موهماً بالمدح لكنه أردفه جل وعلا بالذم فكان تأكيداً للوصف الثابت عنهم في فساد خروجهم للقتال، وجاء ذلك على سبيل المباغطة فكان أبلغ في الذم والعيب، فتأمل في بديع هذا الأسلوب وجمعه بين التثبيت للمؤمنين وكشف خلال المنافقين بأبلغ أسلوب في الذم، وأن اختيار الله للجيش بعدم خروج المنافقين كان خيراً من اختيارهم لأنفسهم وذلك من لطف الله بأهل الإيمان.

الآية الثالثة عشرة: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [التوبة: ٧٤].

نزلت في بعض المنافقين لما تكلموا في النبي ﷺ فلما بلغه ذلك حلفوا له بالله ما قالوا ذلك، وهموا بقتله في غزوة تبوك فأنجاه الله من مكرهم، وما أنكر عليه هؤلاء المنافقون وعابوا من أمر الإسلام شيئاً يقتضي النعمة والكفر والهم بالانتقام إلا إغناء الله تعالى إياهم ورسوله من فضله تعالى بالغنائم.^(١) قال الكلبي: كانوا قبل قدوم النبي ﷺ في ضنك من العيش، لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة، فلما قدم عليهم النبي ﷺ استغنوا بالغنائم،^(٢) وهذا الأسلوب من تأكيد المدح بما يشبه الذم^(٣) إذ ورد النفي عن

(١) تفسير الطبري: (٣٦٤/١٤)، قيل: الذي حلف بين يديه: ابن أبي بن سلول، وقيل: الجلاس بن سويد.

(٢) تفسير الطبري: (٣٦٦/١٤)، تفسير البغوي: (٧٥/٤).

(٣) انظر: حاشية الشهاب: (٣٤٥/٤)، روح المعاني: (٣٢٩/٥)، التحرير والتنوير: (٢٧٠/١٠).

سبب نعمتهم على أهل الإيمان ثم أتبعه الاستثناء فكان مقتضيا لذكر سبب أفعالهم ونعمتهم فلم يذكر إلا أنهم أغنوه من فقر وعالة وحصل لهم الأمن بعد خوف وحروب، وهذه النعمة تستحق الشكر والحمد لا الكفر والجحود والنقمة.^(١)

وتقدم نظير هذا الأسلوب في قوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقْمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ﴾ [المائدة: ٥٩] وهو من باب قولهم: ما لي عندك ذنب إلا أنني أحسنت إليك، أي: إن كان ثَمَّ ذنبٌ فهو هذا، فهو من أسلوب التهكم بهم والتعجب من حالهم، فما من سيئة قدمها الإسلام لهم يتقون عليه هذه النعمة من أجلها، اللهم إلا أن يكون الغنى الذي غمرهم بعد الإسلام، والرخاء الذي أصابهم بسببه هو ما يتقون، "وهو تسفيه لهم، واستنكار لهذا المنكر الذي هم فيه، وأنهم لم يتخذوا هذا الموقف المنحرف اللئيم من الله ورسوله، إلا لما أفاء الله ورسوله به عليهم من فضله، وهكذا أصحاب الطباع السيئة، والنفوس المريضة، تنقلب حقائق الأشياء عندهم، فإذا النور ظلام، والحق باطل، والنعمة نقمة"^(٢)، قال القشيري أبو نصر: قيل للجبلي أتجد في كتاب الله تعالى اتق شر من أحسنت إليه؟ قال نعم، ﴿وَمَا تَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَعْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.^(٣)

الآية الرابعة عشرة: ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَؤْلُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٩٥] المراد بالآية: سيخلف المنافقون المتخلفون عن تبوك إذا انصرفتم إليهم ﴿لِنُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ إعراض صفح وإعذار ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ إعراض إهانة واحتقار، وخلوهم وما اختاروا لأنفسهم من الكفر والنفاق، فالمعاتب لا تنفع فيهم ولا تصلحهم.^(٤)

(١) انظر: تفسير الرازي: (١٠٥ / ١٦)، البحر المحيط: (٤٦٥ / ٥).

(٢) التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٨٤٧ / ٥)، وانظر: التحرير والتنوير: (٢٧٠ / ١٠).

(٣) تفسير القرطبي: (٢٠٨ / ٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري: (٤٢٥ / ١٤)، الكشاف: (٣٠٢ / ٢)، المنار: (٤ / ١١).

وقد ذكر ابن عاشور أن الآية تضمنت الأسلوب البلاغي: تأكيد الشيء بما يشبه ضده، ووجه ذلك: "أنه ضرب من التقرّيع فيه إطماع للمغضوب عليه الطالب بأنه أجيب تلبّته حتى إذا تأمل وجد ما طمع فيه قد انقلب عكس المطلوب فصار يأساً لأنهم أرادوا الإعراض عن المعاتبة بالإمساك عنها واستدامة معاملتهم معاملة المسلمين، فإذا بهم يواجهون بالإعراض عن مكالمتهم ومخالطتهم وذلك أشد مما حلفوا للتفادي عنه فهو من تأكيد الشيء بما يشبه ضده".^(١)

وأشار عدد من المفسرين إلى هذا المعنى في أثناء بيانهم للآية وإن لم يصرحوا بهذا الاصطلاح، فإن الأمر بالإعراض عنهم أوهم المنافقين بالصفح والعفو بعد حلفهم، ثم باغتهم بتعليل الإعراض أنهم لن ينتفعوا بالمعاتبة لرجسهم لأن خبث باطنهم رجس روحاني، فكما يجب الاحتراز عن الأرجاس الجسمانية، فوجب الاحتراز عن الأرجاس الروحانية، خوفاً من سريانها إلى الإنسان، وحذراً من أن يميل طبع الإنسان إلى تلك الأعمال، وهذا المثال من الأمثلة التي تدل على أن تأكيد الشيء بما يشبه ضده قد يغلب عليه أسلوب الاستثناء أو الاستدراك، ولكنه لا يقتصر عليه كما ذكره بعض البلاغيين، بل قد يدل عليه المعنى والسياق دون الاستثناء والاستدراك.^(٢)

الآية الخامسة عشرة: ﴿لَا يَزَالُ بُنِيَ لَهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٠].

تصف هذه الآية صفات المنافقين، والمعنى: لا يزال بنیان أو هدم مسجد هؤلاء الذين اتخذوه ضراراً وكفرًا وغيظاً في قلوبهم، إلا أن تتصدع قلوبهم فيموتوا أو يتوبوا والله عليم ببواطن هؤلاء المنافقين.^(٣)

(١) التحرير والتنوير: (٨/١١).

(٢) انظر: تفسير البضاوي: (٩٤/٣)، البحر المحيط: (٤٩٠/٥)، المنار محمد رشيد رضا: (٦/١١)،

التحرير والتنوير: (٨/١١).

(٣) انظر: تفسير الطبري: (٤٩٤/١٤)، المحرر الوجيز لابن عطية: (٨٦/٣)، الكشف: (٣١٣/٢).

هذا مجمل تفسير الآية على خلاف بين المفسرين في بعض ألفاظها وأسلوبها، وموافقته لأسلوب تأكيد الشيء بما يشبه ضده وذلك على قولين:

الأول: أن المراد بالريبة هو الشك والكفر الحاصل في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم بالموت، وأما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة، هذا قول الجمهور: ابن عباس ومجاهد والضحاك، ورجحه الطبري وابن عطية^(١)، والمستثنى منه محذوف، والتقدير: لا يزال بنيانهم محل شك وكفر في قلوبهم في كل وقت وحال إلا وقت تقطيع قلوبهم للموت.^(٢)

وجوز الزمخشري والبيضاوي أن يكون ذلك تصويرا ومجازا عن زوال الريبة فلا تزول عنهم حتى تتفرق قلوبهم وتتقطع قطعاً وأجزاء بحيث لا يبقى لها قابلية الإدراك والإضمار، وهو في غاية المبالغة عن تمكن الريبة من قلوبهم، وهو مجاز عن الموت، ولذلك فقد جوزا أيضاً المعنى الحقيقي الذي ذكره الجمهور.^(٣) وذهب ابن عاشور إلى أن الاستثناء ورد على سبيل التهكم، فإن أي ريبة وشك هي باقية متمكنة في قلوبهم أبداً إلا أن تقطع قلوبهم منهم وما هي بمقطعة فإنه من تعليق الشيء بالمحال كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، والمعلق على المحال محال، وهي على ذلك من تأكيد الشيء بما يشبه ضده، وهذا الأسلوب هو لازم قول الجمهور إذ علق القرآن زوال الريبة من قلوبهم بموتهم على سبيل الحقيقة أو تفرق قلوبهم قطعاً على سبيل المجاز، ويكون على هذا الأسلوب إطماع للمنافقين في زوال الشك والكفر من قلوبهم وقبول توبتهم ثم تأيسهم من ذلك بعد الاستثناء بأنه معلق بتفرق قلوبهم قطعاً فأجيبوا بخلاف ظنهم من قبول التوبة والرحمة، وإنما جاء بهذا

(١) انظر: تفسير الطبري: (١٤ / ٤٩٤)، المحرر الوجيز لابن عطية: (٣ / ٨٦)، المنار لمحمد رشيد رضا: (٣٨ / ١١).

(٢) الدر المصون للسمين: (٦ / ١٢٧)، وانظر: الباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (١٠ / ٢١٤).

(٣) انظر: الكشف: (٢ / ٣١٣)، تفسير البيضاوي: (٣ / ٩٨)، حاشية الطيبي: (١١ / ٣٧١).

الوعيد والتأيس من الرجوع لعظم نكاية المنافقين في الإسلام وندرة توبتهم لمخالطتهم للنبي عليه الصلاة والسلام والصحابة مع عدم انتفاعهم به فلم يزداهم إلا عداً للإسلام وحقداً وبغضاً له.

القول الثاني: أن المراد توبتهم وندمهم حتى تقطع قلوبهم أسفاً وحزناً على تفريطهم، وهو قول سفيان، وقد ذكره الزمخشري والبيضاوي والرازي،^(١) ورغم إن الآية جاءت في سياق الذم للمنافقين وأن هذا القول مخالف لظاهر الآية، ولقول جمهور السلف إلا أنه يمكن حمل الآية على هذا القول أيضاً دعوةً للمنافقين إلى التوبة النصوح التي تنصع منها قلوبهم ندماً وأسفاً لعظيم فسادهم في الأرض بمعاودة النبي ﷺ، وبالترصد له ببناء هذا المسجد لإيقاع الضرر بالمؤمنين ومحاربة نبيه عليه الصلاة والسلام، ويمكن حمل الآية على ذلك على القولين لعدم التعارض بينهما.

الآية السادسة عشرة: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ﴾ [يونس: ٣٥] يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يخاطب المشركين على سبيل الاستفهام التقريري: هل من شركائكم الذين تدعون من يرشد ضالاً من ضلالته ببيانته وإرشاده، أو بإلهامه وتوفيقه، فإنهم لا يقدرُونَ أن يدعوا أن آلهتهم وأوثانهم تُرشد ضالاً أو تهدي حائراً، وذلك أنهم إن ادَّعوا ذلك لها أكذبتهم المشاهدة.^(٢)

وقد اختلف المفسرون في الاستثناء في قوله: ﴿أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ﴾ وموافقة أسلوبها لتأكيد الشيء بما يشبه ضده على قولين:

القول الأول: أن الشركاء من الأصنام والأوثان لا يهتدون بأنفسهم ولا يهدون غيرهم وهذا قول مجاهد ورجحه جمهور المفسرين، وهذا على قراءة جمهور

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (١٨٨٦/٦)، الكشاف: (٣١٣/٢)، تفسير البيضاوي: (٩٨/٣)، تفسير الرازي: (١٤٩/١٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري: (٨٦/١٥)، الكشاف: (٣٤٦/٢)، تفسير السعدي: (٣٦٤).

القراء بتشديد الدال على خلاف بينهم في بقية الأحرف^(١)، فقد وصف الأصنام بأنها لا تهتدي إلا أن تُهدى، واستشكلوا ذلك: بأنها لا تهتدي وإن هُديت، وأجيب: أنه عاملها في التعبير عنها بأوصاف من يعقل، وذلك مجاز وموجود في القرآن، أو أن المراد: بالهدى النقل من موضع إلى موضع، أي: لا تهتدي إلى مكان إلا إذا نقلها الناس ووضعوها في المكان الذي يريدونه لها.^(٢)

القول الثاني: أن المراد هم الرؤساء المضلين، ويكون استثناء متصلاً لأنه إذ ذاك يكون فيهم قابلية الهداية والعقل، بخلاف الأصنام، وهذا خلاف ظاهر الآية وسياقها إذ وردت في نفي استحقاق هذه الأصنام للعبادة من دون الله وليس في سياق شرك الطاعة كما هو في الآيات السابقة لها.

وأما على قراءة حمزة والكسائي في تخفيف الدال: (أم من لا يهدي)^(٣)، فيكون المعنى: أمَّن لا يهدي أحداً إلا أن يُهدى ذلك الأحد بهداية من عند الله، ويكون المراد: أشرف المعبودين من الملائكة وعزير وعيسى لأن هداية الغير لا تتصور من الأوثان والجماد^(٤) وكلا القولين صحيح ولا تعارض بينهما، والقاعدة: إن القراءتين المتواترتين بمنزلة الآيتين، وعلى القول إن الشركاء هم الأصنام والأوثان وهو قول مجاهد فإن الاستثناء بقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ نوع من التهكم بهم وبمعبوداتهم، قال الزمخشري في أحد التوجيهين: (وقيل: معناه أم من لا يهدي من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه إلا أن يُهدى إلا أن ينقل، أو لا يهدي ولا يصح منه الاهتداء إلا أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حيواناً مكلفاً فيهديه)^(٥) فهو من المبالغة ومن الأسلوب البلاغي: تأكيد الشيء بما يشبه ضده^(٦)، لأنه من تعليق الأمر

(١) قرا جمهور القراء سوى حمزة والكسائي بتشديد الدال. انظر: السبعة لابن مجاهد: (٣٢٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري: (٨٦/١٥)، المحرر الوجيز لابن عطية: (١١٩/٣)، البحر المحيط: (٥٥/٦).

(٣) التيسير لأبي عمر الداني: (١٢٢).

(٤) انظر: تفسير البيضاوي: (١١٢/٣)، حاشية القونوي: (٤٥٨/٩)، روح المعاني: (١٠٨/٦).

(٥) الكشف: (٣٤٦/٢)، وهو أحد القولين الذين نقلهما الطبري في توجيه الآية: (٨٨/١٥).

(٦) انظر: التحرير والتنوير: (١٦٣/١١)، تفسير أبي السعود: (١٤٤/٤).

بشيء محال والتعليق بأمر محال يدل على استحالة وقوعه، فلا يصح من الأوثان الاهتداء فضلاً عن هداية غيره إلا أن ينقله الله من حال الجماد إلى أن يجعله حيواناً مكلفاً فيهديه ثم يهدي غيره، وهذا تعليق بالمحال، فيتوهم الكافر عند ورود الاستثناء الإطماع في الهداية فيردُّ بعدها خلاف ذلك من وجوب نقل هذه الأصنام للعقل حتى يهدوا غيرهم أو يهتدوا بأنفسهم، وهو تهكم بهم لعلمهم باستحالة نقلهم للحيوانية التي تؤهلهم للعقل فعلق الأمر بالمحال فدل على استحالة اهتدائهم فضلاً عن هدايتهم لغيرهم.^(١)

الآية السابعة عشرة: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١] يخبر تعالى، عن عموم مشاهدته، وإطلاعه على جميع أحوال العباد في حركاتهم، وسكناتهم، وأنه لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، وفي ضمن هذا، الدعوة لمراقبته على الدوام.^(٢)

وقد ذكر المفسرون أقوالاً في الاستثناء والمراد به، وهل هو من تأكيد الشيء بما يشبه ضده، وذلك مبني على معنى وتوجيه القراءتين في الآية: الأولى: قراءة حمزة بالرفع في قوله: (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) وتكون على العطف على محل (مِثْقَالُ) إذ هو مرفوع بالفاعلية وحرف الجر (من) زائد فيه كقولك: ما قام من رجل ولا امرأة، بجر (امرأة) ورفعها، واستشكل الزمخشري هذا التوجيه، لأنه يصير التقدير: إلا في كتاب مبين فيعزب، وهو كلام لا يصح، وأجيب عن الإشكال بأن قوله: (إلا في كتاب مبين) هو استثناء منقطع، فيكون المعنى: لكن جميع الأشياء في كتاب مبين فكيف يعزب عنه شيء منها، أو يكون استثناء مفرغاً فيكون متصلاً،

(١) انظر: الكشف: (٣٤٦/٢)، تفسير أبي السعود: (١٤٤/٤)، التحرير والتنوير: (١٦٢/١١).

(٢) انظر: تفسير الطبري: (١١٦/١٥)، تفسير السعدي: (٣٦٧).

وتقديره: من عموم أحوال عزوب أصغر الذرة وأكبرها، ويكون من تأكيد الشيء بما يشبه ضده.^(١)

الثانية: قراءة الجمهور بالنصب فيهما: ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ وتكون على العطف على (ذرة) المجرور أو على لفظ (مثقال)، وإنما كان بالفتحة؛ لأنه ممنوع من الصرف للوزن والوصف، واستشكل العطف بالإشكال السابق وأجيب بالجوابين السابقين.^(٢)

وما ذكرته هو قول جمهور المفسرين، ولم يستشكلوا هذا، وحمل الزمخشري قراءة الرفع على الابتداء دون العطف، وقراءة النصب على نفي الجنس دون العطف فتكون للابتداء أيضا لدفع الإشكال المذكور في الاستثناء^(٣)، ويمكن دفع الإشكال على توجيه الجمهور بأن الاستثناء متصل: من عموم أحوال العزوب عن الله، ويكون على ذلك من تأكيد الشيء بما يشبه ضده، فيكون المعنى: لا يغيب عنه شيء لا صغير ولا كبير إلا ما في اللوح أو في علمه إن عد ذلك من العزوب فهو العزوب، ومعلوم أنه ليس من العزوب قطعا فإذا لا يعزب عنه شيء قط، إلا في حال كونه في كتاب مبين، أي: إلا معلوما مكتوبا، ويعلم السامع أن المكتوب في كتاب مبين لا يمكن أن يعزب عنه، وهو تأكيد لسعة علمه تعالى وإثبات لمرتبتين من مراتب القدر هما العلم والكتابة، وقد حصل هذا بالأسلوب البليغ الذي لم يثبت صفة علم الله تعالى فحسب بل أثبت بعد الاستثناء كتابته لكل ما يكون ويقدره في الكون، فكان من تأكيد الشيء بما يشبه ضده، أو أنه من الاستثناء المنقطع ويكون الاستثناء بمعنى الاستدراك، أي: لكنه حاضر في كتاب، وهو مفيد أيضا للأسلوب البلاغي في تأكيد

(١) انظر: السبعة لابن مجاهد: (٣٢٨)، المحرر الوجيز: (١٢٨/٣)، البحر المحيط: (٧٩/٦)، الدر المصون للسمين: (٢٣١/٦).

(٢) انظر: السبعة لابن مجاهد: (٣٢٨)، المحرر الوجيز: (١٢٨/٣)، البحر المحيط: (٧٩/٦).

(٣) انظر: الكشف: (٢٦٤/٢)، تفسير البضاوي: (١١٧/٣)، حاشية القونوي على البضاوي: (٥١٠/٩).

الشيء بما يشبه ضده بسعة علم الله تعالى وذكر مرتبة الكتابة مع مرتبة العلم.^(١)
 الآية الثامنة عشرة: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]

يصف تعالى في هذه الآية أقواما من أهل الشرك بإقرارهم بتوحيد الربوبية من الخلق والرزق مع صرفهم العبادة من الدعاء لغيره من الأصنام والأوثان، أو المنافق في إيمانه بالله مع ريائه في عمله لغير الله، وذهب عدد من السلف إلى أن المراد به الشرك الأكبر، وذهب حذيفة والحسن أنه يشمل الشرك الأصغر كالرياء ولبس الحلقة والخيط.^(٢)

وقد استشكل الشنقيطي جعل الشرك حالا للإيمان إذ قوله: ﴿وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ حال لعاملها وصف لصاحبها، وعليه فإن عامل هذه الجملة الحالية الذي هو "يؤمن" مقيد بها، فيصير المعنى تقييد إيمانهم بكونهم مشركين، وهو مشكل لما بين الإيمان والشرك من المنافاة،^(٣) وهذا الإشكال مبني على أن المراد بالشرك هو الشرك الأكبر فقط، والآية في ظاهرها تعم نوعي الشرك الأكبر والأصغر، وهما قولان للسلف في الآية كما تقدم، ولا تعارض بينهما، والقاعدة: إن الأصل في الألفاظ الحمل على العموم ما لم يرد دليل على التخصيص، فيحمل على نوعي الشرك، وقد ذهب ابن عطية والشنقيطي إلى أن المراد بالإيمان هنا الإيمان اللغوي فقط الذي بمعنى التصديق^(٤) دفعا للإشكال من استحالة اجتماع الإيمان الشرعي مع الشرك الأكبر، والأقرب كما تقدم حمل الشرك على القولين معا، فيكون توجيه

(١) انظر: تفسير الرازي: (٢٧٤ / ١٧)، حاشية الطيبي: (٢٨٥ / ١١)، روح المعاني: (١٣٧ / ٦)، التحرير والتنوير: (٢١٤ / ١١).

(٢) انظر: تفسير الطبري: (٢٨٦ / ١٦)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم: (٢٢٠٨ / ٧)، موسوعة التفسير بالمأثور: (٨٠١ / ١١).

(٣) انظر: أضواء البيان للشنقيطي: (٢١٩ / ٢).

(٤) انظر: المحرر الوجيز: (٢٨٥ / ٣)، أضواء البيان: (٢١٩ / ٢).

الشنقيطي على المعنى اللغوي للإيمان وهو مجرد التصديق وهو الإيمان بربوبية الله تعالى، وهو جواب لمعنى الشرك الأكبر، ويكون حينئذ المراد بالشرك: الأكبر لعدم إمكان اجتماعه بالإيمان الشرعي كما هو صنيع مشركي العرب، أو يكون المراد: المعنى الشرعي للإيمان، ويكون المراد بالشرك: الأصغر لإمكان اجتماعه بالإيمان الشرعي، وذهب إلى ذلك الجمع بين القولين ابن القيم إذ قال في جواب له: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٦﴾ أثبت لهم الإيمان به مع مقارنة الشرك، فإن كان مع هذا الشرك تكذيب لرسله لم ينفعهم ما معهم من الإيمان بالله، وإن كان معه تصديق لرسله، وهم مرتكبون لأنواع من الشرك لا تخرجهم عن الإيمان بالرسول وباليوم الآخر، فهؤلاء مستحقون للوعيد أعظم من استحقاق أرباب الكبائر، وشركهم قسمان: شرك خفي، وشرك جلي، فالخفي قد يغفر، وأما الجلي فلا يغفره الله إلا بالتوبة منه، فإن الله لا يغفر أن يشرك به. ^(١) وقال القاسمي بعد أن نقل نصوصاً في نوعي الشرك: (وبما ذكر يعلم أن لفظ الآية يتناول كل ما يصدق عليه مسمى الإيمان، مع وجود مسمى الشرك فأهل الشرك الأكبر ما يؤمن أكثرهم بأن الله هو الخالق إلا وهو مشرك به، بما يتخذه من الشفعاء، وما يعبد من الأصنام، وكذا أهل الشرك الأصغر من المسلمين، كالرياء مثلاً، ما يؤمن أحدهم بالله إلا وهو مشرك به، بذلك الشرك الخفي). ^(٢)

وذكر ابن عاشور عند هذه الآية الأسلوب البلاغي تأكيد الشيء بما يشبه ضده وأنه أسلوب خرج على وجه التهكم بهم. ^(٣) وفي الأسلوب البلاغي نكتة بلاغية فإن الاستثناء جاء بتأكيد الذم بما يشبه المدح على سبيل التهكم والسخرية بهم، فإنه وصفهم بالإيمان المتضمن للمدح ثم استثنى من الإيمان صفة تناقض أصل الإيمان

(١) مدارج السالكين: (١/ ٢٩٣).

(٢) محاسن التأويل للقاسمي: (٦/ ٢٣٠)، وانظر: البحر المحيط: (٦/ ٣٣٢).

(٣) انظر: التحرير والتنوير: (١٣/ ٦٤).

أو كماله وهو الوصف بالشرك، فبلغ الغاية في ذمهم وباغتهم بأشد أوصاف التشنيع عليهم بعد أن وصفهم بأعظم درجات العبادة وهو الإيمان، فكان ذمًا بما يشبه المدح فلما كان إيمانًا مشوبًا بكفر وشرك أفسد سائر عملهم، وأحبطه وجعله هباء منثورًا إن كان من الشرك الجلي الأكبر الذي كان عليه مشركو قريش من الاعتراف بتوحيد الربوبية، أو أفسد عمله المصاحب وكان أكبر من كبائر الذنوب إن كان من الشرك الأصغر الخفي، وهذا الأسلوب البلاغي ينسجم مع قولي الشرك الأكبر والأصغر ولا يعارضهما فإنه متعلق بالذم بما يشبه المدح، ولا يعكر عليه ذهاب ابن عاشور إلى أن الآية نعت للشرك الأكبر دون الأصغر لأن الوجه البلاغي أوسع من هذا القول فهو متعلق بالذم بما يشبه المدح لمن جمع مع الإيمان شركًا سواء كان من الشرك الأكبر أو الأصغر.

الآية التاسعة عشرة: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كَبَسِطَ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغٍهُ وَمَا دَعَا الْكُفْرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤] وردت الآية في سياق بيان استحقاق الله تعالى للعبادة وحده دون الأصنام والأوثان، وضرب مثلاً للكفار الذين يعبدونها ويدعونها من دون الله وأنهم لا ينتفعون بدعائهم الأصنام بشيء قليل حقير ولا كثير إلا كما ينتفع بأسط كفيه إلى الماء بسطه إياهما إلى الماء من غير أن يرفعه إليه في إناء، وهذا قول جمهور السلف علي بن أبي طالب ومجاهد وقتادة وهو قول الطبري، أو لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليتناول خياله فيه، وما هو ببالغ ذلك، وهو قول ابن عباس^(١)، والعرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلاً بالقابض على الماء قال ضابئ بن حارث البرجمي: فَإِنِّي وَإِيَّاكُمْ وَشَوْقًا إِلَيْكُمْ * كَقَابِضِ مَاءٍ لَمْ تَسْقُهُ أَنَامِلُهُ^(٢)

(١) انظر: تفسير الطبري: (١٦/ ٣٩٩-٤٠١)، المحرر الوجيز: (٣/ ٣٠٥)، وانظر الأقوال في زاد المسير: (٤٨٩/ ٢).

(٢) خزائن الأدب، للبغدادي: (٤/ ٨٠)، وانظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة: (١/ ٣٢٧).

والآية تشبيه تمثيلي، شبه حال المشركين في دعائهم الأصنام وعدم استجابة الأصنام لهم بشيء بحال الظمان يبسط كفيه يبتغي أن يرتفع الماء في كفيه المبسوطتين إلى فمه ليرويه وما هو ببالغ إلى فمه بذلك الطلب فيذهب سعيه وتعبه باطلا، والمراد: نفي الاستجابة قطعا من غير ملاحظة التشبيه في جميع مفردات الأطراف فإن الماء في نفسه شيء نافع بخلاف آلهتهم إلا أنه قد خرج مخرج التهكم بهم، وهو من الاستثناء المفرغ من عموم الأحوال في مصدر الاستجابة، فلا تستجيب لهم الأصنام شيئا من الاستجابة إلا استجابة مثل استجابة الماء لمن بسط كفيه إذ الماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا يعطشه وحاجته، فقد حذف المستثنى والمستثنى منه، وهذا الاستثناء من تأكيد الذم بما يشبه المدح للأصنام والمعبودات إذ ظن المشركون بعد نفي الاستجابة ثم الاستثناء أنها ستذكر حالة من أحوال إجابتهم فأثبت القرآن عجزهم عن ذلك لضعفهم فيؤول ذلك إلى نفي الاستجابة في سائر الأحوال، وأن غاية قدرة المعبودات هو القلة والعدم فوجه الشبه قلة الجدوى والنفع، هذا الوجه في التأكيد ما ذهب إليه الشهاب الخفاجي والقونوي وابن عاشور.^(١)

ويجوز أن يكون هذا الأسلوب من تعليق الأمر بالمحال فيكون محالا، أي: ليس لهم استجابة إلا هذه الاستجابة الشبيهة باستجابة باسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه إن عدت هذه الاستجابة من الاستجابة لكنها من تعليق الأمر بالمحال لأنها ليست باستجابة فهذا كإثبات الدعوى بينة فهي من تأكيد الشيء بما يشبه ضده كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فنفي الاستجابة على البت بتصوير أنهم أحوج ما يكونون إليها لتحصيل مبتغاهم أخيب ما يكون أحد في سعيه لما هو مضطر إليه وهذا قول أبي السعود وابن سعدي.^(٢)

(١) انظر: حاشية الخفاجي على البضاوي: (٢٣٠/٥)، حاشية القونوي: (٤٧٨/١٠)، التحرير والتنوير: (١٠٨/١٣).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود: (١١/٥)، تفسير ابن سعدي: (٤١٥).

وعلى كلا القولين فإنه تعالى أطمع الكافرين باستجابة أصنامهم دعاءهم ثم يأسهم من ذلك بيان الدعوى ببيته فكان بياناً لهم بحقيقة هذه الاستجابة وعجز هذه المعبودات، وفيه مع تأكيد الذم بما يشبه المدح، استحالة استجابة هذه الأصنام وتهكما بالمشركين وباعتقاداتهم الباطلة مع التشبيه التمثيلي البليغ الذي بين به القرآن حقيقة الاستجابة التي تقع من الأصنام تجاه عابديها، وهذه الأساليب البلاغية اجتمعت لإثبات أحقية الله تعالى بالعبودية والتوحيد دون هذه المعبودات الباطلة.

الآية العشرون والحادية والعشرون: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝﴾ [الإسراء: ٤١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمُورِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝﴾ [فاطر: ٤٢].

في هاتين الآيتين ورد الأسلوب البلاغي تأكيد الشيء بما يشبه ضده، ولذلك فقد جمعتهما في سياق واحد، فيخبر الله تعالى في الآية الأولى أنه نوع الحجج في القرآن من جهة إلى جهة ومن مثال إلى مثال، فلم يجعلها نوعاً واحداً، ومفعول صرفنا محذوف للعموم وهي هذه الأشياء أي: صرفنا الأمثال والعبر والحكم والأحكام والأعلام، وفي الآية الثانية: يخبر الله تعالى عن قسم المشركين قسماً اجتهدوا فيه بالآيمان الغليظة أنه لو أرسل إليهم رسول ليكونن أسلك لطريق الحق ممن كذب بالرسول من اليهود والنصارى فأرسل الله إليهم نبيه، ولم يزداهم ذلك إلا هروباً واستكباراً.^(١)

والاستثناء مفرغ من مفعول (زادهم ويزيدهم) المحذوف، وتقديره: ما أفادهم صلاحاً وحالاً إلا نفوراً فيكون الاستثناء من تأكيد الذم بما يشبه المدح لأنهم لم يكونوا نافرين من قبل، والجملة في موضع الحال مقصود منها التعجيب من حال

(١) انظر: تفسير الطبري: (١٧/٤٥٣)، تفسير الرازي: (٢٠/٣٤٥)، البحر المحيط: (٧/٥٢).

ضلالهم مع قوة الداعي لإيمانهم، إذ كانوا يزدادون نفورا من كلام فصل ومن رسالة أفضل رسول كان حقيقا بتذكرهم واتعاضهم، وشأن التفصيل في شأن إثبات بلاغة القرآن ومعجزات النبي عليه الصلاة والسلام أن يفيد الطمأنينة والسكينة لا النفور والبعد، ولما كان تكرار مواضع القرآن يقتضي تغير أحوال المرسل إليهم إلى ما هو أحسن كان الظن بهم أن يهتدوا ويزدادوا من الخير إن كانوا على شأن من الخير فإذا بهم صاروا نافرين من القرآن والنبي والمواضع والمعجزات التي تكررت عليهم، وقد ناسب كثرة الآيات ومبالغتهم في القسم بالاتباع للنبي عليه الصلاة والسلام وصف المبالغة في تأكيد إعراضهم عن الحق عند بلوغه إليهم، فلم يقل: فلما جاءهم الحق كفروا به أو أعرضوا، وإنما عبر بالمبالغة في استكبارهم وعلوهم بالاستثناء وحصر موقفهم في الهروب والإعراض، والنفور: من صفات الدواب مثل هروب الوحشي والدابة بجزع وخشية من الأذى، واستعير هنا لإعراضهم تنزيلا لهم منزلة الدواب والأنعام ﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ۖ﴾ [المذثر: ٥٠]، وكل هذه الأوصاف المذمومة للمعرضين عن التذكر بالقرآن والإيمان بالنبير وردت بعد الاستثناء من الذم فكان ينتظر السامع المدح لهم بالإقبال والتوبة فإذا هو يظهر عكس ذلك دلالة على شدة إعراضهم وقسوة قلوبهم، وقد بلغ بهم الغاية في الذم خلاف ظنهم من المدح والثناء عليهم عند تكرار الأدلة والبراهين.^(١)

الآية الثانية والعشرون والثالثة والعشرون: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۖ﴾ [الإسراء: ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ۖ﴾ [الإسراء: ٩٩]. هاتان الآيتان شبيهتا الأسلوب في معارضة الكافرين لأمرين عظيمين: وهما إثبات أن القرآن من عند الله،

(١) انظر: حاشية الشهاب الخفاجي: (٣٤ / ٦)، حاشية شيخ زاده: (٢٢٥ / ٣)، التحرير والتنوير: (٣٣٣ / ٢٢)، التفسير القرآني للقرآن لعبدالكريم الخطيب: (٤٩٢ / ٨).

وإثبات البعث بعد الموت، ووردت الآيتان بأسلوب تأكيد الشيء بما يشبه ضده، ولذلك سأجمع الحديث في الكلام حولها في سياق واحد.

والمراد منهما: الأدلة والبراهين المتكررة على أن القرآن هو كلام الله، وإقامة الحجة على الكافرين في إثبات البعث من خلال أدلة الربوبية في خلق السماوات والأرض، والآية الثانية جاءت بأسلوب الاستفهام الإنكاري المشوب بتعجيب من انتفاء علمهم للبعث مع وضوح دلائله وبراهينه.^(١)

والجملة في الآيتين في قوله: ﴿فَأَنى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ وقوله: ﴿فَأَنى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ جملة حالية، وهو استثناء مفرغ من عموم أحوال الظالمين والمعرضين، لأنه في قوة: لم يفعلوا ولم يرضوا إلا كفورا، لأن الإباية وإن كانت فعلا مثبتا إلا أنه في معنى النفي فجاز لأجلها حذف المستثنى منه لأنه لا يصح حذفها في الكلام المثبت، واستثناء الكفور من الإباية تأكيد للذم بما يشبه المدح، وهو تأكيد في صورة النقص، لما فيه من الإطماع بأن إبايتهم غير مطردة، ثم يأتي المستثنى مؤكدا لمعنى المستثنى منه من الكفر والجحود والإعراض، وكأنه قيل: ما قبل أكثرهم إلا كفورا، وفيه من المبالغة ما ليس في قولهم: أبوا الإيمان لأن فيه زيادة على أنهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفر من الإيمان، أنهم لم يرضوا أيضا بمجرد التوقف في الأمر، بل بالغوا في عدم الرضا حتى بلغوا مرتبة الإباء إلا الكفر تنبيها على أنهم كفروا بما يجب اعتقاده وما دلت عليه البراهين والأدلة الواضحة التي لا يابأها إلا من بلغ الغاية في العناد والجحد للحقائق الظاهرة البينة، وكفروا نعمة المنعم عليهم فعبدوا غير المنعم، فكانوا أحرىاء مع تغيير الأساليب والحجج والبراهين في الآيات أن يحصل لديهم تقريرا ورسوخا في النفوس، وما ذاك إلا ليزدادوا تدبرا وإذعانا فكان حالهم على العكس، إذ لم يزدادوا إلا كفرا، وفي هذا ما يكشف عن حقيقتهم، وأنهم موصوفون بالظلم والكفر، لبعدهم عن الحق، ومكابرتهم في

(١) انظر: تفسير الطبري: (١٧/٥٦٢)، الكشف: (٢/٦٩٦).

الحقائق المسلمة، وافترائهم على الله الكذب.^(١)

الآية الرابعة والعشرون: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف: ٢٩] وردت هذه الآية في سياق وصف شدة عذاب الكفار في النار، وقد ذكر ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ﴾ أسلوب تأكيد الشيء بما يشبه ضده،^(٢) ووجه ذلك: أن الاستغاثة: طلب الغوث وهو الإنقاذ من شدة بتخفيف الألم، وشمل قوله: (يستغيثوا) الاستغاثة من حر النار يطلبون شيئاً يبرد عليهم، بأن يصبوا على وجوههم الماء، أو من شدة العطش الناشئ عن الحر فيسألون الشراب، وإذا كانوا لا يغاثون إلا بماء كدردي الزيت أو من قيح ودم بلغ الغاية في حره علم من ذلك أنهم لا إغاثة لهم البتة، ويكون ذلك تهكما بهم، وهو أسلوب عربي، ومنه قول بشر بن أبي حازم:

غَضِبْتُ تَمِيمٌ أَنْ تُقَتِّلَ عَامِرٌ * يَوْمَ النَّسَارِ فَأُعْتَبُوا بِالصَّيْلَمِ^(٣)

أي: ليس لهم منا إرضاء إلا بالسيف، وهي بهذا الاعتبار من تأكيد الشيء بما يشبه ضده، وسيقت الآية بأسلوب الإطماع في الغوث ثم التأييس بزيادة العذاب بماء بلغ الغاية في سواده وحرارته بيانا لشدة عذابهم، والمعنى ظاهر الاستدراك في الغوث خلافا لما كانوا يتوهمون، وهو على طريقة التهكم بهم وتحقيرهم إذ ذكرت الإغاثة مما هم فيه من العطش وأريد ما يصاد الإغاثة، وهو أن يؤتى بماء كالمهل إذا قرب إليه شوي وجهه وسقطت فروة رأسه وإذا شرب منه قطع أمعائه، فلم يزد هم ذلك الماء إلا عذابا ونكالا فإن استصرخوا في النار طالبين الغوث، كان الصراخ لهم،

(١) انظر: الكشف: (٦٩٢/٢)، الدر المصون للسمين الحلبي: (٤٠٨/٧)، التحرير والتنوير:

(١٥/٢٠٥)، روح المعاني للآلوسي: (١٥٩/٨)، التفسير القرآني للقرآن، للخطيب: (٥٥٦/٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير: (٣٠٨/١٥).

(٣) ديوانه: (١٩١)، والنسار: ماء لبني عامر، والصيلم: السيف.

والإسراع لنجدتهم، هو أن يسقوا ماء آسنا، يغلي، فيشوى الحر المتصاعد منه وجوهم قبل أن يصل إلى أفواههم، وقد ذكر هذا المعنى في الآية المتضمن لهذا الأسلوب: الزمخشري والبيضاوي وشيخ زاده وابن عاشور.^(١)

الآية الخامسة والعشرون: قوله تعالى: ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُكَذِّبُنا مَالُ هَذا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

تخبر الآية عن شدة الإحصاء للأعمال يوم القيامة "فتطير لها القلوب وتعظم من وقعها الكروب، وتكاد لها الصم الصلاب تذوب، ويشفق منها المجرمون، فإذا رأوها مسطرة عليهم أعمالهم، محصى عليهم أقوالهم وأفعالهم، قالوا: ﴿يَكْذِبُنا مَالُ هَذا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾".^(٢) والجملة في قوله: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ في موضع الحال للكتاب، والمغادرة بمعنى الترك، أي: لا يدع ولا يترك سيئة صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وهو كناية عن الإحاطة والإحصاء الدقيق.

وقد أشار عدد من المفسرين بكون هذا الأسلوب من تأكيد الشيء بما يشبه ضده إما أثناء ذكرهم للمعنى وإما تصريحاً، "فالاستثناء من عموم أحوال الصغيرة والكبيرة، أي: لا يبقى ويترك صغيرة ولا كبيرة في جميع أحوالهما إلا في حال إحصائه إياها، أي: لا يغادره غير محصى، فالاستثناء هنا من تأكيد الشيء بما يشبه ضده لأنه إذا أحصاه فهو لم يغادره، فرجع الإحصاء إلى معنى أنه لا يغادر شيئاً، وانتفت حقيقة الاستثناء".^(٣) وهي على ذلك من الاستثناء المفرغ، ونكتة الأسلوب:

(١) انظر: الكشف: (٧١٩/٢)، تفسير البيضاوي: (٢٨٠/٣)، حاشية شيخ زاده: (٢٥٩/٣)، أضواء البيان للشنقيطي: (٢٦٩/٣).

(٢) تفسير السعدي: (٤٧٩).

(٣) التحرير والتنوير: (٣٣٨/١٥)، وانظر: الكشف: (٧٢٦/٢)، تفسير الرازي: (٤٧٠/٢١)، تفسير أبي السعود: (٢٢٧/٥).

أن السامع للاستثناء بعد ذكر دقة الإحصاء لصغائر الذنوب يظن استثناء بعض الذنوب من دقة الحساب والكتاب فيفاجأ بخلاف ما يظن من تأكيد العد والإحصاء لكن بطريق الإثبات (أحصاها) عقب طريق النفي (لا يترك ولا يدع) فيكون ما بعد الاستثناء مؤكدا لما قبله من المعنى، ويكون بذلك من تأكيد الشيء بما يشبه ضده، وقد نص ابن عاشور على هذا الأسلوب البلاغي عند هذه الآية.

الآية السادسة والعشرون: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ لَعَجَلَ لَهُمْ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ۝﴾ [الكهف: ٥٨] يخبر تعالى عن سعة مغفرته ورحمته وإمهاله وحلمه بالمعرضين، وأنه لو أخذ العباد على ما قدمت أيديهم من الذنوب، لعجل لهم العذاب لكن لهم موعد، وذلك ميقات محل عذابهم، ﴿لَّنْ يَجْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ۝﴾^(١).

وفي كلام عدد من المفسرين ما يدل على أن هذه الآية من تأكيد الشيء بما يشبه ضده، وأن أسلوبها فيه مبالغة في إثبات وقوع العذاب على المعرضين وأنه لا فرار لهم منه، وإن أمهلهم وأخرهم سواء كان المراد به: وقعة بدر أو يوم القيامة، حتى إنهم لن يجدوا ملجأ من العذاب إلا العذاب والعقوبة.

ووجه الأسلوب: أنه تعالى أوضح سعة رحمته ومغفرته وحلمه على المعرضين مع عظيم إعراضهم، فلو أراد مؤاخذتهم بما اجترحوا لبأغتهم بالعذاب، لاستحقاق أعمالهم ذلك، فالمنفي في جواب الشرط: تعجيل العذاب دون وقوعه لعدم اقتضاء حكمته ذلك، و(بل) للإضراب الإبطالي، عن مضمون جواب (لو)، أي: لم يعجل لهم العذاب إذ لهم موعد للعذاب متأخر، أو يكون للإضراب الانتقالي، ويكون المعنى للاستدراك، أي: لكنهم ليسوا بمؤاخذين بغتة، وهذا تهديد بما يحصل لهم يوم بدر أو عذاب يوم القيامة، ثم أكد النفي ب(لن) ردا على إنكارهم، إذ هم يحسبون أنهم مفلتون من العذاب حين يرون أنه تأخر مدة طويلة،

(١) انظر: تفسير الطبري: (١٨/٥٢)، تفسير السعدي: (٤٨١).

لأنه لا ملجأ لهم من العذاب دون وقت وعده أو مكان وعده، فهو ملجؤهم، أي هم غير مفلتين منه أبداً، وقد أورد هذا التأكيد بعد حرف النفي (لن) فأطعمهم بعدم وقوع العقوبة ثم باغتهم ويأسهم أنه لا فرار لهم ولا محيص من وقوعه عنهم ألبتة، وفيه من المبالغة ما فيه لدلالته على أنهم لا خلاص لهم أصلاً فإن من يكون ملجأه العذاب كيف يرى وجه الخلاص والنجاة، فإذا كان المعرض لن يجد محرزا إلا العذاب فقد بلغ الغاية في الإلجاء إليه وقلة الحيلة.^(١)

الآية السابعة والعشرون والثامنة والعشرون: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [٥٥] إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٦٦﴾ [الواقعة: ٢٥ - ٢٦]

يخبر الله تعالى عن شيء من نعيم أهل الجنة وذلك أنهم لا يسمعون كلاماً لاغياً ولا إثمًا لا فائدة فيه، فلا يسمعون فيها شتماً، ولا عيباً، {إلا سلاماً} أي: الأقوال السالمة من كل عيب وهزل، والاستثناء هنا من تأكيد المدح بما يشبه الذم، سواء قيل: إنه من الاستثناء المتصل فيقدر السلام داخلاً في اللغو ويفيد التأكيد من وجهين أو من المنقطع فلا يقدر ذلك، ويفيد التأكيد من وجه واحد، وهما قولان للمفسرين^(٢)، أما وجهها تأكيد الشيء بما يشبه ضده في الاستثناء المتصل:

فالأول: من جهة أنه كدعوى الشيء ببيئته، لأنك علقت العيب وهو اللغو والإثم بالمحال وهو السلام وعدم المحال محال فعدم العيب والهزل واللغو عن الجنة ثابت لكونه لا يوجد فيها إلا القول الطيب والسلام. الثاني: أنه لما نفى وجود المستثنى منه في الجنة وهو اللغو والكلام الباطل والإثم ثم أتبعه باستثناء أوقع في

(١) انظر: حاشية الشهاب الخفاجي: (١١٥/٦)، حاشية القونوي: (١١٤/١٢)، تفسير أبي السعود:

(٢٣١/٥)، روح المعاني: (٢٨٨/٨)، التحرير والتنوير: (٣٥٧/١٥).

(٢) ذهب الطبري وابن عطية وابن عاشور والشنقيطي أنه من الاستثناء المنقطع، وذكر القولين بلا ترجيح الزمخشري والبيضاوي. انظر: تفسير الطبري: (٢٢٠/١٨)، المحرر الوجيز: (٢٣/٤)، الكشف:

(٢٧/٣)، تفسير البيضاوي: (١٥/٤)، التحرير والتنوير: (١٣٧/١٦)، أضواء البيان: (٤٦٦/٣).

وهم السامع وظن أن غرض المتكلم أن يخرج شيئاً من أفراد ما نفاه حتى يحصل فيه شيء من العيب فإذا هو يذكر صفة مدح ويأتي صفة مدح على مدح، وأشعر بذلك أنه لم يجد صفة ذم حتى يثبتها فأضاف إليه صفة مدح أخرى، مع ما فيه من نوع خلافة وتأخير للقلوب، وهذا الوجه الثاني هو فقط ما يثبت في الاستثناء المنقطع لكون المستثنى من أصله ليس من جنس المستثنى منه، فاستثنى السلام من غير جنسه، وفي ذلك تأكيد للمعنى المقصود، لأنهم إذا لم يسمعوا من اللغو إلا السلام، فليس يسمعون لغواً البتة، أي: لكن تسمعون سلاماً.^(١)

وفي أسلوب الحصر من نفي اللغو ثم إثبات سماع السلام ما ينبى عن عظيم نعيم أهل الجنة في حصر سماعهم على "الأقوال السالمة من كل عيب، من ذكر الله، وتحية، وبشارة، ومطارحة الأحاديث الحسنة بين الإخوان، وسماع خطاب الرحمن، والأصوات الشجية، من الحور والملائكة والولدان، والنعيمات المطربة، والألفاظ الرخيمة"^(٢)، وقد حمل ذلك الأسلوب البلاغي البديع في طياته من إثبات النعيم ونفي كل عيب بما يليق بالجنة دار السلام، فإذا كان هناك من لغو أو تأثيم يسمعه أهل هذا المجلس الكريم، فهو هذا القول الذي يقال لهم في هذا المقام، وهو: سلام، سلام، فإذا كان هذا هو اللغو والتأثيم، فكيف بما لا لغو فيه ولا تأثيم؟ وهذا غاية في تنزيه مجلسهم، وحفظ أسماعهم من أن يطوف بها شيء من اللغو أبداً.^(٣)

الآية التاسعة والعشرون: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠].

يخبر الله تعالى عن ابتلاء المؤمنين في مكة عند إخراجهم للخروج بالأذى والفتنة بغير ذنب نقمه منهم أعداؤهم إلا أنهم وحدوا الله، وعبدوه مخلصين له الدين، وقد

(١) انظر: التحرير والتنوير: (١٣٧/١٦)، المطول للتفتازاني: (٨٩/٤)، تفسير أبي السعود: (٢٧٣/٥).

(٢) تفسير السعدي: (٤٨١).

(٣) انظر: تفسير السعدي: (٤٨١)، التفسير القرآني للقرآن، للخطيب: (٧١٢/١٤).

ذهب الزمخشري والطبي وأبو السعود وابن عاشور^(١): إن الاستثناء هنا مفرغ فيكون من عموم عدم الاستحقاق، وذلك لورود (بغير حق) نكرة بصيغة النفي فتفيد العموم، ويكون التقدير: الذين أخرجوا من ديارهم لا شيء إلا أن يوحّدوا الله ويخلصوا له، فأخرجوا المؤمنين من ديارهم بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتمكين لا موجب الإخراج والتسيير، وقد نص عدد من المفسرين أن هذه الآية من تأكيد المدح بما يشبه الذم.^(٢)

لقد جاء هذا الأسلوب البلاغي بمعاني عميقة في الثناء على المؤمنين من عدة وجوه فأثنى عليهم بإيمانهم وثباتهم وتضحيتهم بديارهم وأموالهم في سبيل الله والإيمان به، ثم شدة الظلم الذي وقع عليهم من أعدائهم كفار قريش بغير عيب ونقمة يستحقونها ثم استثنى الله من عموم نفي الحق أمراً فتبادر لذهن السامع وظنه ذكر ما يعيهم مما يستحقون به الإخراج فلم يذكر بعد الاستثناء إلا ما يستحقون به الإكرام والثناء فتبين أنهم أخرجوا بغير سبب موجب للإخراج إلا بتوحيدهم إن كان موجبا للإخراج فأكد الإخراج بغير حق بما يشبه الإخراج بحق، فكان مدحا على مدح، وتأكيدا للمدح بما يشبه الذم لكون هذا مما لا يعابون به لأنه أشعر بأنه لم يوجد فيهم صفة ذم حتى يستثنى فاضطر إلى استثناء صفة مدح، وفي ذلك غاية الثناء على المؤمنين.

ويتضمن الذم للمشركين من وجهين: الأول: أنهم أخرجوهم من ديارهم وأموالهم بغير حق. الثاني: أنهم لم يجدوا عيبا يستحق به المستضعفين من المؤمنين إخراجهم إلا التوحيد والإخلاص لله وهذا مما يستحقون به الإكرام لا الإخراج،

(١) انظر: الكشف: (٣/ ١٦٠)، حاشية الطبي: (١٠/ ٤٩٤)، تفسير أبي السعود: (٦/ ١٠٩)، التحرير والتنوير: (٧/ ٥١٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير: (٧/ ٥١٦)، حاشية القنوي على البضاوي: (١٣/ ٧٤)، حاشية شيخ زاده على البضاوي: (٣/ ٣٨٦).

فإنهم لم يجنوا على أحد، ولم يكرهوا أحداً على أمر، وإنما كل جنايتهم - إن كانت هناك جناية - هي إيمانهم بالله، وقولهم ربنا الله الواحد، الذي لا شريك له؛ فهل في هذا عدوان على أحد، أو ضرر يعود على أحد؟، ولكن أهل الضلال والبغي ينظرون بعيون مريضة، ويحكمون على الأمور بعقول فاسدة، فيرون النور ظلاماً، والخير شراً، والإحسان إساءة.^(١)

وذهب بعض المفسرين إلى أن الاستثناء منقطع فيكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه، ويكون التقدير على الاستدراك: لكن لقولهم ربنا الله، وهذا أيضاً يوجب تعظيمهم وتقديرهم في ديارهم دون إخراجهم، وهو يعود على ما تقرر في الوجه الثاني من تأكيد المدح بما يشبه الذم.^(٢)

الآية الثلاثون: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝﴾ [الفرقان: ٥٧].

يأمر الله تعالى نبيه أن يخاطب كفار قريش أنه لا مطمع له ولا عرض من أعراض الحياة الدنيا على إبلاغهم القرآن إلا من شاء أن يهتدي ويتخذ إلى رحمة ربه طريق نجاة، أو ينفق نفقة في مرضاة ربه، وغير ذلك من سبل الخير.^(٣)

والاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝﴾ من أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم، وسواء قيل: إنه من الاستثناء المفرغ أو المنقطع^(٤) فإن

(١) انظر: حاشية القونوي على البيضاوي: (٧٤ / ١٣)، حاشية شيخ زاده على البيضاوي: (٣ / ٣٨٦)، التفسير القرآني للقرآن للخطيب: (٩ / ١٠٤٤).

(٢) ذهب إلى ذلك ابن عطية والقرطبي وأبو حيان الأندلسي، انظر: المحرر الوجيز: (٤ / ١٢٤)، تفسير القرطبي: (١٢ / ٦٩)، البحر المحيط: (٧ / ٥١٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري: (١٩ / ٢٨٦)، تفسير السعدي: (٥٨٥).

(٤) رجح أنه استثناء مفرغ: الزمخشري والبيضاوي والآلوسي وابن عاشور، ورجح أنه من الاستثناء المنقطع: الطبري وابن عطية وأبو حيان. انظر: تفسير الطبري: (١٩ / ٢٨٦)، الكشف: (٣ / ٢٨٨)، المحرر الوجيز: (٤ / ٢١٥)، تفسير البيضاوي: (٤ / ١١٩)، البحر المحيط: (٨ / ١٢٨)، روح المعاني: (١٠ / ٣٧)، التحرير والتنوير: (١٩ / ٥٨).

نكتة الاستثناء بهذا الأسلوب البلاغي البديع تتضمن التجرد في الدعوة إلى الله تعالى، وإعلان واضح بالبعد عن حظوظ الدنيا خلافا لظن المشركين من تعلق كل أصحاب الدعاوى بنصيب وأجر دنيوي، وأنه لا يرجو إلا هدايتهم وإيمانهم بالله تعالى، إلا أنه في الاستثناء المفرغ يكون في حكم المتصل فيكون التأكيد من وجهين دون الاستثناء المنقطع فإنه يكون من وجه واحد.

والاستثناء تأكيد لنفي سؤالهم الأجر والمال لأنه استثناء من أحوال عامة محذوف ما يدل عليها لقصد التعميم، والاستثناء معيار العموم، وفي الكلام حذف مضاف فيكون تقدير الكلام: لا أسألكم عليه من أجر إلا فعل من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا بالإيمان والطاعة والصدقة، وقد صورته بصورة الثواب وسماه باسمه، لفوائد: الأول: قلع كلي لشائبة الطمع وشبهته في الثواب من أصله، كأنه يقول: إن أعطيتكم إياي أجرا فأعطوني ذلك الفعل فإني لا أسأل غيره، إظهاراً وإشعاراً لما يعرض للعقول القاصرة من توهم أن اجتهاده في دعوته حبا للرئاسة أو طمعا في المال. الثانية: إظهار الشفقة البالغة عليهم إذ جعل ذلك مع كون نفعه عائدا إليهم عائدا إليه ﷺ، وسعيهم لأنفسهم ونفعهم لها بالاشتغال بطاعة ربهم والاجتناب عن مخالفته وعصيانه أجرا وافرا مرضيا به. الثالث: الإشعار بأنهم كما يثابون على ذلك الفعل بمباشرتهم له فإنه يثاب عليه بسبب دلالتهم عليه فإن الدال على الخير كفاعله.^(١) ووجه التأكيد في الآية للمدح بما يشبه الذم في تقدير الاستثناء: إلا فعل من شاء أجرا أفكنت ممن أسأل أجرا على التبليغ، وهذا محال فهو في المعنى تعليق بالمحال، فهو من دعوى الشيء ببينة، وهو الوجه الأول في التأكيد في الاستثناء المتصل، ثم إنه أمره بعدم سؤال الأجر منهم ألبة فلما ورد الاستثناء توهم أنه سيطلب على ذلك أجرا لأن الاستثناء يفيد إخراج أفراد من المستثنى منه فأطعمهم

(١) انظر: الكشاف: (٢٨٨/٣)، حاشية الطيبي: (٢٦٨/١١)، حاشية شيخ زاده: (٤٥٨/٣)، التحرير والتنوير: (٥٨/١٩).

بإثبات دعواهم في رغبته في حظوظ الدنيا فلما استثنى فعل من شاء التقرب إلى الله بالإيمان والعمل الصالح أشعر الكلام أنه لم يوجد طلب أجر ما حتى يستثنيه فاضطر إلى استثناء صفة مدح وهو التجرد لله فلا ريب أنه قلع كل مطمع دنيوي بعد هذا الأجر الذي استثناه، وعلم أن قصده منحصر في تبليغ الرسالة وإرادة ما عند الله والدار الآخرة.

ولما كانت مطامع الدنيا راسخة في قلوب الناس في كل سعي في الدنيا، وكان مشركو قريش ممن لا يؤمن بالبعث والآخرة، وكانت سهامهم متجهة إلى النبي ﷺ في تشويه مقاصده والقدح في نيته واتهامه بالبحث عن الجاه والمنصب والمال اقتضى ذلك الأسلوب التأكيدى لدفع هاته الشبهات والرد عن عرضه والذب عن دعوته. قال الزمخشري: (ولعمري إن رسول الله ﷺ كان مع المبعوث إليهم بهذا الصدد وفوقه).^(١)

وعلى القول إنه من الاستثناء المنقطع فلا يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، ويكون الاستثناء بمعنى الاستدراك، وتقديره: لا أطلب من أموالكم جعلا لنفسي لكن من شاء إنفاقها لوجه الله تعالى فليفعل فإني لا أمنعه منه، وهو من تأكيد المدح بما يشبه الذم لكنه يتأكد بالوجه الثاني فقط دون الأول لكونه من الاستثناء المنقطع.

الآية الحادية والثلاثون: قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

ذكر المفسرون عند هذه الآية إشكالا عقديا لأنه يلزم منها أن الله جل وعلا داخل في السماوات والأرض فتحويه هذه المخلوقات تعالى الله عن ذلك^(٢)، وقد أجاب العلماء بثلاث أجوبة يتضمن أحدها أسلوبنا البلاغي في التأكيد:

الأول: أن الاستثناء هنا منقطع، والمنقطع منصوب، ولكنه مرفوع على لغة

(١) الكشاف: (٢٨٨/٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري: (٤٨٦/١٩)، الكشاف: (٣٧٨/٣)، مجموع الفتاوى: (٦٣/١٤).

تميم، فيكون لفظ الجلالة مرفوع، ويجعلون المستثنى المنقطع في حكم المفرغ فيقولون: ما في الدار أحد إلا حماراً، بالرفع، إلا أن قول الزمخشري يقتضي أن الاستثناء وإن كان منقطعاً تحقيقاً فإنه متصل تأويلاً، وهي النكتة التي ذكر لها شاهداً: وبلدة ليس بها أنيس * * إلا اليعافير وإلا العيس

قال الزمخشري: (فإن قلت: ما الداعي إلى اختيار المذهب التميمي على الحجازي؟ قلت: دعت إليه نكتة سرية حيث أخرج المستثنى مخرج قوله: إلا اليعافير، بعد قوله: ليس بها أنيس، ليؤول المعنى إلى قولك: إن كان الله ممن في السماوات والأرض، فهم يعلمون الغيب، يعنى: أن علمهم الغيب في استحالة كاستحالة أن يكون الله منهم، كما أن معنى ما في البيت إن كانت اليعافير أنيساً ففيها أنيس، بتا للقول بخلوها عن الأنيس).^(١)

فقد دخله في المستثنى منه ليشتمل الكلام على التعليق بالمحال ليفيد الكلام المبالغة في نفي الغيب عن أهل السماوات والأرض، وهذه المبالغة لا تحصل على تقدير النصب لأنه حينئذ يكون المعنى: لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب لكن الله يعلمه، فيكون نصبه على أنه اسم (لكن)، وتفوت المبالغة المبنية على تعليق علمهم الغيب بالمحال، ويكون على ذلك القول من تأكيد الشيء بما يشبه ضده^(٢)، لأنه من التعليق بالمحال فكان محالاً، وقد أجيب عن هذا القول بأن الأصل اتصال الاستثناء والقول بانقطاعه خلاف الأصل، وخاصة مع وجود معنى صحيح لا تكلف فيه، والقرآن إنما نزل بلغة الحجاز، ثم على فرض صحة هذا المذهب فإنه لا حاجة للقول بلغة تميم مع إمكان القول بظاهر الآية مع صحة

(١) الكشف: (٣/٣٧٨)، وانظر: حاشية الطيبي: (١١/٥٦١)، البحر المحيط: (٨/٢٦٠)، والبيت لجران العود النميري في ديوانه: (٥٣)، واليعافير: جمع اليعفور وهو الظبي في لون التراب، والعيس: جمع أعيس وهو الظبي الأبيض فيه أدمة. لسان العرب: (٤/٥٨٥).

(٢) انظر: حاشية ابن التمجيد: (١٤/٤٣١)، الكشف مع حاشية الطيبي: (١٣/٥٦٤)، حاشية القونوي: (١٤/٤٣١).

المعنى اللغوي، كما أن قول عامة أهل اللغة أن الرفع وهو قراءته المتواترة لا تكون إلا استثناء متصلًا، وهو قول الفراء والزجاج والنحاس، وينصون على أنه يصح النصب في الاستثناء في الكلام دون الآية لعدم ثبوت القراءة المتواترة إلا بالرفع،^(١) ولم يذكر الطبري وابن عطية سوى القول باتصال المستثنى.^(٢)

القول الثاني: أن الاستثناء متصل، وهذا هو الظاهر ويكون بدلا من الاسم الموصول الفاعل ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ووجه اتصال استثنائه أن علمه تعالى في كل مكان فتحمل الظرفية على المجاز في حق الله تعالى في المستثنى منه ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وتحمل على الحقيقة في حق غيره من المخلوقات، وهذا على مذهب الشافعي الذي يجيز الجمع بين الحقيقة والمجاز في اللفظ الواحد، وقد رجح هذا الرازي، ورده الجمهور ممن لا يصحح الجمع بين الحقيقة والمجاز في اللفظ الواحد.^(٣) ومن القواعد: أن القول بالحقيقة أولى من القول بالمجاز، وفي هذه الآية يمكن القول بالمعنى الظاهر في الحقيقة مع صحته في اللغة كما سيأتي.

القول الثالث: أن الاستثناء متصل، وهو بمنزلة المفرغ كأنه قال: لا يعلم الغيب إلا الله، والمراد بالسماء: "يتناول كل ما سما وارتفع، ويدخل فيه السماوات والكرسي والعرش، لأن هذا في جانب النفي وهو لم يقل هنا: السماوات السبع، بل عم بلفظ السماوات، وإذا كان لفظ السماء قد يراد به السحاب، ويراد به الفلك،

(١) انظر: معاني القرآن للفراء: (٢/٢٩٨)، معاني القرآن للزجاج: (٤/١٢٧)، إعراب القرآن للنحاس: (٣/١٤٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري: (١٩/٤٨٧)، المحرر الوجيز: (٤/٢٦٨)، وضعفه ابن جزى وابن تيمية. التسهيل لابن جزى: (٢/١٠٦)، مجموع الفتاوى: (١٤/٦٣)، وانظر في النص على الاصطلاح: الدر المصون: (٨/٦٣٢)، حاشية شيخ زاده: (٣/٤٩٩).

(٣) انظر: تفسير الرازي: (٢٤/٥٦٧)، تفسير البضاوي: (٤/١٦٥)، ورد الجمع بين الحقيقة والمجاز: الزمخشري وابن جزى وأبو حيان. الكشف: (٣/٣٧٨)، التسهيل لابن جزى: (٢/١٠٦)، البحر المحيط: (٨/٢٦٠)، وجمهور الأصوليين على منعه، والشافعي على جوازه. إرشاد الفحول للشوكاني: (١/٧٩).

ويراد به العلو مطلقا، فالسماوات جمع سماء، وكل (من) فيما يسمى (سماء)، وكل (من) فيما يسمى أرضا لا يعلم الغيب إلا الله".^(١) وهذا القول هو الأوفق لسياق الآية ولظاها مع صحة معناه في لغة العرب بعيدا عن القول بالمجاز أو القول بانقطاع المستثنى مع اللجوء للغة تميم، فلا يصح في هذه الآية الأسلوب البلاغي: تأكيد الشيء بما يشبه ضده.

الآية الثانية والثلاثون: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝﴾ [الزمر: ٤].

جاءت هذه الآية ردا على المشركين في زعمهم إثبات البنوة لله تعالى، وقد اختلف المفسرون في معنى الآية وتركيبها وفي موافقتها لأسلوب تأكيد الشيء بما يشبه ضده، وذلك على قولين:

الأول: لو أراد الله اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح، لكونه محالا، ولم يتأت إلا أن يصطفي من خلقه ويختصهم ويقربهم، كما يختص الرجل ولده ويقربه، وقد فعل ذلك بالملائكة، كأنه قال: لو أراد الله اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة، وجواب الشرط على هذا القول محذوف تقديره: لامتنع أو لم يصح، وهذا قول الطبري والزمخشري والآلوسي،^(٢) وقريب من هذا القول من قال: لو أراد الله تعالى أن يتخذ ولدا لامتنع ذلك إذ لا موجود سواه إلا وهو مخلوق له تعالى، ولذلك قال: (مما يخلق) دلالة على أنها كلها من مخلوقاته، والتالي وهو اتخاذ الولد باطل ومحال لأن من البين الجلي أن المخلوق لا يماثل الخالق ليقوم مقام الولد منه للمباينة بينهما، والولدية تأتي تلك المباينة إذ من حق الولد أن يجانس والده، فالمقدم باطل أيضا ومحال وهو الإرادة للولدية، فلا يبقى إلا اجتباء عبيد من خلقه واصطفائهم مثل الملائكة، وهذا ما رجحه البيضاوي وأبو

(١) مجموع الفتاوى: (٦٣ / ١٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري: (٢٥٢ / ٢١)، الكشف: (١١٢ / ٤)، روح المعاني: (٢٢٨ / ١٢).

السعود والشوكاني وشيخ زاده^(١)، وكلا القولين من تأكيد الشيء بما يشبه ضده إذ علق الله تعالى اتخاذ الولد بالمحال فكان محالاً، أي: لو أراد الله تعالى أن يتخذ ولداً لفعل شيئاً ليس هو من اتخاذ الولد في شيء أصلاً بل إنما هو اصطفاً عبدي، ولا ريب في أن ما يستلزم فرض وقوعه انتفاءه فهو ممتنع قطعاً، أو يكون تحقق استحالة اتخاذ الولد عليه لأن المخلوق لا يماثل الخالق حتى يكون ولداً له وهو لازم التأكيد على قول البيضاوي.

ومما يؤيد هذا القول دلالة آيات أخرى عليه وردت بنفس المعنى والأسلوب، فلا يصح الاعتراض الذي ذكره أصحاب القول الثاني من استحالة الولد على الله تعالى، فإن الشرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه، بل هو هنا من المحال، وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه، ومن أمثلة المحال: قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَّاتَّخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُنَّا فَعِلِينَ ۖ﴾ [الأنبياء: ١٧]، وقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] كل هذا من باب الشرط، ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لقصد المتكلم، كما أن هذا القول أبلغ في نفي الولد عن الله تعالى وهو الذي كان يكرره المشركون في انتقاصهم لله تعالى، وقد وردت الآية في سياق نفيه عن الله.

القول الثاني: أن المراد باتخاذ الولد: اتخاذ التشريف والتبني، وذلك ممتنع على الله بإخبار الشرع فإن قوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۖ﴾ [مريم: ٩٢] لفظ يعم اتخاذ النسل واتخاذ الأصفياء، فالمراد: لو أراد الله أن يتخذ ولداً على وجه التبني لذلك مما يخلق من موجوداته ومخلوقاته، ﴿لَأَصْطَفِيَ مِمَّا يَخْلُقُ﴾ ولكنه لم يرد ذلك ولا فعله، وعلى هذا يستقيم الجواب في قوله: ﴿لَأَصْطَفِيَ مِمَّا يَخْلُقُ مَا

(١) انظر: تفسير البيضاوي: (٣٧/٥)، تفسير أبي السعود: (٢٤٢/٧)، فتح القدير: (٥١٦/٤) حاشية شيخ زاده: (١٩٢/٤).

يَشَاءُ»، وأما الاتخاذ المعهود في المخلوق فمستحيل أن يتوهم في جهة الله تعالى، ولا يستقيم عليه جوابا معنى قوله: ﴿لَا ضَظْفَى﴾، كما أن هذا القول يربط أول الآية بآخرها ويكون جواب الشرط حينئذ ظاهرا فلا يحتاج إلى تقدير خلافا للقول الأول، الذي يقدر جواب الشرط، وقد رجح هذا القول ابن عطية وابن جزي وأبو حيان.^(١) ومما يقوي القول الأول ظاهر لفظ (لاتخذ ولدا) إذ يقتضي إثبات الولد لله تعالى دون التبني، ولا يتوهم المعنى الباطل الذي أورده ابن عطية من إثبات الولد لله تعالى إذ تكرر هذا المعنى والأسلوب الشرطي في القرآن، فإن أسلوب الشرط لا يلزم الوقوع، وهذا المعنى من نفي الولد عن الله تعالى من عادات القرآن ردا على زعم المشركين واليهود والنصارى، ويقوي القول الثاني أنه لا يحتاج لتقدير في جواب الشرط فيستقيم الجواب: (لا ضطفي)، والقاعدة: إن ما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج إلى تقدير، واستدلّاهم بقرينة: (مما يخلق) الدالة على أنه من مخلوقاته فلا يمكن أن يراد به الولد لأن المخلوقات محدثات.

وكلا القولين له وجه من الصواب والقوة والاستدلال، إلا أن قول الزمخشري والبيضاوي أبلغ في نفي الولد لأنه يتضمن استحالة الولد له سبحانه بأسلوب تأكيد الشيء بما يشبه ضده، ووجه الأسلوب: أنه لو أراد سبحانه أن يتخذ ولدا لكان الطريق إلى ذلك ما يمتنع أن يكون طريقا وهو اصطفاء الملائكة.

الآية الثالثة والثلاثون: ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ

بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُ فَاَتَقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٦]

يخبر الله تعالى عن عذاب أهل النار، وذلك أنها تعلوهم من فوقهم كهيئة الظلل المبنية من النار، فهي أطباق من النار تتلهب عليهم، والظلة: ما غشي وغم كالسحابة وسقف البيت.^(٢)

(١) انظر: المحرر الوجيز: (٥١٩/٤)، التسهيل لابن جزي: (٢١٦/٢)، البحر المحيط: (١٨٤/٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري: (٢٧٢/٢١)، المحرر الوجيز: (٥٢٥/٤).

وقد ذكر ابن عاشور الأسلوب البلاغي: تأكيد الشيء بما يشبه ضده، ووجه ذلك: أن الظلل: شيء مرتفع من بناء أو أعواد مثل السقف يستظل به الجالس تحته، مشتقة من الظل لأنها يكون لها ظل في الشمس، وهي هنا استعارة تهكمية للطبقة التي تعلقو أهل النار في نار جهنم بقرينة قوله: من النار، شبهت بالظلة في العلو والغشيان لأنهم يتمنون ما يحجب عنهم حر النار فعبر عن طبقات النار بالظل إشارة إلى أنهم لا وافي لهم من حر النار على نحو تأكيد الشيء بما يشبه ضده،^(١) وذلك أن السامع يتوهم عند سماعه لفظ الظل من فوقهم ومن تحتهم التخفيف من العذاب لأهل النار فيحصل لأهل الكفر شيء من الرجاء فإذا أردفه ببيان نوع هذه الظلل، وأنها من النار علم أنه لا وافي لهم من النار إلا النار، فكان تأييساً بعد إطماع وأن ما كان متوقعا سبب نجاة لهم كان في حقيقته زيادة في العذاب والعقوبة فباغتهم بذلك الوصف للظل خلاف ما يظنون فكان عذاباً نفسياً من اليأس فوق العذاب الجسدي، وفيه "إشارة إلى أن النار المسلطة على أهل النار لا تتقي هناك إلا بنار من النار... إذا استصرخ أهلها، كان الصريخ لهم بعضاً منها، وقطعا من شواظها، وفي هذا بلاء إلى بلاء، وعذاب إلى عذاب، حيث تتضاعف البلوى بهذا الطارق الجديد، الذي كان موضع أمل ورجاء، وفي هذا يقول المتنبي: قَدْ اسْتَشْفَيْتَ مِنْ دَاءٍ بِدَاءٍ ... وَأَقْتُلُ مَا أَعْلَلْتُ مَا شَفَاكَ".^(٢)

ولم يكن ليظهر عمق هذا العذاب وشدة الجسدية والنفسية على أهل النار لولا هذا التعبير البلاغي الدقيق الذي أظهر مدى الحسرة والتهكم بأهل النار أثناء عذابهم.

الآية الرابعة والثلاثون: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقَرِّفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: ٢٣].

يأمر الله تعالى نبيه أن يقول لمشركي قريش: لا أسألكم أيها القوم على دعايتكم

(١) انظر: التحرير والتنوير: (٢٣/ ٣٦١)، زهرة التفاسير: (١٠/ ٥٤٠٦).

(٢) التفسير القرآني للقرآن للخطيب: (١٢/ ١١٣٥)، والبيت في ديوان المتنبي: (٩٥).

إلى ما أدعوكم إليه من الحق الذي جئكم به، والنصيحة التي أنصحكم ثواباً وجزاء، وعرضاً من أعراض الدنيا ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾. وقد اختلف المفسرون في المراد بالمعنى والاستثناء على أقوال:

القول الأول: إلا أن تودوني في قرابتي منكم وتصلوا رحمي بيني وبينكم، قاله الجمهور: ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد وقتادة، ورجحه الطبري والزمخشري وابن الجوزي وابن تيمية وأبو حيان.^(١)

القول الثاني: إلا أن تودوا قرابتي ولا تقطعوه، قاله علي بن الحسين، وسعيد بن جبيرة، والسدي.^(٢)

وعلى هذين القولين ذهب من قال: إنه من تأكيد المدح بما يشبه الذم، لأن الذي سأله ليس بأجر على التبليغ؛ لأنه مبذول لكل أحد؛ لأن كل أحد يوده أهل قرابته ويتصرفون له من أذى الناس، وقد فعل ذلك عمه أبو طالب، وإذا كان لا يسأل أجراً إلا هذا الذي ليس بأجر تحقق أنه لا يسأل أجراً.

القول الثالث: أن المعنى: إلا أن تتودوا إلى الله تعالى فيما يقربكم إليه من العمل الصالح، قاله الحسن، وقتادة.^(٣)

وأقرب الأقوال هو القول الأول لدلالة اللغة عليه ولكونه قول جماهير السلف، وذلك أنه عبر بحرف الجر (في) الدالة على أن معناه: إلا مودتي في قرابتي منكم، فلم يقل: إلا المودة للقربى، أو لذوي القربى؛ كما قال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الأنفال: ٤١]، وقال: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ

(١) انظر: تفسير الطبري: (٥٢٤/٢١)، الكشف: (٢١٩/٤)، زاد المسير: (٦٥/٤)، منهاج السنة، لابن تيمية: (١٠٠/٧)، البحر المحيط: (٣٣٥/٩)، أضواء البيان: (٧٠/٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري: (٥٢٤/٢١).

(٣) تفسير الطبري: (٥٢٢/٢١)، وانظر: زاد المسير، لابن الجوزي: (٦٥/٤)، تفسير الماوردي: (٢٠٢/٥).

رَسُولُهُ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ ﴿٧﴾ [الحشر: ٧]. فجميع ما في القرآن من التوصية بحقوق ذوي القربى، إنما قيل فيها: ذوي القربى، ولم يقل: في القربى، وقد بين ذلك ابن عباس رضي الله عنهما في جوابه لسعيد بن جبير، قال طاوس: سئل عنها ابن عباس، فقال ابن جبير: هم قربى آل محمد، فقال ابن عباس: عجلت، إن رسول الله ﷺ لم يكن بطن من بطون قريش إلا وله فيهم قرابة، قال: فنزلت.^(١)

وسواء قيل: إن الاستثناء متصل أو منقطع^(٢) فإن تأكيد المدح بما يشبه الذم حاصل على القولين لكنه أكد من جهة الاستثناء المتصل، لأن السامع يترقب بعد الاستثناء والاستدراك معنى آخر يبتغي به النبي ﷺ الأجر مقابل هذه الدعوة، فيتوهم أنه يريد عرضاً من الدنيا فيفاجأ بخلاف ما يظن، وأنه لم يسأل إلا قياماً بحق المودة وعدم العداوة بسبب القرابات، فتحقق أنه ليس بأجر على الحقيقة لأن الأجر ما يجب بمقابلة العمل، والقيام بقرابته والامتناع من أذيته واجبة على قريش بحكم المروءة الجبلية بل إن الصلة له ومودته أنفع لهم من جهة الكرم والمروءة وقد كانت العرب تتفاخر بذلك، فمودتهم له في القربى لا تكون أجر التبليغ لوجوبها عليهم بقطع النظر عن التبليغ، وإنما سميت أجراً واستثنائها منه تشبيهاً له به ويكون إطلاق الأجر عليه من باب المجاز، ويجوز استثناء المجاز من الحقيقة، فرجع حاصل الكلام إلى أنه لم يسأل أجراً ألبتة، وهذا كله ظاهر في الاستثناء المتصل، وهذا الوجه أكد في إثبات التجرد في الدعوة لديه عليه الصلاة والسلام وأبعد عن اتهامه بكسب وطلب شيء من حظوظ الدنيا، لأن مقتضاه: أن غاية حظه وأجره هو صلة قرابته فهو أبلغ في الشاء من القول بالانقطاع لأنه يثبت الأجر لكن بأمر ليس بشيء، وهو كدعوى الشيء بينة لأنه

(١) تفسير الطبري: (٥٢٤/٢١)، وانظر: منهاج السنة، لابن تيمية: (١٠٠/٧)، أضواء البيان: (٧٠/٧).

(٢) ذهب إلى أنه منقطع الطبري وابن عطية وابن تيمية وأبو حيان، ومال إلى اتصاله: الزمخشري والبيضاوي والشنقيطي. انظر: تفسير الطبري: (٥٢٥/٢١)، المحرر الوجيز: (٣٤/٥)، الكشف:

(٢١٩/٤)، أنوار التنزيل للبيضاوي: (٨٠/٥)، منهاج السنة: (١٠١/٧)، البحر المحيط:

(٣٣٥/٩)، دفع إيهام الاضطراب للشنقيطي: (١٩٣).

قد علق نقيض المطلوب وهو إثبات طلب الأجر بشيء محال وهو صلة الأرحام والمعلق بالمحال محال فكان متجرذا بالكلية من طلب أجر الدنيا وأطماعها، فأكد عدم طلبه شيء من الدنيا بصفة مدح بما يشبه الذم فأثبت عدم وجود صفة ذم ليدكرها، ولا يحصل من التأكيد إلا الوجه الأول في الاستثناء المنقطع، لأن التقدير حيثئذ: لكن أسألکم المودة في القربة، لأن المودة لأجل القربة ليست من الجزاء على تبليغ الدعوة بالقرآن، وليس المستثنى وهو طلب مودة القربة بداخل في المستثنى منه وهو طلب الأجر، ولكن المودة في القربة مما تقتضيه المروءة فليس استثناءها من عموم الأجر المنفي استثناء حقيقيا، وهو منقطع إما بناء على أن المودة له عليه الصلاة والسلام ليست أجرا أصلا بالنسبة إليه، أو لأنها لازمة لهم ليمدحوا بصلة الرحم فنفعها عائد عليهم، وممن نص على هذا الأسلوب البلاغي عند هذه الآية: الرازي والشهاب الخفاجي وشيخ زاده والشنقيطي والسعدي^(١).

الآية الخامسة والثلاثون: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۖ﴾ [الدخان: ٥٦].

هذه الآية من الآيات التي ينظر بها المفسرون كثيرا في تعليق الشيء بالأمر المحال، فهي من تأكيد المدح بما يشبه الذم، وهي خبر من الله تعالى عن الجنة أنه لا موت فيها بالكلية.

وهي من الاستثناء المنقطع عند أكثر المفسرين^(٢)، وتقديره على الانقطاع: لكن الموتة الأولى قد ذاقوها قبل دخول الجنة، ووجه انقطاعه مع كون المستثنى من

(١) انظر: مع المراجع السابقة: تفسير الرازي: (٥٩٤/٢٧)، حاشية شيخ زاده: (٢٧٧/٤)، حاشية الشهاب الخفاجي: (٤١٨/٧)، أضواء البيان: (٧٠/٧)، تفسير السعدي: (٧٥٧).

(٢) ذهب إلى ذلك الزجاج والنحاس وابن جزري وأبو حيان وابن كثير، وذكر عدد من المفسرين أنه متصل. انظر: معاني القرآن للزجاج: (٤٢٨/٤)، إعراب القرآن للنحاس: (٩٠/٤)، التسهيل لابن جزي: (٢٦٩/٢)، البحر المحيط: (٤٠٩/٩)، تفسير ابن كثير: (٢٦١/٧)، دراسات لأسلوب القرآن، لعضيمة: (٣٤٤/١).

جنس المستثنى منه فكلاهما موت لأنه لم يحكم على المستثنى بنقيض الحكم على المستثنى منه، فنقيض: لا يذوقون فيها الموت إلا، هو: يذوقون فيها الموت، وهذا النقيض الذي هو ذوق الموت في الآخرة لم يحكم به على المستثنى بل حكم بالذوق في الدنيا فكان منقطعاً من هذا الوجه.

وقيل: إنه متصل وهو أبعد من جهة المعنى لأن الموتة الأولى ليست من جنس ما يذاق في الجنة.

وعلى كلا القولين فإنه يتضمن الأسلوب البلاغي تأكيد المدح بما يشبه الذم وقد أشار إلى هذا الأسلوب: الزمخشري والسمين والشهاب الخفاجي وشيخ زاده وابن عاشور.^(١)

وجه التأكيد في الآية: أن الاستثناء للمبالغة في نفي الموت عن أهل الجنة بتعليقه بالمحال وهو أن تكون الموتة الأولى مما يمكن ذوقها في المستقبل، كأنه قيل: لا يذوقون فيها الموت على كل التقادير إلا على تقدير أن يستقيم ذوق الموتة الأولى في المستقبل فإنه حينئذ يجوز أن يذوقوها في الجنة، ومن المعلوم بداهة أن ذوقها في المستقبل محال فيكون ذوق الموت فيها محالاً لكونه موقفاً على المحال، ومما يزيد هذا الأسلوب بلاغة وتأكيداً أن السامع له عند الاستثناء كان يتوهم خلاف المتوقع من حصول الوفاة في الجنة لاستثناءه من جنس المستثنى منه وهو الموت فعلق الموت بأمر محال وهو الوفاة في الجنة لأمر مستقبلي بأمر قد سبق حصوله في الدنيا فكان تعليقا بالمحال فعلم أنه لا يمكن حصول الوفاة لأهل الجنة ألبتة. لقد تضمن هذا الأسلوب البلاغي في طياته بشارة مؤكدة بخلود النعمة لأن الموت يقطع ما كان في الحياة من النعيم لأصحاب النعيم، وذلك تنبيه على ما أنعم به على أهل الجنة من الخلود السرمدي، وتذكير لهم بمفارقة الدنيا الفانية إلى هذه

(١) انظر: الكشاف: (٢٨٣/٤)، الدر المصون للسمين الحلبي: (٦٣٢/٩)، حاشية الشهاب الخفاجي: (١٢/٨)، حاشية شيخ زاده: (٣١٨/٤)، التحرير والتنوير: (٣١٩/٢٥).

الدار الباقية، فهم في أمان من أن يزعمهم عن هذا النعيم الذي هم فيه، أيّ خاطر يخطر لهم، من انقطاع هذا النعيم بالموت، أو بالتحول عنه إلى غيره، فهم في أمان من الموت أبداً، فإنها حياة خالدة، ونعيم دائم.

الآية السادسة والثلاثون: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُبِينَةٍ﴾ [الطلاق: ١] تبين هذه الآية أحكاماً للمطلقة الرجعية أثناء عدتها، بوجوب لزومها بيتها الذي طلقها فيها زوجها فلا يجوز له إخراجها، ولا يجوز لهن الخروج منه لتكمل عدتها في مسكنها فهو واجب على الزوج للزوجة، وقد اختلف المفسرون في المراد بالفاحشة:

فقال ابن عباس ومجاهد والحسن إن المراد بها الزنا، والإخراج هو إخراجها لإقامة الحد، وورد عن ابن عباس: أن المراد به البذاء على أهلها، وقال قتادة: هو نشوزها على زوجها، وهذه الأقوال على أن تعلق فعل الفاحشة بفعل الرجل في قوله: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾، وذهب ابن عمر والسدي إلى أن الفاحشة خروجها من بيتها في العدة وهذا القول على تعلق الفاحشة بفعلها في قوله: ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾^(١).

وتقدير الآية على هذا القول: إلا أن يأتين بفاحشة مبينة بخروجهن من بيوتهن بغير حق، فتكون الفاحشة على هذا القول متعلقة بخروجها دون إخراجها، وعلى هذا القول فيكون من تأكيد الشيء بما يشبه ضده. والذي يترجح القول بالعموم في الفاحشة بالأقوال والأفعال من الزنا والنشوز والخروج من بيتها ولا تعارض بين الأقوال، وقد جاءت لفظة: (بفاحشة)، نكرة في سياق النفي فأفاد ذلك العموم، وليس أحد الأقوال بأولى من الآخر، والقاعدة في التفسير: حمل اللفظ على العموم

(١) انظر الأقوال في: تفسير الطبري: (٢٣/٤٣٨)، تفسير ابن أبي حاتم: (٣/٩٠٤)، النكت والعيون للماوردي: (٦/٢٩).

مالم يرد دليل بالتخصيص ورجحه الطبري وابن عطية والقرطبي والسعدي.^(١)

وأما وجه تأكيد الشيء بما يشبه ضده في القول الأخير الذي ذهب إليه ابن عمر والسدي: فإن الفاحشة هنا متعلقة بفعل (يخرجن) دون الإخراج، وهو نهى لها عن الخروج قبل انقضاء العدة فيكون حينئذ المراد: لا يخرجن إلا إذا ارتكبن الفاحشة بالخروج وهذا أبلغ في المنع من الخروج من حيث دلالة على المنع إذ أبان عن علة المنع وهي كونه فاحشة، والمعنى: لا يأذن لهن في الخروج إلا في الخروج الذي هو فاحشة، ومن المعلوم أنه لا يحل لهن فيه فيكون ذلك منعا عن الخروج على أبلغ وجه، وهذا كما يقال: لا تزن إلا أن تكون فاسقا ولا تشتم والدك إلا أن تكون قاطع رحم، وهو بديع وبلغ جدا في تأكيد الشيء بما يشبه ضده، ووجه المبالغة في النهي: أن الاستثناء منه يدل على أنه ليس بمنهي عنه فإذا أريد بالفاحشة الخروج نفسه يكون أبلغ في النهي لإشعاره بعد ارتداعه في النهي فهو مستحق لما هو أشد منه، كأنه قيل: ولا يحسن خروجها إلا أن يأتين بفاحشة، وهو تعليق بالمحال فيكون مبالغة في النهي والتحريم، وممن صرح بهذا الأسلوب القنوني وابن عاشور.^(٢)

فيكون الغرض البلاغي من هذا الأسلوب تأكيد النهي وتحريمه وتغليظ فعل المرأة في الخروج من العدة إذ علقه بالفاحشة، وأنها لا تقدم على ذلك إلا من اجترأت على الفاحشة، ثم إن التحريم ورد بصيغة الحصر فجاء النهي عن الخروج ثم أردفه بالاستثناء فتوهم السامع الاستثناء بإباحة الخروج في بعض الأحوال، ثم جاء الوصف بالفاحشة لمن فعلت ذلك تشنيعا في الجرأة عليه وتغليظا فدل على أنه لا يقدم عليه إلا من تجرأت على الفاحشة وهي عموم المعاصي والنشوز والزنا، فكان ذلك الأسلوب البلاغي بديعا

(١) انظر: تفسير الطبري: (٢٣/ ٤٤٠)، المحرر الوجيز: (٥/ ٣٢٣)، تفسير القرطبي: (١٨/ ١٥٦)، تفسير السعدي: (٨٦٩).

(٢) حاشية القنوني: (١٩/ ١٢٩)، التحرير والتنوير: (٢٨/ ٣٠٢)، وانظر: تفسير البضاوي: (٥/ ٢٢٠)، حاشية الخفاجي: (٨/ ٢٠٥)، حاشية شيخ زاده: (٤/ ٥٠٥)، تفسير أبي السعود: (٨/ ٢٦)، روح المعاني: (١٤/ ٣٢٩).

في بيان شدة التحريم وعظم حق الزوجية والبقاء في السكن أثناء العدة، وكان بليغا في إثبات هذا الحكم والتحذير من تجاوز حدود الله فيه.^(١)

الآية السابعة والثلاثون والثامنة والثلاثون: قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيرٌ ۖ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ ۖ﴾ [الحاقة: ٣٥ - ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ۖ لَا يَسْمَنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ۖ﴾ [الغاشية: ٦ - ٧].

يخبر الله تعالى في هاتين الآيتين عن طعام أهل النار، فأما الغسلين: فهو صديد أهل النار وهو قول ابن عباس، وقال الربيع: هو شجرة يأكل منها أهل النار^(٢)، وأما الضريع: فذهب الجمهور أنها شجرة ذات شوك يقال لها: الشبرق^(٣)، وقد ورد الطعام في الآيتين بصيغة الحصر فتوهم التعارض، ولأجل ذلك فقد ذهب المفسرون إلى الجمع بينهما مذاهب أحدها بأسلوب تأكيد الشيء بما يشبه ضده:

القول الأول: أن العذاب ألوان، والمعذبون طبقات، فمنهم أكلة الزقوم، ومنهم أكلة الغسلين، ومنهم أكلة الضريع: لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ.^(٤)

القول الثاني: أن طعامهم من شيء ليس من مطاعم الإنس، وإنما هو شوك، والشوك مما تأكله الإبل، ومنفعتا الغذاء متفتتان عنه: وهما إمالة الجوع، وإفادة القوة والسمن في البدن، فيكون على ذلك قائم مقام الطعام وإن كان ليس بطعام للإنس في الحقيقة، لأن الغسلين والضريع ليسا بطعام للبهائم فضلا عن الإنس، لأن الطعام ما أشبع أو أسمن، وهو منهما بمعزل^(٥)، فيكون الاستثناء على هذا متصلا؛ إذ المراد نفْي الشيء بدليله، أي: إن كان لهم طعامٌ فليس إلا هذا الذي لا يَعُدُّه أحدٌ طعاماً، لأن الطعام هو ما يطعمه الإنسان، وهذا قدر مشترك بين المستلذ والمكروه

(١) انظر: التحرير والتنوير: (٣٠٢ / ٢٨).

(٢) أخرج أثر ابن عباس الطبري: (٥٩١ / ٢٣)، وأثر الربيع في تفسير البغوي: (٢١٣ / ٨).

(٣) انظر الآثار عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة في تفسير الطبري: (٣٨٤ / ٢٤).

(٤) الكشف: (٧٤٣ / ٤).

(٥) انظر: الكشف: (٧٤٣ / ٤).

وما لا يستلذ ولا يستكره، فإن وصفه بما ذكر يدل على أنه لا فائدة فيه لأن نفع المأكول دفع ألم الجوع وتسمين البدن فإذا خلا عن ذلك علم أنه شيء مكروه منفور عنه، كما تقول: ليس لفلان ظل إلا الشمس، وكقول عمرو بن معدي كرب:

وَحَيْلٌ قَدْ دَلَفَتْ لَهَا بِحَيْلٍ * تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ^(١)

والتحية لا تكون ضرباً إلا أنه لما أقيم مقامه جاز أن يسمى به، وقد ذكر الرازي والسمين وابن عادل الحنبلي أن هذا من الأسلوب البلاغي تأكيد الشيء بما يشبه ضده،^(٢) والتوجيهان صحيحان ولا تعارض بينهما، وعلى التوجيه الثاني بأنه ليس طعاماً ينتفع به أهل النار فإنه من تأكيد الشيء بما يشبه ضده، فإنه من تعليق الطعام بطعام لا فائدة فيه فهو من نفي الشيء بدليله، وقد ورد بصيغة الاستثناء بعد النفي فتطلعت النفوس وتوهمت وجود الطعام المنتفع به فإذا هو الغسلين والضريع الذي تأنف منه البهائم فضلاً عن الإنس فكان تأيساً بعد إطماع، وتعليقاً للطعام بأمر محال فهو كدعوى الشيء ببينة إذ علق نقيض المدعى وهو حصول الطعام لأهل النار بالمحال وهو كون الصيد والشبرق من الطعام، والمعلق بالمحال محال فحصول الطعام النافع لأهل النار محال.

الآية التاسعة والثلاثون والأربعون والحادية والأربعون: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿١﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٢﴾﴾ [نوح: ٥ - ٦]، وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿١٥﴾﴾ [نوح: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ

(١) خزائن الأدب، للبغدادي: (٢٦٣/٩).

(٢) انظر: تفسير الرازي: (٦٣٢/٣٠)، البحر المحيط: (٤٦٣/١٠)، اللباب في علوم الكتاب: (٣٣٩/١٩)، الدر المصون: (٧٦٨/١٠)، وقريب من هذا التوجيه ما ذكره الزمخشري أنه لا طعام لهم أصلاً كما تقول: ليس لفلان ظل إلا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد، ويضعف هذا القول أن الله تعالى قد أثبت حقيقة الطعام والشراب لأهل النار في عدد من الآيات. انظر: الكشف: (٧٤٣/٤)، حاشية الخفاجي: (٣٥٢/٨)، دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي: (٢٤٤)، والجواب عن القول في حاشية القونوي: (٢٣٣/٢٠).

لِي وَلَوْلَدَيْ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ [نوح: ٢٨].

هذه الآيات الثلاث وردت في قصة نوح عليه السلام مع قومه، وقد تشابهت في أسلوبها فناسب التنظير بينها. ففي الآية الأولى: إن الدعوة المتكررة من نوح عليه السلام إلى التوحيد المتضمنة لحرصه عليهم لو لقيت نفوسا سوية لكانت سببا في إقبالهم وإيمانهم لكن ذلك لم يزداهم قربا من الهدى بل زادهم إغراضا واستكبارا دلالة على مرض نفوسهم وقسوة قلوبهم، وجاء بصيغة النفي، ثم الاستثناء المتضمن للحصر، والسامع يظن لأول وهلة بعد الاستثناء: وصف الإقبال والتوبة وخاصة مع قوة الداعي للتوبة بتكرار الدعوة في الليل والنهار، فإذا الزيادة في الاستكبار والإغراض الدالة على قوة الانصراف عن الحق، وهو من الاستثناء المفرغ المتضمن لعموم الأحوال، ويصح أن يكون منقطعا، والتقدير: لم يزداهم قربا من الحق بل إغراضا واستكبارا، فلما كانت الدعوة بشتى الأساليب والأحوال والأزمان ناسب وصف قوم نوح بتأكيد الإغراض عن الحق بأسلوب تأكيد الذم بما يشبه المدح لشدة استكبارهم عن الحق وإصرارهم عليه.^(١)

وشابه أسلوب التأكيد في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ ﴿٢٤﴾ إذ دعا عليهم نوح عليه السلام بعد يأسه من إسلامهم وتمردهم وكفرهم وعنادهم وفتنتهم لغيرهم وإعلام الله له بعدم إيمانهم ويكون دعاء نوح عليه السلام عليهم كدعاء موسى عليه السلام: ﴿رَبَّنَا أَطْمَسَ عَلَيَّ أَمْوَالُهُمْ وَأَشَدَّ عَلَيَّ قُلُوبُهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨] ويكون المراد: لا تزد الظالمين بكفرهم بآياتنا إلا طبعا على قلوبهم حتى لا يهتدون للحق، وقيل: إلا خسارا، وقيل المراد: الضلال في ترويج مكربهم ومصالح دنياهم أو الضياع والهلاك،^(٢) والظاهر

(١) انظر: تفسير الطبري: (٢٣/٦٣١)، الدر المصون: (١٠/٤٦٩)، التحرير والتنوير: (٢٩/٢١٥).

(٢) ذهب إلى أنه دعاء عليهم: الطبري والواحدى والبغوي وابن كثير. انظر: تفسير الطبري: (٢٣/٦٤٠)،

من اللفظ والسياق أنه دعاء عليهم، ويجوز للأنبياء الدعاء على أقوامهم إذا أصبح كفرهم فتنة كما صنع موسى عليه السلام مع فرعون، وقد أعلم الله نوحا بعدم إيمانهم، ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ أَمَنَ﴾ [هود: ٣٦] فلا يصح ما استشكله بعض المفسرين من كيفية دعاء الأنبياء على قومهم بالضلال، ويصح حمل الآية على القولين: الدعاء أو الخبر، ويكون من تأكيد الذم بما يشبه المدح أو دعاء عليهم بأسلوب التأكيد، فلما كانوا سببا في ضلال قومهم استحقوا هذا التأكيد في الدعاء عليهم فتوهم السامع الدعاء بنفي الضلال عنهم ثم أكد بحصر الدعاء عليهم بوصف الضلال، فلم يقل: زدهم ضلالا أو كفرا، وهي جملة حالية مقصود منها التعجيب من إعراضهم، وإنما عبر على قول الخبر بأسلوب التأكيد لإثبات مدى الضلال الذي أعماهم عن الحق وأصمهم عن سماع مواعظ النبي عليه السلام، والاستثناء مفرغ من عموم الأحوال إلا وصف الضلال والزيغ، وهذا الوصف المذموم للمعرضين عن الإيمان ورد بعد الاستثناء من الذم فكان ينتظر منه السامع المدح لهم بالإقبال والتوبة فإذا هو يبين عكس ذلك دلالة على شدة إعراضهم وقسوة قلوبهم.^(١)

والدعاء أكثر ظهورا واتفاقا بين المفسرين في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨]، فهو دعاء عليهم بالهلاك والعذاب والخسران، وهي شبيهة الأسلوب البلاغي بالآية السابقة في تأكيد الشيء بما يشبه ضده فلا نحتاج تكرار بيان هذا الأسلوب ووجه بلاغته وبيانه.^(٢)

السيط للواحد: (٢٢/٢٧٠)، معالم التنزيل للبغوي: (٨/٢٣٣)، تفسير السمعاني: (٦/٦٠)، تفسير الرازي: (٣٠/٦٥٨).

(١) انظر: تفسير الطبري: (١٧/٤٥٣)، تفسير الرازي: (٢٠/٣٤٥)، البحر المحيط: (٧/٥٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري: (٢٣/٦٤٣)، التحرير والتنوير: (٢٩/٢١٥).

الآية الثانية والأربعون: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤] يأمر الله تعالى نبيه عليه السلام أن يخاطب مشركي قريش أنه لا يملك لهم ضرا ولا نفعاً ولا هداية ولا غواية وأنه لن يجد من دون الله ملجأ وملاذاً إلا التبليغ لدين الله ورسالته إلى خلقه، وذهب المفسرون في الاستثناء مذاهب:

الأول: إن الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ هو مستثنى من قوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾، وهو قول قتادة، ويكون المعنى: لا أملك لكم شيئاً إلاً بلاغاً إليكم، فأما الإيمان أو الكفر فلا أملكه، ويكون تقدير المستثنى منه: لا أملك لكم شيئاً إلاً التبليغ لدين الله، لأن النفع والضرر والهداية والضلال كناية عن العموم، فهو من الاستثناء المتصل، ومن تأكيد الشيء بما يشبه ضده، لأن المعنى: لا أستطيع أن أجبركم على الهداية أو الإعراض أو أنفعكم أو أضركم، فلا أستطيع لكم شيئاً إلاً البلاغ والنصح فهو تأكيد لقدرة الله تعالى بالمستثنى وقصر مهمته على البلاغ الذي أكد المعنى الوارد في المستثنى منه بعد توهم السامع قدرته على شيء من ذلك، وما بينهما في قوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ جملة اعتراضية لإثبات العجز والضعف أمام قدرة الله تعالى.^(١)

القول الثاني: أن استثناء البلاغ من الملجأ والمفر في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾، وهو قول الحسن البصري، ويكون المعنى: إنه لا ملاذ ولا ملجأ من الله إلا أن أبلغ دين الله تعالى وأعتصم به فيكون البلاغ سبباً للخلاص من عقوبة الله، ويكون من الاستثناء المتصل، واعتراض عليه الرازي أنه لم يقل: ولم أجد ملتحداً، بل قال: (من دونه)، والبلاغ من الله لا يكون داخلاً تحت قوله: (من دونه ملتحداً) لأنه لا يكون من دون

(١) انظر: تفسير الطبري: (٢٣/ ٦٧٠)، البسيط للواحدي: (٢٢/ ٣٢٧)، المحرر الوجيز: (٥/ ٣٨٤)، الكشف: (٤/ ٦٣٢).

الله، بل يكون من الله وبإعانتة وتوفيقه، وهو إيراد وجيه، فيكون الأقرب أنه من الاستثناء المنقطع، ويكون المعنى: لا مخلص لي من الله لكن أبلغ رسالة الله للأقوام، فيكون المعنى للاستدراك.

والجملة على الاتصال والانقطاع من تأكيد الشيء بما يشبه ضده، أي: لَنْ يُجِيرَنِي أَحَدٌ لَكِنْ إِنْ بَلَغْتَ رِسَالَةَ اللَّهِ لَخَلَقَهُ رَحْمَنِي اللَّهُ بِذَلِكَ، والسامع يتوهم عند سماع الاستثناء أنه سيذكر سبباً للنجاة من أسباب الدنيا فيفاجأ بأن النجاة إنما تكون باللجوء إلى الله بطاعته وتبليغ دينه فيكون مؤكداً لما قبل الاستثناء من عدم وجود المغيث من عقوبة الله إلا رحمته جل وعلا باتباع أوامره والتقرب إليه ومن ذلك: تبليغ دين الله تعالى، وفيه إثبات للعجز أمام قدرة الله وأن النبي ﷺ على منزلته فضلاً عن غيره لا يملك النجاة إلا برحمة الله وطاعته،^(١) وقد صرح الخفاجي والقونوي والآلوسي وابن عاشور بهذا الأسلوب البلاغي عند هذه الآية، وأشار إليه أثناء تفسير الآية عدد من المفسرين.^(٢)

الآية الثالثة والأربعون: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۖ إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَافًا ۖ﴾ [النبا: ٢٤ - ٢٥].

يخبر الله تعالى عن عذاب أهل النار وذلك أنهم لا يذوقون ما يبرد جلودهم من برد الماء، ولا ما يدفع ظمأهم، إلا ماء بلغ الغاية في الحرارة يشوي وجوههم أو صديد أهل النار وقيحهم الذي بلغ الغاية في النتن والزمهرير. وقد اختلف المفسرون في الآية والاستثناء وتفرع عنها أسلوب تأكيد الشيء بما يشبه ضده، وذلك على أقوال:

القول الأول: أن الماء الشديد الحرارة مستثنى مما يبرد جلودهم، وصديد أهل النار

(١) انظر: المراجع السابقة مع تفسير الرازي: (٣٠/٦٧٥)، البحر المحيط: (١٠/٣٠٢)، الدر المصون للسمين: (١٠/٥٠٠).

(٢) انظر: حاشية الخفاجي: (٨/٢٥٩)، حاشية القونوي: (١٩/٣٦١)، روح المعاني: (١٥/١٠٥)، التحرير والتنوير: (٢٩/٢٤٤).

مستثنى من الشراب الذي يشربون، وهو استثناء منقطع لأن الحميم ليس من جنس البرد في شيء إذ هو شديد الحر، ولأن الغساق ليس من جنس الشراب، والمعنى: يذوقون الحميم إذ يراق على أجسادهم، والغساق إذ يسيل على مواضع الحرق فيزيد ألمهم، وهي على ذلك من الاستثناء المنقطع، وتقديره: لا يذوقون فيها برد الشراب ولا الشراب لكن ماء حارا وصديدا متنا، ونسبه الماوردي لأكثر المفسرين وهو قول ابن عباس، وصورة الاستثناء هنا من تأكيد الشيء بما يشبه ضده.^(١)

القول الثاني: أن الحميم مستثنى من الشراب، والغساق: وهو الصديد الزمهرير الشديد البرودة مستثنى من البرد لتشابههما في الوصف ويكون المستثنى منه وهو البرد وإن كان نكرة مفيدا للعموم إلا أنه مخصوص بالبرد النافع، وعلى ذلك فهو من الاستثناء المتصل إذ يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، وهو من اللف والنشر غير المرتب فذكر البرد واستثنى الغساق، وذكر الشراب واستثنى الحميم، وهو قول أبي العالية والريبع بن انس.^(٢) وقد صرح ابن عاشور أن هذا الأسلوب من تأكيد الشيء بما يشبه ضده إذ الماء الشديد الحرارة والصديد المنثن لا يغني في برودة الجسد وشراب الظمان شيئا، فيكون من تعليق البرد والشراب بشراب لا فائدة فيه فهو من نفي الشيء بدليله، وقد جاءت صيغة الاستثناء من البرد والشراب فتطلعت النفوس وجود ما ينفع ويخفف عنهم من حر النار وظمأها فإذا الاستثناء أمرٌ وأدهى، فإذا هو الماء الحار يشوي الحلق والبطون، فهذا هو البرد، أو الغساق الذي يسيل من أجساد المحروقين، فهذا هو الشراب، فكان ذلك تأييسا بعد إطماع، وتعليقا للشراب والبرد بأمر محال فهو كدعوى الشيء ببينة إذ علق نقيض المدعى وهو

(١) انظر: تفسير الطبري: (١٦٥/٢٤)، النكت والعيون للماوردي: (١٨٧/٦)، المحرر الوجيز: (٤٢٧/٥)، تفسير الرازي: (١٧/٣١)، التحرير والتنوير: (٣٨/٣٠)، وقد ذكر بعض السلف أن المراد بالبرد النوم، والمراد به: الراحة، وقد يضعفه سياق الآية واقتارانه بالشراب، مع كون الاستثناء في الحميم والغساق.

(٢) انظر: المراجع السابقة، مع الكشف: (٦٨٩/٤)، روح المعاني: (٢١٥/١٥).

حصولها لأهل النار بالمحال وهو كون الصديد والبرد من الشراب، والمعلق بالمحال محال فحصول الشراب والبرد لأهل النار محال، وهذان الأسلوبان شبيهان بقوله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ ۖ﴾ [الحاقة: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ ۖ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ۖ﴾ [الغاشية: ٦ - ٧]، وقد كان هذا الأسلوب بليغا في تصوير العذاب الذي يتنقل فيه أهل النار وأن غوثهم إنما هو نوع آخر من العذاب لا يزدون به إلا نكالا وجحيما.

الآية الرابعة والأربعون: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۖ﴾ [النبا: ٣٠]

ذكر أبو برزة الأسلمي وعبد الله بن عمرو بن العاص وعلي بن الحسين رضي الله عنهم أن هذه الآية أشد آية على أهل النار، قال عبد الله بن عمرو: فهم في مزيد من عذاب الله أبدا. ومعنى الآية: ذوقوا أيها الكفار من عذاب الله الذي كنتم به في الدنيا تكذبون، فلن نزيدكم إلا عذابا على العذاب الذي أنتم فيه، لا تخفيفا منه، ولا ترفها، ووجه أشديتها في التعبير عن العذاب هو الأسلوب البلاغي تأكيد الشيء بما يشبه ضده، وذلك أنها تدل على أنهم كلما استغاثوا من نوع من العذاب أغيثوا بأشد منه فتكون كل مرتبة منه متناهية في الشدة، والأسلوب ورد بحرف النفي (لن) المفيد للاكديّة ثم أردفه بالاستثناء المفيد ثبوت نقيض حكم المستثنى منه للمستثنى فأصبحت دلالة على الحصر المؤكد لزيادة العذاب في المستقبل، والمعنى: سنزيدكم عذابا زيادة مستمرة في أزمنة المستقبل، فصيح التعبير عن هذا المعنى بهذا التركيب البديع "ولما كان المقصود الوعيد بزيادة العذاب في المستقبل جيء في أسلوب نفيه بحرف نفي المستقبل، وهو (لن) المفيد تأكيد النسبة المنفية وهي ما دل عليه مجموع النفي والاستثناء، فإن قيد تأييد نفي الزيادة الذي يفيد حرف (لن) في جانب المستثنى منه يسري إلى إثبات زيادة العذاب في جانب المستثنى...، وفي هذا الأسلوب ابتداء مطمع بانتهاء مؤيس وذلك أشد حزنا وغما بما يوههم أن ما ألقوا فيه هو منتهى التعذيب حتى إذا ولج ذلك أسماعهم فحزنوا له، أتبع بأنهم ينتظرهم

عذاب آخر أشد، فكان ذلك حزنا فوق حزن، فهذا منوال هذا النظم"^(١) وهو مؤذن بكمال المقت وشدة الغضب مع أن حالهم تقتضي الرحمة. إن هذا الأسلوب يحمل بعمق دلالاته على هول سياط البلاء والنكال التي تنهال على أصحاب النار، وبدلالاته على أن ترك الزيادة كالمحال الذي لا يمكن أن يكون تحت الصحة فهو من التعليق بالمحال، "وهم على هذا المورد الوبيل، أن يشربوا من هذا العذاب، وأن يتجرعوا كؤوسه الملائى بالحميم والغساق، وأن ما هم فيه في لحظتهم تلك أهون مما يذوقونه في كل لحظة آتية، فهم ينتقلون من عذاب إلى ما هو أشد منه، حالا بعد حال، ولحظة بعد لحظة، فليبادروا بشرب ما بأيديهم، قبل أن يشتد لهيبا، ويزداد غليانا".^(٢)



(١) التحرير والتنوير: (٤٢ / ٣٠)، وانظر: الكشف: (٦٩٠ / ٤)، حاشية شيخ زاده: (٦٠٨ / ٤)، حاشية القونوي: (٣٣ / ٢٠).

(٢) التفسير القرآني للقرآن للخطيب: (١٤٢٣ / ١٦)، وانظر: روح المعاني: (٢١٧ / ١٥).

الخاتمة

وبعد هذا التطواف في آيات القرآن الكريم وبيانه وبلاغته، فيمكن ذكر بعض النتائج:

١- أثر علم البلاغة في بيان القرآن الكريم ودفع مشكلاته واعتماد المفسرين عليه من المتقدمين إلى المعاصرين وحضوره في كل التفاسير بما فيها كتب التفسير بالمأثور.

٢- أسلوب: تأكيد الشيء بما يشبه ضده من أساليب البديع المؤثرة في تفسير عدد من آيات القرآن الكريم، والتصريح بها ظاهر في كتب التفسير.

٣- أكثر التفاسير تصريحاً بهذا الأسلوب وعناية بإظهاره واعتماده في تفاسيرهم: ابن عاشور والألوسي مع الحواشي على البضاوي: الشهاب الخفاجي، وشيخ زاده، والقونوي، والإشارة إليه بالشاهد الشعري دون التصريح بالمصطلح ظاهرة في كتب الكشاف والبضاوي وأبي السعود.

٤- وقفت ودرست في البحث أربعاً وأربعين آية قرآنية ذكر فيها المفسرون هذا الأسلوب البلاغي، ظهر من خلال البحث أن عدداً من الأمثلة القرآنية لا تدخل في المدح والذم بما يشبه ضدهما، وإنما هي من تأكيد الشيء بما يشبه ضده: فكانت الأمثلة المتعلقة بتأكيد الشيء بما يشبه ضده: ستة عشر آية، والمدح بما يشبه الذم: ثماني آيات، والذم بما يشبه المدح: تسع عشرة آية قرآنية، فيما لم يصح الأسلوب على آيتين قرآنتين.

٥- ظهر من خلال البحث أن أربعاً من الأمثلة التطبيقية في هذا الأسلوب البلاغي لم تتضمن استثناء ولا استدراكاً، وقد صح إطلاق هذا الأسلوب البلاغي عليه وهذا يدل على أن هذا القيد غالب وليس مطرداً، خلافاً لمن يقصر تعريفه على الاستثناء والاستدراك.

التوصيات:

- ١- يرى الباحث التوسع في الدراسات البلاغية التطبيقية في القرآن الكريم، وبيان أثرها في التفسير.
- ٢- أنواع علم البديع لا زالت بكرا في الدراسات القرآنية، وتوجد عدد من الأنواع لازالت بحاجة إلى تتبع ونظر في كتب التفاسير.
- ٣- الحواشي على التفاسير من الكتب المعتمدة بالجانب التطبيقي في علم البلاغة وسائر علوم الآلة، وتحتاج إلى مزيد ودراسة في الدراسات القرآنية.
- ٤- أثر أقوال السلف في صحة الأسلوب البلاغي وموافقته للأصول التفسيرية أو مخالفته من الأمور التي ظهرت في عدد من الأمثلة وهي مما يستحق الدراسة والنظر والبحث.



المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، مجمع الملك فهد، ط: ١٤٢٦ هـ.
٢. أحكام القرآن أبو بكر ابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١٤٢٤ هـ.
٣. إرشاد العقل السليم، محمد أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤. أصول اعتقاد أهل السنة، أبو القاسم اللالكائي، تحقيق: أحمد الغامدي، دار طيبة، الرياض، ط: ١٤٢٣ هـ.
٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣)، دار الفكر، بيروت، ط: ١٤١٥ هـ.
٦. إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ.
٧. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، دار الإرشاد، سوريا، ط: الرابعة، ١٤١٥ هـ.
٨. أنوار التنزيل، ناصر الدين البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨ هـ.
٩. الإيضاح في البلاغة، جلال الدين القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط: الثالثة.
١٠. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ط: ١٤٢٠ هـ.
١١. بدائع التفسير، ابن قيم الجوزية، جمع: يسري السيد، دار ابن الجوزي، الدمام، ط: الأولى ١٤١٤ هـ.
١٢. بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤)، دار القاهرة، مصر، ط: ١٣٧٧ هـ.
١٣. البسيط في التفسير، أبو الحسن الواحدي، ط: جامعة الإمام، الرياض، ١٤٣٠ هـ.

١٤. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي (ت ١٣٩١هـ)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: السابعة عشر، ١٤٢٦هـ.
١٥. البلاغة العربية، عبد الرحمن حبنكة، دار القلم، دمشق، ط: الأولى، ١٤١٦هـ.
١٦. بيان تلبيس الجهمية، أحمد بن تيمية، مجمع الملك فهد، المدينة، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ.
١٧. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦)، تحقيق: علي البجاوي، مكتبة البابي الحلبي، ط: الأولى.
١٨. التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ط: ١٩٨٤م.
١٩. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن جزي، مكتبة الأرقم، ط: الأولى، ١٤١٦هـ.
٢٠. تفسير ابن عثيمين (ت ١٤٢١)، دار ابن الجوزي، الدمام، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ.
٢١. تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨)، جمع: إياد القيسي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط: الأولى، ١٤٣٢هـ.
٢٢. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء ابن كثير (ت ٧٧٤)، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، ط: الثانية، ١٤٢٠هـ.
٢٣. تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧)، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة نزار الباز، ط: الثالثة، ١٤١٩هـ.
٢٤. تفسير مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠)، تحقيق: عبدالله شحاتة، دار إحياء التراث، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ.
٢٥. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب (ت ١٣٩٠)، دار الفكر العربي، القاهرة.
٢٦. تلخيص المفتاح، جلال الدين القزويني، مكتبة المدينة، كراتشي، ط: الثانية، ١٤٣٧هـ.

٢٧. تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١ م.
٢٨. تيسير الكريم الرحمن، عبدالرحمن بن سعدي (ت ١٣٧٦)، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ.
٢٩. جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠)، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ.
٣٠. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله القرطبي، دار الكتب المصرية، ط: الثانية، ١٣٨٤ هـ.
٣١. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١)، تحقيق: علي العمران، دار عالم الفوائد، مكة، ط: الأولى، ١٤٢٥ هـ.
٣٢. حاشية ابن التمجيد على البيضاوي (ت ٨٨٠)، مصلح الدين الرومي الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٣. حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الراضي)، شهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٦٩)، دار صادر، بيروت.
٣٤. حاشية شيخ زاده على البيضاوي (ت ٩٥١)، محيي الدين شيخ زاده، دار إحياء التراث، بيروت.
٣٥. حاشية القونوي على البيضاوي، عصام الدين القونوي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٦. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبدالقادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣)، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الرابعة ١٤١٨ هـ.
٣٧. دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبدالخالق عزيمة (ت ١٤٠٤)، دار الحديث، القاهرة، ط: ١٤٢٥ هـ.
٣٨. دراسات منهجية في علم البديع، الشحات أبوستيت، ط: الأولى، ١٤١٤ هـ.

٣٩. الدر المصون في علم الكتاب المكنون، أبو العباس السمين الحلبي (ت ٧٥٦)، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق.
٤٠. دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، محمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٧هـ.
٤١. ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط: الثانية.
٤٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي (١٢٧٠)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.
٤٣. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج بن الجوزي (ت ٥٩٧)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٤٤. زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (ت ١٣٩٤)، دار الفكر العربي، بيروت.
٤٥. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦)، تحقيق: محمد بن زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٤٦. الصحاح في اللغة، أبو نصر الجوهري (ت ٣٩٣)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: الرابعة، ١٤٠٧هـ.
٤٧. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣)، المكتبة العصرية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ.
٤٨. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دمشق، ط: الأولى، ١٤١٤هـ.
٤٩. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي)، شرف الدين الطيبي (ت ٧٤٣)، جائزة دبي، ط: الأولى، ١٤٣٤هـ.
٥٠. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود الزمخشري (ت ٥٣٨)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٧هـ.
٥١. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص بن عادل الحنبلي (ت ٧٧٥)، تحقيق: عادل

- عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ.
٥٢. مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨)، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ط: ١٤١٦ هـ.
٥٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ.
٥٤. المطول شرح تلخيص المفتاح، سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢)، تحقيق: أحمد السديس، مكتبة الرشد، الرياض، ط: الأولى ١٤٤١ هـ.
٥٥. معالم التنزيل، أبو محمد الحسين البغوي (ت ٥١٠)، تحقيق: عثمان ضميرية وآخرون، دار طيبة، الرياض، ط: الرابعة ١٤١٧ هـ.
٥٦. معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، عالم الكتب، بيروت، ط: ١٤٠٨ هـ.
٥٧. معاني القرآن، أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨)، تحقيق: محمد الصابوني، جامعة أم القرى، ط: الأولى ١٤٠٩ هـ.
٥٨. معجم المصطلحات البلاغية، د. أحمد مطلوب (ت ١٤٤٠)، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٧ هـ.
٥٩. مفاتيح الغيب، أبو عبدالله محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٠ هـ.
٦٠. المنار (تفسير القرآن الحكيم)، محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤)، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٠ م.
٦١. النكت والعيون، أبو الحسن علي الماوردي (ت ٤٥٠)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٠ هـ.



ملخصات البحوث باللغة الإنجليزية

Confirming something similar to its opposite and its effect on the interpretation of the Noble Qur'an (an applied analytical study).

Dr. Mohsen Hamid Al-Mutairi

Abstract

This research discussed by studying and analyzing the Qur'anic verses what are called by the commentators as the rhetoric terminology "Affirmation things by their opposites" and related definitions such as confirmation praise and slander by their opposites.

The researcher wanted to accomplishment these objectives:

First: Limitation the places of Quran where usage this rhetoric method.

Second: Study these methods and identification their conformation to the speech of the predecessor commentators and the investigators, and its effect on interpretation. .

Third: Indication the concerned interpretation of this rhetoric method

The researcher concluded the following outcomes:

1- The impact of the he science of rhetoric in explanation the Holy Qur'an and facing its problems and the commentators 'reliance on it, including the method of confirmation of their opposites in meanings.

2- The most explicit interpretations in this manner: Ibn Ashour and Al-Alousi with footnotes on Al-Kashaf and Al-Baidawy: such as Al-Tibi, Al-Shehab Al-Khafaji, Sheikh Zadeh, and Al-Qunawi, and referred to him as known poetic witness without the statement Al-Zamakhshari, Al-Baidawi, Al-Razi and others.

3- I studied in the research forty-four verses of the Qur'an, through the research it, show that a number of Qur'anic examples do not enter into praise and slander in a manner similar to opposite them, however they are from affirming a thing in a manner similar to it: so the related examples to affirming something by their opposites: sixteen verses, praise In a manner similar to slander: eight verses, and slandering in a manner similar to praise: nineteen verses of the Qur'an, while it is not correct to application the method to two Qur'anic verses.

4- As well as, and through the research, there were four of the applied examples in this rhetorical method did not include an exception or a remedy, and this rhetorical method has been correctly applied to it, and this refers that this restriction is predominant and not constant, in contrary to those whose definition which is limited to exclusion and comprehension.

Key words: affirmation of something by its contrary, praise as a similar to slander, slander as a similar to praise, exception.

* * *

Educating women in the Holy Quran

Dr. Abdullah bin Mohammed Al-Rashoud

Abstract

- Research Title: Educating Women in the Holy Qur'an.

- Research objective: This major objective of the study is to investigate the Qur'anic evidence indicating the merit of educating women, to derive their educational implications, in addition to shedding light on the educational methods and the most important areas of women's education mentioned in the Holy Qur'an.

- The study made use of the deductive and inductive approach, and reached a number of results, the most important of which are the following:

- The verses of the Holy Qur'an indicate the virtue of educating women and the reward for those who do it.

- The methods of the Holy Qur'an have varied in encouraging the education of women, including the following methods: direct education, urging women to learn and teach, Allah commanded the Prophet to educate women, and urged men to educate their women, and educate women by answering their questions and men's questions related to them, the education of women by teaching men matters related to their relationship with women, teaching women through incident situations, praising the believers who taught and caring for their girls and women, in addition to the method of proverbs.

- There are many fields of education for women in the Holy Qur'an. These areas include: the belief and the principles of worship, explaining some of the legal prohibitions, marital relations, raising and educating children, moral values and the relationship with foreign men.

- **Key words:** education, women, women's education, , Islamic education, education in the Holy Qur'an.

* * *

Ibn al-Hayim's Ali al-Sijistani corrections in his book: "The Explanation in Tafsir Gharib al-Qur'an"

Dr. Yazid bin Abdul Latif Al-Saleh Al-Khalif

Abstract

This research is about the study of Ibn Al-Haim's removing misunderstandings in his book: "Altibyan fi tafseer gharib alquran" on Al-Sijistani in his book: "Nuzhat alguloub fi fi gharib alquran" by introducing Ibn Al-Haim and Al-Sijistani and their books, then mention Ibn Al-Haim's formulas of removing misunderstandings, and the most prominent features of his approach to that. After that, limit the removing of misunderstandings and study it by mentioning the sayings of scholars and their evidence, weighting the evidence, and then arriving at the correctness of Ibn Al-Haim's removing misunderstandings or not.

The importance of this research stems from the fact that it reveals the approach of one of the imams of interpretation and language in removing misunderstandings, and strengthening the faculty of considering words and the weighting between them.

This research concluded with the most important results, the most important of which are: Ibn Al-Haim is one of the leading scholars who have a great deal of knowledge in language and its sciences. He had the effect of explaining the meanings of Quran words and their derivation, and that Ibn Al-Haim's conclusions on Al-Sijistani were limited to ten remarks, most of which were correct with what Ibn Al-Haim went to.

Keywords: Ibn Al-Haim, Al-Sijistani, removing misunderstandings, Altibyan, Nuzhat alguloub.

* * *

The concept of colors in the Noble Qur'an among the explainers

Dr. Mohammed bin Farhan bin Shleiwih Al-Hawamleh Al-Dosari

Abstract

This research, entitled: The concept of colors in the Holy Qur'an among commentators, in which the colors mentioned in the Holy Qur'an were studied in a comparative analytical study, whether those colors differed among the interpreters; They are in six colors: brown, blue, yellow, dark green, brownish, and orange; Whether or not the interpreters differed, and they are four colors: white, red, green, and black.

In this research, I am interested in mentioning the opinions of advanced commentators, including those who are late in interpreting colors in the Holy Qur'an, weighting between them, and explaining the reason for weighting.

* * *

Muhammad bin Abi Al-Qasim bin Babjuk Al-Baqali (d. 562 AH), and the features of his method in what is found from his interpretation of the "Miftah al-Tanzil"

Dr. Mamdouh bin Turki bin Mohammed Al-Qahtani

Abstract

Research Title: Muhammad bin Abi Al-Qasim bin Babguk Al-Baqali (d. 562 AH), and the features of his approach in his interpretation "Moftah Al Tanzil."

Prepared By: Dr. Mamdoh Turki Mohammed Al-Qahtani.

Position: Associate Professor, Shaqra University

The research included an introduction, two chapters, and a conclusion. The first chapter included two topics, in the first topic deals with the author definition, his scientific life, and the praise of scholars on him, then his works. The second topic studies the definition of the book and its transcripts, then in the second chapter the research dealt with Al-Baqali interpretation approach; his approach in Hadith – based (Mathur) interpretation, and how he dealt with the Israeli hadiths, then his method in language sciences, matters of belief, judgments, and deduction, then his care for the rules of interpretation, its weightings, and discussions, then his method of presenting the sciences of Qur'an in his interpretation, then a conclusion.

Objectives: It deals with the biography of this scholar, to highlight the scientific position he assumed, mention his books, and to define this interpretation, as one of the historically advanced interpretations, describe his transcript, and to highlight his approach, the features that appear in it, and the scientific value of the same.

Outcomes :

1. To explain that this interpretation is for the sake of interpretations in the 6th century, and that its author is a prominent scholar, that his personality is apparent in his interpretation, and that he has weightings in it, and he also has care about the rules of interpretation and the science of occasions and deduction.

2. To direct the attention of researchers to know the rest of Baqali's books, search for them in the manuscripts treasures, and serve them.

The most important recommendations include: Search for hard copies of this book, extract the author's sayings and jurisprudential choices from the books of jurisprudence, and deal with his interpretation of studies in several aspects, such as his Qur'an-based interpretation of the Qur'an.

Keywords: Moftah Al Tanzil, Babguk, Baqali, interpretation, his approach.

* * *

Attributes of those whom Allah loves in the light of the Noble Qur'an - an objective study

Dr. Abdullah bin Khalid bin Saad Al-Hassan

Abstract

This study included - the characteristics of those whom God (Allah) loves - the confirmation of the character of love and love for God (Allah) in the Holy Qur'an with examining the verses in which the character of love and love for God (Allah) was mentioned and studying them objectively in the light of the Holy Quran. The importance of this subject is being one of the characteristics of God (Allah) as proven to himself. In addition, the love of God (Allah) linked to some characteristics that God (Allah) loves.

In his book, God (Allah) mentioned the characteristics of those He loves. The mentioned characteristics in the verses are divided into three different aspects:

The belief: those who were characterized by faith, or following the Prophet, or trust in God (Allah).

Sharia provisions: those who were characterized by jihad, whether with patience, persistence and trust, or in their unity when fighting the enemy, were characterized by purity, whether sensual purity, or moral purity, or they were characterized by fairness in ruling, whether justice was in the ruling among believers, or justice in ruling with polytheists, or fairness in ruling among polytheists, or they are characterized by charity, whether it is charity in obedience, or charity to violators.

Ethics: those who were characterized by charity as well, either in spending for the sake of God (Allah), or spending in good and bad times, or they were characterized by the fulfillment of the covenant, whether the fulfillment of the covenant with the common people, or the fulfillment of the covenant with the polytheists.

Then I mentioned the conclusion with the most important results and the most important recommendations.

* * *

Differences of interpretation between Ibn Jarir and Ibn Katheer in Surat Al-Takwir

Dr. Muhammad Hussam Abdul Karim Abdul Aziz

Abstract

The research aims at comparing the two famous explanations: Comprehensive statement of the Qur'an explanation to Ibn Jarir, and the explanation of the great Qur'an to Ibn Katheer.

The research dealt with the technical and scientific aspects of the comparison between them. Art focuses on things such as: naming the sura, preferring it, dividing it, presenting its fundamentals, criticizing and referring to others, and how to start and end them. As for the scientific, it discusses things, including: in the rules of interpretation and weighting, and the reason for descent and martyrdom of the Koran and Sunnah and companions and followers and followers, and the language of Arabs and readings, and others.

The researcher has reached several conclusions, including: Ibn Jarir's commitment to naming the sura with what was mentioned in the Qur'an, while Ibn Katheer took opinion by naming him the Sura. Ibn Katheer opened with a raised hadith in the virtues of Sura, (The saying in the interpretation of the verse), and the fragmentation of the son of Jarir Sura to six sections; for the large number of Marwaites and inferences, while Ibn Katheer Sura was divided into two sections; to shorten it in novels and interpretation, and based on two main themes in the Sura, namely: the horrors of the Day of Resurrection, And the establishment of Ibn Jarir rules of interpretation and weighting, and adopted a lot in The choice of the most correct saying, while Ibn Katheer was a narrator of Ibn Jarir's rules, is either supportive, corrective or otherwise.

Therefore, it was one of the recommendations of the research: interest in comparative studies in the curricula of the explainers, and extract the exact benefits in it.

Keywords: Differences, Jarir, Katheer, Takweer, Explanation.

* * *

A thesis in the statement of the fundamentals of the reading of Nafi from my novel Qaloon and Workshops from the Path of Shatibi, for Emad El Deen Ali bin Emad El Deen Ali Al Astarabadi (one of the scholars of the tenth century AH) – A study and investigation

Dr. Safia bint Abdullah bin Muqbal Al-Qarni

Abstract

Title : An Investigation and Clarification of the statement of Fundamentals of Nafi's reading from Qaloon and Warsh as by the Shatibia, and which is written by Emaduldeen Ali Bin Emaduldeen Ali Al-Aster-Abadi (a scholar of the tenth century AH): Study and investigation

Research Contents: It includes an introduction, two sections, a conclusion, and an index of references.

After investigating and auditing the book, the researcher did the following:

First: The researcher introduced the research by mentioning a brief introduction about the reasons for choosing the research, the plan and approach used in it.

Second: The researcher mentioned a brief account of the author's bibliography, his most important scholars and students, his scientific rank, his works, and his death.

Third: He studied the book, and mentioned its name and documented its proportion to its author, then he mentioned the author's method of writing it, then I listed the author's references , its importance and scientific value, and described the written manuscripts of the book.

Fourth: He audited the book in full, according to the auditing rules of investigation.

Fifth: He worked on the verified text, wrote the known bibliographies, documented the texts and evidence from its references, attributed the verses to their (**Sourat**) , and pointed out all mistakes and faults.

Sixth: The research concluded with a conclusion containing the most important findings and recommendations, followed by the list of references.

I ask Allah (SWT) the most generous to grant us sincerity and success, and may Allah's blessings and peace be upon our Prophet Mohammad and all of his companions'.

* * *

Research abstracts
in English

Introduction of edition (39)

Praise be to Allah, and praise be to the people of praise, glory, and blessings and peace be upon our Prophet Muhammad, his family and companions:

After Greetings

This is issue (39) of the Journal of the Saudi Scientific Society for the holly Qur'an and its Sciences. It is concerned with highlighting the characteristics of Qur'anic studies in all their diversity, and seeks to develop the spirit of scientific research in the academic community. Starting from this standpoint, the editorial board welcomes the publication of scientific research of depth of knowledge and scientific creativity that demonstrates the jurisprudence of the holly Qur'an, raises its secrets and wisdom, because the greatest purpose for us from research in the journal is to understand the meanings of the Noble Qur'an, its reading, rulings, wisdom, etiquette, sermons, and guides, because enabling understanding will lead to be understood. So, the best understanding of the Qur'an will lead to enabling others to understand it better.

Moreover, understanding the Noble Qur'an is taken from the Qur'an itself, from the Prophet's Sunnah, the sayings of the Companions and Successors, and after them from among the great explainers. The Qur'an is a general book of guidance for all people, and its understanding helps to obey it and follow it. It is by the grace of Allah that we live in this blessed country: the Kingdom of Saudi Arabia, in security, safety, prosperity, stability, meeting and coalition, which help in scientific production, especially in Quranic studies, which the journal is interested in publishing their research.

There is no doubt that security is a great pillar of life and a necessity for a person to play his role in life. Allah made this one of the greatest mundane blessings for thankful servants. Our country has become - praise be to Allah - an example and the focus of attention with this comprehensive security, which is thanks to Allah, then by adhering to its religion and belief and applying the provisions of Sharia, which made the houses of science and its institutions play an effective role in education, so scientific life flourished and scientific development took place; thus ways paved and the causes of science and learning became easier.

The authority of security will not established among the people unless everyone maintains it, as it is the slogan of the Muslim who is known by it and the dominant description over him.

Allah grants success

Prof. Dr. Abdullah bin Abdul Rahman Al-Shathry

Second: If the Reference is Stat ed Again

The title of the book in bold followed by a comma, family name followed by a comma, and then the page followed by a full stop.

Example:

Al Sehaḥ Tajul Lughā & Sehaḥ of Arabic Language, Al Jawhārī, 2/46.

- **Referencing Prophetic Hadeeth:** follow the same steps above, and add Hadeeth number and its judgment.
- Referencing a research in a journal: In addition to the above, research title shall be added after the journal's name in bold and then issue number.

All correspondence and subscription requests to be addressed to

The editor-in-chief of the Editorial Board

Kingdom of Saudi Arabia - Riyadh

B. O. Box: 5701 Riyadh: 11432

Phone: 2582705, Fax: 2582695

E-mail:

quranmag@gmail.com

Facebook: www.facebook.com/Quranmag

Twitter: <https://twitter.com/quranmag1>

Association Address:

B. O. Box: 5701 - Riyadh - 11432, Phone: 2582695 -

0546667141

Association website:

www.alquran.org.sa

*** * ***

Technical Specifications of the Research:

- The font (Traditional Arabic) is used for Arabic language typing with size of (18) white for content and bold for titles, and the size (14) White for footnotes and summary.
- The font (Times New Roman) is used for English language typing with size of (11) white for content and bold for titles, and the size (10) White for footnotes and summary.
- Number of research pages is (50) pages (A4).
- Leave an indent at the beginning of each paragraph of no more than 1 cm.
- The space between lines is single.
- Margins of the page up, down and left are 2.5cm and from the right are 3.5cm.
- Quranic verses are written in accordance with the E-Qur'an Book at King Fahd Complex for Printing the Holy Quran with the size of 14 plain-colored (non-bold).

Method of Referencing

Referencing Verses:

- Verses in the text are referenced directly following the Quranic text mentioning the Sura followed by a colon and then verse number within two brackets as follows: [Al-Baqarah: 255].

Referencing texts:

- The text to be referenced to be annexed within the content with a small upper number after the punctuation mark.
- Lower footnotes shall be then written down the page with separate numbering for each page and they shall be automatically adjusted the and not manually.

First, when a source is mentioned for the first time, as well as in the reference list at the end of the search.

The **title of the book in bold** followed by a comma, family name followed by a comma, first and second name, date of death of the author in brackets followed by a comma, publisher followed by a comma, place of publication followed by a comma, Edition number followed by a comma, date of publication followed by a comma and then part of the page followed by a full stop.

Example:

Al Sehah, Al Jawhari, Ismail Bin Hammad (1205 H), investigated by Ahmed Abdul-Ghafoor Atta, Dar Al Ilm Lil Malayeen, Beirut, Second Edition, 1404, 1984, 2/46.

- The arbitration decision depends on average marks by arbitrators including the following possibilities:
 - o In case the research exceeds the degree of 90%, it is considered accepted to be published on its condition.
 - o If it gets 60% to 89%, it needs amendment.
 - o If it gets less than 60%, it shall be refused.
- In case of the need to re-edit the search with the amendments required from the researcher, in turn, he makes the amendment and if he confirms his view he shall respond the arbitrator's remark with illustration and confirmation of this view.
- After the research being re-edited, the researcher returns the research to the arbitrator for the final decision. The decision includes one of two possibilities:
 - o Accepted for publication in the event of receiving a 90% and above.
 - o Refused in the event of receiving a 90% or below.

Publishing Conditions:

- In case of accepting the research for publication, all copyright shall be assigned to the journal, and may not be published in any other publisher in paper copy or electronically without written permission of the Chief Editor of the journal. The journal has the right to publish the research on the Association's site and other sites of electronic publishing.
- The research shall be published electronically in the journal's website and in the same journal according to publishing a priority depending on the search's date of acceptance and considerations determined by the editorial staff, such as research variability into a single issue.
- In case of the research's acceptance for publication, the researcher sends acceptance of publishing, and when refused he will receive an apology for publishing.
- It is required to pay costs of evaluation in the following cases:
 - o If sincerity of the acknowledgement is not proven.
 - o If researcher violated the undertaking.
 - o If the researcher withdraws his research after the evaluation.
 - o If the researcher does not abide to deliver the research in its final form according to the approved terms of publishing in the journal.
- The researcher, when approving his research for publication, is committed to submit it in final form as referred to in the approved technical specifications.

- Submitting a file of translating the abstract, title of the study, researcher's name, title and keywords into English language. The translated abstract should be approved by a specialized translation office.

Arbitration Proceedings:

- The Editorial Board considers the extent to which the search achieves terms of publishing if it is identical to the terms of the Arbitration.

Evaluation Criteria	Full Mark	Actual Mark	Weaknesses
Scientific value of the subject	25		
Significance and scientific addition of the subject	25		
Correct research methodology	25		
Researcher's character and good treatment of the subject	25		
Total	100		

- The result is taken by average marks of the Editorial Board members.
- The research passes initial acceptance to be presented to arbitrators if it exceeds 60%.
- Research is governed by a minimum of two arbitrators with an academic title that equals or higher than the researcher's.
- Research is governed according to the following criteria:

Evaluation Criteria	Full Mark	Actual Mark	Weaknesses
Title: Quality of formation, matching title with content	5		
Research Annexes: an abstract, introduction, conclusion, recommendations, references and basic elements of each of them.	5		
Review of Literature: complete, clear relation in the study and academic addition.	5		
Language: grammar, dictation and printing	5		
Methodology: Clearness, correctness, compliance, plan accuracy and correct distribution.	10		
Style: explanation, concise, connectedness and clearness	20		
Scientific Content: matching title and objectives, scientific integrity, strength, clear and valuable scientific addition.	15		
References: originality, modernity, variability, comprehensiveness	5		
Findings: based on the subject, comprehensiveness and accuracy	5		
Recommendations: Based on the subject	5		
TOTAL	100		

Conditions & Procedures of Publishing In "Tibian" Journal for Quranic Studies

Scientific and Methodological Properties:

- Scientific honesty.
- Originality and innovation.
- Correct tendency.
- Correct research methodology.
- Considering basics of scientific research in quoting and referencing, correct language, dictation and printing.
- Writing an introduction that contains: (subject of the study, study problem, limitations, objectives, methodology, procedures, research plan, previous studies - if any - scientific and additions by the researcher).
- Dividing the study into chapters, sections and parts according to nature of the study, its subject and content.
- Writing a conclusion with a comprehensive summary that includes the most significant (Results) and (recommendations).
- Writing a list of references of the study, according to the technical specifications referred to later.

Terms of delivering the study:

- The study should not have been published.
- The study should not be taken from a research or a thesis given a scientific degree to the researcher. If this is the case, the researcher must refer to the matter, and it should have been already published, for the editorial board to consider the extent of scientific benefit from its publication.
- **Number of pages should not be more than 50 pages with - complete with annexes - after adherence to technical specifications for printing the research in terms of font type, size, spacing, and margins.**
- The search should be submitted to the website of the journal in an electronic version (Microsoft Word) and another copy with the format (PDF) without researcher's data.

Research Attachments upon Delivery:

- Submitting a file including search title and biography.
- Submitting a file including an abstract of the study not more than (200) words including the following elements: (study title, researcher's name and academic title, subject of the study, objectives, methodology, the most significant findings and the most significant recommendations) with keywords that accurately reflect the subject of the study and issues addressed so as not to exceed (6) words.

Tebian Journal for Quranic Studies

The General Supervision

Dr. Abdullah Hamoud Al-Amaj

Chairman of the Board of Directors of the Saudi Association for Holy Quran and its Sciences

Advisory Board

1-Prof.Muhammad Abdulrahman Al-Shay'e

Department of Quran and its Studies, Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University

2-Prof.Ali Ibn Sulaiman Al-Obaid.

Vice president of the affairs of the Prophet Mosque

3- Prof.Fahad Abdulrahman Al-Roomi

Department of Quranic Studies, King Saud University in Riyadh.

4-Prof.Ibrahim Ibn Saeed Al-Dawsary.

Head of the Science of the Holy Quran in Al Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University and King Abdullah Ibn Abdulaziz Chair Professor of the Holy Quran in Al Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University

5-Prof.Ahmad Sa'ad Muhammad Muhammad Al-Khateeb.

Dean of the College of Islamic and Arabic Studies, Al-Azhār University, Egypt.

6-Prof.Dhulkifl Ibn Alhaj Muhammad Yusoff Ibn Alhaj Ismail.

Dean of the Islamic Studies Academy, University of Malaya, Malaysia.

7-Prof.Tayar Alti Qolaj.

Chairman of the Board of Trustees, University of Istanbul, Turk.

8-Prof.Abdulrazag Hermas.

Professor of higher education, College of Arts, Ibn Zohr University, Kingdom of Morocco.

9-Prof.Ghanim Qaduri Al-Hamad.

College of Education, University of Tikrit, Iraq.

10-Prof.Zayd Ibn Omar Al-Ees.

Supervisor of Bayinat Centre for Quranic Studies in the Hashemite Kingdom of Jordan.

Chairman of the Editorial Board

Prof. Dr. Abdullah Bin Abdul Rahman Al Shathri

Professor of Quran and its Sciences at Imam Muhammad bin Saud Islamic University

Members:

1-Prof. Dr. Salem Bin Gharm Al Zahrani

Professor of Qira'at at Umm Al-Qura University

2-Prof. Dr. Khalid Bin Saad Al Matrafi

Professor of Quran and its Sciences at Qassim University

3-Prof. Dr. Abdul Salam Bin Saleh Al Jar Allah

Professor of Quranic Studies at King Saud University.

4-Prof. Dr. Mushref Bin Ahmed Al Zahrani

Professor of Quranic Studies at Prince Sattam bin Abdulaziz University.

5-Prof. Dr. Nasser Bin Mohammed Al Manee

Professor of Quranic Studies at King Saud University.

6- Prof. Dr. Abdullah bin Hammad Al-Qurashi

Professor of Qira'at at Taif University

7-Prof. Dr. Falwa Bint Nasser Al-Rashed

Professor of Quran Interpretation and Quranic Sciences at Princess Nourah Bint Abdul Rahman University.

8-Dr. Nasser Bin Mohammed Al Ashawan

Associate Professor of Quran and its Sciences at Imam Muhammad bin Saud Islamic University.

Editorial Manager

Dr. Fahd Bin Saad Al Quifel

Editorial Secretary

Mr. Ibrahim bin Abbas bin Nasser Al-Shagdry

Contents

Address	Page
Forewords: Editor-in-chief research	17
1. A thesis in the statement of the fundamentals of the reading of Nafi from my novel Qaloon and Workshops from the Path of Shatibi, for Emad El Deen Ali bin Emad El Deen Ali Al Astarabadi (one of the scholars of the tenth century AH) – A study and investigation	21
Dr. Safia bint Abdullah bin Muqbal Al-Qarni	
2. Differences of interpretation between Ibn Jarir and Ibn Katheer in Surat Al-Takwir	73
Dr. Muhammad Hussam Abdul Karim Abdul Aziz	
3. Attributes of those whom Allah loves in the light of the Noble Qur'an - an objective study	133
Dr. Abdullah bin Khalid bin Saad Al-Hassan	
4. Muhammad bin Abi Al-Qasim bin Babjuk Al-Baqali (d. 562 AH), and the features of his method in what is found from his interpretation of the "Miftah al-Tanzil"	189
Dr. Mamdouh bin Turki bin Mohammed Al-Qahtani	
5. The concept of colors in the Noble Qur'an among the explainers	287
Dr. Mohammed bin Farhan bin Shleiwh Al-Hawamleh Al-Dosari	
6. Ibn al-Hayim's Ali al-Sijistani corrections in his book: "The Explanation in Tafsir Gharib al-Qur'an"	329
Dr. Yazid bin Abdul Latif Al-Saleh Al-Khalif	
7. Educating women in the Holy Quran	397
Dr. Abdullah bin Mohammed Al-Rashoud	
8. Confirming something similar to its opposite and its effect on the interpretation of the Noble Qur'an (an applied analytical study).	465
Dr. Mohsen Hamid Al-Mutairi	
Research abstracts in English	547

* * *



KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry Of Education
Al-Imam Muhammad Ibn Saud
Islamic University
Saudi Academic Association Of
The Holy Qur'an and Its sciences



مجلة تبعية
لدراسات القرآن الكريم

TBEIAN

FOR QUR'ANIC STUDIES

Refereed Scholarly Journal



٣٩ 39

TBEIAN
FOR QUR'ANIC STUDIES

Issus 39- Jumada al-Thani 1442 AH/January 2020

Contents

- ❖ A thesis in the statement of the fundamentals of the reading of Nafi from my novel Qaloon and Workshops from the Path of Shatibi, for Emad El Deen Ali bin Emad El Deen Ali Al Astarabadi (one of the scholars of the tenth century AH) – A study and investigation Dr. Safia bint Abdullah bin Muqbal Al-Qarni
- ❖ Differences of interpretation between Ibn Jarir and Ibn Katheer in Surat Al-Takwir Dr. Muhammad Hussam Abdul Karim Abdul Aziz
- ❖ Attributes of those whom Allah loves in the light of the Noble Qur'an an objective study Dr. Abdullah bin Khalid bin Saad Al-Hassan
- ❖ Muhammad bin Abi Al-Qasim bin Babjuk Al-Baqali (D 562 AH) and the features of his method in what is found from his interpretation of the "Miftah al-Tanzil" Dr. Mamdouh bin Turki bin Mohammed Al-Qahtani
- ❖ The concept of colors in the Noble Qur'an among the explainers Dr. Mohammed bin Farhan bin Shleiwth Al-Hawamleh Al-Dosari
- ❖ Ibn al-Hayim's Ali al-Sijistani corrections in his book: "The Explanation "in Tafsir Gharib al-Qur'an Dr. Yazid bin Abdul Latif Al-Saleh Al-Khalif
- ❖ Educating women in the Holy Quran Dr. Abdullah bin Mohammed Al-Rashoud
- ❖ Confirming something similar to its opposite and its effect on the interpretation of the Noble Qur'an (an applied analytical study) Dr. Mohsen Hamid Al-Mutairi